

مِنْ أَحَادِيثِ الفِتَنِ وَالمَلاحِم وَأَشْرَاطِ السَّاعَة

مصطفى العدوي

دار الهجرة للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الصَحِيح المسند

مِنْ أحَادِيثِ الفِتَنِ وَالملاحِم
وَأشرَاطِ السَاعَة

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩١م

دار الهجرة للنشر والتوزيع

هاتف: ٨٩٨٣٠٠٤ (٠٣) الثقبة - ٤٧٩٢٠٥٥ (٠١) الرياض

فاكس ٨٩٥٢٤٩٦ (٠٣)

ص . ب: ٢٠٥٩٧ - الثقبة ٣١٩٥٢

المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد[1] لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد ألا إلٰه إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعـد ...

فإن أصدقَ الحديث كتاب الله ، وخيرَ الهدى هدى محمد ﷺ ، وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكلَّ محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ آل عمران (١٠٢) .

---

(١) البدء بخطبة الحاجة ليس بواجب ، فقد خطب النبى ﷺ أصحابه بعد صلاة العشاء بقوله : « **ما من نفس منفوسة يأتى عليها مائة عام وهى على وجه الأرض** » ، وفى قصة الواهبة قال عليه السلام : « **زوجتكها بما معك من القرآن** » ، ولم تذكر خطبة الحاجة بين يدى التزويج ، فيبقى أمر خطبة الحاجة دائراً بين الاستحباب والجواز ، فمن قال بالاستحباب مستنده حديث ابن مسعود رضى الله عنه « علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة « **إن الحمد لله** ... » ، ومن قال بالجواز مستنده التنويع الوارد عن رسول الله ﷺ . وقد فصلنا القول فى ذلك فى كتابنا « الصحيح المسند من أحكام النكاح » ص(١٨٥ - ١٨٦) فليراجعه من شاء .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدةٍ وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ النساء (١) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ الأحزاب (٧٠ - ٧١) .

وبعـــد :

فهذا كتابنا « الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة » ، قمنا بجمعه وانتقائه امتداداً للخطة العامة التى بدأنا فيها منذ سنوات طويلة ألا وهى جمع الأحاديث الصحيحة المسندة فى الموضوعات المتنوعة كل موضوع فى كتاب حتى يكون مرجعاً فى بابه لمن أراد الرجوع إليه .

ولعظم الموضوع وكبر حجمه فقد عمل فيه بعض إخواننا أيضاً فابتدأه شيخنا وأخونا فى الله مقبل بن هادى الوادعى - حفظه الله - بكتابه « الصحيح المسند من أسباب النزول » ، ثم ثنيتُ أنا بكتاب « الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة » ، ثم صنَّف هو « الصحيح المسند من دلائل النبوة » ، و « الجامع الصحيح فى القدر » ، ثم صنفتُ « الصحيح المسند من أحكام النكاح » ، وكذلك ما يتعلق بأحكام النساء المبنى على الأحاديث الصحيحة[١] وصنَّفت أيضاً « الصحيح المسند من فضائل الصحابة » .

وها هو شيخنا جزاه الله خيراً يعمل فى مشروعه الكبير « الصحيح المسند مما

---

(١) وهو مشروع يحوى ما يتعلق بالنساء فى جوانب الفقه المختلفة صدر منه حتى الآن أحد عشر جزءاً والباقى فى طريقها للصدور إن شاء الله .

ليس فى الصحيحين » أعانه الله على إتمامه . وقد عمل بعض إخواننا كتاب « الصحيح المسند من التفسير النبوى للقرآن » فى جزء لطيف .

وها هو كتابنا « الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة » مستندنا فى جمعه حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى »[1] .

هذا ، وقد كَثُر تداول أحاديث الفتن على الألسنة ، ورتبت جماعاتٌ أُسسها على أحاديث منها ، وأغلب هذه الأحاديث لا تكاد تثبت ، بل لا تثبت - عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ثم يأتى بعد ذلك خطر هو أعظم من الخطر الأول ، أى أعظم من كون الأحاديث لا تثبت عن رسول الله ﷺ ، ألا وهو التسرع فى تنزيل هذه الأحاديث الضعيفة والواهية على الواقع وبدون تريثٍ ولا تعقُّلٍ ، فينشأ عن ذلك هناتٌ وهناتٌ ، وتَعظُم الزلاتُ والكبواتُ من أقوام صالحين يظنون أنهم يحسنون صنعاً ، فتكثر منهم القصص والمواعظ والروايات والحكايات ، والتعلق بأوهى الأحاديث وإثارة ما بها من غرابة فى أوساط الناس فيحملون الشريعة الغراء ما لا تتحمله ، والشريعة من أفعالهم براء ، فأردنا فى كتابنا هذا - والله المستعان - جمع ما صح بالسند إلى خير الأنام - عليه أفضل الصلاة وأتم السلام - فى موضوع الفتن والملاحم وسائر أشراط الساعة الصغار منها والعظام ، سائلين رب البرية سبحانه وتعالى أن ينفعنا بها وسائر المسلمين ، إن ربى لسميع الدعاء ، وإنه لغفور رحيم .

● أما عن خطة العمل فى هذا الكتاب المبارك[2] ، فهى لا تختلف

---

(١) وسيأتى تخريجه بإذن الله .

(٢) بركته فى أنه يجمع عدداً من آيات الكتاب العزيز ، وكمّاً هائلاً من سنة سيد المرسلين ﷺ .

كثيراً عن خطة العمل فى سائر كتبنا التى هى على هذا النمط ، وتتلخص فى الآتى :

أولاً : مبدأ الاستقراء التام ، وهو المرور على كتب السنة المسندة بالجملة واستقراؤها حديثاً حديثاً[1] ، وجمع ما يتعلق بالموضوع بصفة مبدئية .

ثانياً : تحقيق كمٍّ الأحاديث وانتقاء الصحيح منها وطرح الضعيف جانباً[2] . والحكم على كل حديث بما يستحق صحة أو حسناً .

ثالثاً : النظر فى كتب العلل ومراجعة هل أُعِلَّ حديث مما صُحح سنده أم لا ؟ .

رابعاً : وضع أبواب مناسبة لكل حديث أو لكل مجموعة أحاديث .

خامساً : إيراد بعض الشروح لكثير من الأحاديث التى تحتاج إلى شروح .

سادساً : النظر فى كتب اللغة لشرح بعض المفردات اللغوية التى تحتاج إلى شروح .

سابعاً : أوردنا بعض الآيات التى تخدم الموضوع مع أقوال أهل العلم فيها وتحقيق الآثار الواردة فى تفسيرها .

● أما عن خطة ترتيب الكتاب ، فهى من الناحية العامة تتجه نحو الترتيب الزمنى ، فأوردنا بعض الفتن لمن كان قبل أمة محمد ﷺ ، ثم بعد ذلك بعض الفتن الواردة فى القرون المفضلة ، ثم متفرقات من أبواب الفتن ، ثم المخرج من الفتنة ، ثم الأشراط الصغرى للساعة ، والملاحم عقب ذلك ،

---

(١) ولا نقتصر على المظآن فقط فى أغلب الأحيان .

(٢) وهناك عدد يسير جداً من الأحاديث الضعيفة أوردناها ونبهناعليها إما لشهرتها ، أو لأن ظاهرها السلامة وهى ضعيفة .

ثم الأشراط الكبرى والأحداث الجسام بين يدى الساعة ، ثم الختام .

● أما عن خطة التخريج للأحاديث الواردة فى الكتاب ، فإذا كان الحديث فى الكتب الستة ، اقتصرنا على تخريجه منها بواسطة تحفة الأشراف ، وإذا لم يكن فى الكتب الستة فتخريجه بالاستقراء ، أو عن طريق المظان ، والعزو يقتصر على عدد منها . فقد يكون الحديث فى أكثر من موضع فى البخارى أو فى مسلم أو فى أحمد ، ولكننا نكتفى بالعزو لمصدر واحد فى البخارى ومسلم وأحمد على سبيل المثال ، وقد نزيد للحاجة .

● هذا ، ولا يلزمنا أحد بما صححه غيرنا من أهل العلم ، فقد تكون فى الإسناد علة جعلتنا نحجم على إيراد الأحاديث ، أو راوٍ له تفردات والحديث مما استنكر عليه ، أو راوٍ يأتى بغرائب وعجائب ورأينا أن الحديث من غرائبه وعجائبه ، إلى غير ذلك مما يجعل الحديث فى مرتبة المردود .

هذه هى الخطوط العامة التى سرنا عليها فى تأليف هذا الكتاب ، ولا ننزه أنفسنا عما يعترى البشر من الخطأ والنسيان والقصور ، فنرجو رحمة ربنا التى وسعت كل شيءٍ ، ونسأله سبحانه أن يتجاوز عن هفواتنا وزلاتنا ، ويغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا ، وأن يستر علينا وعلى سائر عباده المسلمين فى الدنيا والآخرة ، وأن يجنبنا والمسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن ، ويصرف عنا وعن ديار المسلمين كل مكروه وسوء ، وأن يتوفنا على الإيمان والهدى وهو سبحانه راض عنا ، ونسأله سبحانه أن يسكننا الفردوس مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

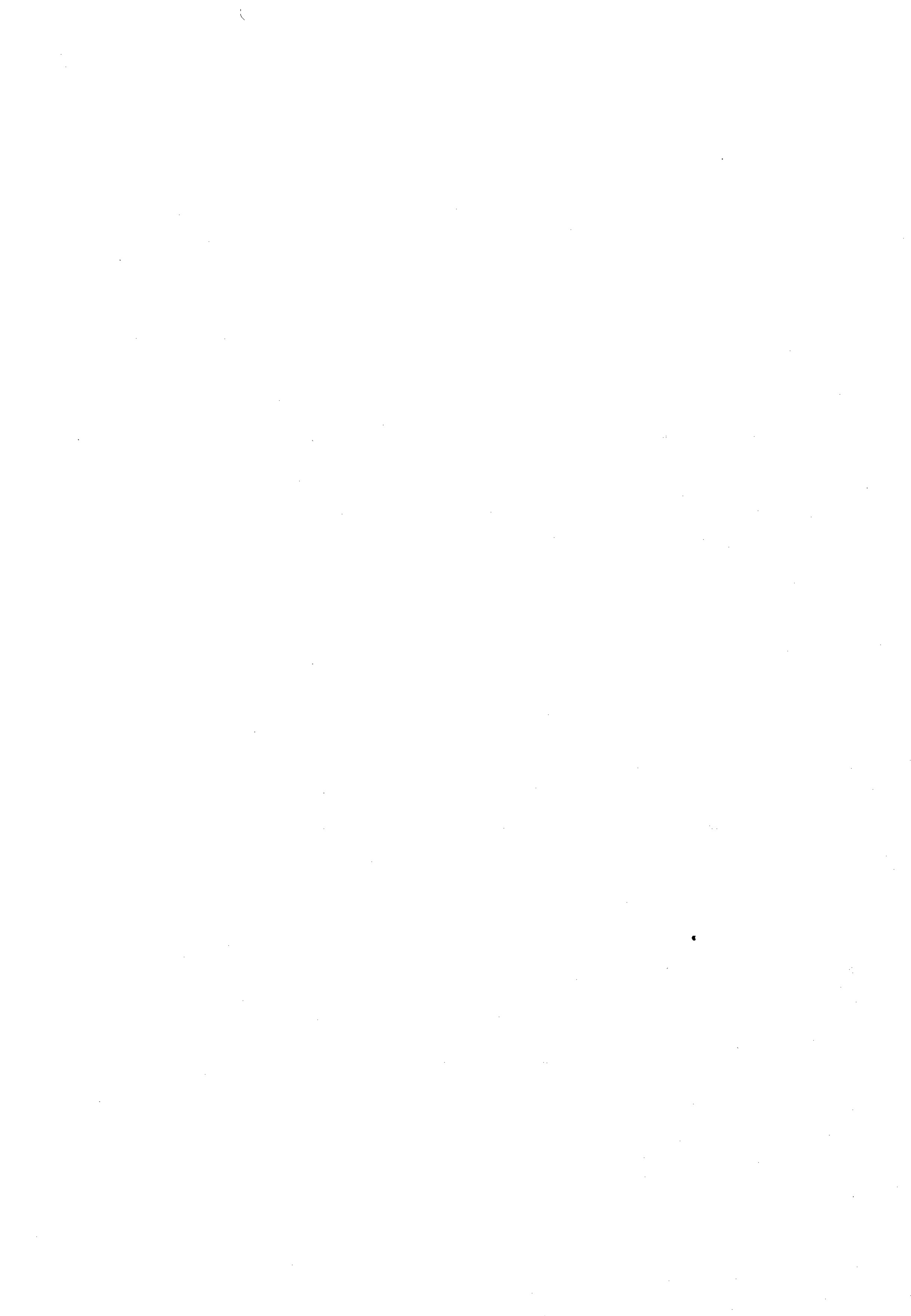
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه

أبو عبد الله / مصطفى بن العدوى شلباية

مصر – الدقهلية – منية سمنود

غرة رمضان عام ١٤١١ من هجرة المصطفى ﷺ



تعريف الفتنة

قال الحافظ فى « الفتح » (١٣/٣) : والفتن جمع فتنة ، قال الراغب : أصل الفتن إدخال الذهب فى النار لتظهر جودته من رداءته ويستعمل فى إدخال الإنسان النار .

● ويطلق على العذاب ، كقوله تعالى : ﴿ **ذوقوا فتنتكم** ﴾ ، وعلى ما يحصل عند العذاب ، كقوله تعالى : ﴿ **ألا فى الفتنة سقطوا** ﴾ .

● وعلى الاختبار ، كقوله : ﴿ **وفتناك فتونا** ﴾ .

● وفيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء ، وفى الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً ، قال تعالى : ﴿ **ونبلوكم بالشر والخير فتنةً** ﴾ ، ومنه قوله : ﴿ **وإن كادوا ليفتنونك** ﴾ أى يوقعونك فى بلية وشدة فى صرفك عن العمل بما أوحى إليك .

● وقال أيضاً : الفتنة تكون من الأفعال الصادرة من الله ومن العبد كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب والمعصية وغيرها من المكروهات ، فإن كانت من الله فهى على وجه الحكمة ، وإن كانت من الإنسان بغير أمر الله فهى مذمومة ، فقد ذم الله الإنسان بإيقاع الفتنة ، كقوله : ﴿ **والفتنة أشد من القتل** ﴾ ، وقوله : ﴿ **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ما أنتم عليه بفاتنين** ﴾ ، وقوله : ﴿ **بأيكم المفتون** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **واحذرهم أن يفتنوك** ﴾ .

● وقال غيره (أى غير الراغب) : أصل الفتنة الاختبار ، ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه ، ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه كالكفر والإثم والتحريق والفضيحة والفجور وغير ذلك .

وفى « لسان العرب » مادة (فتن) :

الأزهرى وغيره : جماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار ، وأصلها مأخوذ من قولك : فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتميز الخبيث من الجيد ،

وفى الصحاح إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته ، ودينار مفتون ، والفتن الإحراق ، ومن هذا قوله عز وجل : ﴿ **يوم هم على النار يفتنون** ﴾ أى يحرقون بالنار ، ويسمى الصائغ الفتان ، وكذلك الشيطان ، ومن هذا قيل للحجارة السود التى كأنها أحرقت بالنار : الفتين ، وقيل فى قوله : ﴿ **يوم هم على النار يفتنون** ﴾ قال : يقررون بذنوبهم ، وورق فتين أى فضة محرقة .

● ابن الأعرابى : الفتنة الاختبار ، والفتنة المحنة ، والفتنة المال ، والفتنة الأولاد ، والفتنة الكفر ، والفتنة اختلاف الناس بالآراء ، والفتنة الإحراق بالنار ، وقيل : الفتنة فى التأويل الظلم .

يقال : فلان مفتون بطلب الدنيا قد غلا فى طلبها .

ابن سيده : الفتنة الخبرة ، وقوله عز وجل : ﴿ **إنا جعلناها فتنة للظالمين** ﴾ أى خبرة ، ومعناه : أنهم أفتنوا بشجرة الزقوم وكذبوا بكونها ، وذلك أنهم لما سمعوا أنها تخرج فى أصل الجحيم قالوا : الشجر يحترق فى النار فكيف ينبت الشجر فى النار ؟ !!! فصارت فتنة لهم .

وقوله عز وجل : ﴿ **ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين** ﴾ يقول : لا تظهرهم علينا فيعجبوا ويظنوا أنهم خير منا ، فالفتنة ها هنا إعجاب الكفار بكفرهم ، ويقال : فتن الرجل بالمرأة وافتتن ، وأهل الحجاز يقولون : فتنته المرأة إذا ولَّهته ، وأحبها ، وأهل نجد يقولون أفتنته .

قال أعشى همدان فجاء باللغتين :

لئن فتنتنى لهى بالأمس أفتنت .. سعيداً فأمسى قد قلا كلَّ مسلم

قال ابن أبزى : قال ابن جنِّى : ويقال هذا البيت لابن قيس ، وقال الأصمعى : هذا سمعناه من مخنث وليس يثبت لأنه كان ينكر أفتن ، وأجازه أبو زيد ، وقال هو فى رجز رؤبة ، يعنى قوله : يعرضن إعراضاً لدين المفتن .

وقوله أيضاً : إنى وبعض المفتنين داودْ

ويوسف كادت به المكاييدْ

قال : وحكى أبو القاسم الزّجاج فى أماليه بسنده عن الأصمعى ، قال : حدثنا عمر بن أبى زائدة ، قال : حدثتنى أم عمر بنت الأهتم ، قالت : مررنا ونحن جوار بمجلس فيه سعيد بن جبير ومعنا جارية تغنى بدف معها وتقول :

لئن فتنتنى لهى بالأمس أفتنت سعيداً فأمسى قد قلا كل مسلم

وألقى مصابيح القراءة واشترى وصال الغوانى بالكتاب المتمم

فقال سعيد : كذبتن ، كذبتن .

والفتنة إعجابك بالشىء فتنه يفتنه فتناً وفتوناً فهو فاتن وأفتنه . وأباها الأصمعى بالألف ، فأنشد بيت رؤبة : يُعرضن إعراضاً لدين المفتن .

فلم يعرف البيت فى الأرجوزة ، وأنشد الأصمعى أيضاً : لئن فتنتنى لهى بالأمس أفتنت فلم يعبأ به ولكن أهل اللغة أجازوا اللغتين ، وقال سيبويه : فتنه جعل فيه فتنة وأفتنه أوصل الفتنة إليه . قال سيبويه : إذا قال أفتنته فقد تعرض لفتن وإذا قال فتنته فلم يتعرض لفتن ، وحكى أبو زيد : أفتن الرجل بصيغة ما لم يُسم فاعله أى فتن ، وحكى الأزهرى عن ابن شميل : افتتن الرجل وافتتن ، لغتان قال : وهذا صحيح ، قال : وأما فتنته ففتن فهى لغة ضعيفة .

ثم قال صاحب اللسان : « وقوله تعالى ﴿ **فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون** ﴾ ، قال أبو إسحاق : معنى المفتون الذى فتن بالجنون » .

وقال صاحب اللسان أيضاً : « وافتتن فى الشىء فُتن فيه وفُتن إلى النساء فتوناً وفتن إليهن ، أراد الفجور بهن .

والفتنة الضلال والإثم ، والفاتن المضل عن الحق ، والفاتن الشيطان » .

ثم أورد معان أُخر للفتنة منها الفضيحة ، ومنها ما يقع بين الناس من قتال ، ومنها الكفر ، وقال : « وفتنة الصدر الوسواس ، وفتنة المحيا أن يعدل عن الطريق ، وفتنة الممات أن يُسأل فى القبر » . ومن أراد المزيد فليرجع إلى اللسان .



فصل
فيما ابتُلي به بعضُ من كان قبلنا



النشر بالمياشير والتمشيط بأمشاط الحديد

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٦١٢) :

حدثنا محمد بن المثنى : حدثنى يحيى ، عن إسماعيل حدثنا : قيس ، عن خباب بن الأرت ، قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ – وهو مُتوسد بُردةً له فى ظلِ الكعبة – قلنا له : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو الله لنا ؟ قال : « **كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له فى الأرض فيُجعل فيه فيجاء بالميشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصبٍ وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى[1] يسيرَ الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو[2] الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون** » .

صحيح

وأخرجه أبو داود (٢٦٤٩) وعزاه المزى للنسائى .

---

(١) الأمر ، المراد به الإسلام .

(٢) فى رواية : والذئب على غنمه .

قال الحافظ ابن حجر فى « فتح البارى » (١٦٧/٧) : « تنبيه : قوله « **والذئب** » هو بالنصب عطفاً على المستثنى منه لا المستثنى ، كذا جزم به الكرمانى ، ولا يمتنع أن يكون عطفاً على المستثنى ، والتقدير : ولا يخاف إلا الذئب على غنمه ؛ لأن مساق الحديث إنما هو للأمن من عدوان بعض الناس على بعض كما كانوا فى الجاهلية ، لا للأمن من عدوان الذئب ، فإن ذلك إنما يكون فى آخر الزمان عند نزول عيسى » .

فتنة أصحاب الأخدود

وقول الله عز وجل : ﴿ **قُتِلَ أصحابُ الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد ، إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق** ﴾ البروج (١ - ١٠) .

أقوال أهل العلم فى الآية :

قال الحافظ ابن كثير (٤٩٢/٤) : « وقوله تعالى : ﴿ **قتل أصحاب الأخدود** ﴾ أى لعن أصحاب الأخدود ، وجمعه أخاديد وهى الحفر فى الأرض ، وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم ، فحفروا لهم فى الأرض أخدوداً وأججوا فيه ناراً وأعدوا لها وقوداً يسعرونها به ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود** ﴾ أى مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ **وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** ﴾ أى وما كان لهم عندهم من ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذى لا يضام من لاذ بجنابه المنيع ، الحميد فى جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره ، وإن كان قدر على عباده هؤلاء الذى وقع بهم بأيدى الكفار به فهو العزيز الحميد وإن خفى سبب ذلك على كثير من الناس . ثم قال تعالى : ﴿ **الذى له ملك السموات والأرض** ﴾ من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ، ﴿ **والله على كل شىء شهيد** ﴾ أى لا يغيب عنه شىء فى جميع السموات والأرض ولا تخفى عليه خافية » .

ثم أورد ابن كثير اختلاف المفسرين فى أهل هذه القصة ، وهذا الاختلاف فى أصحابها

لا يضر فالعبرة قائمة على كل حال .

● وفى « أضواء البيان » (٩/١٣٧) :

« قال أبو حيان : وجواب القسم فى قوله تعالى : ﴿ **والسماء ذات البروج** ﴾ قيل : محذوف ، فقيل : لتبعثن ونحوه ، وقيل : مذكور ، فقيل : إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ونحوه ، وقيل : قتل ، وهذا نختاره ، وحذفت اللام ، أى لقتل ، وحسن حذفها كما حسن فى قوله : ﴿ **والشمس وضحاها** ﴾ ، ثم قال ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾ أى لقد أفلح ، ويكون الجواب دليلاً على لعنة الله على من فعل ذلك ، وتنبيهاً لكفار قريش الذين يؤذون المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم .

وإذا كان قتل هى الجواب فهى جملة خبرية ، وإذا كان الجواب غيرها فهى جملة إنشائية دعاء عليهم .

وقرىء : قتِّل بالتشديد ، قرأها الحسن وابن مقسم ، وقرأها الجمهور بالتخفيف . (والأخدود) جمع خد ، وهو الشق فى الأرض طويلاً . وقوله : ﴿ **النار ذات الوقود** ﴾ الوقود بالضم وبالفتح ، والقراءة بالفتح كالسحور والوضوء فبالفتح ما توقد به كصبور والماء المتوضأ به والطعام المتسحر به ، وبالضم المصدر ، والفعل الوقود بالضم ما توقد به .

ذكر صاحب القاموس ، والنار ذات الوقود بدل من الأخدود . وقيل : فى معناها عدة أقوال ، حتى قال أبو حيان : كسلت عن نقلها .

* * *

حديث الساحر والراهب والملك والغلام

قال الإمام مسلم رحمه الله (٣٠٠٥) :

حدثنا هداب بن خالد : حدثنا حماد بن سلمة : حدثنا ثابت ، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى ، عن صهيب ، أن رسول الله ﷺ قال : « **كان ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحرٌ ، فلما كَبِرَ قال للملك : إنى قد كبرت فابعث إلَّى غلاماً أعلمه السحر ، فبعث إليه غلاماً يعلمه ، فكان فى طريقه إذا سلك راهبٌ فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال : إذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى ، وإذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحرُ ، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابةٍ عظيمةٍ قد حبست الناس ، فقال : اليوم أعلم آلساحر أفضل ، أم الراهبُ أفضلُ ؟ فأخذ حجراً ، فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس ، فرماها فقتلها ومضى الناس ، فأتى الراهب فأخبره ، فقال له الراهب : أى بُنى أنت اليوم أفضل منى قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علَّى ، وكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء ، فسمع جليس للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال : ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتنى . فقال : إنى لا أشفى أحداً إنما يشفى الله ، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك ، فآمن بالله فشفاه الله ، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك : من رد عليك بصرك ؟ قال : ربى . قال : ولك رب غيرى ؟ قال : ربى وربك الله ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على**

الغلام ، فجىء بالغلام ، فقال له الملك : أى بُنى قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمه[1] والأبرص وتفعل وتفعل ! فقال : إنى لا أشفى أحداً ، إنما يشفي اللّهُ . فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب ، فجىء بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك فأبى ، فدعا بالمئشار[2] فوضع المئشار فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جىء بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فوضع المئشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جىء بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته[3] فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه ، فذهبوا به فصعدوا به الجبل ، فقال : اللهم اكْفِنِيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ ! قال : كفانيهم الله ، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحملوه فى قرقور[4] فتوسطوا به البحْرَ فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه ، فذهبوا به ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فانكفأت[5] بهم السفينة فغرقوا ، وجاء يمشى إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ ! قال : كفانيهم الله . فقال للملك : إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به ، قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس فى صعيد واحدٍ ، وتصلبنى على جذع ، ثم خذ سهماً من كنانتى ،

---

(١) « الأكمه » : الذى خلق أعمى .

(٢) قال النووى : « المئشار » مهموز فى رواية الأكثرين ، ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء ، ورُوى المنشار بالنون وهما لغتان صحيحتان .

(٣) « ذروة الجبل » : أعلاه .

(٤) « القرقور » : قال النووى : بضم القافين ، السفينة الصغيرة ، وقيل : الكبيرة ، واختار القاضى الصغيرة بعد حكايته خلافاً كثيراً .

(٥) « انكفأت » : أى انقلبت .

ثم ضع السهم فى كبد القوس ، ثم قل : باسم الله رب الغلام ، ثم ارمنى ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى ، فجمع الناس فى صعيدٍ واحدٍ ، وصلبه على جذع ، ثم أخذ سهمًا من كنانته ، ثم وضع السهم فى كبد[1] القوس ، ثم قال : باسم الله رب الغلام ، ثم رماه ، فوقع السهم فى صدغه ، فوضع يده فى صدغه فى موضع السهم فمات ، فقال الناس : آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، فأتى الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر ؟ قد والله نزل بك حذرك[2] ، قد آمن الناس ، فأمر بالأخدود[3] فى أفواه السكك فخدت ، وأضرم النيران ، وقال : من لم يرجع عن دينه فَأَحْمُوهُ[4] فيها ، أو قيل له : اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها فتقاعست[5] أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يا أُمَّه اصبرى فإنك على الحق .

صحيح

وأخرجه الترمذى (٣٣٤٠) وقال : « هذا حديث حسن غريب » ، وعزاه المزى للنسائى ، وأخرجه ابن جرير الطبرى فى « التفسير » (٨٥/٣٠) .

فوائد متعلقة بهذا الحديث

هذا ، وقد ذكر هذا الحديث فى « أضواء البيان » (تتمة « أضواء البيان »

---

(١) « كبد القوس » : مقبضها عند الرمى .

(٢) « حذرك » : أى ما كنت تحذر وتخاف .

(٣) « الأخدود » : هو الشق العظيم فى الأرض .

(٤) « أحموه » : أى ارموه فيها من قولهم حميت الحديدة وغيرها إذا أدخلتها النار لتحمى ، قال النووى : ووقع فى نسخ بلادنا (فأقحموه) بالقاف ومعناه : اطرحوه فيها كرهاً .

(٥) « تقاعست » : أى توقفت ولزمت موضعها وكرهت الدخول فى النار ، وبالله التوفيق .   قاله النووى .

(١٤١/٩) ، وفيه ما نصه : وقد سقنا هذه القصة وهى من أمثل ما جاء فى هذا المعنى ، والتى يمكن أن يستفاد منها بعض الأحكام حيث إن ابن كثير عزاها للإمام أحمد بن حنبل ومسلم ، أى لصحة سندها مرفوعة إلى النبى ﷺ ، من ذلك الآتى :

● **الأول** : أن السحر بالتعلم ، كما جاء فى قصة الملكين ببابل هاروت وماروت يعلمان الناس السحر .

● **الثانى** : إمكان اجتماع الخير مع الشر إذا كان الشخص جاهلاً بحال الشر كاجتماع الإيمان مع الراهب مع تعلم السحر من الساحر .

● **الثالث** : إجراء خوارق العادات على أيدى دعاة الخير لبيان الحق والتثبت فى الأمر ، كما قال الغلام : اليوم أعلم أمر الراهب أحبّ إلى الله أم أمر الساحر ؟ .

● **الرابع** : أنه كان أميل بقلبه إلى أمر الراهب ، إذ قال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك ، فسأل عن أمر الراهب ولم يسل عن أمر الساحر .

● **الخامس** : اعتراف العالم بالفضل لمن هو أفضل منه كاعتراف الراهب للغلام .

● **السادس** : ابتلاء الدعاة إلى الله ، ووجوب الصبر على ذلك ، وتفاوت درجات الناس فى ذلك .

● **السابع** : إسناد الفعل كله لله ، إنما يشفى الله .

● **الثامن** : رفض الداعى إلى الله الأجر على عمله وهدايته ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً** ﴾ .

● **التاسع** : بيان ركن أصيل فى قضية التوسل ، وهو أن مبناه على الإيمان بالله ، ثم الدعاء وسؤال الله .

● **العاشر** : غباوة الملك المشرك المغلق قلبه بظلام الشرك حيث ظن فى نفسه أنه الذى شفى جليسه ، وهو لم يفعل له شيئاً ، وكيف يكون وهو لا يعلم ؟ .

● **الحادى عشر** : اللجوء إلى العنف والبطش عند العجز عن الإقناع والإفهام

أسلوب الجهلة والجبابرة[1] .

● **الثانى عشر** : منتهى القسوة والغلظة فى نشر الإنسان بدون هوادة .

● **الثالث عشر** : منتهى الصبر وعدم الرجوع عن الدين ، وهكذا كان فى الأمم الأولى ، وبيان فضل الله على هذه الأمة إذ جاز لها التلفظ بما يخالف عقيدتها وقلبها مطمئن بالإيمان .

وقد جاء عن الفخر الرازى قوله : الآية تدل على أن المكره على الكفر بالإهلاك العظيم الأولى به أن يصبر على ما خوف منه ، وأن إظهار كلمة الكفر كالرخصة فى ذلك ، وقال : وروى الحسن أن مسيلمة أخذ رجلين من أصحاب النبى ﷺ ، فقال لأحدهما : تشهد أنى رسول الله ؟ فقال نعم ، فتركه ، وقال للآخر مثله ، فقال : لا ، بل أنت كذاب ، فقتله ، فقال النبى ﷺ « **أما الذى ترك فأخذ بالرخصة فلا تبعة عليه ، وأما الذى قتل فأخذ بالأفضل فهنيئاً له** »[2] .

---

(١) ومن ذلك مناقشة فرعون مع موسى أول الأمر بقوله : ﴿ **وما رب العالمين ؟ قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ، قال لمن حوله : ألا تستمعون ؟ قال : ربكم ورب آباءكم الأولين ، قال : إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون ، قال : رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ، قال : لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين** ﴾ الشعراء (٢٣ - ٢٩) .
فلما لم يأت بحجة على موسى عليه السلام بدأ فى التهديد بالسجن .
ولما فشل فرعون فيما أتى به من سحر ، وألقى السحرة سجداً ، قال فرعون : ﴿ **آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين** ﴾ الشعراء ٤٩ .
وهؤلاء قوم نوح لما عجزوا عن إثنائه عن رأيه وأفحمهم بالحجة ﴿ **قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين** ﴾ الشعراء ١١٦ .
وكذلك قوم لوط ﴿ **قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين** ﴾ الشعراء ١٦٧ .

(٢) هذا الحديث مرسل ، ومراسيل الحسن من أضعف المراسيل .

وتقدم بحث هذه المسألة للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه .

● **الرابع عشر** : إجابة دعوة الغلام ونصرة الله لعباده المؤمنين : اللهم اكفنيهم بما شئت .

● **الخامس عشر** : التضحية بالنفس فى سبيل نشر الدعوة حيث دل الغلام الملك على الطريقة التى يتمكن الغلام بها من إقناع الناس بالإيمان بالله ، ولو كان الوصول لذلك على حياته هو .

● **السادس عشر** : إبقاء جسمه حتى زمن عمر رضى الله عنه[1] إكراماً لأولياء الله والدعاة من أن تأكل الأرض أجسامهم .

● **السابع عشر** : إثبات دلالة القدرة على البعث .

● **الثامن عشر** : حياة الشهداء لوجود الدم وعودة اليد مكانها بحركة مقصودة .

● **التاسع عشر** : معرفة تلك القصة عند أهل مكة حيث حدثوا بها تخويفاً من عواقب أفعالهم بضعفة المؤمنين كما هو موضح فى تمام القصة .

● **العشرون** : نطق الصبى الرضيع بالحق .

* * *

---

(١) ولم نقف على مستند صحيح لذلك .

ابتلاء نبى الله أيوب عليه السلام

وقول الله تعالى : ﴿ **إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب** ﴾ صٓ (٤٤) .

قال ابن حبان رحمه الله (موارد الظمآن ٢٠٩١) :

أنبأنا محمد بن الحسن بن قتيبة : حدثنا حرملة بن يحيى : حدثنا ابن وهب : أنبأنا نافع بن يزيد ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أيوب نبى الله لبث فى بلائه ثمانى عشرة سنة ، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان ، فقال أحدهما لصاحبه : تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين . فقال له صاحبه : وما ذاك ؟ ! قال : منذ ثمانى عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به . فلما راح إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له ، فقال أيوب : لا أدرى ما تقول غير أن الله يعلم أنى كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله وأرجع بيتى فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا فى حق . قال : وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها ، فأوحى الله إلى أيوب فى مكانه : ﴿ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ﴾ فاستبطأته فبلغته ، فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء فهو أحسن ما كان ، فلما رأته قالت : أى بارك الله فيك هل رأيت نبى الله هذا المبتلى ؟ والله على ذلك ما رأيت أحداً كان أشبه به منك إذ كان صحيحاً . قال : إنى أنا هو وكان له أبدران[1] : أبدر القمح وأبدر الشعير ، فبعث الله**

---

(١) فى رواية : « أندران » بالنون ، وهو بمعنى الوعاء .

سحابتين فلما كانت إحداهما على أبدر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاضت ، وأفرغت الأخرى على أبدر الشعير الورق حتى فاضت » .

صحيح

وأخرجه أبو يعلى الموصلى فى « مسنده » (٢٩٩/٦) ، والحاكم فى « مستدركه » (٥٨١/٢ - ٥٨٢) ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

وأخرجه أبو نعيم فى « الحلية » (٣٧٤/٣ - ٣٧٥) وقال : « غريب من حديث الزهرى لم يروه عنه إلا عقيل ورواته متفق على عدالتهم تفرد به نافع » .

وأخرجه أيضاً ابن جرير الطبرى فى « التفسير » (١٠٧/٢٣) .

* * *

ماشطة بنت فرعون

قال الإمام أحمد رحمه الله (٣٠٩/١) :

حدثنا أبو عمر الضرير : أنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **لما كانت الليلة التى أسرى بى فيها ، أتت علىَّ رائحة طيبة ، فقلت : يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة ؟ فقال : هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها ، قال : قلت : وما شأنها ؟ قال : بينا هى تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المدرى من يديها ، فقالت : بسم الله ، فقالت لها ابنة فرعون : أبى ؟ ! قالت : لا ، ولكن ربى ورب أبيك الله . قالت : أُخبره بذلك ؟ قالت : نعم ، فأخبرته ، فدعاها ، فقال : يا فلانة ، وإن لك رباً غيرى ؟ قالت : نعم ، ربى وربك الله ، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ، ثم أمر بها أن تلقى هى وأولادها فيها . قالت له : إن لى إليك حاجة . قال : وما حاجتك ؟ قالت : أحب أن تجمع عظامى وعظام ولدى فى ثوب واحد وتدفننا . قال : ذلك لك علينا من الحق ، قال : فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحداً واحداً إلى أن انتهى ذلك إلى صبى لها مرضع ، وكأنها تقاعست من أجله . قال : يا أمه ، اقتحمى فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، فاقتحمت .**

صحيح لغيره[١] .

---

(١) فله شاهد عند ابن ماجه (٤٠٣٠) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبى بن كعب، عن رسول الله ﷺ ببعض معناه. =

قال ابن عباس : تكلم فى المهد أربعة صغار عيسى بن مريم عليه السلام ، وصاحب جريج ، وشاهد يوسف ، وابن ماشطة فرعون .

موقوف حسن

* * *

= هذا ، وقد ذكر عدد من أهل العلم أن حماد بن سلمة قد سمع من عطاء بن السائب قبل الاختلاط (انظر « الكواكب النيرات فى معرفة المختلطين من الرواة الثقات » لابن الكيال) . وعلى هذا فلا تعويل على ما ذكره الشيخ ناصر الدين الألبانى – حفظه الله – فى « سلسلة الأحاديث الضعيفة » تحت رقم (٨٨٠) جـ٢ ص٢٧٣ حيث قال : « وقد علمت مما سبق – كذا قال – أن حماد بن سلمة سمع منه فى اختلاطه أيضاً ولا يمكن تمييز ما سمعه فى هذا الحال عن ما سمعه قبلها فلذا يتوقف عن تصحيح روايته عنه » . كذا قال .) وقد علمت مما أوردناه أن كثيراً من أهل العلم ذكروا أن حماداً سمع من عطاء قبل الاختلاط .

حديث الفُتُون الطويل

قال الحافظ أبو يعلى الموصلي رحمه الله (« المسند » ٥/١٠) :

حدثنا أبو خيثمة : حدثنا يزيد بن هارون : حدثنا أصبغ بن زيد الجهني : حدثنا القاسم بن أبي أيوب : حدثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، في قول الله تعالى : ﴿ **وفتناك فتوناً** ﴾ (طه ٤٠) سألته عن الفُتُون ما هو ؟ قال استَأْنِفِ النَّهَارَ يا ابن جبير فإن لها حديثاً طويلاً ، فلما أصبحتُ غَدَوْتُ إلى ابن عباس لَأَنْتَجِزَ منه ما وعدني من حديث الفتون ، فقال : تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم من أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً فقال بعضهم : إن بني إسرائيل لينتظرون ذلك ما يشكون فيه . وقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب . فلما هلك ، قالوا : ليس كذلك ، إن الله عز وجل وعد إبراهيم . قال فرعون : فكيف ترونه ؟ فائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالاً معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه ، ففعلوا ذلك ، فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم ، والصغار يذبحون ، قالوا : يوشك أن تفنوا بني إسرائيل فتصيرون أن تباشروا من الأعمال التي كانوا يكفونكم . فاقتلوا عاماً كل مولود ذكر فيقل نباتهم ، ودعوا عاماً فلا يقتل منهم أحد فينشأ الصغار مكان من يموت من الكبار ، فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكاثرتهم إياكم ، ولن يفنوا بمن تقتلون فتحتاجون إلى ذلك ، فأجمعوا أمرهم على ذلك .

فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانيةً آمنةً . فلما كان من قابلٍ حملت بموسى ، فوقع في قلبها الهم والحُزْن – وذلك من الفتون يا ابن جبير – ما دخل منه في قلب أمه مما يراد به .

فأوحى الله تبارك وتعالى إليها ﴿ **أن لا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين** ﴾ [القصص : ٧] وأمرها إذا ولدت أن تجعله فى تابوتٍ ثم تلقيه فى اليم . فلما ولدت فعلت ذلك به . فلما توارى عنها ابنها ، أتاها الشيطان فقالت فى نفسها ما صنعت بابنى لو ذبح عندى فواريته وكفنته كان أحب إلى من أن ألقيه بيدى إلى زفرات البحر وحيتانه ؟ فانتهى الماء به حتى انتهى به فرضة مستقى جوارى امرأة فرعون . فلما رأينه أخذنه فهممن أن يفتحن التابوت فقال بعضهن : إن فى هذا مالاً ، وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه . فحملنه بهيئته لم يحركن منها شيئاً حتى دفعنه إليها ، فلما فتحته رأت فيه غلاماً ، فألقى عليه منها محبة لم تجد مثلها على أحدٍ من البشر قط . فأصبح فؤاد أم موسى فارغاً من ذكر كل شىء إلا من ذكر موسى .

فلما سمع الذباحون بأمره ، أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليذبحوه — وذلك من الفتون يا ابن جبير — فقالت لهم : اتركوه ، فإن هذا الواحد لا يزيد فى بنى إسرائيل ، حتى آتى فرعون فأستوهبه منه ، فإن وهبه لى كنتم قد أحسنتم وأجملتم ، وإن أمر بذبحه لم ألمكم ، فأتت به فرعون فقالت : قرة عين لى ولك . قال فرعون : يكون لكِ فأما لى فلا حاجة لى فى ذلك .

قال رسول الله ﷺ : « **والذى أحلف به لو أقر فرعون بأن يكون له قرة عين كما أقرت امرأته ، لهداه الله به كما هدى امرأته ولكن حرمهُ ذلك** » .

فأرسلت إلى من حولها من كل امرأة لها لبن لتختار له ظِئراً . فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه ، لم يقبل ثديها حتى أشفقت عليه امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت ، فأحزنها ذلك .

فأخرج إلى السوق ومجمع الناس ترج أن تجد له ظِئراً يأخذ منها ، فلم

يقبل . فأصبحت أم موسى والهةً ، فقالت لأخته قصيه : قصى أثره واطلبيه ، هل تسمعين له ذكراً ؟ أحى ابنى أم قد أكلته الدواب . ونسيت ما كان الله وعدها فيه ، فبصرت به أخته عن جنبٍ وهم لا يشعرون - والجنب : أن يسمو بصر الإنسان إلى الشيء البعيد وهو إلى جنبه لا يشعر به - فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤار : أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فأخذوها فقالوا : ما يدريك ما نصحهم له ؟ هل تعرفونه ؟ حتى شكوا فى ذلك - وذلك من الفتون يا ابن جبير - فقالت : نصيحتهم له ، وشفقتهم عليه رغبةً فى صهر الملك ورجاء منفعته . فأرسلوها فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر ، فجاءت أمه ، فلما وضعته فى حجرها نزا إلى ثديها فمصه حتى امتلأ جنباه رياً .

وانطلق البشير إلى امرأة فرعون يبشرها أن قد وجدنا لابنك ظِئراً . فأرسلت إليها ، فأتيت بها وبه . فلما رأت ما يصنع بها قالت لها : امكثى عندى ترضعين ابنى هذا ، فإنى لم أحب حبه شيئاً قط . فقالت أم موسى : لا أستطيع أن أدع بيتى وولدى فنضيع ، فإن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتى فيكون معى لا آلوه خيراً ، وإلا فإنى غير تاركة بيتى وولدى . وذكرت أم موسى ما كان الله عز وجل وعدها ، فتعاسرت على امرأة فرعون ، وأيقنت أن الله منجز وعده . فرجعت إلى بيتها بابنها [فأصبح أهل] القرية مجتمعين يمتنعون من السخرة والظلم ما كان فيهم .

قال : فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى : [أريد] أن ترينى ابنى ، فوعدتها يوماً تريها إياه ، فقالت امرأة فرعون لخزانها وقهارمتها وظُؤورتها : لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابنى اليوم بهدية وكرامةٍ لأرى ذلك فيه . وأنا باعثة أميناً يحصى كل ما يصنع كل إنسانٍ منكم . فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن أدخل

على امرأة فرعون . فلما دخل عليها بجلته وأكرمته وفرحت به وأعجبها ، وبجلت أمه بحسن أثرها عليه ثم قالت : لآتين به فرعون فليبجلنه وليكرمنه . فلما دخلت به عليه جعلته فى حجره فتناول موسى لحية فرعون ، فمدها إلى الأرض . فقال الغواة أعداءُ الله لفرعون : ألا ترى إلى ما وعد الله إبراهيم نبيه أنه يربك ويعلوك ويصرعك ؟ ! فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه ، وذلك من الفتون – يا ابن جبير – بعد كل بلاء ابتلى وأربك به فتوناً ! .

فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون فقالت : ما بدا لك فى هذا الغلام الذى وهبته لى ؟ قال : ترينه يزعم أنه يصرعنى ويعلونى . قالت : اجعل بينى وبينك أمراً تعرف الحق فيه : ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقربهن إليه ، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل ، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين ، علمت أن أحداً لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل . فقرب ذلك ، فتناول الجمرتين فانتزعوهما من يده مخافة أن تحرقاه . فقالت المرأة : ألا ترى ؟ فصرفهُ الله عنه بعدما كان قد هم به ، وكان الله ، عز وجل ، بالغاً فيه أمره .

فلما بلغ أشده وكان من الرجال ، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحدٍ من بنى إسرائيل معه بظلم ولا سخرةٍ حتى امتنعوا كل الامتناع .

فبينما موسى فى ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان أحدهما فرعونى والآخر إسرائيلى . فاستغاثه الإسرائيلى على الفرعونى فغضب موسى غضباً شديداً لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بنى إسرائيل وحفظه لهم لا يعلم الناس أنما ذلك من الرضاع . إلا أم موسى ، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره . فوكز موسى الفرعونى فقتله ، وليس يراهما أحد إلَّا الله والإسرائيلى . فقال موسى حين قتل الرجل : ﴿ **هذا من عمل الشيطان إنهُ عدو مضل مبين** ﴾ [قصص : ١٥] ثم قال : ﴿ **رب**

إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [قصص : ١٦] وأصبح فى المدينة خائفاً يترقب الأخبار فأتى فرعون فقيل له : إن بنى إسرائيل قتلوا رجلاً من آل فرعون فخذ لنا حقنا ولا ترخص لهم ، فقال : ابغونى قاتله ومن يشهد عليه فإن الملك وإن كان صفوه مع قوم لا يستقيم له أن يقيد بغير بينةٍ ولا ثبتٍ فاطلبوا لى علم ذلك آخذ لكم بحقكم .

فبينما هم يطوفون لا يجدون ثبتاً ، إذا موسى قد رأى من الغد ذلك الإسرائيلى يقاتِلُ رجلاً من آل فرعون آخر ، فاستغاثه الإسرائيلى على الفرعونى ، فصادف موسى قد ندم على ما كان منه فكره الذى رأى لغضب الإسرائيلى ، وهو يريد أن يبطش بالفرعونى ، فقال للإسرائيلى – لما فعل أمس واليوم – : ﴿ **إنك لغوى مبين** ﴾ [قصص : ١٨] ، [فنظر الإسرائيلى إلى موسى حين قال له ما قال ، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس ، فخاف] أن يكون إياه أراد ، وما أراد الفرعونى ، ولم يكن أراده إنما أراد الفرعونى فخاف الإسرائيلى ، فحاجز الفرعونى ، ﴿ **وقال : يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس** ﴾ [قصص : ١٩] وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله ، وتنازعا وتطاوعا وانطلق الفرعونى إلى قومه فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلى من الخبر حين يقول : ﴿ **أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس** ﴾ فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى ، فأخذ رسل فرعون الطريق الأعظم يمشون على هيئتهم يطلبون لموسى ، وهم لا يخافون أن يفوتهم إذ جاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة فاختصر طريقاً قريباً حتى يسبقهم إلى موسى فأخبره الخبر ، وذلك من الفتون يا ابن جبيرٍ .

فخرج موسى متوجهاً نحو مدين لم يلق بلاءً قبل ذلك ، وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه عز وجل ، فإنه قال : ﴿ **عسى ربى أن**

يهدينى سواء السبيل . ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمةً من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان ﴾ [القصص : ٢٢ - ٢٣] يعنى بذلك : حابستين غنمهما – فقال لهما ما خطبكما معتزلتين لا تسقيان مع الناس ؟ قالتا : ليس لنا قوة نزاحم القوم ، وإنما ننتظر فضول حياضهم . فسقى لهما ، فجعل يغرف فى الدلو ماء كثيراً حتى كان أول الرعاء فراغاً . فانصرفتا بغنمهما إلى أبيهما وانصرف موسى فاستظل بشجرةٍ ﴿ **فقال : رب إنى لما أنزلت إلى من خيرٍ فقير** ﴾ [قصص : ٢٤] ، فاستنكر أبوهما سرعة صدورهما بغنمهما حُفَّلاً بُطاناً ، فقال : إن لكما اليوم لشأناً ، فأخبرتاه بما صنع موسى ، فأمر إحداهما تدعوه له ، فأتت موسى فدعته ، فلما كلمه قال : ﴿ **لا تخف نجوت من القوم الظالمين** ﴾ [قصص : ٢٥] ، ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ، ولسنا فى مملكته .

قال : ﴿ **قالت إحداهما : يا أبت استأجره ، إن خير من استأجرت القوى الأمين** ﴾ [قصص : ٢٦] . فاحتملته الغيرة على أن قال : وما يدريك ما قوته ، وما أمانته ؟ قالت : أما قوته فما رأيت منه فى الدلو حين سقى لنا لم أر رجلاً أقوى فى ذلك السقى منه . وأما أمانته فإنه نظر إلى حين أقبلت إليه وشخصت له ، فلما علم أنى امرأة صوب رأسه ولم يرفعه ، ولم ينظر إلَّى حتى بلغته رسالتك ، ثم قال : امشى خلفى وانعتى لى الطريق ، فلم يفعل هذا الأمر إلَّا وهو أمين . فسرِّى عن أبيها فصدقها وظن به الذى قالت . فقال له : هل لك ﴿ **أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك ، وما أريد أن أشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين** ﴾ [قصص : ٢٧] ، ففعل فكانت على نبى الله موسى ﷺ ثمان سنينٍ واجبةً ، وكانت سنتان عدةً منه . فقضى الله عنه عدته فأتمها عشراً .

قال سعيد : فلقينى رجل من أهل النصرانية من علمائهم ، فقال : هل تدرى أى الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا ، وأنا يومئذٍ لا أدرى ، فلقيت ابن عباس فذكرت ذلك له فقال : أما علمت أن ثمانياً كان على موسى واجبة ولم يكن نبى الله لينقص منها شيئاً ، ويعلم أن الله قاض عن موسى عدته التى وعد ، فإنه قضى عشر سنين ، فلقيت النصرانى فأخبرته ذلك ، فقال : الذى سألته فأخبرك أعلم منك بذلك ؟ قال : قلت : أجل ، وأولى .

فلما سار موسى بأهله كان من أمر النار ، والعصا ، ويده ما قص الله عليك فى القرآن . فشكا إلى ربه تبارك وتعالى ما يتخوف من آل فرعون فى القتل وعقد لسانه ، فإنه كان فى لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام . وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له ردءاً ، ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه ، فآتاه الله سؤْله وحل عقدةً من لسانه ، فأوحى الله إلى هارون وأمره أن يلقاه فاندفع موسى بعصاه حتى لقى هارون ، فانطلقا جميعاً إلى فرعون ، فأقاما على بابه حيناً لايؤْذن لهما ، ثم أُذن لهما بعد حجاب شديدٍ فقالا : ﴿ **إنا رسولا ربك** ﴾ [طه : ٤٧] . ﴿ **قال : فمن ربكما يا موسى** ﴾ [طه : ٤٩] ، فأخبره بالذى قص الله عليك فى القرآن . قال فما تريد ؟ وذكره القتيل فاعتذر بما قد سمعت ، وقال : إنى أريد أن تؤمن بالله وترسل معى بنى إسرائيل . فأبى عليه ذلك وقال : ائت بآيةٍ إن كنت من الصادقين . فألقى عصاه فإذا هى حيةٌ عظيمةٌ فاغرةٌ فاها ، مسرعةٌ إلى فرعون ، فلما رآها فرعون قاصدةً إليه خافها فاقتحم عن سريره ، واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل ، ثم أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء – يعنى من غير برصٍ – ثم ردها فعادت إلى لونها الأول . فاستشار الملأ حوله فيما رأى ، فقالوا له : ﴿ **إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى** ﴾ [طه : ٦٣] يعنى ملكهم

الذى هم فيه والعيش - فأبوا أن يعطوه شيئاً مما طلب وقالوا له : اجمع لنا السحرة فإنهم بأرضك كثير حتى يغلب سحرهم سحرهما . فأرسل فى المدينة فحشر له كل ساحر متعالم ، فلما أتوا فرعون قالوا : بم يعمل هذا الساحر ؟ قالوا : يعمل بالحيات ، قالوا : فلا والله ما أحدٌ فى الأرض يعمل السحر بالحيات والعصى الذى نعمل . فما أجرنا إن نحن غلبنا ؟ فقال لهم : إنكم أقاربى وخاصتى ، فأنا صانع إليكم كل ما أحببتم . فتواعدوا يوم الزينة ﴿ **وأن يحشر الناس ضحى** ﴾ [طه : ٥٩] .

قال سعيد : حدثنى ابن عباس أن يوم الزينة اليوم الذى أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة ، وهو يوم عاشوراء ، فلما اجتمعوا فى صعيد قال الناس بعضهم لبعض : انطلقوا فلنحضر هذا الأمر ﴿ **لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين** ﴾ [الشعراء : ٤٠] - يعنون موسى وهارون استهزاءً بهما - فقالوا : يا موسى - لقدرتهم بسحرهم - ﴿ **إما أن تلقى وإما أن نكون نحن المقلين** ﴾ [الأعراف : ١١٥] ، قال : بل ألقوا . ﴿ **فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا : بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون** ﴾ [الشعراء : ٤٤] ، فرأى موسى من سحرهم ما أوجس فى نفسه خيفة ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه ﴿ **أن ألق عصاك** ﴾ [الأعراف : ١١٧] فلما ألقاها صارت ثعباناً عظيماً فاغرةً فاها ، فجعلت العصى بدعوة موسى تلبس بالحبال حتى صارت جرزاً إلى الثعبان تدخل فيه ، حتى ما أبقت عصاً ولا حبلًا إلا ابتلعته . فلما عرف السحرة ذلك قالوا : لو كان هذا سحراً لم يبلغ من سحرنا هذا ، ولكنه أمر من أمر الله تبارك وتعالى . آمنا بالله وبما جاء به موسى ، ونتوب إلى الله عز وجل مما كنا عليه . وكسر الله ظهر فرعون فى ذلك الموطن وأشياعه ، وأظهر الحق ﴿ **وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين** ﴾ [الأعراف : ١١٨ ، ١١٩] وامرأة فرعون بارزة

متبذلة تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون . فمن رآها من آل فرعون ظن أنها ابتذلت للشفقة على فرعون وأشياعه ، وإنما كان حزنها وهمها لموسى .

فلما طال مكث موسى لمواعيد فرعون الكاذبة ، كلما جاءه بآيةٍ وعده عندها أن يرسل بنى إسرائيل ، فإذا مضت أخلف مواعيده وقال : هل يستطيع ربك [أن] يصنع غير هذا ؟ فأرسل الله عليه وعلى قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آياتٍ مفصلات . كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه ، ويوافقه أن يرسل معه بنى إسرائيل . فإذا كف ذلك عنه أخلف موعده ونكث عهده حتى أمر بالخروج بقومه ، فخرج بهم ليلًا ، فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد مضوا ، أرسل فى المدائن حاشرين يتبعهم بجنودٍ عظيمةٍ كثيرةٍ . فأوحى الله إلى البحر : أن إذا ضربك عبدى موسى بعصاه فانفرق اثنى عشر فِرقاً حتى يجوز موسى ومن معه ، ثم التق على من بقى بعده من فرعون وأشياعه . فنسى موسى أن يضرب البحر بالعصا ، فانتهى إلى البحر وله قصيف مخافة أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير عاصياً .

فلما تراءى الجمعان وتقاربا ، قال قوم موسى : ﴿ **إنا لمدركون** ﴾ [الشعراء : ٦١] ، افعل ما أمرك ربك فإنك لن تكذب ولن تكذب . فقال : وعدنى إذا أتيت البحر أن يفرق لى اثنى عشر فرقاً حتى أجاوزه ثم ذكر بعد ذلك العصا ، فضرب البحر بعصاه فانفرق له حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى ، فانفرق البحر كما أمره ربه وكما وعد موسى . فلما أن جاوز موسى وأصحابه كلهم ، ودخل فرعون وأصحابه ، التقى عليهم كما أمر الله .

فلما أن جاوز موسى البحر قالوا : إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق فلا نؤمن بهلاكه ، فدعا ربه فأخرجه له ببدنه حتى استيقنوا بهلاكه .

ثم مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم ﴿ **قالوا : يا موسى اجعل لنا إلَهًا كما لهم آلهة قال : إنكم قوم تجهلون . إن هؤُلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون** ﴾ [الأعراف : ١٣٨ - ١٣٩] . قد رأيتم من العبر ، وسمعتم ما يكفيكم . ومضى فأنزلهم موسى منزلاً ثم قال لهم : أطيعوا هارون فإنى قد استخلفته عليكم ، وإنى ذاهب إلى ربى ، وأجلهم ثلاثين يوماً أن يرجع إليهم .

فلما أتى ربه أراد أن يكلمه فى ثلاثين وقد صامهن : ليلهن ونهارهن ، كره أن يكلم ربه ويخرج من فمه ريح فم الصائم . فتناول موسى شيئاً من نبات الأرض فمضغه ، فقال له ربه حين أتاه : أفطرت ؟ - وهو أعلم بالذى كان - قال : رب كرهت أن أكلمك إلا وفمى طيب الريح . قال : أو ما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك ؟ ارجع حتى تصوم عشراً . ثم ائتنى . ففعل موسى ما أمر به .

فلما رأى قوم موسى أنه لم يرجع إليهم للأجل قال : ساءهم ذلك . وكان هارون قد خطبهم فقال : إنكم خرجتم من مصر ولقوم فرعون عوارٍ وودائع ، ولكم فيها مثل ذلك . وأنا أرى أن تحتسبوا مالكم عندهم ، ولا أحل لكم وديعةً ولا عاريةً . ولسنا برادين إليهم شيئاً من ذلك ولا ممسكيه لأنفسنا . فحفر حفيراً وأمر كل قومٍ عندهم شىءٌ من ذلك من متاع أو حليةٍ أن يقذفوه فى ذلك الحفير . ثم أوقد عليه النار فأحرقه ، فقال : لا يكون لنا ولا لهم .

وكان السامرى رجلًا من قومٍ يعبدون البقر ، جيرانٍ لهم - ولم يكن من بنى إسرائيل - فاحتمل مع موسى وبنى إسرائيل حين احتملوا فقضى له أن رأى أثراً ، فأخذ منه قبضةً فمر بهارون فقال له هارون : يا سامرى ألا تلقى ما فى يدك ؟ وهو قابض عليه لا يراه أحد طوال ذلك ، قال :

هذه قبضة من أثر الرسول الذى جاوز بكم البحر فلا ألقيها بشيءٍ إلا أن تدعو الله إذا ألقيتها أن يكون ما أريد . فألقاها ودعا له هارون . وقال : أريد أن أكون عجلًا . فاجتمع ما كان فى الحفرة من متاعٍ أو حليةٍ أو نحاسٍ أو حديدٍ فصار عجلًا أجوف ليس فيه روح له خوار .

قال ابن عباس : ولا والله ما كان له صوت قط إنما كانت الريح تدخل من دبره وتخرج من فيه . وكان ذلك الصوت من ذلك . فتفرق بنو إسرائيل فرقاً : فقالت فرقة يا سامرى ما هذا فأنت أعلم به ؟ قال : هذا ربكم ، ولكن موسى أضل الطريق .

وقالت فرقة : لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى ، فإن كان ربنا لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رأيناه ، وإن لم يكن ربنا فإنا نتبع قول موسى .

وقالت فرقة : هذا عمل الشيطان ، وليس بربنا ، ولا نؤمن به ، ولا نصدق .

وأشرب فرقة فى قلوبهم التصديق بما قال السامرى فى العجل وأعلنوا التكذيب به .

فقال لهم هارون : ﴿ **يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن** ﴾ [طه : ٩٠] ليس هكذا .

قالوا : فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوماً ، ثم أخلفنا ؟ هذه أربعون قد مضت ، فقال سفهاؤهم : أخطأ ربه فهو يطلبه ويتبعه .

فلما كلم الله موسى وقال له ما قال ، أخبره بما لقى قومه من بعده ﴿ **فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً** ﴾ [الأعراف : ١٥٠] فقال لهم ما سمعتم فى القرآن : ﴿ **وأخذ برأس أخيه يجره إليه** ﴾ وألقى الألواح ، ثم

إنه عذر أخاه واستغفر له وانصرف إلى السامرى فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : قبضت قبضةً من أثر الرسول وفطنت لها ، وعميت عليكم فقذفتها ﴿ **وكذلك سولت لى نفسى . قال : فاذهب فإن لك فى الحياة أن تقول لا مساس ، وإن لك موعداً لن تخلفه . وانظر إلى إلٰهك الذى ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفاً** ﴾ [طه : ٩٦ - ٩٧] . ولو كان إلهاً لم تخلص إلى ذلك منه ، فاستيقن بنو إسرائيل ، واغتبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأى هارون : وقالوا - جماعتهم - لموسى : سل لنا ربك أن يفتح لنا باب توبةٍ نصنعها فتكفر لنا ما عملنا . فاختار قومه سبعين رجلًا لذلك - لإتيان الجبل - ممن لم يشرك فى العجل . فانطلق بهم ليسأل لهم التوبة ، فرجفت بهم الأرض ، فاستحيا نبى الله من قومه ووفده حين فعل بهم ما فعل . فقال : ﴿ **رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى . أتهلكنا بما فعل السفهاء منا** ﴾ [الأعراف : ١٥٥] . وفيهم من كان الله اطلع على ما أُشرب من حب العجل إيماناً به ، فلذلك رجفت بهم الأرض فقال : ﴿ **رحمتى وسعت كل شىءٍ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل** ﴾ [الأعراف : ١٥٦ - ١٥٧] فقال : رب سألتك التوبة لقومى فقلت : إن رحمتك كتبتها لقوم غير قومى ، فليتك أخرتنى حتى تخرجنى حياً فى أمة ذلك الرجل المرحومة . فقال الله عز وجل له : إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم كل من لقى من والد وولد فيقتله بالسيف لا يبالى من قتل فى ذلك الموطن . ويأتى أولئك الذين خفى على موسى وهارون ما اطلع الله عليه من ذنوبهم واعترفوا بها وفعلوا ما أمروا به ، فغفر الله للقاتل والمقتول . ثم سار بهم موسى متوجهاً نحو الأرض المقدسة ، وأخذ الألواح بعدما سكت عنه الغضب ، فأمرهم بالذى أمر به أن يبلغهم

من الوظائف ، فثقل ذلك عليهم وأبوا أن يقروا بها . فنتق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ، ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم ، فأخذوا الكتاب بأيمانهم وهم مصغون إلى الجبل والأرض ، والكتاب بأيديهم وهم ينظرون إلى الجبل مخافة أن يقع عليهم ، ثم مضوا حتى أتوا الأرض المقدسة ، فوجدوا فيها مدينة فيها قوم جبارون ، خلقهم خلق منكر ، وذكروا من ثمارهم أمراً عجيباً من عظمها فقالوا : ﴿ **يا موسى إن فيها قوماً جبارين** ﴾ [المائدة : ٢٢] ، لا طاقة لنا بهم ، ولا ندخلها ما داموا فيها ، ﴿ **فإن يخرجوا منها فإنا داخلون** ﴾ [المائدة : ٢٢] ، ﴿ **قال رجلان من الذين يخافون** ﴾ [المائدة : ٢٣] من الجبارين : آمنا بموسى ، فخرجا إليه ، فقالا : نحن أعلم بقومنا ، إن كنتم إنما تخافون مما ترون من أجسامهم وعدتهم فإنهم لا قلوب لهم ، ولا منعة عندهم فادخلوا عليهم الباب ، ﴿ **فإذا دخلتموه فإنكم غالبون** ﴾ .

ويقول ناس : إنهما من قوم موسى ، وزعم عن سعيد بن جبير أنهما من الجبابرة آمنا بموسى . يقول : ﴿ **من الذين يخافون** ﴾ إنما عنى بذلك الذين يخافهم بنو إسرائيل ﴿ **قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون** ﴾ [المائدة : ٢٤] . فأغضبوا موسى ، فدعا عليهم وسماهم فاسقين ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المعصية وإساءتهم حتى كان يومئذٍ فاستجاب الله له فسماهم كما سماهم موسى : فاسقين . وحرمها عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض ، يصبحون كل يومٍ فيسيرون ليس لهم قرار . ثم ظلل عليهم الغمام فى التيه . وأنزل عليهم المن والسلوى ، وجعل لهم ثياباً لا تبلى ولا تتسخ ، وجعل بين ظهورهم حجراً مربعاً ، وأمر موسى فضربه بعصاه ﴿ **فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً** ﴾ [البقرة : ٦٠] فى كل ناحيةٍ ثلاثة أعين وأعلم كل سبطٍ

عينهم التى يشربون منها لا يرتحلون من منقلةٍ إلا وجد ذلك الحجر فيهم بالمكان الذى [كان فيه][1] بالأمس .

رفع ابن عباسٍ هذا الحديث إلى النبى ﷺ . وصدق ذلك عندى أن معاوية سمع ابن عباس حدث هذا الحديث فأنكره عليه : أن يكون الفرعونى هذا الذى أفشى على موسى أمر القتيل الذى قتل ، قال : فكيف يفشى عليه ولم يكن علم به ، ولا ظهر عليه إلَّا الإسرائيلى الذى حضر ذلك ، وشهده ؟ فغضب ابن عباس ، وأخذ بيد معاوية فذهب به إلى سعد بن مالكٍ الزهرى فقال : يا أبا إسحاق ، هل تذكر يوم حدثنا رسول الله ﷺ عن قتيل موسى الذى قتله من آل فرعون : الإسرائيلى أفشى عليه أم الفرعونى ؟ فقال : إنما أفشى عليه الفرعونى بما سمع من الإسرائيلى الذى شهد ذلك وحضره .

إسناده حسن

وأخرجه ابن جرير الطبرى (١٦/١٢٥) ، وعزاه ابن كثير إلى النسائى فى « السنن الكبرى » فى « التفسير » وإلى ابن أبى حاتم ، وقال الحافظ ابن كثير : « وهو موقوف من كلام ابن عباس ، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه ، وكأنه تلقاه ابن عباس رضى الله عنهما مما أبيح نقله من الإسرائيليات[2] عن كعب الأحبار أو غيره ، والله أعلم . وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزى يقول ذلك أيضاً » .

* * *

(١) ما بين حاصرتين زيادة من مصادر التخريج .

(٢) قلت : والجزم بأنه أخذه من الإسرائيليات فيه نظر ، ففى قوله فى آخر الحديث : « رفع ابن عباس هذا الحديث إلى النبى ﷺ » ما يدفع هذا التردد ، والله أعلم .

بعض ما لقيه النبى ﷺ وأصحابه من أذى المشركين[*]

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٨٥٤) :

حدثنا محمد بن بشار : حدثنا غندر : حدثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون ، عن عبد الله رضى الله عنه ، قال : بينا النبى ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش ، جاء عقبة بن أبى معيط بسلى جزورٍ[1] فقذفه على ظهر النبى ﷺ ، فلم يرفع رأسه ، فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ودعت على من صنع ، فقال النبى ﷺ : « **اللهم عليك الملأ من قريش : أبا جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف – أو أبى بن خلف** – شعبة الشاك – **فرأيتهم قتلوا يوم بدر ، فألقوا فى بئرٍ غير أمية بن خلف أو أُبى تقطعت أوصاله فلم يلق فى البئر** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٧٩٤) والنسائى (١٦٢/١) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٨٥٦) :

حدثنا عياش بن الوليد : حدثنا الوليد بن مسلم : حدثنى الأوزاعى حدثنى : يحيى بن أبى كثير ، عن محمد بن إبراهيم التيمى ، قال : حدثنى عروة بن الزبير ، قال :

(*) وحياة النبى ﷺ كلها ابتلاءات وإنما ذكرنا طرفاً منها حتى لا يخلو منها أصل الكتاب ، وبالله التوفيق .

(١) قال الحافظ فى « الفتح » (٣٥٠/١) : « والجَزور من الإبل ما يجزر أى يقطع ، وهو بفتح الجيم ، والسَلى مقصور بفتح المهملة ، هى الجلدة التى يكون فيها الولد ، يقال لها ذلك من البهائم ، وأما من الآدميات فالمشيمة . وحكى صاحب « المحكم » أنه يقال فيهن أيضاً سلى » .

سألت ابن عمرو بن العاص : أخبرنى بأشد شىء صنعه المشركون بالنبى ﷺ ، قال : بينا النبى ﷺ يصلى فى حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط ، فوضع ثوبه فى عنقه فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى ﷺ ، وقال : ﴿ **أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله** ﴾ ؟ ! .

صحيح

تابعه ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عروة ، عن عروة ، قلت لعبد الله بن عمرو .

وقال عبدة عن هشام ، عن أبيه : قيل لعمرو بن العاص .

وقال محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة : حدثنى عمرو بن العاص .

قال ابن سعد رحمه الله (الطبقات ٣/١/١٧٨) :

أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، قال : حدثنا هشام الدستوائى ، قال : حدثنا أبو الزبير ، أن النبىَّ ﷺ مرَّ بآل عمار وهم يُعذبون ، فقال لهم : « **أبشروا آل عمار فإن موعدكم الجنَّة** » .

صحيح لشواهده[١]

قال الإمام أحمد رحمه الله (٣/١٢٠) :

حدثنا وكيع : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **لقد أُوذيتُ فى الله عز وجل وما يُؤذى أحدٌ ، وأُخِفْتُ فى الله وما يخافُ أحد ، ولقد أَتَتْ علىَّ ثلاثةٌ من بين يومٍ وليلةٍ ومالى ولعيالى طعام يَأْكُلُهُ ذُو كبدٍ ، إلا ما يُوارى إبطُ بلالٍ** » .

صحيح

---

(١) فهو من هذا الوجه مرسل ، لكن له طرق يتقوى بها أوردناها بتفصيل فى كتابنا « الصحيح المسند من فضائل الصحابة » .

وأخرجه أبو نعيم فى « الحلية » (١/١٥٠) .

قال ابن ماجه رحمه الله (حديث ١٥٠) :

حدثنا أحمد بن سعيد الدارمى : ثنا يحيى بن أبى بكير : ثنا زائدة بن قدامة ، عن عاصم بن أبى النجود ، عن زر بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : كان أول من أظهر إسلامه سبعة : رسولُ الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد ، فأما رسولُ الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبى طالب ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم فى الشمس ، فما منهم من أحدٍ إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً فإنه هانت عليه نفسه فى الله وهان على قومه ، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول : أحد أحد .

إسناده حسن[1] .

وأخرجه أحمد (١/٤٠٤) ، وابن أبى شيبة فى « المصنف » (١٢٣٨٣) ، والحاكم فى « المستدرك » (٣/٣٨٤) ، وأبو نعيم فى « الحلية » (١/١٤٩) .

* * *

(١) وقد سئل الدارقطنى – كما فى « العلل » له (٥/٦٣) عن هذا الحديث ، فقال : « تفرد به يحيى بن أبى بكير وقال : إنه وهم ، وإنما رواه زائدة عن منصور عن مجاهد قوله » . فالله أعلم .

أشد ما لقيه النبى ﷺ من قومه

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٢٣١) :

حدثنا عبد الله بن يوسف : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : حدثنى عروة ، أن عائشة زوج النبى ﷺ حدثته أنها قالت للنبى ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : « **لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب[١] ، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فنادانى ، فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فنادانى ملك الجبال ، فسلم علىَّ ، ثم قال : يا محمد ذلك فيما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[٢]** ، فقال النبى

---

(١) هو مكان ، وهو ميقات أهل نجد .

(٢) قال الحافظ (فتح البارى ٦/٣١٦) : قوله : (**الأخشبين**) بالمعجمتين هما جبلا مكة : أبو قبيس والذى يقابله ، وكأنه قعيقعان ، وقال الصغانى : بل هو الجبل الأحمر الذى يشرف على قعيقعان . ووهم من قال : هو ثور كالكرمانى ، وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما ، والمراد بإطباقهما أن يلتقيا على من بمكة ، ويحتمل أن يراد أنهما يصيران طبقاً واحداً .

قلت : وفى الحديث أن الابتلاء النفسى أشق على الإنسان من الابتلاء البدنى ، فالنبى ﷺ شج رأسه يوم أحد وكسرت رباعيته ، ومع ذلك فما لقيه من ابن عبد ياليل بن عبد كلال من عدم إجابته إياه أشق مما حل به يوم أُحد ، صلوات الله وسلامه عليه .

ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً » .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٧٩٥) وعزاه المزِّى للنسائى .

وقد أُخرج النبى ﷺ من مكة مع أصحابه لقولهم ربنا الله

قال الله عز وجل : ﴿ **الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله** ﴾(*) الحج ٤٠ .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٤٣١٢) :

حدثنا إسحاق بن يزيد : حدثنا يحيى بن حمزة : حدثنى الأوزاعى ، عن عطاء ابن أبى رباح ، قال : زرت عائشة مع عبيد بن عمير ، فسألها عن الهجرة ؟ فقالت : لا هجرة اليوم ، كان المؤمن[1] يفر أحدهم بدينه إلى الله وإلى

(*) وقد هدد الكفار – على مدار الأزمان – أنبياءهم بذلك . قال الله عز وجل : ﴿ **وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا** ﴾ . وقال سبحانه : ﴿ .. **قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا** ﴾ . وقال قوم لوط : ﴿ **أخرجوا آل لوط من قريتكم** ﴾ . فلا غرابة أن يبتلى المؤمن بمثل هذا النوع من الابتلاء .

(١) فى رواية للبخارى كان المؤمنون .
وقال الحافظ فى « الفتح » (٢٢٩/٧) : « أشارت عائشة إلى بيان مشروعية الهجرة ، وأن سببها خوف الفتنة ، والحكم يدور مع علته فمقتضاه أن من قدر على عبادة الله فى أى موضع اتفق لم تجب عليه الهجرة منه ، وإلا وجبت ، ومن ثم قال الماوردى : إذا قدر على إظهار الدين فى بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام ، فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من دخول غيره فى الإسلام » .

رسوله ﷺ مخافة أن يفتن عليه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام فالمؤمن يعبد ربه حيث شاء ، ولكن جهاد ونية .

صحيح

قال الإمام أحمد رحمه الله (٣٠٥/٤) :

حدثنا أبو اليمان : أنا شعيب ، عن الزهرى : أنا أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن عبد الله بن عدى بن الحمراء الزهرى أخبره ، أنه سمع النبى ﷺ وهو واقف بالحزورة فى سوق مكة[1] : « **والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله عز وجل ، ولولا أنى أُخرِجْتُ منك ما خرجت** » .

صحيح

وأخرجه عبد بن حميد فى « المنتخب » (بتحقيقى رقم ٤٩٠) ، والترمذى فى « المناقب » (٧٢٢/٥) ، وقال : « حسن غريب صحيح » ، وابن ماجه (٣١٠٨) والدارمى ص٢٣٩ ، ولمزيد بحث حوله انظر « المنتخب » .

* * *

(١) يعنى (يقول) كما هو واضح فى طرق الحديث ، وهذا لا يخفى .

إخبار النبى ﷺ بما كان وسيكون إلى قيام الساعة

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٩٢) :

وحدثنى يعقوب بن إبراهيم الدورقى وحجاج بن الشاعر جميعاً ، عن أبى عاصم ، قال حجاج : حدثنا أبو عاصم : أخبرنا عزرة بن ثابت : أخبرنا علباء بن أحمر : حدثنى أبو زيد (يعنى عمرو بن أخطب) ، قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر ، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ، فنزل فصلى ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس ، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن ، فأعلمنا أحفظنا .

صحيح

علم حذيفة(*) رضى الله عنه بأحاديث الفتن

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٦٠٤) :

حدثنا موسى بن مسعود : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى وائل ، عن حذيفة رضى الله عنه ، قال : لقد خطبنا النبىُّ ﷺ خُطبةً ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذَكَرَه ، عَلِمَهُ من عَلِمَهُ وَجَهلهُ من جهله ، إن كنت لأرى الشىء قد نسيتُه فأَعْرِفه كما يَعرِفَ الرَّجُلُ الرجُلَ إذا غاب عنه فرآه فَعَرَفَهُ .

صحيح

وأخرجه مسلم ص(٢٢١٧) ، وأبو داود (٤٢٤٠) .

(*) وسيأتى حديث حذيفة رضى الله عنه ، وفيه : « كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى » .. الحديث .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٩١) :

حدثنى حرملة بن يحيى التجيبى : أخبرنا ابن وهب : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، أن أبا إدريس الخولانى كان يقول : قال حذيفة بن اليمان : والله إنى لَأَعْلَمُ الناس بكل فتنة هى كائنة فيما بينى وبين الساعة ، وما بى إلا أن يكون رسولُ الله ﷺ أَسَرَّ إلَّى فى ذلك شيئاً لم يُحدثه غيرى ، ولكن رسولُ الله ﷺ قال وهو يُحَدِّث مجلساً أنا فيه عن الفتن ، فقال رسولُ الله ﷺ وهو يَعُدُّ الفتن : « **منهن ثلاث لا يكدن يَذَرْنَ شيئاً ، ومنهن فتن كرياح الصيف ، منها صغار ومنها كبار** » ، قال حذيفة فذهب أولئك الرهطُ كلهم غيرى .

صحيح

وأخرجه أحمد (٣٨٨/٥ و ٤٠٧) .

قال الحاكم رحمه الله (المستدرك ٥٤٦/٤) :

حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه : ثنا محمد بن غالب : ثنا عفان بن مسلم ومسلم بن إبراهيم ، قالا : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت أبا البخترى يحدث عن أبى ثور[1] ، قال : كنت جالساً مع حذيفة وأبى مسعود حيث ازدرأ أهل الكوفة سعيد بن العاص يوم الجرعة ، فقال أبو مسعود : ما كنت أظن أن نرجع و لم يُهرق فيها دم . فقال حذيفة : لكنى والله علمت أنا سنرجع على عقبنا و لم نهرق فيها محجمة دم ، وما علمت من ذاك شيئاً إلا شيء علمته ومحمد ﷺ حى ، « **إن الرجل يصبح مؤمناً ويمسى كافراً ما معه من دينه شيء ، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً وما معه من دينه شيء ، يقاتل فى فتنة اليوم ويقتله الله عز وجل غداً ، ينكس قلبه وتعلوه إسته** . قلت : أسفله ؟ قال : إسته .

صحيح

(١) قال الآجرى : قلت لأبى داود : أبو ثور الحدانى ؟ فقال : كوفى جليل أدرك الصحابة . (تهذيب التهذيب ٥١/١٢) .

إخبار النبى ﷺ أمته بما سيصيبهم من بلاء وفتن

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٨٤٤) :

حدثنا زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم (قال إسحاق : أخبرنا ، وقال زهير : حدثنا) جرير ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة ، قال : دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس فى ظل الكعبة ، والناس مجتمعون عليه ، فأتيتهم فجلست إليه ، فقال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فنزلنا منزلاً ، فمنا من يصلح خِباءه ومنا من ينتضل[١] ومنا من هو فى جشره[٢] ، إذ نادى منادى رسول الله ﷺ : الصلاة جامعةً ، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ ، فقال : « **إنه لم يكن نبى قبلى إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جُعِلَ عافيتُها فى أولها وسيصيب آخرها بلاءٌ وأمورٌ تنكرونها ، وتجىء فتنةٌ فيرقِقُ[٣] بعضُها بعضاً . وتجىء الفتنةُ فيقول المؤمنُ : هذه مُهلكتى ، ثم تنكشف ، وتجىء الفتنة فيقول المؤمن : هذه هذه . فمن أَحَبَّ أن يُزحزح عن النار ويُدْخَلَ الجنةَ فلتأته مَنِيَّتُهُ وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه ، ومن بايع**

---

(١) قال النووى : هو من المناضلة ، وهى المراماة بالنشاب .

(٢) قال النووى : هو بفتح الجيم والشين ، وهى الدواب التى ترعى وتبيت مكانها .

(٣) « يرقق بعضها بعضاً » أى يصير بعضها رقيقاً أى خفيفاً لعظم ما بعده ، فالثانى يجعل الأول رقيقاً، وقيل: معناه يشبه بعضها بعضاً ، وقيل: يدور بعضها فى بعض ويذهب ويجىء، وقيل: معناه يسوق بعضها إلى بعض بتحسينها وتسويئها. والوجه الثانى : (فيرفق) بفتح الياء وإسكان الراء وبعدها فاء مضمومة ، والثالث : (فيدفق) بالدال المهملة الساكنة وبالفاء المكسورة ، أى يدفع ويصب ، والدفق الصب .

إماماً فَأَعطاه صفقةَ يَدِهِ وثمرةَ قَلْبِهِ فليُطعه إن استطاع ، فإن جاء آخر يُنازعه فاضربوا عُنُق الآخر »[1] . فدنوت منه ، فقلت له : أنشدك الله آنت سمعتَ هذا من رسول الله ﷺ ؟ فأَهوَى إلى أُذنيه وقلبه بيديه ، وقال : سمعته أذناى ووعاه قلبى . فقلت له : هذا ابن عمك معاويةُ يأْمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا ، والله يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم . ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً** ﴾[2] . قال : فسكت ساعةً ، ثم قال : أطعه فى طاعةِ الله ، واعصه فى معصية الله[3] .

صحيح

وأخرجه النسائى (١٥٢/٧ - ١٥٣) وابن ماجه (٣٩٥٦) ، وأخرج أبو داود بعضه (٤٢٤٨) .

---

(١) قال النووى : معناه ادفعوا الثانى فإنه خارج على الإمام ، فإن لم يندفع إلا بحرب وقتال فقاتلوه ، فإن دعت المقاتلة إلى قتله جاز قتله ولا ضمان فيه لأنه ظالم متعد فى قتاله .

(٢) قال النووى : المقصود بهذا الكلام أن هذا القائل لما سمع كلام عبد الله بن عمرو ابن العاص ، وذكر الحديث فى تحريم منازعة الخليفة الأول ، وأن الثانى يقتل فاعتقد هذا القائل هذا الوصف فى معاوية لمنازعته علياً رضى الله عنه ، وكانت قد سبقت بيعة علىّ فرأى هذا أن نفقة معاوية على أجناده وأتباعه فى حرب علىّ ومنازعته ومقاتلته إياه ، من أكل أموال الناس بالباطل ومن قتل النفس ، لأنه قتال بغير حق ، فلا يستحق أحد مالاً فى مقاتلته .

(٣) قال النووى : قوله : (أطعه فى طاعة الله واعصه فى معصية الله) هذا فيه دليل لوجوب طاعة المتولين للإمامة بالقهر من غير إجماع ولا عهد .
قلت : كذا قال النووى رحمه الله ، ومن الواضح أن هذا الكلام موقوف على عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما .
تنبيه : لهذا الحديث طريق آخر معلولة ذكرها ابن أبى حاتم فى « العلل » (٤١٦/٢) ، ووهمها وصوب رواية إسناد حديث الباب (الذى ذكرناه) ، أى صوب رواية الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة ،=

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٠٦٠) :

حدثنا محمد بن يوسف : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى وائل ، عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « **اكتبوا لى من تلفظ بالإسلام من الناس** » ، فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل ، فقلنا : تخاف علينا ونحن ألف وخمسمائة[1]؟ فلقد رأيتنا[2] ابتلينا حتى إن الرجل ليصلى وحده وهو خائف » .

صحيح

= وذكر أن الرواية الأخرى مضطربة .

(١) فى رواية مسلم ، من طريق أبى معاوية عن الأعمش : « أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة » . ووجه الجمع يتلخص فى أن من قال : « ألف وخمسمائة » ذكر الرجال والنساء والمقاتلة من أهل المدينة ومن غيرهم ، ومن اقتصر على « الستمائة إلى السبعمائة » وكذلك من قال : بالخمسمائة اقتصر على نوع مخصوص منهم ، كأنه قال : ستمائة أو سبعمائة من الرجال المقاتلين . وإذا اخترنا مسلك الترجيح فرواية الثورى أقوى لأنه أحفظ من روى عن الأعمش ، وأبو معاوية وإن كان دون الثورى فى الحفظ بمراحل إلا أنه راوية الأعمش ، لكن لما تردد فى العدد قدمت رواية الثورى . والله أعلم .
هذا ، وقد عكر الحافظ ابن حجر على أوجه الجمع هذه (فتح البارى ١٧٩/٦)، بقوله : « ويخدش فى وجوه هذه الاحتمالات كلها اتحاد مخرج الحديث ، ومداره على الأعمش بسنده ، واختلاف أصحابه عليه فى العدد المذكور . والله أعلم » .
قلت : لعل الصحابى نفسه رواها مرة بهذا العدد ومرة بذاك ، فينتفى الإشكال . والله أعلم .
هذا ، وفى رواية مسلم قبل قوله : « فلقد رأيتنا .. » قال النبى ﷺ : « **إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا** » .

(٢) قال النووى رحمه الله (٣٦١/١) : « أما قوله : (فابتلينا فجعل الرجل لا يصلى إلا سراً » ، فلعله كان فى بعض الفتن التى جرت بعد النبى ﷺ ، فكان بعضهم يخفى نفسه ويصلى سراً مخافةً من الظهور والمشاركة فى الدخول فى الفتنة =

حدثنا عبدان ، عن أبى حمزة ، عن الأعمش ، (فوجدناهم خمسمائة) . قال أبو معاوية : (ما بين ستمائه إلى سبعمائه) .

والحديث أخرجه مسلم (١٤٩) ، وابن ماجه (٤٠٢٩) ، وعزاه المزى للنسائى .

قال الإمام أحمد رحمه الله (٤٧٧/٣) :

حدثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن كرز بن علقمة الخزاعى ، قال : قال رجل : يا رسول الله ، هل للإسلام من منتهى ؟ قال : « **أيما أهل بيت** – وقال فى موضع آخر : قال : **نعم ، أيما أهل بيت – من العرب أو العجم ، أراد الله بهم خيراً ، أدخل عليهم الإسلام** . قال : ثم مه ؟ قال : **ثم تقع الفتن كأنها الظلل** ، قال : كلا ، والله إن شاء الله . قال : **بلى ، والذى نفسي بيده ثم تعودون فيها أساود صُبًّا يضرب بعضكم رقاب بعض** »[١].

صحيح

وقرأ على سفيان : قال الزهرى : أساود صُبًّا ، قال سفيان : الحية السوداء ، تنصب أى ترتفع .

= والحروب . والله أعلم » .

وقال الحافظ ابن حجر (فتح البارى ١٧٨/٦) : « وأما قول حذيفة : (فلقد رأيتنا ابتلينا – إلى آخره) فيشبه أن يكون أشار بذلك إلى ما وقع فى أواخر خلافة عثمان من ولاية بعض أمراء الكوفة كالوليد بن عقبة ، حيث كان يؤخر الصلاة أو لا يقيمها على وجهها ، وكان بعض الورعين يصلى وحده سراً خشية الإنكار عليه ، ووهم من قال : إن ذلك كان أيام قتل عثمان لأن حذيفة لم يحضر ذلك ، وفى ذلك علم من أعلام النبوة من الإخبار بالشيء قبل وقوعه ، وقد وقع أشد من ذلك بعد حذيفة فى زمن الحجاج وغيره » .

(١) في بعض روايات أحمد من الزيادة : « **وأفضل الناس يومئذ مؤمن معتزل فى شعب من الشعاب ، يتقى ربه تبارك وتعالى ويدع الناس من شره** » .

وأخرجه ابن حبان (موارد الظمآن ١٨٧٠) والحاكم فى « المستدرك » (٤/٤٥٥) ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه بهذه السياقة ، وقال الذهبى : « صحيح » .

قال ابن حبان رحمه الله (١٨٦٠) موارد الظمآن) :

أخبرنا عبد الله بن محمد بن سلم : حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم : حدثنا الوليد ابن مسلم وعمر بن عبد الواحد ، قالا : حدثنا الأوزاعى : حدثنى ربيعة بن يزيد ، قال : سمعت واثلة بن الأسقع ، يقول : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : **« يزعمون أنى من آخركم وفاة ، إنى من أولكم وفاة ، وتتبعونى أفناداً يضرب بعضكم رقاب بعض »** .

صحيح

قال الإمام أحمد رحمه الله (٤/٤٢٠) :

حدثنا يونس : ثنا أبو الأشهب ، عن علىّ بن الحكم ، عن أبى برزة الأسلمى – قال أبو الأشهب – لا أعلمه إلا عن النبى ﷺ – قال : **« إن مما أخشى عليكم شهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن »** .

رجاله ثقات

* * *

قول الله عز وجل ﴿ أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾

قال الإمام البخارى رحمه الله (٤٦٢٨) :

حدثنا أبو النعمان : حدثنا حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر رضى الله عنه ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم** ﴾ قال رسول الله ﷺ : « **أعوذ بوجهك** » . قال : ﴿ **أو من تحت أرجلكم** ﴾ ، قال : « **أعوذ بوجهك** » ﴿ **أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض** ﴾ ، قال رسول الله ﷺ : « **هذا أهون** » أو « **هذا أيسر** »[1] .

صحيح

وعزاه المزى للنسائى .

* * *

(١) قال الحافظ فى « الفتح » (٢٩٦/١٣) : « قال ابن بطال : أجاب الله تعالى دعاء نبيه فى عدم استئصال أمته بالعذاب ، ولم يجبه فى أن لا يلبسهم شيعاً ، أى فرقاً مختلفين ، وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض ، أى بالحرب والقتل بسبب ذلك ، وإن كان ذلك من عذاب الله ، لكن أخف من الاستئصال ، وفيه للمؤمنين كفارة » .

نزول الفتن

قال الإمام البخارى رحمه الله (١٨٧٨) :

حدثنا علىّ بن عبد الله : حدثنا سفيان : حدثنا ابن شهاب ، قال : أخبرنى عروة : سمعت أسامة رضى الله عنه ، قال : أشرف[١] النبى ﷺ على أطمٍ[٢] من آطام المدينة ، فقال : « **هل ترون ما أرى ؟ إنى لأَرَى مواقع الفتن خلالَ بُيُوتِكم كمواقِعِ القَطْر** »[٣] .

صحيح

---

(١) « أشرف » : نظر واطلع .

(٢) فى اللسان : « الأُطُم » : حصن مبنى بالحجارة ، وقيل : هو كل بيت مربع مسطح .

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله فى شرح هذا الحديث (فتح البارى ٩٥/٤) : « قوله (**مواقع**) أى مواضع السقوط ، و (**خلال**) أى نواحيها ، شبه سقوط الفتن وكثرتها بالمدينة بسقوط القطر فى الكثرة والعموم ، وهذا من علامات النبوة لإخباره بما سيكون ، وقد ظهر مصداق ذلك من قتل عثمان وهلم جرا ، ولا سيما يوم الحرة ، والرؤية المذكورة يحتمل أن تكون بمعنى العلم أو رؤية العين بأن تكون الفتن مثلت له حتى رآها كما مثلت له الجنة والنار فى القبلة حتى رآهما وهو يصلى » .

وقال رحمه الله (الفتح ١٣/١٣) : « وإنما اختصت المدينة بذلك ، لأن قتل عثمان رضى الله عنه كان بها ، ثم انتشرت الفتن فى البلاد بعد ذلك ، فالقتال بالجمل وبصفين كان بسبب قتل عثمان ، والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين ، وكل قتال وقع فى ذلك العصر إنما تولد عن شىء من ذلك أو عن شىء تولد عنه ، ثم إن قتل عثمان كان أشد أسبابه الطعن على أمرائه ثم عليه بتوليته لهم ،=

تابعه معمر وسليمان بن كثير ، عن الزهرى .

وأخرجه مسلم (٢٨٨٥) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٥٩) :

حدثنا مالك بن إسماعيل : حدثنا ابن عيينة ، أنه سمع الزهرى ، عن عروة ، عن زينب بنت أم سلمة[١] ، عن أم حبيبة ، عن زينب ابنة جحش رضى الله عنهن ، أنها قالت : استيقظ النبى ﷺ من النوم محمراً وجهه[٢] ، وهو يقول : « **لا إله إلا الله ويلٌ للعرب[٣] من شرٍ قد اقترب ، فُتِحَ اليومَ من رَدْمِ يأجوج**

= وأول ما نشأ ذلك من العراق وهى من جهة المشرق فلا منافاة بين حديث الباب وبين الحديث الآتى : « **إن الفتنة من قبل المشرق** » ، وحسن التشبيه بالمطر لإرادة التعميم لأنه إذا وقع فى أرض معينة عمها ولو فى بعض جهاتها » .

(١) زاد عدد من الرواة عن ابن عيينة فى هذا الحديث حبيبة بنت أم حبيبة بين زينب بنت أم سلمة وأم حبيبة ، فقالوا عن زينب بنت أم سلمة عن حبيبة بنت أم حبيبة عن أمها أم حبيبة عن زينب بنت جحش .
قال الدارقطنى رحمه الله : « أظن أن سفيان كان تارة يذكرها وتارة يسقطها » .
قلت : فعلى رواية من زاد حبيبة بنت أم حبيبة (وهى حبيبة بنت عبيد الله بن جحش) ربيبة النبى ﷺ) والذين زادوها ثقات يكون فى الإسناد أربع صحابيات : ثنتان من ربائب النبى ﷺ ، وثنتان من أزواجه رضى الله عنهن .
وقد قال الحميدى رحمه الله قال سفيان : أحفظ فى هذا الحديث عن الزهرى أربع نسوة ، قد رأين النبى ﷺ : ثنتين من أزواجه : أم حبيبة وزينب بنت جحش وثنتين ربيبتاه : زينب بنت أم سلمة وحبيبة بنت أم حبيبة أبوها عبيد الله ابن جحش مات بأرض الحبشة .

(٢) وفى رواية : « فزعاً » .

(٣) قال الحافظ فى « الفتح » (١٣/١٠٧) : « خص العرب بذلك لأنهم كانوا حينئذ معظم من أسلم ، والمراد بالشر ما وقع بعده من قتل عثمان ، ثم توالت الفتن حتى صارت العرب بين الأمم كالقصعة بين الأكلة كما جاء فى الحديث الآخر :=

ومأجوج[1] **مثل هذه** » – وعقد سفيان تسعين أو مائة – قيل : أنهلك وفينا الصالحون ؟ ! قال : « **نعم ، إذا كثر الخبث** »[2] .

صحيح

= « **يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها** » (قلت : وسيأتى تحقيقه) قال : وأن المخاطب بذلك العرب ، قال القرطبى : ويحتمل أن يكون المراد بالشر ما أشار إليه فى حديث أم سلمة : (**ماذا أنزل الليلة من الفتن وماذا أنزل من الخزائن**) ، فأشار بذلك إلى الفتوح التى فتحت بعده ، فكثرت الأموال فى أيديهم ، فوقع التنافس الذى جر الفتن ، وكذلك التنافس على الإمرة ، فإن معظم ما أنكروه على عثمان توليه أقاربه من بنى أمية وغيرهم حتى أفضى ذلك إلى قتله ، وترتب على قتله من القتال بين المسلمين ما اشتهر واستمر » .

(١) سيأتى الكلام على يأجوج ومأجوج فى باب مستقل إن شاء الله تعالى .

(٢) قوله : (**نعم ، إذا كثر الخبث**) . قال الحافظ فى « الفتح » (١٣/١٠٩) : « الخبث : بفتح المعجمة والموحدة ثم مثلثة ، فسروه بالزنا وبأولاد الزنا وبالفسوق والفجور ، وهو أولى لأنه قابله بالصلاح » .

وقال ابن العربى : « فيه البيان بأن الخيِّر يهلك بهلاك الشرير إذا لم يغير عليه خبثه ، وكذلك إذا غير عليه لكن حيث لا يجدى ذلك ويصر الشرير على عمله السىء ، ويفشو ذلك ويكثر حتى يعم الفساد ، فيهلك حينئذ القليل والكثير ثم يحشر كل أحد على نيته ، وكأنها فهمت من فتح القدر المذكور من الردم ، أن الأمر إن تمادى على ذلك اتسع الخرق بحيث يخرجون ، وكان عندها علم أن فى خروجهم على الناس إهلاكاً عاماً لهم » .

وقال الحافظ فى « الفتح » (١٣/١٣) : « قال ابن بطال : أنذر النبى ﷺ فى حديث زينب بقرب قيام الساعة كى يتوبوا قبل أن تهجم عليهم ، وقد ثبت أن خروج يأجوج ومأجوج قرب قيام الساعة ، فإذا فتح من ردمهم ذاك القدر فى زمنه ﷺ لم يزل الفتح يتسع على مر الأوقات ، وقد جاء فى حديث أبى هريرة رفعه : « **ويل للعرب من شر قد اقترب ، موتوا إن استطعتم** » قال : =

وأخرجه مسلم (٢٨٨٠) ، والترمذى (٢١٨٧) ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » ، وابن ماجه (٣٩٥٣) ، وعزاه المزى للنسائى .

* * *

= وهذا غاية فى التحذير من الفتن والخوض فيها حيث جعل الموت خيراً من مباشرتها ، وأخبر فى حديث أسامة بوقوع الفتن خلال البيوت ، ليتأهبوا لها فلا يخوضوا فيها ، ويسألوا الله الصبر والنجاة من شرها » .

جعل بأس هذه الأمة بينها وتسليط بعضها على بعض

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٩٠) :

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة : حدثنا عبد الله بن نمير حـ وحدثنا ابن نمير (واللفظ له) :

حدثنا أبى : حدثنا عثمان بن حكيم : أخبرنى عامر بن سعد ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ أَقْبَلَ ذات يومٍ من العالية ، حتى إذا مرَّ بمسجد بنى معاوية دخل ، فَرَكَعَ فيه ركعتين ، وصلينا معه ، ودعا ربَّه طويلاً ، ثم انصرف إلينا ، فقال ﷺ : « **سألتُ ربى ثلاثاً ، فأعطانى ثنتين ومنعنى واحدةً ، سألت ربى أن لا يُهْلِكَ أمتى بالسَّنَةِ فأعطانيها ، وسألته أن لا يهلك أمتى بالغرق فَأَعطانيها ، وسألتُهُ أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها** » .

صحيح

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/٢٤٧) :

حدثنا حسين بن على ، عن زائدة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى ، عن معاذ ، قال : صلى رسول الله ﷺ صلاة ، فأحسن فيها القيام والخشوع والركوع والسجود ، قال : « **إنها صلاة رغب ورهب ، سألت الله فيها ثلاثاً فأعطانى اثنتين وزوى عنى واحدة ، سألته أن لا يبعث على أمتى عدواً من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيه، وسألته أن لا يبعث عليهم سَنَةً تقتلهم جوعاً فأعطانيه ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فردها علىَّ**».

حسن لغيره[١] .

---

(١) ففى إسناده هنا انقطاع بين عبد الرحمن بن أبى ليلى ومعاذ، فقد قال ابن المدينى =

وأخرجه أحمد أيضاً (٥/٢٤٣) . وله طريق أخرى عن معاذ عند ابن ماجه[1] (٣٩٥١) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٨٩) :

حدثنا أبو الربيع العتكى وقتيبة بن سعيد كلاهما ، عن حماد بن زيد (واللفظ لقتيبة) : حدثنا حماد ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء ، عن ثوبان ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله زوى لى الأرض فرأيتُ مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ، وأُعطيت الكنزين الأحمر والأبيض[2] ، وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنةٍ عامةٍ ، وأن لا يُسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ، وإن ربى قال : يا محمد إنى إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُرد ، وإنى أعطيتُك لأمتك أن لا أُهلكهم بسنةٍ عامةٍ[3] وأن لا أُسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم[4] ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبى بعضهم بعضاً** » .

صحيح

= والترمذي : « إنه لم يسمع من معاذ » . لكن طريق ابن ماجه يرقيه إلى الحسن . والله أعلم .

(١) في رواية ابن ماجه : « **وسألته ألا يهلكهم غرقاً** » ، بدلًا من قوله : « **وسألته أن لا يبعث عليهم سنة** » .

(٢) قال النووي رحمه الله : « قال العلماء : المراد بالكنزين الذهب والفضة ، والمراد كنزى كسرى وقيصر ملكى العراق والشام » .

(٣) قال النووي رحمه الله (شرح مسلم ٥/٧٣٩) : أى لا أهلكهم بقحط يعمهم ، بل إن وقع قحط فيكون فى ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقى بلاد الإسلام . فللّه الحمد والشكر على جميع نعمه » .

(٤) « بيضتهم » : أى جماعتهم وملكهم ، والبيضة أيضاً العزّ والملك .

وأخرجه أبو داود (٤٢٥٢) والترمذى (٢١٧٦) ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » ، وابن ماجه (٣٩٥٢) .

قال الإمام الترمذى رحمه الله (٢٢٠٢) :

حدثنا قتيبة : حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن أبى أسماء ، عن ثوبان ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع عنها إلى يوم القيامة** » .

صحيح

وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » .

قلت : والحديث أخرجه أبو داود (٤٢٥٢) ضمن حديثٍ طويلٍ .

* * *

«إخبار النبي ﷺ بافتراق أمته إلى ثلاث وسبعين فرقة»

قال أبو داود رحمه الله (٤٥٩٦) :

حدثنا وهب بن بقية ، عن خالد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة** » .

حسن

وأخرجه الترمذي (٢٦٤٠) ، وقال : « حديث حسن صحيح » ، وأخرجه ابن ماجه (٣٩٩١) ، وأحمد (٣٣٢/٢) ، وابن حبان (موارد الظمآن ١٨٣٤) ، والحاكم في « المستدرك » (١٢٨/١) ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي .

وأخرجه الحاكم أيضاً (٦/١) ، وقال : « وقد احتج مسلم بمحمد بن عمرو ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة » ، لكن تعقبه الذهبي بقوله : « ما احتج مسلم بمحمد بن عمرو منفرداً بل بانضمامه إلى غيره » .

قال أبو داود رحمه الله (٤٥٩٧) :

حدثنا أحمد بن حنبل ، ومحمد بن يحيى ، قالا : حدثنا أبو المغيرة : حدثنا صفوان / ح / وحدثنا عمرو بن عثمان : حدثنا بقية ، قال : حدثني صفوان ، نحوه . قال : حدثني أزهر بن عبد الله الحرازي ، عن أبي عامر الهوزني ، عن معاوية بن أبي سفيان ، أنه قام فينا ، فقال : ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا ، فقال : « **ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة**

وهى الجماعة »[1] .

حسن لشواهده[2]

وأخرجه أحمد (١٠٢/٤) ، والدارمى (٢٤١/٢) ، والحاكم (١٢٨/١) ، وابن أبى عاصم فى « السنة » (٦٤ ، ٦٥) .

---

(١) قال أبو داود عقب هذا الحديث : « زاد ابن يحيى وعمرو فى حديثيهما « **وإنه سيخرج من أمتى أقوام تجارى بهم تلك الأهواء ، كما يتجارى الكَلَبُ لصاحبه** وقال عمرو (**الكلب بصاحبه**) **لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله** » .

(٢) ففى إسناده أزهر بن عبد الله الحرازى لم يوثقه معتبر ، اللهم إلا العجلى ، والعجلى معروف بالتساهل فى التوثيق ، إلا أن للحديث شواهد منها : ما أخرجه ابن أبى عاصم فى « السنة » (٦٣) وابن ماجه فى « السنن » (٣٩٩٢) ، من طريق عباد بن يوسف : ثنا صفوان بن عمرو ، عن راشد بن سعد ، عن عوف بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، فواحدة فى الجنة وسبعون فى النار ، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة ، فإحدى وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة ، والذى نفس محمد بيده لتفترقن أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة فى الجنة وثنتان وسبعون فى النار** » قيل : يا رسول الله ، من هم ؟ قال : « **الجماعة** » .

وفى هذا الإسناد عباد بن يوسف وثقه بعض أهل العلم ، لكن قال ابن عدى : « روى أحاديث ينفرد بها » . قال الذهبى فى « الميزان » : ذكره ابن عدى فقال : روى أحاديث ينفرد بها ، روى عنه عمرو بن عثمان وغيره . وقد وثقه ابن ماجه وابن أبى عاصم قالا حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا عباد بن يوسف ... » فذكر الحديث .

● وللحديث شاهد آخر من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه مرفوعاً .

أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣) وابن أبى عاصم فى « السنة » (٦٤) ، من =

= طريق هشام بن عمار : ثنا الوليد بن مسلم : ثنا الأوزاعى : ثنا قتادة ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن بنى إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن أمتى ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة ، كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة** » .

قلت (القائل مصطفى) : والذى أخشاه من هذا الإسناد ، أن يكون الحديث قد اختلط سنده على هشام بن عمار رحمه الله ، فقد أخرج ابن أبى عاصم فى « السنة » (حديث ١ ، ٦٥) هذا الحديث من طريق هشام بن عمار ، عن إسماعيل بن عياش ، عن صفوان بن عمرو ، عن الأزهر بن عبد الله الحرازى ، عن أبى عامر الهوزنى عبد الله بن لحى ، عن معاوية بن أبى سفيان ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن هذه الأمة ستفترق على إحدى وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ، وهى الجماعة** » لفظ حديث (٦٥) عند ابن أبى عاصم ، أما حديث (١) فلفظه جزء من حديث معاوية المتقدم ألا وهو : « **يكون أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلبُ بصاحبه فلا يبقى منه مفصل إلا دخله** » .

فهذا الذى أخشاه من هشام بن عمار أن يكون انقلب عليه سند الحديث ، وهو ظن قوى عندى . والله أعلمَ .

وأيضاً فثمة اختلاف آخر على هشام ، وهو أنه روى هذا الحديث عن الوليد بن مسلم ، عن بكير بن معروف ، عن مقاتل بن حيان ، عن القاسم ، عن أبيه ، عن جده مرفوعاً (كما عند ابن أبى عاصم ٧١) .

وعلى كل حال فلحديث أنس طرق أخرى لا تخلو من مقال منها .

ما أخرجه أحمد فى « المسند » (١٤٥/٣) ، فقال : حدثنا حسن : ثنا ابن لهيعة : ثنا خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال : « **إن بنى إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة ، فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة ، وإن أمتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة ، فتهلك إحدى وسبعين وتخلص فرقة** » قالوا : يا رسول الله ، من تلك =

= الفرقة ؟ قال : « **الجماعة ، الجماعة** » .

قلت : وفى إسناده ابن لهيعة ، وهو مختلط ، وكذلك رواية سعيد بن أبى هلال عن أنس مرسلة .

وأيضاً هل لفظة (**فتهلك إحدى وسبعين**) معناها أنه محكوم عليهم بالنار أم الهلاك دون ذلك . ينظر فى هذا أيضاً .

وثمة شاهد آخر ضعيف واهٍ عند ابن أبى عاصم فى « السنة » (٦٨) من حديث أبى أمامة رضى الله عنه مرفوعاً .

وبالجملة ، فالحديث بمجموع هذه الطرق يرتقى للحسن ، وإن نازعنا منازع ورأى أن الحديث بزيادة (كلها فى النار إلا واحدة) لا يرتقى للحسن - أى أنه رأى أن لفظة (كلها فى النار إلا واحدة) ضعيفة - لكان له وجه ، والله تعالى أعلم .

نقول هذا ، ولا يخفى علينا ما ذكره الشيخ ناصر الدين الألبانى فى « سلسلة الأحاديث الصحيحة » (تحت رقم ٢٠٤) ، فالطرق التى ذكرها - خلاف ما أوردناه - طرق متهافتة ضعيفة ، وقد قصر فى بيان الضعف الوارد فى كثير منها .

من ذلك ، طريق قتادة عن أنس لم يشر إلى الضعف الوارد فيها .

وطريق ابن لهيعة عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن أنس كذلك لم يشر إلى الضعف الوارد فيها .

وطريق سويد بن سعيد : حدثنا مبارك بن سحيم ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس . لم يشر إلا إلى ضعف سويد ، بينما فى الإسناد مبارك بن سحيم ضعيف جداً بل متروك . وكذلك لم يسمع من عبد العزيز صهيب . والله أعلم .

قول النبى ﷺ : «لا يأتى زمان إلا والذى بعده شرٌّ منه»

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٦٨) :

حدثنا محمد بن يوسف : حدثنا سفيان ، عن الزبير بن عدى ، قال : أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج ، فقال : اصبروا ، فإنه **لا يأتى عليكم زمان إلا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم** ، سمعته من نبيكم ﷺ[1] .

صحيح

وأخرجه الترمذى (٢٢٠٦) ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

---

(١) قال الحافظ فى « الفتح » (٢١/١٣) : « قال ابن بطال : هذا الخبر من أعلام النبوة لإخباره ﷺ بفساد الأحوال ، وذلك من الغيب الذى لا يعلم بالرأى ، وإنما يعلم بالوحى انتهى .

وقد استشكل هذا الإطلاق مع أن بعض الأزمنة تكون فى الشر دون التى قبلها ، ولو لم يكن فى ذلك إلا زمن عمر بن عبد العزيز وهو بعد زمن الحجاج بيسير ، وقد اشتهر الخير الذى كان فى زمن عمر بن عبد العزيز ، بل لو قيل : إن الشر اضمحل فى زمانه لما كان بعيداً فضلاً عن أن يكون شراً من الزمن الذى قبله ، وقد حمله الحسن البصرى على الأكثر الأغلب ، فسئل عن وجود عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج ؟ فقال : لابد للناس من تنفيس .

وأجاب بعضهم : أن المراد بالتفضيل تفضيل مجموع العصر على مجموع العصر ، فإن عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة فى الأحياء ، وفى عصر عمر بن عبد العزيز انقرضوا ، والزمان الذى فيه الصحابة خير من الزمان الذى بعده ، لقوله ﷺ : « **خير القرون قرنى** » وهو فى « الصحيحين »[1] ، وقوله ﷺ : « **أصحابى أمنة لأمتى فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون** » =

---

(١) هكذا بالفتح والذى فى مسلم « خير الناس ... ، خير أمتى ... » . مصححه .

....

= أخرجه مسلم .

ثم وجدت عن عبد الله بن مسعود التصريح بالمراد وهو أولى بالاتباع ، فأخرج يعقوب بن شيبة من طريق الحارث بن حصيرة ، عن زيد بن وهب ، قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : لا يأتى عليكم يوم إلا وهو شر من اليوم الذى كان قبله حتى تقوم الساعة ، لست أعنى رخاء من العيش يصيبه ولا مالاً يفيده ، ولكن لا يأتى عليكم يوم إلا وهو أقل علماً من اليوم الذى مضى قبله ، فإذا ذهب العلماء استوى الناس فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، فعند ذلك يهلكون » . ومن طريق أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن ابن مسعود إلى قوله (شر منه) قال : « فأصابتنا سنة خصب ، فقال : ليس ذلك أعنى ، إنما أعنى ذهاب العلماء » ومن طريق الشعبى ، عن مسروق ، عنه ، قال : (لا يأتى عليكم زمان إلا وهو أشر مما كان قبله ، أما إنى لا أعنى أميراً خيراً من أمير ولا عاماً خيراً من عام ، ولكن علماؤكم وفقهاؤكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خلفاً ، ويجىء قوم يفتون برأيهم » . وفى لفظ عنه من هذا الوجه : « وما ذاك بكثرة الأمطار وقلتها ولكن بذهاب العلماء ، ثم يحدث قوم يفتون فى الأمور برأيهم فيثلمون الإسلام ويهدمونه » .

وأخرج الدارمى الأول ، من طريق الشعبى بلفظ : (لست أعنى عاماً أخصب من عام) ، والباقى مثله ، وزاد : (وخياركم) قبل قوله : (وفقهاؤكم) .

واستشكلوا أيضاً زمان عيسى بن مريم بعد زمان الدجال ، وأجاب الكرمانى بأن المراد الزمان الذى يكون بعد عيسى ؟ أو المراد جنس الزمان الذى فيه الأمراء ، وإلا فمعلوم من الدين بالضرورة أن زمان النبى المعصوم لا شر فيه . قلت (القائل هو الحافظ) : ويحتمل أن يكون المراد بالأزمنة المذكورة أزمنة الصحابة بناء على أنهم هم المخاطبون بذلك فيختص بهم ، فأما من بعدهم فلم يقصد فى الخبر المذكور ، لكن الصحابى فهم التعميم فلذلك أجاب من شكا =

= إليه الحجاج بذلك وأمرهم بالصبر ، وهم أو جلهم من التابعين .

واستدل ابن حبان فى « صحيحه » بأن حديث أنس ليس على عمومه بالأحاديث الواردة فى المهدى وأنه يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً ، ثم وجدت عن ابن مسعود ما يصلح أن يفسر به الحديث ، وهو ما أخرجه الدارمى بسند حسن ، عن عبد الله قال : (لا يأتى عليكم عام إلا وهو شر من الذى قبله ، أما إنى لست أعنى عاماً » .

قلت (القائل مصطفى) : ويزيد الأمر تعكيراً بحديث (إن الله يبعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الأمة أمر دينها) .

وحاصل الأجوبة التى تقدمت تتلخص فى الآتى :

١ – أن المراد بهذا الحديث هم الصحابة خاصة فكلما كان عدد الصحابة كبيراً كان الخير وافراً والشر قليلاً ، وكلما قل الصحابة قل الخير ويشهد لذلك حديث : « **أصحابى أمنة لأمتى فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى مايوعدون** » .

٢ – أن المراد الأكثر والأغلب ، فغالب الأزمنة شر من التى سبقها ، وهذا (أعنى الحكم للأغلب) مطرد فى القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا** ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ **ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر** ﴾ .

٣ – أن المراد قلة العلم ، وهذا يأباه سياق الحديث .

٤ – أن المراد عموم العصر لا بعض البلاذ والأمم .

والله تعالى أعلم .

* * *

قول النبي ﷺ : «هلكة أمتى على يد غلمة من قريش»

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٥٨) :

حدثنا موسى بن إسماعيل : حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد ، قال : أخبرنى جدى ، قال : كنت جالساً مع أبى هريرة فى مسجد النبى ﷺ بالمدينة ومعنا مروان ، قال أبو هريرة : سمعتُ الصادق المصدوق يقول : « **هلكة أمتى على يد غلمة**[1] **من قُريش** » . فقال مروان : لعنة الله عليهم غلمة . فقال

---

(١) وقع فى بعض الطرق عند أحمد : « غلمة سفهاء » وهى من طريق مالك بن ظالم وفى رواية عبد الله بن ظالم وكلاهما مجهول .

قال الحافظ فى « الفتح » (١٣/١٠) : « ويؤخذ من هذا الحديث استحباب هجران البلدة التى يقع فيها إظهار المعصية فإنها سبب وقوع الفتن التى ينشأ عنها عموم الهلاك . قال ابن وهب عن مالك : تهجر الأرض التى يصنع فيها المنكر جهاراً ، وقد صنع ذلك جماعة من السلف .

وقال ابن بطال : وفى هذا الحديث أيضاً حجة لما تقدم من ترك القيام على السلطان ولو جار لأنه ﷺ أعلم أبا هريرة بأسماء هؤلاء وأسماء آبائهم و لم يأمرهم بالخروج عليهم مع إخباره أن هلاك الأمة على أيديهم ، لكون الخروج أشد فى الهلاك وأقرب إلى الاستئصال من طاعتهم ، فاختار أخف المفسدتين وأيسر الأمرين » .

قال الحافظ : « تنبيه : يتعجب من لعن مروان الغلمة المذكورين مع أن الظاهر أنهم من ولده فكأن الله تعالى أجرى ذلك على لسانه ليكون أشد فى الحجة عليهم لعلهم يتعظون ، وقد وردت أحاديث فى لعن الحكم والد مروان وما ولد أخرجهما الطبرانى وغيره غالبها فيه مقال ، وبعضها جيد ، ولعل المراد تخصيص الغلمة المذكورين بذلك » .

أبو هريرة : لو شئتُ أن أقول بنى فلان بنى فلان لفعلتُ .

صحيح

فكنت أخرج مع جدِّى إلى بنى مروان حين ملكوا الشام فإذا رآهم غلماناً أحداثاً ، قال لنا : عسى هؤلاء أن يكونوا منهم . قلنا أنت أعلم .

وأخرجه أحمد (٢/٢٨٨ و ٢٩٩ و ٣٢٨ و ٤٠٤) من طريق آخر عن أبى هريرة.

* * *

ما جاء فى خلافة النبوة

قال أبو داود رحمه الله (٤٦٤٦) :

حدثنا سوار بن عبد الله : حدثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن سعيد بن جمهان ، عن سفينة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتى الله الملك أو ملكه من يشاء** » .

رجاله ثقات[١]

قال سعيد : قال لى سفينة : أمسك عليك أبا بكر سنتين ، وعُمر عشراً وعثمان اثنتى عشرة وعلى كذا[٢] . قال سعيد : قلت لسفينة : إن هؤلاء يزعمون أن علياً عليه السلام لم يكن بخليفة قال كذبت أستاه[٣] بنى الزرقاء يعنى مروان .

قلت : والحديث أخرجه أبو داود أيضاً (٤٦٤٧) ، والحاكم فى « المستدرك » (١٤٥/٣) وسكت عليه .

وأخرجه الترمذى (٢٢٢٦) ، وقال : « هذا حديث حسن قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان ولا نعرفه إلا من حديث سعيد بن جمهان » .

---

(١) وفى إسناده سعيد بن جمهان قد وثقه غير واحد من أهل العلم ، إلا أن يحيى ابن معين قال : « روى عن سفينة أحاديث لا يرويها غيره ، وأرجو أنه لا بأس به » ، وقال البخارى : « فى حديثه عجائب » .

(٢) فى رواية الحاكم : « وعلىّ ست سنين » . وهى مقتضى إتمام الثلاثين .

(٣) قال صاحب عون المعبود (٣٩٩/٢) : « الأستاه جمع أست وهو العجز ويطلق على حلقة الدبر ، وأصله سته بفتحتين والجمع أستاه ، والمراد أنه كلمة خرجت من دبرهم ، والزرقاء امرأة من أمهات بنى أمية . كذا فى فتح الودود » .

بقاء الدِّين إلى اثنى عشر خليفة

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٨٢٢) :

حدثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبى شيبة ، قالا : حدثنا حاتم (وهو ابن إسماعيل) ، عن المهاجر بن مسمار ، عن عامر بن سعد بن أبى وقاص ، قال : كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامى نافع أن أخبرنى بشىء سمعته من رسول الله ﷺ ، قال : فكتب إلَىَّ : سمعت رسول الله ﷺ يوم جمعة عشية رجم الأسلمى ، يقول : « **لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش** » ، وسمعته يقول : « **عصيبة من المسلمين يفتتحون البيت الأبيض ، بيت كسرى أو آل كسرى** » ، وسمعته يقول : « **إن بين يدى الساعة كذابين ، فاحذروهم** » ، وسمعته يقول : « **إذا أعطى الله أحدكم خيراً فليبدأ بنفسه وأهل بيته** » ، وسمعته يقول : « **أنا الفَرَطُ على الحوض** » .

حسن

* * *

دوران رحى الإسلام لخمس وثلاثين ..

قال أبو داود رحمه الله (٤٢٥٤) :

حدثنا محمد بن سليمان الأنبارى : حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن منصور ، عن ربعى بن حراش ، عن البراء بن ناجية ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبى ﷺ قال : « **تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين ، فإن يهلكوا فسبيل من هلك ، وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاماً** » . قال : قلت[1] : أمما بقى أو مما مضى ؟ قال : « **مما مضى** » .

صحيح لغيره[2]

---

(١) من الواضح أن القائل : « قلت » ، هو عبد الله بن مسعود ، وكذا عند أحمد أيضاً ، إلا أنه عند أحمد كذلك (٣٩٣/١) « فقال له عمر : يا رسول الله ، ما مضى أو ما بقى ؟ قال : **ما بقى** » .

(٢) ففى إسناده البراء بن ناجية ، حاله لا يرتقى للتوثيق ، لكن قد تابعه عبد الرحمن ابن عبد الله بن مسعود عن أبيه مرفوعاً (بدون ذكر : « قلت أمما بقى » ...) . أخرجه أحمد (٣٩٠/١ و ٤٥١) وابن حبان (موارد الظمآن ١٨٦٥) إلا أنه فى سماع عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود خلاف بين أهل العلم ، ويخشى أن يكون قد أسقط البراء بن ناجية من السند . فالله أعلم .

أما بالنسبة لشرح الحديث ..

فقال العلامة أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادى (عون المعبود ٣٢٧/١١) : (**تدور رحى الإسلام بخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين**) : « اعلم أن العلماء اختلفوا فى بيان معنى دوران رحى الإسلام على قولين : =

وأخرجه أحمد (٣٩٣/١) ، والحاكم في « المستدرك » (٥٢١/٤) ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، وقال الذهبي : « صحيح » ، والدارقطني في « العلل » (٤٤/٥) .

= الأول : أن المراد منه استقامة أمر الدين واستمراره ، وهذا قول الأكثرين .

والثاني : أن المراد منه الحرب والقتال ، وهذا قول البغوي والخطابي .

قال العلامة الأردبيلي في « الأزهار شرح المصابيح » : قال الأكثرون : المراد بدوران رحى الإسلام استمرار أمر النبوة والخلافة واستقامة أمر الولاة وإقامة الحدود والأحكام من غير فتور ولا فطور إلى سنة خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين من الهجرة بدليل قوله ﷺ في آخر الحديث : (مما مضى) . وقال الخطابي في « المعالم » والشيخ في « شرح السنة » : المراد بدوران رحى الإسلام الحرب والقتال ، وشبهها بالرحى الدوارة بالحب لما فيها من تلف الأرواح والأشباح » انتهى .

فإن قلت : إرادة الحرب من دوران رحى الإسلام أظهر وأوضح من إرادة استقامة أمر الدين واستمراره لأن العرب يكنون عن الحرب بدوران الرحى ، قال الشاعر :

فدارتْ رحانا واستدارتْ رحاهمُ

فكيف اختار الأكثرون الأول دون الثاني ؟ .

قلت : لا شك أن العرب يكنون عن الحرب بدوران الرحى ، لكن إذا كان في الكلام ذكر الحرب صراحة أو إشارة . وليس في الحديث ذكر الحرب أصلاً .

قال التوربشتي رحمه الله : « إنهم يكنون عن اشتداد الحرب بدوران الرحى ، ويقولون : دارت رحى الحرب ، أي استتب أمرها ، ولم نجدهم استعملوا دوران الرحى في أمر الحرب من غير جريان ذكرها أو الإشارة إليها ، وفي هذا الحديث لم يذكر الحرب وإنما قال : « رحى الإسلام » فالأشبه أنه أراد بذلك أن الإسلام يستتب أمره ويدوم على ما كان عليه المدة المذكورة في الحديث ، ويصح أن يستعار دوران الرحى في الأمر الذي يقوم لصاحبه ويستمر له ، فإن الرحى توجد على نعت الكمال ما دامت دائرة مستمرة ، ويقال : فلان صاحب =

= دارتهم ، إذا كان أمرهم يدور عليه ، ورحى الغيث معظمه ، ويؤيد ما ذهبنا إليه ما رواه الحربى فى بعض طرقه « تزول » رحى الإسلام مكان « تدور » ، ثم قال : كأن تزول أقرب لأنها تزول عن ثبوتها واستقرارها » . وكلام التوربشتى هذا ذكره القارى فى المرقاة .

وقال ابن الأثير فى « النهاية » : « يقال : دارت رحى الحرب ، إذا قامت على ساقها ، وأصل الرحى التى يطحن بها ، والمعنى : أن الإسلام يمتد قيام أمره على سنن الاستقامة والبعد من إحداثات الظلمة إلى تقضى هذه المدة التى هى بضع وثلاثون » . انتهى .

ثم اعلم أن اللام فى قوله : (خمس) للوقت أو بمعنى إلى ؟ قال الأردبيلى : « واللام فى لخمس للوقت ، كما لو قال أنت طالق لرمضان أى وقته . قال الله تعالى : ﴿ **أقم الصلاة لدلوك الشمس** ﴾ ، وقيل : بمعنى إلى لأن حروف الجارة يوضع بعضها موضع بعض » انتهى .

قلت : كون اللام فى (لخمس) بمعنى إلى هو الأظهر كما لا يخفى . فإن قلت : قد ذكر فى الحديث انتهاء مدة دوران رحى الإسلام ، ولم يذكر فيه ابتداء مدته فمن أى وقت يراد الابتداء ؟ .

قلت : يجوز أن يراد الابتداء من الهجرة أو من الزمان الذى بقيت فيه من عمره ﷺ خمس سنين أو ست سنين .

قال فى « جامع الأصول » : « قيل : إن الإسلام عند قيام أمره على سنن الاستقامة والبعد من إحداثات الظلمة إلى أن ينقضى مدة خمس وثلاثين سنة ، ووجهه أن يكون قد قاله وقد بقيت من عمره ﷺ خمس سنين أو ست ، فإذا انضمت إليها مدة الخلفاء الراشدين ، وهى ثلاثون سنة كانت بالغة ذلك المبلغ . وإن كان أراد سنة خمس وثلاثين من الهجرة ، ففيها خرج أهل مصر وحصروا عثمان رضى الله عنه ، وإن كانت سنة ست وثلاثين ففيها كانت وقعة الجمل وإن كانت سنة سبع وثلاثين ففيها كانت وقعة صفين » انتهى .

(فإن يهلكوا فسبيل من هلك وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاماً). =

= اعلم ، أنهم لما اختلفوا فى المراد بدوران رحى الإسلام على القولين المذكورين ، اختلفوا فى بيان معنى هذا الكلام وتفسيره أيضاً على قولين ، فتفسير هذا الكلام على قول الأكثرين هكذا : فقوله : « **فإن يهلكوا** » يعنى بالتغيير والتبديل والتحريف والخروج على الإمام وبالمعاصى والمظالم وترك الحدود وإقامتها ، وقوله : « **فسبيل من هلك** » أى فسبيلهم فى الهلاك بالتغيير والتبديل والوهن فى الدين سبيل من هلك من الأمم السالفة والقرون الماضية فى الهلاك بالتغيير والتبديل والوهن فى الدين .

وقوله : « **وإن يقم لهم دينهم** » : أى لعدم التغيير والتبديل والتحريف والوهن يقم لهم سبعين عاماً وعلى قول الخطابى والشيخ معناه ، فإن يهلكوا بترك الحرب والقتال فسبيلهم سبيل من هلك بذلك من الأمم السالفة والقرون الماضية ، وإن يقم لهم دينهم بإقامة الحرب والقتل والقتال يقم لهم سبعين عاماً . هكذا قرر الأردبيلى رحمه الله ، وليس الهلاك فيه على حقيقته بل سمى أسباب الهلاك والاشتغال بما يؤدى إلى الهلاك هلاكاً .

فإن قلت : فى هذا الكلام موعدان : الأول : أنهم إن يهلكوا فسبيلهم سبيل من هلك – والثانى : أنهم إن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاماً ، وهذان الموعدان لا يوجدان معاً بل إن وجد الأول لا يوجد الثانى ، وإن وجد الثانى لا يوجد الأول ، فأى من هذين الموعدين وجد ووقع .

قلت : قال القارى فى « المرقاة » : « قد وقع المحذور فى الموعد الأول و لم يزل ذلك كذلك إلى الآن » انتهى .

قلت : لا شك فى وقوعه فقد ظهر بعد انقضاء مدة الخلفاء الراشدين ما ظهر وجرى ما جرى ، فلما وقع ما فى الموعد الأول ارتفع الموعد الثانى كما لا يخفى على المتأمل .

فإن قلت : قال الخطابى : يحتمل أن يكون المراد بالدين هنا الملك . قال : ويشبه أن يكون أراد بهذا ملك بنى أمية وانتقاله عنهم إلى بنى العباس ، وكان ما بين استقرار الملك لبنى أمية ، إلى أن ظهرت دعاة الدولة العباسية بخراسان ، وضعف أمر بنى أمية ودخل الوهن فيه نحواً من سبعين سنة ، فعلى قول الخطابى =

....

= هذا يظهر أن الموعد الثانى قد وقع .

قلت : قول الخطابى هذا ضعيف جداً بل باطل قطعاً ، ولذلك تعقب عليه من وجوه .

● قال ابن الأثير بعد نقل قوله : « هذا التأويل ، كما تراه ، فإن المدة التى أشار إليها لم تكن سبعين سنة ولا كان الدين فيها قائماً » انتهى .

● وقال الأردبيلى – بعد نقل كلامه : « وضعفوه بأن ملك بنى أمية كان ألف شهر وهو ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر » انتهى .

● وقال التوربشتى بعد نقل قوله : « يرحم الله أبا سليمان ، أى الخطابى ، فإنه لو تأمل الحديث كل التأمل وبنى التأويل على سياقه ، لعلم أن النبى ﷺ لم يرد بذلك ملك بنى أمية دون غيرهم من الأمة ، بل أراد به استقامة أمر الأمة فى طاعة الولاة وإقامة الحدود والأحكام ، وجعل المبدأ فيه أول زمان الهجرة ، وأخبرهم أنهم يلبثون على ما هم عليه خمساً وثلاثين أو ستاً وثلاثين أو سبعاً وثلاثين ، ثم يشقون عصا الخلاف فتفرق كلمتهم ، فإن هلكوا فسبيلهم سبيل من قد هلك قبلهم ، وإن عاد أمرهم إلى ما كان عليه من إيثار الطاعة ونصرة الحق يتم لهم ذلك إلى تمام السبعين » .

هذا مقتضى اللفظ ، ولو اقتضى اللفظ أيضاً غير ذلك لم يستقم لهم ذلك القول ، فإن الملك فى أيام بعض العباسية لم يكن أقل استقامة منه فى أيام المروانية ، ومدة إمارة بنى أمية من معاوية إلى مروان بن محمد كانت نحواً من تسع وثمانين سنة ، والتواريخ تشهد له مع أن بقية الحديث ينقض كل تأويل يخالف تأويلنا هذا ، وهى قول ابن مسعود : قلت : يا رسول الله (أمما بقى أو مما مضى) ، يريد أن السبعين تتم لهم مستأنفة بعد خمس وثلاثين أم تدخل الأعوام المذكورة فى جملتها قال : « **مما مضى** » ، يعنى يقوم لهم أمر دينهم إلى =

....

= تمام سبعين سنة ، من أول دولة الإسلام لا من انقضاء خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين إلى انقضاء سبعين .

هذا ، وقد نقل الشيخ ناصر الألبانى حفظه الله (فى سلسلة الأحاديث الصحيحة ٩٧٦) عن الخطيب البغدادى قوله : « (**تدور رحى الإسلام**) مثل يريد أن هذه المدة إذا انتهت حدث فى الإسلام أمر عظيم يخاف لذلك على أهله الهلاك يقال للأمر إذا تغير واستحال : قد دارت رحاه وهذا - والله أعلم - إشارة إلى انقضاء مدة الخلافة .

وقوله : (**يقم لهم دينهم**) أى ملكهم وسلطانهم ، والدين الملك والسلطان ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك** ﴾ وكان بين مبايعة الحسن بن علىّ معاوية بن أبى سفيان إلى انقضاء ملك بنى أمية من المشرق نحواً من سبعين سنة » .

ونقل عن الطحاوى قوله : « قوله : (**بعد خمس وثلاثين أو ست وثلاثين ..**) ليس ذلك على الشك ، ولكن يكون ذلك فيما يشاء الله عز وجل من تلك السنين ، فشاء الله عز وجل أن كان ذلك فى سنة خمس وثلاثين ، فتهيأ فيها على المسلمين حصر إمامهم وقبض يده عما يتولاه عليهم مع جلالة مقداره لأنه من الخلفاء الراشدين المهديين ، حتى كان ذلك سبباً لسفك دمه رضوان الله عليه وحتى كان ذلك سبباً لوقوع اختلاف الآراء ، فكان ذلك مما لو هلكوا عليه لكان سبيل من هلك لعظمه ، ولما حل بالإسلام منه ، ولكن الله ستر وتلافى وخلف نبيه فى أمته من يحفظ دينهم عليهم ويبقى ذلك لهم » .

* * *

حديث « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُجدد لها دينها »

أخرجه أبو داود (٤٢٩١) والحاكم فى « المستدرك » (٤/٥٢٢ - ٥٢٣) وسكت عنه هو والذهبى .

وأخرجه أيضاً الخطيب البغدادى فى « التاريخ » (٢/٦١) من طريق ابن وهب : أخبرنى سعيد بن أبى أيوب ، عن شراحيل بن يزيد المعافرى ، عن أبى علقمة ، عن أبى هريرة - فيما أعلم - عن رسول الله ﷺ .. فذكره

قال أبو داود : « رواه عبد الرحمن بن شريح الاسكندرانى لم يُجزْ به شراحيل » .

قلت : وشراحيل بن يزيد روى عنه جماعة ولم يوثقه سوى ابن حبان ، وأيضاً قد ورد فى الحديث تردد ألا وهو قوله :« - فيما أعلم - »، وفى رواية للحاكم : « ولا أعلمه إلا عن رسول الله ﷺ ومثل هذا التردد يضر بصحة الحديث ولا سيما أن أبا داود رحمه الله ذكر أن عبد الرحمن ابن شريح الاسكندارنى لم يجز به شراحيل أى أنه جعله من قول شراحيل أى مقطوعاً ، وعليه فإننا لا نرى صحة هذا الحديث . والله أعلم .

وإذا قال قائل : لماذا أوردناه مع رؤيتنا لعدم ثبوته ؟ قلنا : لأنه قد قال بمقتضاه عدد من سلف الأمة ، وأوردوا فيه كلاماً طويلاً ، فلا بأس أن نورد بعض هذا الكلام .

أما قوله : (**على رأس كل مائة سنة**) . فقد قال المناوى (فى فيض القدير (جـ١ ص١٠) : « يحتمل من المولد النبوى أو البعثة أو الهجرة أو الوفاة ،

ولو قيل بأقربية الثانى لم يبعد ، لكن صنيع السبكى وغيره مصرح بأن المراد الثالث » .

هذا ، وقد ذكر المناوى أن المراد برأس الشيء أوله بينما خالفه غيره .

فقال صاحب العون (٣٨٦/١١) :

(تنبيه) اعلم أن المراد من رأس المائة فى هذا الحديث آخرها ، قال فى « مجمع البحار » : « والمراد من انقضت المائة وهو حى عالم مشهور » انتهى .

وقال الطيبى : « المراد بالبعث من انقضت المائة وهو حى عالم يشار إليه » .

وقال المناوى أيضاً فى « فيض القدير » : قوله : (**أمر دينها**) أى ما اندرس من أحكام الشريعة وما ذهب من معالم السنن وخفى من العلوم الدينية الظاهرة والباطنة حسبما نطق به الخبر الآتى ، وهو : (إن الله يبعث .. إلى آخره) وذلك لأنه سبحانه لما جعل المصطفى خاتمة الأنبياء والرسل ، وكانت حوادث الأيام خارجة عن التعداد ومعرفة أحكام الدين لأزمة إلى يوم التناد ، ولم تف ظواهر النصوص ببيانها بل لابد من طريق وافٍ بشأنها اقتضت حكمة الملك العلام ظهور قرم من الأعلام فى غرة كل قرن ليقوم بأعباء الحوادث إجراء لهذه الأمة على علمائهم مجرى بنى إسرائيل مع أنبيائهم ، فكان فى المائة الأولى عمر بن عبد العزيز ، والثانية الشافعى ، والثالثة الأشعرى أو ابن شريح ، والرابعة الاسفرائينى أو الصعلوكى أو الباقلانى ، والخامسة حجة الإسلام الغزالى ، والسادسة الإمام الرازى أو الرافعى ، والسابعة ابن دقيق العيد ، ذكره السبكى ، وجعل الزين العراقى فى الثامنة الأسنوى ، بعد نقله عن بعضهم أنه جعل فى الرابعة أبا إسحاق

الشيرازى ، والخامسة السلفى ، والسادسة النووى انتهى ، وجعل غيره فى الثامنة البلقينى ولا مانع من الجمع فقد يكون المجدد أكثر من واحد . قال الذهبى : « مَنْ » هنا للجمع لا للمفرد فنقول مثلاً على رأس الثلاثمائة ابن شريح فى الفقه والأشعرى فى الأصول والنسائى فى الحديث وعلى الستمائة مثلاً الفخر الرازى فى الكلام والحافظ عبد الغنى فى الحديث » .

وقال فى « جامع الأصول » : قد تكلموا فى تأويل هذا الحديث ، وكلٌّ أشار إلى القائم الذى هو من مذهبه وحملوا الحديث عليه ، والأولى العموم فإن (مَنْ) تقع على الواحد والجمع ولا تختص أيضاً بالفقهاء ، فإن انتفاع الأمة يكون أيضاً بأولى الأمر وأصحاب الحديث والقراء والوعاظ ، لكن المبعوث ينبغى كونه مشاراً إليه فى كل من هذه الفنون ففى رأس الأولى من أولى الأمر عمر بن عبد العزيز ، ومن الفقهاء محمد الباقر والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله والحسن وابن سيرين وغيرهم من طبقتهم، ومن القراء ابن كثير[1] ، ومن المحدثين الزهرى .

وفى رأس المائة الثانية من أولى الأمر المأمون ، ومن الفقهاء الشافعى واللؤلؤى من أصحاب أبى حنيفة وأشهب من أصحاب مالك ، ومن الإمامية على بن موسى الرضى[2] ومن القراء الحضرمى ، ومن المحدثين ابن معين ، ومن الزهاد الكرخى ، وفى الثالثة من أولى الأمر المقتدر ، ومن الفقهاء ابن شريح الشافعى والطحاوى الحنفى والجلال الحنبلى ، ومن المتكلمين الأشعرى ، ومن المحدثين النسائى ، وفى الرابعة من أولى الأمر القادر ، ومن

---

(١) ليس هو ابن كثير المفسر ، إنما هو ابن كثير صاحب القراءة الشهيرة ، أما ابن كثير صاحب التفسير فهو متأخر عن هذا بمراحل .

(٢) قد تعقب صاحب « جامع الأصول » لعده على بن موسى الرضى من المجددين (انظر عون المعبود ١١/٣٩٢) .

الفقهاء الاسفرائِينى الشافعى والخوارزمى الحنفى وعبد الوهاب المالكى والحسين الحنبلى ، ومن المتكلمين ابن فورك والباقلانى ، ومن المحدثين الحاكم ، ومن الزهاد الثورى[1] ، وهكذا يقال فى بقية القرون .

وقال فى « الفتح » نبه بعض الأئمة على أنه لا يلزم أن يكون فى رأس كل قرن واحد فقط بل الأمر فيه كما ذكره النووى فى حديث « **لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين** » من أنه يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب وفقيه ومحدث ومفسر وقائم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وزاهد وعابد ، ولا يلزم اجتماعهم فى بلد واحد بل يجوز اجتماعهم فى قطر واحد وتفرقهم فى الأقطار ، ويجوز تفرقهم فى بلد وأن يكونوا فى بعض دون بعض ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولاً إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد فإذا انقرضوا أتى أمر الله » .

قال الحافظ ابن حجر : « وهذا متجه فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا تنحصر فى نوع من الخير ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها فى شخص واحد إلا أن يُدعى ذلك فى عمر بن عبد العزيز فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها ، ومن ثم ذكر أحمد أنهم كانوا يحملون عنه الحديث ، وأما من بعده فالشافعى وإن اتصف بالصفات الجميلة والفضائل الجمة لكنه لم يكن القائم بشأن الجهاد والحكم بالعدل فعلى هذا كل من اتصف بشىء من ذلك عند رأس المائة هو المراد تعدد أم لا » انتهى .

هذا ولمزيد شرح لهذا الحديث راجع (عون المعبود شرح سنن أبى داود ٣٨٦/١١ - ٣٩٦) .

---

(١) إذا كان مراده سفيان الثورى فهو متقدم عن المذكورين معه بمدة طويلة .

الفتن من قبل المشرق

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٤٩٨) :

حدثنا علىّ بن عبد الله : حدثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن قيس ، عن أبى مسعود يبلغ به النبى ﷺ ، قال : « **من هاهنا جاءت الفتنُ نحو المشرق ، والجفاءُ وغلظ القلوب فى الفدادين[١] أهل الوبر[٢] عند أصول أذناب الإبل والبقر فى ربيعة ومضر** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٥١) .

---

(١) قال النووى رحمه الله (٢٣٥/١) : « والصواب فى (الفدادين) بتشديد الدال جمع (فداد) بدالين أولاهما مشددة ، وهذا قول أهل الحديث والأصمعى وجمهور أهل اللغة وهو من (الفديد) وهو الصوت الشديد ، فهم الذين تعلو أصواتهم فى إبلهم وخيلهم وحروثهم ونحو ذلك ، وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى هم المكثرون من الإبل الذين يملك أحدهم المائتين منها إلى الألف .

وقوله : « **إن القسوة فى الفدادين عند أصول أذناب الإبل** » : معناه الذين لهم جلبة وصياح عند سَوْقِهِم لها ، وقوله ﷺ : « **حيث يطلع قرنا الشيطان فى ربيعة ومُضَر** » ، قوله ربيعة ومضر بدل من الفدادين .

وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله (٣٥٢/٦) نحواً من كلام النووى وقال : « وقال أبو العباس : « الفدادون » هم الرعاة والجمالون ، وقال الخطابى : إنما ذم هؤلاء لاشتغالهم بمعالجة ما هم فيه عن أمور دينهم وذلك يفضى إلى قساوة القلب ».

(٢) قال الحافظ فى «الفتح»: (قوله :(**أهل الوبر**)بفتح الواو والموحدة، أى ليسوا من أهل المدر، لأن العرب تعبر عن أهل الحضر بأهل المدر وعن أهل البادية بأهل الوبر، واستشكل بعضهم ذكر الوبر بعد ذكر الخيل، وقال إن الخيل لا وبر لها، ولا إشكال فيه لأن المراد ما بينته، وقوله فى آخر الحديث: (**فى ربيعة ومضر**) أى فى الفدادين منهم».

رأس الكفر نحو المشرق

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٣٠١) :

حدثنا عبد الله بن يوسف : أخبرنا مالك ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « **رأسُ الكفر نحو المشرق ، والفخرُ والخُيلاءُ فى أهلِ الخيل والإبل والفدَّادين أهلِ الوبر ، والسكينةُ فى أهلِ الغنم** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٥٢) .

غلظُ القلوبِ والجفاءُ فى المشرق

قال الإمام مسلم رحمه الله (٥٣) :

وحدثنا إسحاق بن إبراهيم : أخبرنا عبد الله بن الحارث المخزومى ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : قال رسولُ الله ﷺ : « **غلظ القلوب والجفاء فى المشرق ، والإيمان فى أهل الحجاز** » .

صحيح

طلوع قرن الشيطان من قبل المشرق

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٩٣) :

حدثنا قتيبة بن سعيد : حدثنا ليث ، عن نافع ، عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول : « **ألا إن الفتنة هاهنا**

من حيث يطلع قرن الشيطان »[1] .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٠٥) .

---

(١) قال النووى فى شرح مسلم (٢٣٥/١) : « وأما قرنا الشيطان فجانبا رأسه ، وقيل : هما جمعاه اللذان يغريهما بإضلال الناس وقيل : شيعتاه من الكفار ، والمراد بذلك اختصاص المشرق بمزيد من تسلط الشيطان ومن الكفر كما قال فى الحديث الآخر : « **رأس الكفر نحو المشرق** » ، وكان ذلك فى عهده ﷺ حين قال ذلك ويكون حين يخرج الدجال من المشرق ، وهو فيما بين ذلك منشأ الفتن العظيمة ، ومثار الكفرة الترك الغاشمة العاتية الشديدة البأس » .

قلت : وفى رواية (قرن الشمس) قال الداودى - كما نقل عنه الحافظ فى « الفتح » (٤٦/١٣) : للشمس قرن حقيقة ويحتمل أن يريد بالقرن قوة الشيطان وما يستعين به على الإضلال وهذا أوجه ، وقيل : إن الشيطان يقرن رأسه بالشمس عند طلوعها ليقع سجود عبدتها له ، قيل : ويحتمل أن يكون للشمس شيطان تطلع الشمس بين قرنيه . وقال الخطابى : القرن الأمة من الناس يحدثون بعد فناء آخرين ، وقرن الحية أن يضرب المثل فيما لا يحمد من الأمور ، وقال غيره : كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر فأخبر ﷺ أن الفتنة تكون من تلك الناحية فكان كما أخبر ، وأول الفتن كان من قبل المشرق فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين ، وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة .

وقال الخطابى : نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها وهى مشرق أهل المدينة ، وأصل النجد ما ارتفع من الأرض ، وهو خلاف الغور فإنه ما انخفض منها ، وتهامة كلها من الغور ، ومكة من تهامة » انتهى .

وعرف بهذا وهاء ما قاله الداودى : إن نجداً من ناحية العراق فإنه توهم أن نجداً موضع مخصوص ، وليس كذلك بل كل شىء ارتفع بالنسبة إلى ما يليه يسمى المرتفع نجداً والمنخفض غوراً .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٩٤) :

حدثنا علىّ بن عبد الله : حدثنا أزهر بن سعد ، عن ابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : ذكر النبى ﷺ : « **اللهم بارك لنا فى شامنا اللهم بارك لنا فى يمننا** » قالوا : يا رسول الله ، وفى نجدنا ، قال : « **اللهم بارك لنا فى شامنا ، اللهم بارك لنا فى يمننا** » ، قالوا : يا رسول الله ، وفى نجدنا ، فأظنه قال فى الثالثة : « **هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشطيان** » .

صحيح

وأخرجه الترمذى (٣٩٥٣) ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث ابن عون ، وقد روى هذا الحديث أيضاً عن سالم بن عبد الله ابن عمر عن أبيه عن النبى ﷺ » .

قال الإمام مسلم رحمه الله (حديث ٢٩٠٥ ص٢٢٢٩) :

حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان وواصل بن عبد الأعلى وأحمد بن عمر الوكيعى (واللفظ لابن أبان) ، قالوا : حدثنا ابن فضيل ، عن أبيه ، قال : سمعت سالم بن عبد الله بن عمر يقول : يا أهل العراق ! ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة ! سمعت أبى عبد الله بن عمر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الفتنة تجىء من هاهنا** » ، وأومأ بيده نحو المشرق « **من حيث يطلع قرن الشيطان** » وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض ، وإنما قتل موسى الذى قتل من آل فرعون خطأً فقال الله عز وجل : ﴿ **وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتوناً** ﴾ .

صحيح

قال أحمد بن عمر فى روايته : « عن سالم » : لم يقل : « سمعت » .

ذكر مسيلمة الكذاب

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٣٣) :

حدثنى سعيد بن محمد أبو عبد الله الجرمى : حدثنا يعقوب بن إبراهيم : حدثنا أبى ، عن صالح ، عن ابن عبيدة بن نشيط[١] ، قال قال عبيد الله بن عبد الله : سألت عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن رؤيا رسول الله ﷺ التى ذكر ؟ فقال ابن عباس : ذُكِرَ لى أن رسولَ الله ﷺ قال : « **بينا أنا نائمٌ ، رأيتُ أنه وضع فى يدى سواران من ذهبٍ فقطعتهما وكرهتهما ، فأذن لى فنفختهما فطارا[٢] فأولتهما كذابان يخرجان** » .

حسن

فقال عبيد الله : « أحدهما العنسى الذى قتله فيروز فى اليمن ، والآخر مسيلمة » .

---

(١) هو عبد الله بن عبيدة بن نشيط وقد وثقه بعض أهل العلم وضعفه آخرون وحديثه لا ينزل عن الحسن وعلى كل فللحديث طرق ترقيه إلى الصحة .

(٢) قال الحافظ فى « الفتح » (١٢/٤٢٤) : « وفى ذلك إشارة إلى حقارة أمرهما لأن شأن الذى ينفخ فيذهب بالنفخ أن يكون فى غاية الحقارة ، ورده ابن العربى بأن أمرهما كان فى غاية الشدة و لم ينزل بالمسلمين قبله مثله . قلت : وهو كذلك لكن الإشارة إنما هى للحقارة المعنوية لا الحسية ، وفى طيرانهما إشارة إلى اضمحلال أمرهما كما تقدم .

وقوله : (**فأولتهما الكذابين**) . قال القاضى عياض : لما كان رؤيا السوارين فى اليدين جميعاً من الجهتين ، وكان النبى ﷺ حينئذ بينهما فتأول السوارين عليهما لوضعهما فى غير موضعهما لأنه ليس من حلية الرجال ، وكذلك الكذاب يضع الخبر فى غير موضعه ، وفى كونهما من ذهب إشعار بذهاب أمرهما » .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٤٣٧٣) :

حدثنا أبو اليمان : أخبرنا شعيب ، عن عبد الله بن أبى حسين[1] : حدثنا نافع ابن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قدم مُسيلمة الكذابُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ فجعل يقول : إن جعل لى محمدٌ الأمر من بعده تبعته . وقدمها فى بشرٍ كثيرٍ من قومه ، فأقبل إليه رسولُ الله ﷺ ومعه ثابتُ بن قيس بن شماس وفى يد رسول الله ﷺ قطعةٌ من جريد ، حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه فقال : « **لو سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها ، ولن تعدو أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك اللّهُ ، وإنى لأُراك الذى أُريتُ فيه ما رأيتُ ، وهذا ثابت يجيبك عنى** » ، ثم انصرف عنه .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٢٧٣) ، والترمذى (٢٢٩٢) ، وقال : « هذا حديث صحيح حسن غريب » ، وعزاه المزى للنسائى .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٣٦) :

حدثنى إسحاق بن إبراهيم الحنظلى : حدثنا عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن همام بن منبه ، قال : هذا ما حدثنا به أبو هريرة ، عن رسولِ الله ﷺ ، قال : « **نحن الآخرون السابقون** » . وقال رسولُ الله ﷺ : « **بينا أنا نائمٌ إذ أتيتُ خزائن الأرض فوضع فى يدى سواران من ذهبٍ فكبرا علىَّ وأهمانى ، فأوحى إلىَّ أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما**[2] **صاحبُ صنعاء وصاحب اليمامة** » .

صحيح

---

(١) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وهو ثقة .

(٢) قال الحافظ فى « الفتح » (١٢/٤٢٤) : « قوله (اللذين أنا بينهما) ظاهر فى =

وأخرجه مسلم ص١٧٨١ .

* * *

= أنهما كانا حين قص الرؤيا موجودين ، وهو كذلك لكن وقع فى رواية ابن عباس « يخرجان بعدى » والجمع بينهما أن المراد بخروجهما بعده ظهور شوكتهما ومحاربتهما ودعواهما النبوة نقله النووى عن العلماء ، وفيه نظر لأن ذلك كله ظهر للأسود بصنعاء فى حياته ﷺ فادعى النبوة وعظمت شوكته وحارب المسلمين وفتك فيهم وغلب على البلد وآل أمره إلى أن قُتل فى حياة النبى ﷺ وأما مسيلمة فكان ادعى النبوة فى حياة النبى ﷺ لكن لم تعظم شوكته ولم تقع محاربته إلا فى عهد أبى بكر فإما أن يحمل ذلك على التغليب وإما أن يكون المراد بقوله بعدى أى بعد نبوتى » .

عرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٤٤) ص١٢٨ :

وحدثنا محمد بن عبد الله بن نمير : حدثنا أبو خالد – يعنى : سليمان بن حيان – عن سعد بن طارق ، عن ربعى عن حذيفة ، قال : كنا عند عمر **فقال أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن ؟ فقال قوم : نحن سمعناه . فقال : لعلكم تعنون فتنة الرجل فى أهله وجاره ؟ قالوا : أجل . قال : تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة ، ولكن أيكم سمع النبى ﷺ يذكر الفتن التى تموج موج البحر ؟ قال حذيفة : فأسكت القوم ، فقلت : أنا . قال : لله أبوك[1] . قال حذيفة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً[2] ، أى قلب أشربها نكت فيه**

---

(١) قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٣٥٤/١)) : وقوله (لله أبوك) كلمة مدح تعتاد العرب الثناء بها فإن الإضافة إلى العظيم تشريف ، ولهذا يقال بيت الله وناقة الله ، قال صاحب التحرير : فإذا وجد من الولد ما يحمد قيل له : لله أبوك حيث أتى بمثلك .

(٢) قال النووى رحمه الله : « وقوله ﷺ : « **تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً** » هذان الحرفان مما اختلف فى ضبطه على ثلاثة أوجه : أظهرها وأشهرها « عُوداً عُوداً » بضم العين وبالدال المهملة ، والثانى : بفتح العين وبالدال المهملة أيضاً ، والثالث : بفتح العين وبالذال المعجمة ولم يذكر صاحب التحرير غير الأول ، وأما القاضى عياض فذكر هذه الأوجه الثلاثة عن أئمتهم واختار الأول أيضاً ، قال واختار شيخنا أبو الحسين بن سراج فتح العين والدال المهملة قال : ومعنى (**تعرض**) أى تلصق بعرض القلوب أى جانبها كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه شدة التصاقها به . قال : ومعنى (**عوداً عوداً**) =

نكتة سوداء وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين ، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه » .

قال حذيفة : وحدثته أن بينك وبينها باباً مغلقاً يوشك أن يكسر . قال عمر : أكسراً ، لا أبالك ، فلو أنه فتح لعله كان يعاد . قلت : لا ، بل يكسر ، وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت حديثاً ليس بالأغاليط .

صحيح

قال أبو خالد : فقلت لسعد : يا أبا مالك ! ما أسود مرباداً ؟ قال شدة البياض فى سواد . قال : قلت : فما الكوز مجخياً ؟ قال : منكوساً .

= أى تعاد وتكرر شيئاً بعد شىء . قال ابن سراج : ومن رواه بالذال المعجمة فمعناه سؤال الاستعاذة منها ، كما يقال : غفراً غفراً وغفرانك أى نسألك أن تعيذنا من ذلك وأن تغفر لنا ، وقال الأستاذ أبو عبد الله بن سليمان : معناه تظهر على القلوب أى تظهر لها فتنة بعد أخرى .

وقوله : (**كالحصير**) أى كما ينسج الحصير عوداً عوداً وشظية بعد أخرى ، قال القاضى : وعلى هذا يترجح رواية ضم العين ، وذلك أن ناسج الحصير عند العرب كلما صنع عوداً أخذ آخر ونسجه ، فشبه عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها واحداً بعد واحد . قال القاضى : وهذا معنى الحديث عندى وهو الذى يدل عليه سياق لفظه وصحة تشبيهه . والله أعلم .

قوله ﷺ : « **فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء** » معنى (**أشربها**) دخلت فيه دخولًا تاماً وألزمها وحلت منه محل الشراب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وأشربوا فى قلوبهم العجل** ﴾ أى =

....

= حب العجل ومنه قولهم : ثوب مشرب بحمرة أى خالطته الحمرة مخالطة لا انفكاك لها ومعنى (**نكت نكتة**) : نقط نقطة وهى بالتاء المثناة فى آخره . قال ابن دريد وغيره كل نقطة فى شىء بخلاف لونه فهو نكت ، ومعنى (**أنكرها**) ردها . والله أعلم .

وقوله ﷺ : (**حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه**) قال القاضى عياض رحمه الله : ليس تشبيهه بالصفا بيانا لبياضه لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل ، وأن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفا وهو الحجر الأملس الذى لا يعلق به شىء ، وأما قوله : (**مرباداً**) فكذا هو فى روايتنا وأصول بلادنا وهو منصوب على الحال ، وذكر القاضى عياض رحمه الله خلافاً فى ضبطه ، وأن منهم من ضبطه كما ذكرناه ، ومنهم من رواه (مربئد) بهمزة مكسورة بعد الباء . قال القاضى وهذه رواية أكثر شيوخنا ، وأصله أن لا يهمز ويكون (مربد) مثل مسود ومحمر وكذا ذكره أبو عبيد والهروى ، وصححه بعض شيوخنا عن أبى مروان بن سراج لأنه من أربد إلا على لغة من قال : احمأر بهمزة بعد الميم لالتقاء الساكنين ، فيقال : اربأد ومربئد والدال مشددة على القولين ، وسيأتى تفسيره ، وأما قوله : (**مجخياً**) فهو بميم مضمومة ثم جيم مفتوحة ثم خاء معجمة مكسورة معناه مائلاً ، كذا قاله الهروى وغيره ، وفسره الراوى فى الكتاب بقوله منكوساً وهو قريب من معنى المائل ، قال القاضى عياض : قال لى ابن سراج : ليس قوله كالكوز مجخياً تشبيها لما تقدم من سواده بل هو وصف آخر من أوصافه بأنه قلب منكس حتى لا يعلق به خير ولا حكمة ومثّله بالكوز المجخى ، وبينه بقوله : لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً . قال القاضى رحمه الله : شبه القلب الذى لا يعى خيراً بالكِوز المنحرف الذى لا يثبت الماء فيه . وقال صاحب التحرير : معنى الحديث أن الرجل إذا اتبع هواه وارتكب المعاصى دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمة ، وإذا صار =

= كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام ، والقلب مثل الكوز فإذا انكب انصب ما فيه ولم يدخله شيء بعد ذلك .

وأما قوله فى الكتاب (قلت لسعد : ما أسود مربادأ ؟ فقال : شدة البياض فى سواد) . فقال القاضى عياض رحمه الله : كان بعض شيوخنا يقول إنه تصحيف وهو قول القاضى أبى الوليد الكنانى ، قال : أرى أن صوابه شبه البياض فى سواد ، وذلك أن شدة البياض فى سواد لا يسمى مربدة وإنما يقال لها : (بلق) إذا كان فى الجسم ، وحوراً إذا كان فى العين ، والربدة إنما هو شيء من بياض يسير يخالط السواد كلون أكثر النعام . ومنه قيل للنعامة : ربداء ، فصوابه شبه البياض لا شدة البياض ، قال أبو عبيدة عن أبى عمرو وغيره : الربدة لون بين السواد والغبرة ، وقال ابن دريد : الربدة لون أكدر ، وقال غيره : هى أن يختلط السواد بكدرة ، وقال الحربى : لون النعام بعضه أسود وبعضه أبيض ، ومنه أربد لونه إذا تغير دخله سواد ، وقال نفطويه : المربد الملمع بسواد وبياض ، ومنه تربد لونه أن تلون . والله أعلم .

قوله : (وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت حديثاً ليس بالأغاليط) . أما الرجل الذى يقتل فقد جاء مبيناً فى « الصحيح » أنه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وقوله : (يقتل أو يموت) يحتمل أن يكون حذيفة رضى الله عنه سمعه من النبى ﷺ هكذا على الشك ، والمراد به الإبهام على حذيفة وغيره ، ويحتمل أن يكون حذيفة علم أنه يقتل ، ولكن كره أن يخاطب عمر رضى الله عنه بالقتل فإن عمر رضى الله عنه كان يعلم أنه هو الباب كما جاء مبيناً فى « الصحيح » أن عمر كان يعلم من الباب كما يعلم أن قبل غد الليلة ، فأتى حذيفة رضى الله عنه بكلام يحصل منه الغرض مع أنه ليس إخباراً لعمر بأنه يقتل .

وأما قوله : (حديثاً ليس بالأغاليط) فهى جمع أغلوطة وهى التى يغالط بها ، فمعناه حدثته حديثاً صدقاً محققاً ليس هو من صحف الكتابيين ولا من اجتهاد ذى رأى بل من حديث النبى ﷺ . والحاصل : أن الحائل بين الفتن والإسلام عمر رضى الله عنه ، وهو الباب ، فما دام حياً لا تدخل الفتن فإذا مات دخلت الفتن ، وكذا كان . والله أعلم .

من كره أن يفتن قومه

قال الإمام البخارى رحمه الله (١٥٨٥) :

حدثنا عبيد بن إسماعيل : حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنهما ، قالت : قال لى رسول الله ﷺ : « **لولا حداثة قومك بالكفر**[1] **لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس إبراهيم عليه السلام ، فإن قريشاً استقصرت بناءه وجعلت له خلفاً** » .

صحيح

قال أبو معاوية : حدثنا هشام : خلفاً يعنى باباً .

قال الإمام البخارى رحمه الله (١٣٦)[2] :

حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن الأسود ، قال : قال لى ابن الزبير : كانت عائشة تسرُّ إليك كثيراً فما حدثتك فى الكعبة ، قلت : قالت لى : قال النبى ﷺ : « **يا عائشة ! لولا قومك حديث عهدهم** – قال ابن الزبير **بكفر** – **لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين باب يدخل الناس وباب يخرجون** » . ففعله ابن الزبير .

صحيح

---

(١) فى بعض الروايات فى « صحيح مسلم » : « **لولا أن قومك حديثٌ عهدهم فى الجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم لنظرت أن أدخل الجدر فى البيت وأن ألزق بابه بالأرض** » . وفى رواية أخرى فى مسلم : « **مخافة أن تنكر قلوبهم** » .

(٢) بوَّب البخارى لهذا الحديث فى كتاب العلم : بباب « من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا فى أشد منه » .

وقال الحافظ ابن حجر فى شرحه لهذا الحديث (١/٢٢٥ فتح البارى) : وفى =

قال الإمام البخارى رحمه الله (١٥٨٤) :

حدثنا مسدد : حدثنا أبو الأحوص : حدثنا أشعث ، عن الأسود بن يزيد ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : سألت النبى ﷺ عن الجدر ، أمن البيت هو ؟ قال : « **نعم** » . قلت : فما لهم لم يدخلوه فى البيت ؟ قال : « **إن قومك قصرت بهم النفقة** » . قلت : فما شأن بابه مرتفعاً ؟ قال : « **فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ، ولولا أن قومك حديث**

= الحديث معنى ما ترجم له لأن قريشاً كانت تعظم أمر الكعبة جداً فخشى ﷺ أن يظنوا لأجل قرب عهدهم بالإسلام أنه غير بناءها لينفرد بالفخر عليهم فى ذلك ، ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع فى المفسدة ، ومنه ترك المنكر خشية الوقوع فى أنكر منه ، وأن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم ولو كان مفضولاً ما لم يكن محرماً .

قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٣/٤٧٠) :

● وفى هذا الحديث دليل لقواعد من الأحكام منها إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدىء بالأهم لأن النبى ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم ﷺ مصلحة ، ولكن تُعارضه مفسدة أعظم منه ، وهى خوف فتنة بعض من أسلم قريباً ، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة فيرون تغييرها عظيماً فتركها ﷺ .

● ومنها فكر ولى الأمر فى مصالح رعيته ، واجتنابه ما يخاف منه تولد ضرر عليهم فى دين أو دنيا إلا الأمور الشرعية كأخذ الزكاة وإقامة الحدود ونحو ذلك .

● ومنها تألف قلوب الرعية وحسن حياطتهم وألا ينفروا ولا يتعرض لما يخاف تنفيرهم بسببه ما لم يكن فيه ترك أمرٍ شرعى كما سبق .

قال العلماء : بنى البيت خمس مرات : بنته الملائكة ، ثم إبراهيم ﷺ ، ثم قريش فى الجاهلية ، وحضر النبى ﷺ هذا البناء وله خمس وثلاثون سنة ، وقيل : خمس وعشرون وفيه سقط على الأرض حين وقع إزاره ، ثم بناه ابن الزبير ، ثم الحجاج بن يوسف ، واستمر إلى الآن على بناء الحجاج ، وقيل : بنى مرتين أخريين أو ثلاثاً .

عهدهم بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر فى البيت وأن ألصق بابه بالأرض »[1] .

صحيح

وأخرجه مسلم ص٩٧٣ ، وابن ماجه (٢٩٥٥) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (١٢٧) :

حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن معروف بن خربوذ ، عن أبى الطفيل ،

---

(١) فى رواية للبخارى : « **لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم ، فأدخلت فيه ما أخرج منه ، وألزقته بالأرض ، وجعلت له بابين باباً شرقياً وباباً غربياً فبلغت به أساس إبراهيم** » .

وفى رواية : « **لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس إبراهيم عليه السلام** » .

هذا ، وقد بوَّب البخارى لهذا الحديث فى كتاب العلم بباب : « من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا فى أشد منه » .

وقال الحافظ فى شرح الحديث هناك (فتح البارى ٢٢٥/١) : وفى الحديث معنى ما ترجم له لأن قريشاً كانت تعظم أمر الكعبة جداً فخشى ﷺ أن يظنوا - لأجل قرب عهدهم بالإسلام - أنه غير بناءها لينفرد بالفخر عليهم فى ذلك ، ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع فى المفسدة ، ومنه إنكار ترك المنكر خشية الوقوع فى أنكر منه ، وأن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم ، ولو كان مفضولاً ما لم يكن محرماً .

وقال رحمه الله (فى الفتح ٤٤٨/٣) : وفيه اجتناب ولى الأمر ما يتسرع الناس إلى إنكاره ، وما يخشى منه تولد الضرر عليهم فى دين أو دنيا ، وتألف قلوبهم بما لا يترك فيه أمر واجب ، وفيه تقديم الأهم فالأهم من دفع المفسدة وجلب المصلحة ، وأنهما إذا تعارضا بدىء بدفع المفسدة ، وأن المفسدة إذا أُمن وقوعها عاد استحباب عمل المصلحة .

عن علىّ رضى الله عنه : حدِّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله[1] !!

موقوف[2]

* * *

(١) وقد ورد فى هذا الباب حديث ابن مسعود فى مقدمة مسلم ص١١ من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عبد الله بن مسعود قال : ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة ، ولكن هذا الإسناد منقطع إذ أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة لم يسمع من ابن مسعود ، وعذر مسلم فى ذلك أنه أخرجه فى المقدمة ، و لم يشترط فى المقدمة ما اشترطه فى الصحيح .

(٢) وإسناد حديث الباب فيه معروف بن خربوذ ، والأكثر على تضعيفه . والله أعلم .

من كره أن يفتح أبواب الفتن

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٩٨) :

حدثنى بشر بن خالد : أخبرنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن سليمان : سمعت أبا وائل ، قال : قيل لأسامة : ألا تكلم هذا[1] ؟ قال قد كلمته

---

(١) فى رواية مسلم : قيل له : ألا تدخل على عثمان فتكلمه ؟ فقال : أترون أنى لا أكلمه إلا أُسمِعُكم ؟ !! والله لقد كلمته فيما بينى وبينه ما دون أن أفتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه ، ولا أقول لأحد يكون علىَّ أميراً إنه خير الناس بعد ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول « **يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها** .. » الحديث .

قال الحافظ فى « الفتح » (٥٢/١٣) : قال المهلب : أرادوا من أسامة أن يكلم عثمان وكان من خاصته وممن يخف عليه فى شأن الوليد بن عقبة لأنه كان ظهر عليه ريح نبيذ وشهر أمره وكان أخا عثمان لأمه ، وكان يستعمله فقال أسامة : قد كلمته سراً دون أن أفتح باباً . أى باب الإنكار على الأئمة علانية خشية أن تفترق الكلمة ثم عرفهم أنه لا يداهن أحداً ولو كان أميراً بل ينصح له فى السر جهده ، وذكر لهم قصة الرجل الذى يطرح فى النار لكونه كان يأمر بالمعروف ولا يفعله ليتبرأ مما ظنوا به من سكوته عن عثمان فى أخيه . انتهى ملخصاً .

وجزمه بأن مراد من سأل أسامة الكلام مع عثمان أن يكلمه فى شأن الوليد ما عرفت مستنده فيه وسياق مسلم من طريق جرير عن الأعمش يدفعه قلت : القائل مصطفى : لفظه : كنا عند أسامة بن زيد ، فقال رجل : ما يمنعك أن تدخل على عثمان فتكلمه فيما يصنع ؟ . وهذا ليس صريحاً فى دفعه كما قال الحافظ ، فلو قال قائل : إن قوله فيما يصنع أى فيما يصنع من توليته أخيه ما بَعُدَ عن الصواب) وجزم الكرمانى بأن المراد أن يكلمه فيما أنكره الناس على =

ما دون أن أفتح باباً أكون أول من يفتحه وما أنا بالذى أقول لرجل - بعد أن يكون أجيراً على رجلين - أنت خير بعد ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول : « **يجاء برجل فيطرح فى النار فيطحن فيها كما يطحن الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون : أى فلان ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : إنى كنت آمر بالمعروف ولا أفعله ، وأنهى عن المنكر وأفعله** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٨٩) .

= عثمان من تولية أقاربه وغير ذلك مما اشتهر ، وقوله : إن السبب فى تحديث أسامة بذلك ليتبرأ مما ظنوه به ليس بواضح ، بل الذى يظهر أن أسامة كان يخشى على من ولى ولاية ولو صغرت أنه لابد له من أن يأمر الرعية بالمعروف وينهاهم عن المنكر ثم لا يأمن من أن يقع منه تقصير ، فكان أسامة يرى أنه لا يتأمر على أحد ، وإلى ذلك أشار بقوله : « لا أقول للأمير إنه خير الناس » أى بل غايته أن ينجو كفافاً .

وقال عياض : مراد أسامة أنه لا يفتح باب المجاهرة بالنكير على الإمام لما يخشى من عاقبة ذلك بل يتلطف به وينصحه سراً فذلك أجدر بالقبول ، وقوله : (لا أقول لأحد يكون علىَّ أميراً إنه خير الناس) فيه ذم مداهنة الأمراء فى الحق وإظهار ما يبطن خلافه كالمتملق بالباطل فأشار أسامة إلى المداراة المحمودة والمداهنة المذمومة . وضابط المداراة أن لا يكون فيها قدح فى الدين ، والمداهنة المذمومة أن يكون فيها تزيين القبيح وتصويب الباطل ونحو ذلك .

وقال الطبرى : اختلف السلف فى الأمر بالمعروف فقالت طائفة يجب مطلقاً واحتجوا بحديث طارق بن شهاب رفعه : « **أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر** » وبعموم قوله : « **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده** » الحديث ، وقال بعضهم يجب إنكار المنكر لكن شرطه أن لا يلحق به بلاء لا قبل له به من قتل =

= ونحوه ، وقال آخرون : ينكر بقلبه لحديث أم سلمة مرفوعاً : « **يستعمل عليكم أمراء بعدى فمن كره برىء ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضى وتابع** » الحديث . قال : والصواب اعتبار الشرط المذكور ويدل عليه حديث (**لا ينبغى لمؤمن أن يذل نفسه**) ثم فسره بأن يتعرض من البلاء لما لا يطيق انتهى ملخصاً .

وقال غيره : يجب الأمر بالمعروف لمن قدر عليه و لم يخف على نفسه منه ضرراً ولو كان الآمر متلبساً بالمعصية لأنه فى الجملة يؤجر على الأمر بالمعروف ولا سيما إن كان مطاعاً ، وأما إثمه الخاص به فقد يغفره الله له وقد يؤاخذه به ، وأما من قال : لا يأمر بالمعروف إلا من ليست فيه وصمة فإن أراد أنه الأولى فجيد وإلا فيستلزم سد باب الأمر إذا لم يكن هناك غيره . ثم قال الطبرى : فإن قيل كيف صار المأمورون بالمعروف فى حديث أسامة المذكور فى النار ؟ فالجواب أنهم لما يمتثلوا ما أمروا به فعذبوا بمعصيتهم وعذب أميرهم بكونه كان يفعل ما ينهاهم عنه .

وفى الحديث تعظيم الأمراء والأدب معهم وتبليغهم ما يقول الناس فيهم ليكفوا ويأخذوا حذرهم بلطف وحسن تأدية بحيث يبلغ المقصود من غير أذية للغير .

* * *

لا تحملوا الناس ما لا يطيقون فيفتنوا

قال الإمام البخارى رحمه الله (٢٩٦٤) :

حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبى وائل قال : قال عبد الله رضى الله عنه لقد أتانى اليومَ رجلٌ فسألنى عن أمرٍ ما دريت ما أرد عليه فقال : أرأيت رجلاً مؤدياً[١] نشيطاً يخرجُ مع أمرائنا فى المغازى فيعزم[٢] علينا فى أشياء لا نحصيها[٣] فقلت له : والله لا أدرى ما أقول لك إلا أنا كنا مع النبىِّ ﷺ فعسى أن لا يعزم علينا فى أمرٍ إلا مرة حتى نفعله ، وإن أحدكم لن يزال بخير ما اتقى الله ، وإذا شك فى نفسه شىء سأل رجلاً فشفاه منه وأوشك أن لا تجدوه ، والذى لا إلـٰه إلا هو ما أذكر ما غبر[٤] من الدنيا إلا كالثغب[٥] شرب صفوه ، وبقى كدره .

صحيح

---

(١) قال الحافظ (الفتح ١١٩/٦) : مؤدياً أى كامل الأداء أى أداة الحرب .

(٢) العزم هو الأمر الحازم الذى لا تردد فيه .

(٣) أى لا نطيقها لقول الله تعالى ﴿ **علم أن لن تحصوه** ﴾ ، وقيل لا ندرى أهى طاعة أم معصية .

(٤) غبر أى مضى .

(٥) الثغب بمثلثة مفتوحة ومعجمة ساكنة ويجوز فتحها قال القزاز : وهو أكثر وهو الغدير يكون فى ظل فيبرد ماؤه ويروق ، وقيل هو ما يحتفره السيل فى الأرض المنخفضة فيصير مثل الأخدود فيبقى الماء فيه فتصفقه الريح فيصير صافياً بارداً وقيل هو نقرة فى صخرة يبقى فيها الماء كذلك ، فشبه ما مضى من الدنيا بما شرب من صفوه ، وما بقى منها بما تأخر من كدره ، وإذا كان هذا فى زمان ابن مسعود وقد مات هو قبل مقتل عثمان ووجود تلك الفتن العظيمة فماذا =

وأخرجه أبو يعلى الموصلى فى مسنده (٩/٦٧ و ١٠٣) والحاكم فى المستدرك (١٢٢/١) وقال هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأظنه لتوقيف فيه وقال الذهبى على شرطهما . قلت : قد أخرجه البخارى كما ترى .

* * *

= يكون اعتقاده فيما جاء بعد ذلك وهلم جرا ؟ وفى الحديث أنهم كانوا يعتقدون وجوب طاعة الإمام ، وأما توقف ابن مسعود عن خصوص جوابه وعدوله إلى الجواب العام فللإشكال الذى وقع له من ذلك ، وقد أشار إليه فى بقية حديثه ، ويستفاد منه التوقف فى الإفتاء فيما أشكل من الأمر كما لو أن بعض الأجناد استفتى أن السلطان عينه فى أمر مخوف بمجرد التشهى وكلفه من ذلك ما لا يطيق فمن أجابه بوجوب طاعة الإمام أشكل الأمر لما وقع من الفساد ، وإن أجابه بجواز الامتناع أشكل الأمر لما قد يفضى به ذلك إلى الفتنة فالصواب التوقف عن الجواب فى ذلك وأمثاله ، والله الهادى إلى الصواب .

من دعا على غيره أن يفتن

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٥٥) :

حدثنا موسى قال حدثنا أبو عوانة قال حدثنا عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال : شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر رضى الله عنه فعزله واستعمل عليهم عماراً فَشكوا[١] حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلى . فأرسل إليه فقال يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلى ، قال أبو إسحاق : أمّا أنا والله فإنى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها ، أصلى صلاة العشاء فأركد فى الأولين وأخف فى الأخريين . قال : ذاك الظن بك يا أبا إسحاق . فأرسل معه رجلاً - أو رجالاً - إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه ويثنون معروفاً حتى دخل مسجداً لبنى عبس فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة قال : أما إذ نشدتنا فإن سعداً كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية . قال سعد : أما والله لأدعون بثلاث : اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً قام رياءً وسمعة فأطل عمره وأطل فقره وعرضه بالفتن[٢] . وكان بعد

---

(١) أى فشكوا سعداً .

(٢) قال الحافظ فى الفتح (٢٤١/٢) : وفيه جواز الدعاء على الظالم المعين بما يستلزم النقص فى دينه ، وليس هو من طلب وقوع المعصية ، ولكن من حيث أنه يؤدى إلى نكاية الظالم وعقوبته ، ومن هذا القبيل مشروعية طلب الشهادة ، وإن كانت تستلزم ظهور الكافر على المسلم ، ومن الأول قول موسى عليه السلام : ﴿ **ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم** ﴾ .

إذا سئل يقول شيخ كبير مفتون أصابتنى دعوة سعد .

صحيح

قال عبد الملك فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر ، وإنه ليتعرض للجوارى فى الطرق يغمزهن .

* * *

كراهية تمنى لقاء العدو(*)

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٠٢٤) :

حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عاصم بن يوسف اليربوعى حدثنا أبو إسحاق الفزارى عن موسى بن عقبة قال حدثنى سالم أبو النضر مولى عمر بن عبيد الله كنت كاتباً له قال : كتب إليه عبد الله بن أبى أوفى حين خرج إلى الحرورية فقرأته فإذا فيه إن رسول الله ﷺ فى بعض أيامه التى لقى فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس ثم قام فى الناس فقال : « **لا تمنوا لقاء العدو**(١) **وسلوا الله العافية** ،

(*) وينضم إلى هذا الباب قوله ﷺ : « **إن السعيد لمن جُنب الفتن ، إن السعيد لمن جُنب الفتن ، إن السعيد لمن جُنب الفتن ، ولمن ابتلى فصبر فواهاً** » وسيأتى فى المخرج من الفتنة إن شاء الله .

(١) قال الحافظ فى الفتح (١٥٦/٦) : قال ابن بطال : حكمة النهى أن المرء لا يعلم ما يؤول إليه الأمر ، وهو نظير سؤال العافية من الفتن ، وقد قال الصديق « لأن أعافى فأشكر أحب إلَىَّ من أن أبتلى فأصبر » .

وقال النووى رحمه الله شرح مسلم (٣٣٩/٤) : إنما نهى عن تمنى لقاء العدو لما فيه من صورة الإعجاب والاتكال على النفس والوثوق بالقوة وهو نوع بغى ، وقد ضمن الله تعالى لمن بُغى عليه أن ينصره ولأنه يتضمن قلة الاهتمام بالعدو واحتقاره ، وهذا يخالف الاحتياط والحزم ، وتأوله بعضهم على النهى عن التمنى فى صورة خاصة ، وهى إذا شك فى المصلحة وحصول ضرر ، وإلا فالقتال كله فضيلة وطاعة ، والصحيح الأول ، ولهذا تممه النبى ﷺ بقوله ﷺ « **وأسألوا الله العافية** » وقد كثرت الأحاديث فى الأمر بسؤال العافية ، وهى من الألفاظ العامة المتناولة لدفع جميع المكروهات فى البدن والباطن ، فى الدين والدنيا والآخرة) . اللهم إنى أسألك العافية لى ولأحبائى ولجميع المسلمين .

وقال الحافظ فى الفتح (١٥٧/٦) : وقال ابن دقيق العيد : لما كان لقاء =

فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال : اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم » .

صحيح

وقال موسى بن عقبة حدثنى سالم أبو النضر : كنت كاتباً لعمر بن عبيد الله فأتاه كتاب عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « **لا تمنوا لقاء العدو** » .

وأخرجه مسلم (١٧٤٢) وأبو داود (٢٦٣١) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٧٤١) :

حدثنا الحسن بن علىّ الحلوانى وعبد بن حميد قالا : حدثنا أبو عامر العقدى عن المغيرة (وهو ابن عبد الرحمن الحزامى) عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة : أن النبى ﷺ قال : « **لا تمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموهم فاصبروا** » .

صحيح

وأخرجه البخارى معلقاً حديث (٣٠٢٦) وعزاه المزى للنسائى .

= الموت من أشق الأشياء على النفس ، وكانت الأمور الغائبة ليست كالأمور المحققة لم يؤمن أن يكون عند الوقوع كما ينبغى فيكره التمنى لذلك ولما فيه لو وقع من احتمال أن يخالف الإنسان ما وعد من نفسه ثم أمر بالصبر عند وقوع الحقيقة انتهى .

قلت : فإن قيل كيف يجمع بين حديث « **لا تتمنوا لقاء العدو** » من قوله ﷺ « **والذى نفسى بيده لوددت أنى أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أحيا فأقتل ثم أحيا فأقتل ..** » فالجواب على هذا أورده الحافظ فى الفتح (٢٢٤/١٣) بقوله : وحاصل الجواب أن حصول الشهادة أخص من اللقاء لإمكان تحصيل الشهادة مع نصرة الإسلام ودوام عزه بكسرة الكفار ، واللقاء قد يفضى إلى عكس ذلك فنهى عن تمنيه ولا ينافى ذلك تمنى الشهادة أو لعل الكراهية مختصة بمن يثق بقوته ويعجب بنفسه ونحو ذلك . والله أعلم .

أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل

قال ابن ماجه رحمه الله (٤٠٢٤) :

حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ثنا ابن أبى فديك حدثنى هشام بن سعد عن زيد ابن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال : دخلت على النبى ﷺ وهو يوعك فوضعت يدى عليه فوجدت حرَّه بين يدى فوق اللحاف فقلت : يا رسول الله ما أشدها عليك قال : « **إنا كذلك يضعَّف لنا البلاء ويضعف لنا الأجر** » قلت : يا رسول الله أى الناس أشد بلاء قال : « **الأنبياء** » قلت : يا رسول الله ! ثم من ؟ قال : « **ثم الصالحون إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يحويها ، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء** » .

حسن

وأخرجه الحاكم (٣٠٧/٤) وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

* * *

يبتلى الرجل على قدر دينه

قال الترمذى رحمه الله (٢٣٩٨) :

حدثنا قتيبة حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : قلت : يا رسول الله أى الناس أشد بلاء ؟ قال : « **الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان فى دينه رقة ابتلى على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة** » .

صحيح لغيره[1]

وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه ابن ماجه (٤٠٢٣) وأحمد (١٧٢/١ و ١٧٣-١٧٤و١٨٠و ١٨٥) والدارمى (٣٢٠/٢) وابن حبان (موارد الظمآن ٦٩٩) والحاكم فى المستدرك (٤١/١) وعزاه المزى للنسائى .

* * *

---

(١) فقد أخرجه ابن حبان (موارد الظمآن ٦٩٨) من طريق العلاء بن المسيب عن أبيه عن سعد مرفوعاً بنحوه . ، وكذا هى عند الحاكم فى المستدرك (٤٠/١ - ٤١) .

● هذا وقد ورد فى إسناد هذا الحديث خلاف غير ضار أشار إليه الدارقطنى رحمه الله فى العلل (٣١٥/٤ - ٣١٨) وقال : والمحفوظ حديث عاصم عن مصعب (أى حديث الباب الذى أوردنا إسناده) .

البلاء كفارة لخطايا من صبر

قال الإمام الترمذى رحمه الله (٢٣٩٩) :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا يزيد بن زريع عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة** » .

حسن

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

* * *

إذا أحب الله قوماً ابتلاهم[1]

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/٤٢٧) :

حدثنا أبو سعيد ثنا سليمان عن عمرو بن أبي عمرو عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله عز وجل ليحمى عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم من الطعام والشراب تخافونه عليه** » .

وبهذا الإسناد أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله عز وجل إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع** » .

صحيح

وأخرجه أحمد أيضاً (٥/٤٢٨ و ٤٢٩) :

---

(١) هذا في قوم يحبهم الله فيبتليهم ويصبرهم بفضله فترفع درجاتهم ، وآخرون تحل بهم البلايا لفسقهم ، قال الله عز وجل في أصحاب القرية التي كانت حاضرة البحر : ﴿ **كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون** ﴾ ، وبالجملة فالنظر إلى حال الرجل وما هو عليه من صلاح فإن كان قائماً بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وتحل به البلايا ويصبر فذلك من حب الله عز وجل له ، وإن كان معرضاً عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فما يصاب به من بلايا عقوبات على ما فرط في أمر الله قال الله عز وجل : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم** ﴾ وقال عز وجل : ﴿ **وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون** ﴾ .

النبى ﷺ أمان لأمته من الفتن بإذن الله

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٥٣١) :

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وإسحاق بن إبراهيم وعبد الله بن عمر بن أبان كلهم عن حسين قال أبو بكر : حدثنا حسين بن علىّ[1] الجعفى عن مجمع بن يحيى عن سعيد بن أبى بردة عن أبى بردة عن أبيه قال : صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء قال فجلسنا فخرج علينا فقال : « **ما زلتم هاهنا** » قلنا : يا رسول الله ! صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلى معك العشاء قال : « **أحسنتم أو أصبتم** » قال : فرفع رأسه إلى السماء ، وكان كثيراً مما يرفع رأسه إلى السماء فقال : « **النجوم أمنة**[2] **للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابى فإذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون ، وأصحابى أمنة لأمتى فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون** » .

صحيح

---

(١) وقد ورد لهذا الحديث إسناد آخر لحسين الجعفى إلا أنه مرجوح (انظر علل الدارقطنى ٧/٢١٩ - ٢٢٠).

(٢) قال النووى رحمه الله : (الأمنة) بفتح الهمزة والميم والأمن والأمان بمعنى . قال : ومعنى الحديث أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية فإذا انكدرت وتناثرت فى القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت .

وقوله ﷺ : « **وأنا أمنة لأصحابى فإذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون** » أى من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً ، وقد وقع كل ذلك .

وقوله ﷺ : « **وأصحابى أمنة لأمتى فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون** » معناه من ظهور البدع والحوادث فى الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك . وهذا كله من معجزاته ﷺ .

عُمر حائل بين المسلمين والفتن بإذن الله

قال الإمام البخارى رحمه الله (٥٢٥) :

حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن الأعمش قال : حدثنى شقيق قال : سمعت حذيفة قال : كنا جلوساً عند عمر رضى الله عنه فقال : أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ فى الفتنة ؟ قلت : أنا ، كما قاله . قال : إنك عليه – أو عليها – لجرىء . قلت : فتنة الرجل فى أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهى قال : ليس هذا أريد ، ولكن الفتنة التى تموج كما يموج البحر[1] . قال : ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها باباً مغلقاً قال : أيكسر أم يفتح ؟ قال : يكسر قال إذن لا يغلق أبداً . قلنا : أكان عمر يعلم الباب ؟ قال : نعم كما أن دون الغد الليلة . إنى حدثته بحديث ليس بالأغاليط . فهبنا أن نسأل حذيفة فأمرنا مسروقاً ، فقال : الباب عمر .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٤٤) ص٢٢١٨ والترمذى (٢٢٥٨) وقال : هذا حديث صحيح وابن ماجه (٣٩٥٥) وعزاه المزى للنسائى .

* * *

---

(١) أى تضطرب ويدفع بعضها بعضاً وشبهها بموج البحر لشدة عظمها وكثرة شيوعها . قاله النووى (٣٥٤/١) ، وقال الحافظ (فتح ٦٠٦/٦) : أى تضطرب اضطراب البحر عند هيجانه ، وكنى بذلك عن شدة المخاصمة وكثرة المنازعة وما ينشأ عن ذلك من المشاتمة والمقاتلة .

مقتل أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٧٠٠) :

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن حصين عن عمرو بن ميمون قال : « رأيتُ عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل أن يُصاب بأيامٍ بالمدينة ووقف على حُذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف قال : كيف فعلتما ؟ أتخافان أن تكونا حملتما الأرض[1] ما لا تطيق ؟ قالا : حملناها أمراً هى له مطيقة ، ما فيها كبيرُ فضلٍ . قال : انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق ، قالا : لا . فقال عمر : لئن سلمنى اللهُ لأدعنَّ أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجُلٍ بعدى أبداً . قال : فما أتت عليه إلا رابعة حتى أُصيب قال : إنى لقائمٌ ما بينى وبينه إلا عبد الله بن عباسٍ غداةَ أُصيب – وكان إذا مر بين الصفين قال : استووا حتى إذا لم ير فيهم خللاً تقدم فكبَّر ، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك فى الركعة الأولى حتى يجتمع الناسُ فما هو إلا أن كبَّر فسمعته يقول : قتلنى الكلب – أو أكلنى – الكلب حين طعنه فطار العلج بسكينٍ ذات طرفين لا يمرُّ على أحدٍ يميناً ولا شمالاً إلا طعنهُ حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعةٌ فلما رأى ذلك رجلٌ من المسلمين طرح عليه برنساً فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه ، وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه فمن يلى عمر فقد رأى الذى أُرى وأما نواحى المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (٦٢/٧) : الأرض المشار إليها هى أرض السواد ، وكان عمر بعثهما يضربان عليها الخراج وعلى أهلها الجزية ، بين ذلك أبو عبيد فى كتاب الأموال من رواية عمرو بن ميمون المذكور .

فصلى بهم عبد الرحمن صلاةً خفيفةً فلما انصرفوا قال : يا ابن عباس انظر من قتلنى فجال ساعة ثم جاء فقال : غلامُ المغيرةِ قال : الصنع ؟ قال : نعم قال قاتله الله لقد أمرتُ به معروفاً الحمد لله الذى لم يجعل ميتتى بيد رجل يدعى الإسلام ، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة ، وكان العباس أكثرهم رقيقاً فقال : إن شئت فعلتُ - أى إن شئت قتلنا - قال : كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا قبلتكم ، وحجوا حجكم ؟ فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه ، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذٍ فقائل يقول : لا بأس ، وقائل يقول : أخاف عليه ، فأتى بنبيذٍ فشربه فخرج من جوفه ، ثم أُتى بلبن فشربه فخرج من جُرحه فعلموا أنه ميت فدخلنا عليه وجاء الناس فجعلوا يُثنون عليه ، وجاء رجل شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقدمٍ فى الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة قال : وددت أن ذلك كفاف لا على ولا لى فلما أدبر إزاره يمس الأرض قال : ردوا علىَّ الغلام يا ابن أخى : ارفع ثوبك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك يا عبد الله بن عمر انظر ما علىَّ من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه قال : إن وفى له مالُ آل عُمر فأده من أموالهم ، وإلا فسل فى بنى عدى بن كعب فإن لم تف أموالهم فسل فى قريشٍ ولا تعدهم إلى غيرهم فأدِّ عنى هذا المال انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ عليك عمر السلام ، ولا تقل أمير المؤمنين ، فإنى لست اليوم للمؤمنين أميراً وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه ، فسلَّم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدةً تبكى فقال : يقرأ عليك عُمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يُدفن مع صاحبيه ، فقالت : كنتُ أُريده لنفسى ، ولأُوثرنَّه به اليوم على نفسى فلما أقبل قيل هذا عبدُ الله بن عمر قد جاء قال : ارفعونى فأسنده رجلٌ إليه فقال : ما لديك ؟ قال : الذى تحب يا أمير المؤمنين

أذنتْ . قال : الحمد لله ما كان من شيء أهمُّ إلى من ذلك ، فإذا أنا قضيت فاحملونى ثم سلم فقل : يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت لى فأدخلونى ، وإن ردتنى ردونى إلى مقابر المسلمين ، وجاءت أم المؤمنين حفصةُ والنساء تسير معها فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة واستأذن الرجال فَوَلجتُ داخلاً لهم فسمعنا بُكاءها من الداخل فقالوا : أوص يا أمير المؤمنين استخلف . قال : ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر – أو الرهط الذين توفى رسولُ الله ﷺ وهو عنهم راض[1] فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبدَ الرحمن ، وقال : يشهدكم عبد الله بن عمر ، وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له – فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك ، وإلا فليستعن به أيكم ما أُمِّرَ . فإنى لم أعزله عن عجزٍ ولا خيانة ، وقال : أُوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ، ويحفظ لهم حرمتهم ، وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ، أن يُقبل من محسنهم وأن يعفى عن مسيئهم ، وأُوصيه بأهل الأمصار خيراً ، فإنهم ردء الإسلام وجباة المال وغيظ العدو ، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم وأُوصيه بالأعراب خيراً ، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشى أموالهم ويرد على فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يُوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ولا يُكلفوا إلا طاقتهم ، فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلَّم عبد الله بن عمر قال : يستأذن عمر ابن الخطاب قالت : أدخلوه فأُدخل فوضع هنالك مع صاحبيه فلما فُرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهطُ فقال عبدُ الرحمن اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم فقال الزبير : قد جعلت أمرى إلى علىٍّ فقال طلحة قد جعلت أمرى إلى عثمان

---

(١) ووقع نحو ذلك فى حديث عمر عند مسلم (٥٦٧) من طريق معدان بن أبى طلحة عن عمر ... به .

وقال سعد : قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن بن عوف فقال عبد الرحمن أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعلُه إليه ، واللّهُ عليه والإسلامُ لينظرن أفضلهم فى نفسه ؟ فأُسكت الشيخان فقال عبدُ الرحمن أفتجعلونه إلَّى والله على أن لا آلو عن أفضلكم ؟ قالا : نعم ، فأخذ بيد أحدهما فقال لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم فى الإسلام ما قد علمت فاللّهُ عليك لئن أمرتك لتعدلن ، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ثم خلا بالآخر فقال مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال : ارفع يدك يا عثمان فبايعه فبايع له علىٌّ وولج أهل الدار فبايعوه .

صحيح

وعزاه المزى للنسائى ، وأخرجه ابن سعد فى الطبقات (٢٤٤/١/٣) وله طريق أخرى بنحوه عند ابن حبان (موارد الظمآن ٢١٩٠) .

* * *

إخبار النبى ﷺ بالبلوى التى ستصيب عثمان

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٦٧٤) :

حدثنا محمد بن مسكين أبو الحسن حدثنا يحيى بن حسان حدثنا سليمان عن شريك بن أبى نمر عن سعيد بن المسيب قال : « **أخبرنى أبو موسى الأشعرى أنه توضأ فى بيته ثم خرج فقلت : لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومى هذا . قال : فجاء المسجدَ فسأل عن النبىِّ ﷺ فقالوا : خرج ووجه هاهنا فخرجت على إثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس ، فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسولُ الله ﷺ حاجته فتوضأ فقمتُ إليه فإذا هو جالسٌ على بئرِ أريس وتوسط قفهاً[1] وكشف عن ساقيه ودلاهما فى البئر فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم ، فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : أبو بكر فقلت : على رسلك ، ثم ذهبت فقلت : يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » فأقبلتُ حتى قلت لأبى بكر : ادخل ورسولُ الله ﷺ يُبشرك بالجنة . فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسولِ الله ﷺ معه فى القف ودلى رجليه فى البئر كما صنع النبىُّ ﷺ وكشف عن ساقيه ثم رجعتُ فجلست وقد تركت أخى يتوضأ ويلحقنى ، فقلت إن يُرد الله بفلان خيراً - يريد أخاه - يأت به فإذا إنسان يحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عمر بن الخطاب ، فقلت : على رسلك ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقلت : هذا عمر بن الخطاب يستأذن فقال : « ائذن له**

---

(١) القُف قال الحافظ : هو بضم القاف وتشديد الفاء هو الداكة التى تجعل حول البئر ، وأصله ما غلظ من الأرض وارتفع ، والجمع قفاف .

وبشره بالجنة » فجئت فقلتُ : ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة ، فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ فى القف عن يساره ودلى رجليه فى البئر . ثم رجعت فجلست فقلت : إن يُرد الله بفلانٍ خيراً يأت به فجاء إنسانٌ يحرك الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : عثمان بن عفان . فقلت : على رسْلك فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : **«ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه »** فجئته فقلت له : ادخل وبشرك رسولُ الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك[1] فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآخر . قال شريك بن عبد الله : قال سعيد بن المسيب فأولتها قبورهم » .

صحيح

وأخرجه مسلم ص١٨٦٨ .

قال ابن ماجه رحمه الله (١١٣) :

حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير وعلىّ بن محمد قالا : ثنا وكيع ثنا إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ **« وددت أن عندى بعض أصحابى »** قلنا : يا رسول الله ! ألا ندعو لك أبا بكر ؟ فسكت قلنا ألا ندعو لك عمر ؟ فسكت قلنا : ألا ندعو لك عثمان ؟ قال :

---

(١) فى رواية البخارى (٣٦٩٣) فحمد الله ثم قال الله المستعان .
نقل الحافظ عن ابن بطال قوله : إنما خص عثمان بذكر البلاء مع أن عمر قتل أيضاً لكون عمر لم يمتحن بمثل ما امتحن عثمان من تسلط القوم الذين أرادوا منه أن ينخلع من الإمامة بسبب ما نسبوه إليه من الجور والظلم مع تنصله من ذلك واعتذاره عن كل ما أوردوه عليه ثم هجومهم عليه فى داره وهتكهم ستر أهله ، وكل ذلك زيادة على قتله . قال الحافظ قلت : وحاصله أن المراد بالبلاء الذى خص به الأمور الزائدة على القتل وهو كذلك .

« **نعم** » فجاء فخلا به فجعل النبى ﷺ يكلمه ووجه عثمان يتغير .

صحيح

قال قيس : فحدثنى أبو سهلة مولى عثمان أن عثمان بن عفان قال : يوم الدار إن رسول الله ﷺ عهد إلىَّ عهداً فأنا صائر إليه .

قال قيس : فكانوا يرونه ذلك اليوم .

* * *

فتنة قتل عثمان رضى الله عنه

قال أبو داود رحمه الله (٤٥٠٢) :

حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن أبى أمامة ابن سهل قال : كنا مع عثمان وهو محصور فى الدار وكان فى الدار مدخل من دخله سمع كلام من على البلاط فدخله عثمان فخرج إلينا وهو متغير لونه فقال : إنهم ليتواعدوننى بالقتل آنفاً قال : قلنا يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين قال : ولم يقتلوننى ؟ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « **لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاثٍ كُفر بعد إسلام أو زناً بعد إحصان أو قتل نفس بغير نفس** » ، فوالله ما زنيت فى جاهليةٍ ولا فى إسلامٍ قط ، ولا أحببتُ أن لى بدينى بدلاً منذ هدانى اللهُ ، ولا قتلتُ نفساً فبِمَ يقتلوننى .

إسناده صحيح[1]

وأخرجه أحمد (٦١/١ - ٦٢) والنسائى (٩١/٧ - ٩٢) وابن ماجه (٢٥٣٣) وأحمد فى فضائل الصحابة (٧٥٤) والترمذى (٢١٥٨)[1] والطيالسى (٧٢) وابن سعد فى الطبقات (٤٦/١/٣) .

* * *

---

(١) ولمزيد كلام على هذا الحديث انظر (الصحيح المسند فى فضائل الصحابة ص٩٤ تأليفى) .

يوم الجرعة

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٩٣) :

وحدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن حاتم قالا : حدثنا معاذ بن معاذ حدثنا ابن عون عن محمد قال : قال جندب : جئتُ يوم الجرعةِ[١] فإذا رجلٌ جالسٌ فقلت ليهرَاقنَّ اليومَ ههنا دماءٌ فقال ذاك الرجل : كلَّا والله ! قلت : بلى والله ! قال : كلَّا والله . قلت : بلى والله قال : كلَّا والله ! إنه لحديثُ رسولِ الله ﷺ حدثنيه . قلت : بئس الجليسُ لى أنت منذ اليومِ تسمعنى أخالفك وقد سمعتَهُ من رسول الله ﷺ فلا تنهانى ؟ ثم قلتُ : ما هذا الغضب ؟ فأقبلتُ عليه وأسأله فإذا الرجل حُذيفة .

صحيح

وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٦٢٩/٤) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى (وها أنت قد رأيت أن مسلماً أخرجه) .

---

(١) قال النووى : الجرعة بفتح الجيم وبفتح الراء وإسكانها والفتح أشهر وأجود وهى موضع بقرب الكوفة على طريق الحيرة ، ويوم الجرعة يوم خرج فيه أهل الكوفة يتلقون والياً ولاه عثمان عليهم فردوه وسألوا عثمان أن يولى عليهم أبا موسى الأشعرى فولاه .

قلت : وفى الحديث حرص الصحابة على اتباع سنن رسول الله ﷺ ووقوفهم عند قوله ألا ترى أن جندباً قال لجليسه : بئس الجليس أنت لتقصيره فى تبليغه سنة رسول الله ﷺ له فور حلفه حتى جعله يحلف خطأً على ما يخالف السنة ؟ !

وفى الحديث ما يؤيد اختصاص حذيفة رضى الله عنه بأحاديث الفتن ، وتلقيه لها عن رسول الله ﷺ .

الفِتن الواردَة
في زمَان أمير المؤمِنين عليّ رَضيَ الله عنه

بعض ما ورد فى فتنة الجمل

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧١٠٠) :

حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا أبو بكر بن عياش حدثنا أبو حصين حدثنا أبو مريم عبد الله بن زياد الأسدى قال : « لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بعث علىٌّ عمار بن ياسر وحسن بن على فقدما علينا الكوفة فصعدا المنبر فكان الحسن بن على فوق المنبر فى أعلاه وقام عمارٌ أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه فسمعت عماراً يقول : إن عائشة قد سارت إلى البصرة ، والله إنها لزوجة نبيّكم ﷺ فى الدنيا والآخرة ، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم[1] ليعلم إياه تطيعون أم هى ؟ » .

موقوف صحيح

وأخرجه الترمذى مختصراً (٣٨٨٩) وقال : هذا حديث حسن ، وفى الباب عن علىّ .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧١٠١) :

حدثنا أبو نعيم حدثنا ابن أبى غنية عن الحكم عن أبى وائل « قام عمار على منبر الكوفة فذكر عائشة وذكر مسيرها وقال : إنها زوجة نبيكم ﷺ فى الدنيا والآخرة ولكنها مما ابتليتم » .

موقوف صحيح

(١) فيه دليل على أنه ينبغى للمسلم ألا يفتتن بشخص مهما علا قدره وذاع صيته إلا أن يعرض أعماله على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فإن وجد العمل موافقاً لكتاب الله وسنة رسول الله عملهُ ، وإلا تركه .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧١٠٥ و ٧١٠٦ و ٧١٠٧) :

حدثنا عبدان عن أبى حمزة عن الأعمش عن شقيق بن سلمة قال « كنت جالساً مع أبى مسعود وأبى موسى وعمار ، فقال أبو مسعود : ما من أصحابك أحدٌ إلا لو شئتُ لقلت فيه غيرك ، وما رأيتُ منك شيئاً منذ صحبت النبىَّ ﷺ أعيب عندى من استسراعك فى هذا الأمر . قال عمارٌ : يا أبا مسعود وما رأيتُ منك ولا من صاحبك هذا شيئاً منذ صحبتما النبىَّ ﷺ أعْيب عندى من إبطائكما فى هذا الأمر ، فقال أبو مسعود – وكان موسراً – يا غلام هات حُلتين فأعطى إحداهما أبا موسى والأخرى عماراً ، وقال : روحا فيه إلى الجمعة »[1] .

صحيح

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح البارى ٥٩/١٣) : قال ابن بطال : فيما دار بينهم دلالة على أن كلاً من الطائفتين كان مجتهداً ويرى أن الصواب معه قال : وكان أبو مسعود موسراً جواداً وكان اجتماعهم عند أبى مسعود فى يوم الجمعة فكسا عماراً حلة ليشهد بها الجمعة لأنه كان فى ثياب السفر وهيئة الحرب فكره أن يشهد الجمعة فى تلك الثياب وكره أن يكسوه بحضرة أبى موسى ولا يكسو أبا موسى فكسا أبا موسى أيضاً ، وقوله : (أعيب) بالعين المهملة والموحدة أفعل تفضيل من العيب وجعل كل منهما الإبطاء والإسراع عيباً بالنسبة لما يعتقده فعمار لما فى الإبطاء من مخالفة الإمام وترك امتثال ﴿ **فقاتلوا التى تبغى** ﴾ والآخران لما ظهر لهما من ترك مباشرة القتال فى الفتنة ، وكان أبو مسعود على رأى أبى موسى فى الكف عن القتال تمسكاً بالأحاديث الواردة فى ذلك وما فى حمل السلاح على المسلم من الوعيد ، وكان عمار على رأى على فى قتال الباغين والناكثين ، والتمسك بقوله تعالى : ﴿ **فقاتلوا التى تبغى** ﴾ وحمل الوعيد الوارد فى القتال على من كان متعديًا على صاحبه .

قال الإمام أحمد رحمه الله (١/١٦٥) :

حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ثنا شداد يعنى ابن سعيد ثنا غيلان بن جرير عن مطرف قال : قلنا للزبير رضى الله عنه يا أبا عبد الله ما جاء بكم ضيعتم الخليفة حتى قتل ثم جئتم تطلبون بدمه ؟! قال الزبير رضى الله عنه : إنا قرأناها على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ لم نكن نحسب أنا أهلها حتى وقعت منا حيث وقعت .

صحيح

* * *

حديث كلاب الحوأب[1]

قال الإمام أحمد رحمه الله (٦/٩٧) :

حدثنا محمد بن جعفر قال : ثنا شعبة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم أن عائشة قالت لما أتت على الحوأب سمعت نباح الكلاب فقالت : ما أظنني إلا راجعة إن رسول الله ﷺ قال لنا : **أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب** فقال لها الزبير ترجعين[2]؟! عسى الله عز وجل أن يصلح بك بين الناس .

صحيح

وأخرجه أحمد أيضاً (٦/٥٢) وأبو يعلى الموصلي (٨/٢٨٢) .

وابن حبان (موارد الظمآن) (١٨٣١) .

* * *

---

(١) وفيه دليل على أن علياً ومن معه على الحق .

(٢) أى تعجب من أمر رجوعها وحثها على المضى فى مسيرها .

فائدة العلم فى وقت الفتن

قال الإمام البخارى رحمه الله (٤٤٢٥) :

حدثنا عثمان بن الهيثم حدثنا عوف عن الحسن عن أبى بكرة قال : لقد نفعنى الله بكلمةٍ سمعتُها من رسولِ الله ﷺ أيام الجمل[1] بعد ما كدتُ أن أَلْحق بأصحاب الجملِ فأُقاتل معهم قال : لما بلغ رسولَ الله ﷺ أن أَهْل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال : « **لن يفلح قومٌ ولوا أمرهم امرأةً** » .

صحيح

وأخرجه الترمذى (٢٢٦٢) وقال : هذا حديث حسن صحيح، والنسائى (٨/٢٢٧).

---

(١) أى أن هذه الكلمة نفعته أيام الجمل .
قال الحافظ فى الفتح فى بيان قصة أصحاب الجمل (٨/١٢٨) : ومحصلها أن عثمان لما قتل وبويع علىٌّ بالخلافة خرج طلحة والزبير إلى مكة فوجدا عائشة وكانت قد حجت ، فاجتمع رأيهم على التوجه إلى البصرة يستنفرون الناس للطلب بدم عثمان فبلغ ذلك علياً رضى الله عنه فخرج إليهم فكانت وقعة الجمل ونسبت إلى الجمل الذى كانت عائشة قد ركبته وهى فى هودجها تدعو الناس إلى الإصلاح .
وقال فى الفتح (١٣/٥٦) : .. ونقل ابن بطال عن المهلب أن ظاهر حديث أبى بكرة يوهم توهين رأى عائشة فيما فعلت ، وليس كذلك لأن المعروف من مذهب أبى بكرة أنه كان على رأى عائشة فى طلب الإصلاح بين الناس ولم يكن قصدهم القتال ، لكن لما انتشبت الحرب لم يكن لمن معها بد من المقاتلة ، ولم يرجع أبو بكرة عن رأى عائشة وإنما تفرس بأنهم يغلبون لما رأى الذين مع عائشة تحت أمرها لما سمع فى أمر فارس . قال : ويدل لذلك أن أحداً لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا علياً فى الخلافة ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة ، وإنما أنكرت هى ومن معها على علىّ منعه من قتل قتلة عثمان وترك الاقتصاص منهم ، وكان على ينظر من أولياء عثمان أن يتحاكموا إليه فإذا ثبت على أحد بعينه أنه ممن قتل عثمان اقتص منه ، فاختلفوا بحسب ذلك وخشى من نسب إليه القتل أن يصطلحوا على قتلهم فأنشبوا الحرب بينهم إلى أن كان ما كان ، فلما انتصر علىّ عليهم حمد أبو بكرة رأيه فى ترك القتال معهم ، وإن كان رأيه كان=

= موافقاً لرأى عائشة فى الطلب بدم عثمان انتهى كلامه قال الحافظ : وفى بعضه نظر .

□ مزيد من الآثار فى قصة الجمل □

أورد الحافظ ابن حجر رحمه الله جملة آثار فى قصة الجمل ولولا أن كثيراً منها فى كتب ليست فى متناول أيدينا لأوردناها مسندة وحققنا القول فيها ، فلهذا فإننا سنورد ما سطره الحافظ فى فتح البارى مع بعض التعليقات عليه إن شاء الله ، ولعلنا نورد بعض ما ذكره فى أبواب مستقلة فى هذا الكتاب والله المستعان .

قال الحافظ رحمه الله (فتح البارى ١٣/٥٤ – ٥٦) : وقد جمع عمر بن شبة (فى كتاب أخبار البصرة) قصة الجمل مطولة ، وها أنا ألخصها وأقتصر على ما أورده بسند صحيح أو حسن وأُبين ما عداه .

● فأخرج من طريق عطية بن سفيان الثقفى عن أبيه قال : لما كان الغد من قتل عثمان أقبلت مع علىٍّ فدخل المسجد فإذا جماعة على وطلحة فخرج إليهم أبو جهم بن حذيفة فقال : يا علىّ ألا ترى ؛ فلم يتكلم ، ودخل بيته فأتى بثريد فأكل ثم قال : يقتل ابن عمى وتغلب على ملكه ؟ فخرج إلى بيت المال ففتحه فلما تسامع الناس تركوا طلحة .

● ومن طريق مغيرة عن إبراهيم عن علقمة قال : قال الأشتر رأيت طلحة والزبير بايعا علياً طائعين غير مكرهين .

● ومن طريق أبى نضرة قال : كان طلحة يقول : إنه بايع وهو مكره .

● ومن طريق داود بن أبى هند عن الشعبى قال : لما قتل عثمان أتى الناس علياً وهو فى سوق المدينة فقالوا له : ابسط يدك نبايعك فقال : حتى يتشاور الناس فقال بعضهم : لئن رجع الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان و لم يقم بعده قائم لم يؤمن الاختلاف وفساد الأمة فأخذ الأشتر بيده فبايعوه .

● ومن طريق ابن شهاب قال : لما قتل عثمان وكان على خلا بينهم ، فلما خشى أنهم يبايعون طلحة دعا الناس إلى بيعته فلم يعدلوا به طلحة ولا غيره ثم أرسل إلى طلحة والزبير فبايعاه .

● ومن طريق ابن شهاب أن طلحة والزبير استأذنا عليا فى العمرة ثم خرجا =

= إلى مكة فلقيا عائشة فاتفقوا على الطلب بدم عثمان حتى يقتلوا قتلته .

● ومن طريق عوف الأعرابى قال : استعمل عثمان يعلى بن أمية على صنعاء وكان عظيم الشأن عنده فلما قتل عثمان وكان يعلى قدم حاجاً فأعان طلحة والزبير بأربعمائة ألف وحمل سبعين رجلًا من قريش واشترى لعائشة جملًا يقال له عسكر بثمانين دينارًا .

● ومن طريق عاصم بن كليب عن أبيه قال : قال علىٌّ أتدرون بمن بليت ؟ أطوع الناس فى الناس عائشة ، وأشد الناس الزبير ، وأدهى الناس طلحة ، وأيسر الناس يعلى بن أمية .

● ومن طريق ابن أبى ليلى قال : خرج علىّ فى آخر شهر ربيع الآخر سنة ستة وثلاثين .

● ومن طريق محمد بن علىّ بن أبى طالب قال : سار على من المدينة ومعه تسعمائة راكب فنزل بذى قار .

● ومن طريق قيس بن أبى حازم قال : لما أقبلت عائشة فنزلت بعض مياه بنى عامر نبحت عليها الكلاب فقالت : أى ماء هذا ؟ قالوا : الحوأب – بفتح الحاء المهملة وسكون الواو بعدها همزة ثم موحدة – قالت ما أظننى إلا راجعة فقال لها بعض من كان معها : بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم فقالت إن النبى ﷺ قال لنا ذات يوم : « **كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب** » ، وأخرج هذا أحمد وأبو يعلى والبزار وصححه ابن حبان والحاكم وسنده على شرط الصحيح .

● وعند أحمد فقال لها الزبير : تقدمين .. فذكره .

● ومن طريق عصام بن قدامة عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لنسائه : « **أيتكن صاحبة الجمل الأدبب** – بهمزة مفتوحة ودال ساكنة ثم موحدتين الأولى مفتوحة – **تخرج حين تنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة وتنجو من بعد ما كادت** » ، وهذا رواه البزار ورجاله ثقات .
=

= ● وأخرج البزار من طريق زيد بن وهب قال : بينا نحن حول حذيفة إذ قال كيف أنتم وقد خرج أهل بيت نبيكم فرقتين يضرب بعضكم وجوه بعض بالسيف ؟ قلنا : يا أبا عبد الله فكيف نصنع إذا أدركنا ذلك ؟ قال : انظروا إلى الفرقة التى تدعو إلى أمر علىّ بن أبى طالب فإنها على الهدى .

● وأخرج الطبرانى من حديث ابن عباس قال : بلغ أصحاب علىّ حين ساروا معه أن أهل البصرة اجتمعوا بطلحة والزبير فشق عليهم ووقع فى قلوبهم ، فقال علىّ : والذى لا إلٰه غيره لنظهرن على أهل البصرة ولنقتلن طلحة والزبير الحديث . وفى إسناده إسماعيل بن عمرو البجلى وفيه ضعف .

● وأخرج الطبرانى من طريق محمد بن قيس قال : ذكر لعائشة يوم الجمل قالت : والناس يقولون يوم الجمل ؟ قالوا : نعم . قالت : وددت أنى جلست كما جلس غيرى فكان أحب إلى من أن أكون ولدت من رسول الله ﷺ عشرة كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وفى سنده أبو معشر نجيح المدنى وفيه ضعف .

● وأخرج إسحاق بن راهويه من طريق سالم المرادى سمعت الحسن يقول : لما قدم علىٌّ البصرة فى أمر طلحة وأصحابه قام قيس بن عباد وعبد الله بن الكواء فقالا له : أخبرنا عن مسيرك هذا فذكر حديثاً طويلاً فى مبايعته أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ثم ذكر طلحة والزبير فقال : بايعانى بالمدينة وخالفانى بالبصرة ولو أن رجلًا ممن بايع أبا بكر خالفه لقاتلناه ، وكذلك عمر .

● وأخرج أحمد والبزار بسند حسن من حديث أبى رافع أن رسول الله ﷺ قال لعلى بن أبى طالب : « **إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر** » قال : فأنا أشقاهم يا رسول الله ؟ قال : « **لا ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها** » .

● وأخرج إسحاق من طريق إسماعيل بن أبى خالد عن عبد السلام رجل من حيِّه قال : خلا علىّ بالزبير يوم الجمل فقال : أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول وأنت لاوى يده : « **لتقاتلنه وأنت ظالم له ثم لَيُنصرن عليك** » ؟ قال : قد سمعت لا جرم لا أقاتلك . =

....

= ● وأخرج أبو بكر بن أبى شيبة من طريق عمر بن الهجنع - بفتح الهاء والجيم وتشديد النون بعدها مهملة - عن أبى بكرة ، وقيل له : ما منعك أن تقاتل مع أهل البصرة يوم الجمل ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يخرج قوم هلكى لا يفلحون ، قائدهم امرأة فى الجنة** » ، فكأن أبا بكرة أشار إلى هذا الحديث فامتنع من القتال معهم ، ثم استصوب رأيه فى ذلك الترك لما رأى غلبة علىّ ، وقد أخرج الترمذى والنسائى الحديث المذكور من طريق حميد الطويل عن الحسن البصرى عن أبى بكرة بلفظ (عصمنى الله بشىء سمعته من رسول الله ﷺ ... فذكر الحديث قال : فلما قدمت عائشة ذكرت ذلك فعصمنى الله ، وأخرج عمر بن شبة من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن أن عائشة أرسلت إلى أبى بكرة فقال : إنكِ لأُمٌّ ، وإن حقك لعظيم ، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لن يفلح قوم تملكهم امرأة** » .

وقال الحافظ أيضاً (فتح ١٣/٥٧) :

ذكر عمر بن شبة بسند جيد أنهم توجهوا من مكة بعد أن أهلت السنة ، وذكر بسند له آخر أن الوقعة بينهم كانت فى النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، وذكر من رواية المدائنى عن العلاء أبى محمد عن أبيه قال جاء رجل إلى علىّ وهو بالزاوية فقال : علام تقاتل هؤلاء ؟ قال : على الحق ، قال : فإنهم يقولون إنهم على الحق قال : أقاتلهم على الخروج من الجماعة ونكث البيعة .

● وأخرج الطبرى من طريق عاصم بن كليب الجرمى عن أبيه قال : رأيت فى زمن عثمان أن رجلاً أميراً مرض وعند رأسه امرأة والناس يريدونه فلو نهتهم المرأة لانتهوا ، ولكنها لم تفعل فقتلوه ثم غزوت تلك السنة فبلغنا قتل عثمان فلما رجعنا من غزاتنا وانتهينا إلى البصرة قيل لنا هذا طلحة والزبير وعائشة فتعجب الناس وسألوهم عن سبب مسيرهم فذكروا أنهم خرجوا غضباً لعثمان وتوبة مما صنعوا من خذلانه ، وقالت عائشة : غضبنا لكم على عثمان فى ثلاث إمارة الفتى وضرب السوط والعصا فما أنصفناه إن لم نغضب له فى ثلاث حرمة الدم والشهر والبلد . قال : فسرت أنا ورجلان من قومى إلى علىّ وسلمنا عليه وسألناه =

= فقال : عدا الناس على هذا الرجل فقتلوه وأنا معتزل عنهم ثم ولونى ولولا الخشية على الدين لم أجبهم ، ثم استأذننى الزبير وطلحة فى العمرة فأخذت عليهما العهود وأذنت لهما فعرّضا أم المؤمنين لما لا يصلح لها فبلغنى أمرهم فخشيت أن ينفتق فى الإسلام فتق فاتبعتهم ، فقال أصحابه : والله ما نريد قتالهم إلا أن يقاتلوا ، وما خرجنا إلا للإصلاح فذكر القصة وفيها أن أول ما وقعت الحرب أن صبيان العسكرين تسابوا ثم تراموا ثم تبعهم العبيد ثم السفهاء فنشبت الحرب ، وكانوا خندقوا على البصرة فقتل قوم وجرح آخرون ، وغلب أصحاب على ونادى مناديه لا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا جريحاً ولا تدخلوا دار أحد ثم جمع الناس وبايعهم واستعمل ابن عباس على البصرة ورجع إلى الكوفة .

● وأخرج ابن أبى شيبة بسند جيد عن عبد الرحمن بن أبزى قال : انتهى عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى إلى عائشة يوم الجمل وهى فى الهودج فقال : يا أم المؤمنين أتعلمين أنى أتيتك عندما قتل عثمان فقلت ما تأمرينى ، فقلت الزم علياً ؟ فسكتت فقال : اعقروا الجمل فعقروه ، فنزلت أنا وأخوها محمد فاحتملنا هودجها فوضعناه بين يدى علىّ فأمر بها فأُدخلت بيتاً .

● وأخرج أيضاً بسند صحيح عن زيد بن وهب قال فكف علىٌّ يده حتى بدءوه بالقتال فقاتلهم بعد الظهر فما غربت الشمس وحول الجمل أحد ، فقال علىٌّ لا تيمموا جريحاً ولا تقتلوا مدبرًا ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن .

● وأخرج الشافعى من رواية علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب قال : دخلت على مروان بن الحكم فقال : ما رأيت أحدًا أكرم غلبة من أبيك – يعنى علياً – ما هو إلا أن ولينا يوم الجمل فنادى مناديه : لا يقتل مدبر ولا يذفف على جريح .

● وأخرج الطبرى بسند صحيح عن علقمة قال : قلت للأشتر : قد كنت كارهاً لقتل عثمان فكيف قاتلت يوم الجمل ؟ قال : إن هؤلاء بايعوا علياً ثم نكثوا عهده ، وكان الزبير هو الذى حرك عائشة على الخروج فدعوت الله أن يكفينيه فلقينى كفه بكفه فما رضيت لشدة ساعدى أن قمت فى الركاب فضربته على رأسه ضربة فصرعته ، فذكر القصة فى أنهما سلما .

طرف من فتنة علىّ مع معاوية رضى الله عنهما

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٦٠٨) :

حدثنا الحكم بن نافع حدثنا شعيب عن الزهرى[١] قال أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقومُ الساعةُ حتى يقتتل فئتان[٢] دعواهما واحدةٌ** »[٣] .

صحيح

---

(١) وقد روى هذا الحديث من طريق ابن أبى عتيق عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبيه (أى أن صحابى الحديث على هذا هو عبد الرحمن بن عوف) لكن الصواب رواية من روى الحديث عن أبى سلمة عن أبى هريرة مرفوعاً ، وكذا صوبه الدارقطنى فى العلل (٢٧٩/٤) .

(٢) فى رواية للبخارى (٣٦٠٩) : « **فيكون بينهما مقتلة عظيمة** ».

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (٦١٦/٦ مع الفتح): والمراد بهما من كان مع علىّ ومعاوية لما تحاربا بصفين، وقوله «**دعواهما واحدة**» أى دينهما واحد لأن كلاً منهما كان يتسمى بالإسلام، أو المراد أن كلاً منهما كان يدعى أنه المحق، وذلك أن علياً كان إذ ذاك إمام المسلمين وأفضلهم يومئذ باتفاق أهل السنة، ولأن أهل الحل والعقد بايعوه بعد قتل عثمان، وتخلف عن بيعته معاوية فى أهل الشام ثم خرج طلحة والزبير ومعهما عائشة إلى العراق فدعوا الناس إلى طلب قتلة عثمان لأن الكثير منهم انضموا إلى عسكر علىّ فخرج علىّ إليهم فراسلوه فى ذلك فأبى أن يدفعهم إليهم إلا بعد قيام دعوى من ولى الدم وثبوت ذلك على من باشره بنفسه، ورحل علىٌّ بالعساكر طالباً الشام داعياً لهم إلى الدخول فى طاعته مجيباً لهم عن شبههم فى قتلة عثمان بما تقدم فرحل معاوية بأهل الشام فالتقوا بصفين بين الشام والعراق فكانت بينهم مقتلة عظيمة كما أخبر به ﷺ، وآل الأمر بمعاوية ومن معه عند ظهور علىٍّ عليهم إلى طلب التحكيم ثم رجع علىٌّ إلى العراق فخرجت عليه الحرورية فقتلهم بالنهروان ومات بعد ذلك، وخرج ابنه الحسن بن علىّ بعده بالعساكر لقتال أهل الشام وخرج إليه معاوية فوقع بينهم الصلح كما أخبر به ﷺ فى حديث أبى بكرة «**إن الله يصلح به بين فئتين من المسلمين**».

الدليل على أن علياً ومن معه على الحق فى قتالهم معاوية

قال الإمام مسلم رحمه الله (ص ٧٤٥) :

حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا القاسم (وهو ابن الفضل الحدانى) حدثنا أبو نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « **تمرق مارقةٌ عند فرقةٍ من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق** »[1] .

صحيح

وأخرجه أبو داود (٤٦٦٧) وأحمد (٣/٤٥ و ٦٤) وأبو يعلى (٢/٣٠٧-٣٠٨) والنسائى فى الخصائص (١٦٧) وله عدة طرق عنده عن أبى نضرة .

---

(١) فى لفظ آخر لمسلم (ص٧٤٦) من طريق قتادة عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « **يكون فى أمتى فرقتان فيخرج من بينهما مارقة يلى قتلهم أولاهم بالحق** » .
قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٧/٦١٩) : وفى هذا وفى قوله ﷺ « **تقتل عماراً الفئة الباغية** » دلالة واضحة على أن علياً ومن معه كانوا على الحق وأن من قاتلهم كانوا مخطئين فى تأويلهم والله أعلم .
قلت : وينضم إلى هذا ما ورد من كم غزير من أحاديث فى فضل علىّ رضى الله عنه منها : « **لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه اللّهُ ورسوله** » فأعطاها علياً وحديث « **من كنت مولاه فعلى مولاه** » وقول النبى ﷺ لعلى : « **اذهب فإن الله تعالى سيثبت لسانك ويهدى قلبك** » ، وقوله عليه السلام : « **علىٌّ منى وأنا منه ولا يؤدى عنى إلا أنا أو علىّ** » ، وحديث : « **لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق** » وغير ذلك ، وكما قال القائل :

وأين الثريا وأين الثرى ... وأين معاوية من علىّ

رضى الله عنهم أجمعين .

وأخرجه أيضاً ابن أبى عاصم فى السنة (١٣٢٨) والطيالسى (٢١٦٥) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (حديث ٤٤٧) :

حدثنا مسدد قال : حدثنا عبد العزيز بن مختار قال : حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال لى ابن عباس ولابنه علىّ : انطلقا إلى أبى سعيد فاسمعا من حديثه فانطلقنا فإذا هو فى حائط يصلحه فأخذ رداءه فاحتبى ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال : كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبى ﷺ فينفض التراب عنه ويقول : « **ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار** » . قال يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن .

صحيح

وأخرجه أحمد (٣/٩٠ - ٩١)

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩١٦) :

وحدثنى محمد بن عمرو بن جبلة حدثنا محمد بن جعفر ح وحدثنا عقبة بن مكرم العمّى وأبو بكر بن نافع (قال عقبة : حدثنا . وقال أبو بكر : أخبرنا) غندر حدثنا شعبة قال : سمعت خالداً يحدث عن سعيد بن أبى الحسن عن أمه عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لعمار : « **تقتلك الفئة الباغية** » .

صحيح(١)

* * *

(١) فله طرق تقدم بعضها .

عذر أسامة بن زيد فى تخلفه عن علىّ رضى الله عنهم

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧١١٠) :

حدثنا علىّ بن عبد الله حدثنا سفيان قال : قال عمرو أخبرنى محمد بن علىّ أن حرملة مولى أسامة أخبره ، قال عمرو : وقد رأيت حرملة - قال : أرسلنى أسامة إلى علىٍّ وقال : إنه سيسألك الآن فيقول ما خلف صاحبك ؟ فقل له : يقول لك : لو كنت فى شدق الأسد لأحببت أن أكون معك فيه ، ولكن هذا أمرٌ لم أره[1] ، فلم يُعطنى شيئاً ، فذهبتُ إلى حسنٍ وحُسين وابن جعفر فأوقروا لى راحلتى[2] .

موقوف صحيح

(١) قال الحافظ فى الفتح (١٣/٦٨) : قال ابن بطال : أرسل أسامة إلى علىّ يعتذر عن تخلفه عنه فى حروبه ويعلمه أنه من أحب الناس إليه ، وأنه يحب مشاركته فى السراء والضراء إلا أنه لا يرى قتال المسلم قال والسبب فى ذلك أنه لما قتل ذلك الرجل[*] ولامه النبى ﷺ آلى على نفسه ألا يقاتل مسلماً . فذلك سبب تخلفه عن علىّ فى الجمل وصفين انتهى ملخصاً. وقال ابن التين : إنما منع علياً أن يعطى رسول أسامة شيئاً لأنه لعله سأله شيئاً من مال الله فلم ير أن يعطيه لتخلفه عن القتال معه ، وأعطاه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر لأنهم كانوا يرونه واحداً منهم لأن النبى ﷺ كان يجلسه على فخذه ويجلس الحسن على الفخذ الآخر ويقول : « **اللهم إنى أحبهما** » .

(٢) قوله : فأوقروا لى راحلتى أى حملوا لى على راحلتى ما أطاقت حمله ، والراحلة هى التى صلحت للركوب من الإبل ذكراً كان أو أنثى ، وأكثر ما يطلق الوقر وهو بالكسر على ما يحمل البغل والحمار ، وأما حمل البعير فيقال له الوسق ، ثم قال الحافظ رحمه الله : وكأنهم لما علموا أن علياً لم يعطه شيئاً عوضوه من أموالهم من ثياب ونحوها قدر ما تحمله راحلته التى هو راكبها .

(*) سيأتى الحديث الخاص بذلك إن شاء الله .

موقف عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من هذه الفتنة

قال الإمام البخارى رحمه الله (٤٥١٣) :

حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أتاه رجلان فى فتنة[١] ابن الزبير فقالا : إن الناس قد ضيعوا وأنت ابن عمر وصاحب النبى ﷺ فما يمنعك أن تخرج ؟ فقال : يمنعنى أن الله حرم دم أخى ، فقالا ألم يقل الله ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة** ﴾ ؟ فقال : قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله ، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله .

صحيح

وزاد عثمان بن صالح عن ابن وهب قال أخبرنى فلان وحيوة بن شريح عن بكر ابن عمرو المعافرى أن بكير بن عبد الله حدثه عن نافع أن رجلاً أتى ابن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن ما حملك على أن تحج عاماً وتعتمر عاماً وتترك الجهاد فى سبيل الله عز وجل وقد علمت ما رغب الله فيه ؟ قال يا ابن أخى : بنى الإسلام على خمس : إيمان بالله ورسوله والصلوات الخمس وصيام رمضان وأداء الزكاة وحج البيت قال : يا أبا عبد الرحمن ألا تسمع ما ذكر الله فى كتابه ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما**

---

(١) قال الحافظ (فتح البارى ١٨٤/٨) : وقوله (فى فتنة ابن الزبير) فى رواية سعيد ابن منصور أن ذلك عام نزول الحجاج بابن الزبير فيكون المراد بفتنة ابن الزبير ما وقع فى آخر أمره ، وكان نزول الحجاج وهو ابن يوسف الثقفى من قبل عبد الملك بن مروان جهزه لقتال عبد الله بن الزبير وهو بمكة فى أواخر سنة ثلاث وسبعين ، وقتل عبد الله بن الزبير فى آخر تلك السنة ومات عبد الله بن عمر فى أول سنة أربع وسبعين .

على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ﴾ و ﴿ قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ قال : فعلنا على عهد رسول الله ﷺ وكان الإسلام قليلاً فكان الرجل يفتن فى دينه : إما قتلوه وإما يعذبونه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة .

قال : فما قولك فى علىّ وعثمان ؟ قال أما عثمان فكان الله عفا عنه ، وأما أنتم فكرهتم أن يعفو عنه ، وأما علىّ فابن عم رسول الله ﷺ وختنه – وأشار بيده فقال – هذا بيته حيث ترون .

صحيح[1]

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٩٥) :

حدثنا إسحاق بن شاهين الواسطى حدثنا خالد عن بيان عن وبرة بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير قال : خرج علينا عبد الله بن عمر فرجونا أن يحدثنا حديثاً حسناً قال فبادرنا إليه رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن حدثنا عن القتال فى الفتنة والله يقول ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾[2] فقال هل تدرى

---

(١) وقد رواه البخارى موصولاً (٤٦٥٠) .

(٢) قال الحافظ فى الفتح (٤٧/١٣) : يريد أن يحتج بالآية على مشروعية القتال فى الفتنة وأن فيها الرد على من ترك ذلك كابن عمر ، وقوله : (ثكلتك أمك) ظاهره الدعاء ، وقد يرد مورد الزجر كما هنا ، وحاصل جواب ابن عمر له أن الضمير فى قوله تعالى : ﴿ وقاتلوهم ﴾ للكفار ، فأمر المؤمنين بقتال الكافرين حتى لا يبقى أحد يفتن عن دين الإسلام ويرتد إلى الكفر ، ووقع نحو هذا السؤال من نافع بن الأزرق وجماعة لعمران بن حصين فأجابهم بنحو جواب ابن عمر أخرجه ابن ماجه ، وقد تقدم فى سورة الأنفال من رواية زهير بن معاوية عن بيان بزيادة (فقال) بدل قوله (وكان الدخول فى دينهم فتنة فكان الرجل يفتن عن دينه إما يقتلونه وإما يوثقونه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة) أى لم يبق فتنة أى من أحد من الكفار لأحد من المؤمنين ثم قال : وقوله هنا (وليس كقتالكم =

ما الفتنة ثكلتك أمك ؟ إنما كان محمد ﷺ يقاتل المشركين ، وكان الدخول في دينهم فتنة وليس كقتالكم على الملك .

صحيح

وعزاه المزى للنسائى .

* * *

= على الملك) أى فى طلب الملك يشير إلى ما وقع بين مروان ثم عبد الملك ، ابنه وبين ابن الزبير وما أشبه ذلك ، وكان رأى ابن عمر ترك القتال فى الفتنة ولو ظهر أن إحدى الطائفتين محقة والأخرى مبطلة ، وقيل الفتنة مختصة بما إذا وقع القتال بسبب التغالب فى طلب الملك ، وأما إذا علمت الباغية فلا تسمى فتنة وتجب مقاتلتها حتى ترجع إلى الطاعة ، وهذا قول الجمهور .

قول النبى ﷺ لمحمد بن مسلمة (لا تضرك فتنة)

قال أبو داود رحمه الله (٤٦٦٣) :

حدثنا الحسن بن علىّ حدثنا يزيد أخبرنا هشام عن محمد قال : قال حذيفة : ما أحد من الناس تدركه الفتنة إلا أنا أخافها عليه إلا محمد بن مَسلمة[(١)] فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا تضرك فتنة** » .

صحيح

* * *

(١) محمد بن مسلمة من أفاضل الصحابة وقد اعتزل الفتن الدائرة فى زمان أمير المؤمنين على مع معاوية .
هذا وقد أخرج أبو داود عقب هذا الحديث حديثاً من طريق ثعلبة بن ضبيعة قال : دخلنا على حذيفة فقال : إنى لأعرف رجلاً لا تضره الفتن شيئاً قال : فخرجنا فإذا فسطاط مضروب فدخلنا فإذا فيه محمد بن مسلمة فسألناه عن ذلك فقال ; ما أريد أن يشتمل علىَّ شىء من أمصاركم حتى تنجلى عما انجلت .
وثعلبة بن ضبيعة مجهول الحال .

طرف من فتنة الخوارج

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٦١٠) :

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال : أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجلٌ من بنى تميم فقال يا رسول الله : اعدل . فقال : « **ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل** » فقال عمر : يارسول الله ائذن لى فيه فأضرب عنقه فقال :«**دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم**[١] **يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**[٢] **ينظر إلى نصله**[٣] **فلا يوجد فيه شىء ثم ينظر إلى رصافه**[٤] **فما يوجد فيه شىء ثم ينظر إلى نضيه** –وهو قدحه– **فلا يوجد فيه شىء ثم ينظر إلى**

---

(١) قال النووى (١٠٧/٣) : قال القاضى : فيه تأويلان أحدهما معناه لا تفقهه قلوبهم ولا ينتفعون بما تلوا منه ، ولا لهم حظ سوى تلاوة الفم والحنجرة والحلق إذ بهما تقطيع الحروف ، والثانى معناه لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة ولا يتقبل .

(٢) قال القاضى : معناه يخرجون منه خروج السهم إذا نفذ الصيد من جهة أخرى و لم يتعلق به شىء منه والرمية هى الصيد المرمىُّ . ، وقال الحافظ فى الفتح : ومن شدة سرعة خروجه لقوة الرامى لا يعلق من جسد الصيد شىء .

(٣) ، (٤) قال الحافظ فى الفتح (٦١٨/٦) : قوله : « **ينظر فى نصله** » أى حديدة السهم ، و « **رصافه** » بكسر الراء ثم مهملة ثم فاء أى عصبه الذى يكون فوق مدخل النصل ، والرصاف جمعٌ واحده رصفة بحركات . ونضيه هو عود السهم قبل أن يراش وينصل ، وقيل هو ما بين الريش والنصل قاله الخطابى .

قُذَذه[1] فلا يوجد فيه شىء قد سبق الفرث والدم[2] آيتهم رجل أسود إحدى عضُديه مثل ثدى المرأة ، أو مثل البضعة تدردر[3] ويخرجون على حين فرقةٍ من المسلمين » . قال أبو سعيد فأشهد أنى سمعتُ هذا الحديث من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن علىَّ بن أبى طالب قاتلهم وأنا معه ، فأمر بذلك الرجل فالتُمس فأُتى به ، حتى نظرت إليه على نعت النبى ﷺ الذى نعته .

صحيح

وأخرجه مسلم (ص٧٤٤) ، وعزاه المزى للنسائى ، وأخرج ابن ماجه بعضه (١٦٩) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٦١١) :

حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن الأعمش عن خيثمة عن سويد بن غفلة قال قال علىّ رضى الله عنه : إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه ، وإذا حدثتكم فيما بينى وبينكم فإن الحرب خدعة ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« يأتى فى آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية[4] يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم[5]** ،

---

(١) القذذ هى ريش السهم .

(٢) أى قد مر السهم بدون أن يعلق به شىء من الدم .

(٣) تدردر : أى تضطرب .

(٤) قال الحافظ فى الفتح (٦١٩/٦) وقوله : « **يقولون من قول خير البرية** » أى من القرآن كما فى حديث أبى سعيد الذى قبله : « **يقرءون القرآن** » وكان أول كلمة خرجوا بها قولهم : لا حكم إلا الله ، وانتزعوها من القرآن وحملوها على غير محملها .

(٥) فى رواية البخارى (٦٩٣٠) « **فأينما لقيتموهم فاقتلوهم** » .

فإن فى قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة » .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٠٦٦) وأبو داود (٤٧٦٧) والنسائى (١١٩/٧) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٠٦٣) :

حدثنا محمد بن رمح بن المهاجر أخبرنا الليث عن يحيى بن سعيد عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال : أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة منصرفه من حنين وفى ثوب بلال فضة ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطى الناس فقال : يا محمد اعدل قال : **« ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل ؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل »** فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : دعنى يا رسول الله فأقتل هذا المنافق . فقال : **« معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى ، إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية »** .

صحيح

وعزاه المزى للنسائى .

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٠٦٧) :

حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : **« إن بعدى من أمتى (أو سيكون بعدى من أمتى) قوم يقرأون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه هم شر الخلق والخليقة »** فقال ابن الصامت : فلقيت رافع بن عمرو الغفارى أخا الحكم الغفارى قلت ما حديث سمعته من أبى ذر : كذا وكذا ؟ فذكرت له هذا الحديث فقال : وأنا سمعته من رسول الله ﷺ .

صحيح

وأخرجه ابن ماجه (١٧٠)

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٠٦٨):

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا علىّ بن مسهر عن الشيبانى عن يسير بن عمرو قال: سألت سهل بن حنيف هل سمعت النبى ﷺ يذكر الخوارج ؟ فقال: سمعته (وأشار بيده نحو المشرق)[1] : « **قوم يقرأون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية** » .

صحيح

وحدثناه أبو كامل حدثنا عبد الواحد حدثنا سليمان الشيبانى بهذا الإسناد وقال: يخرج منه أقوام .

وأخرجه البخارى (٦٩٣٤) وعزاه المزى للنسائى .

قال الإمام الترمذى رحمه الله (٢١٨٨) :

حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : « **يخرج فى آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يقولون من قول خير البرية يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمية** » .

حسن

وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه ابن ماجه (١٦٨) .

قال الإمام أحمد رحمه الله (١/٨٦ - ٨٧) :

حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع حدثنى يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان ابن خثيم عن عبيد الله بن عياض بن عمرو القارى قال: جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة رضى الله عنها ونحن عندها جلوس مرجعه من العراق

---

(١) فى رواية البخارى: وأهوى بيده قِبَلَ العراق .

ليالى قتل علىّ رضى الله عنه فقالت له : يا عبد الله بن شداد هل أنت صادق عما أسألك عنه تحدثنى عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علىّ رضى الله عنه قال : ومالى لا أصدقك ! قالت : فحدثنى عن قصتهم قال : فإن علياً رضى الله عنه لما كاتب معاوية وحكم الحكمان خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس فنزلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة وأنهم عتبوا عليه فقالوا : انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى ، واسم سماك الله تعالى به ثم انطلقت فحكمت فى دين الله فلا حكم إلا لله تعالى فلما أن بلغ علياً رضى الله عنه ما عتبوا عليه وفارقوه عليه فأمر مؤذناً فأذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن ، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ويقول أيها المصحف حدث الناس فناداه الناس فقالوا : يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه إنما هو مداد فى ورق ونحن نتكلم بما روينا منه فماذا تريد ؟ قال : أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بينى وبينهم كتاب الله ، يقول الله تعالى فى كتابه فى امرأة ورجل ﴿ **وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما** ﴾ فأمة محمد ﷺ أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل ، ونقموا علىَّ أن كاتبت معاوية كتب علىُّ بن أبى طالب ، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشاً فكتب رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل : لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال : **كيف نكتب** ؟ فقال : اكتب باسمك اللهم فقال رسول الله ﷺ : « **فاكتب محمد رسول الله** » فقال : لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك فكتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشاً يقول الله تعالى فى كتابه : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ فبعث إليهم علىٌّ عبد الله بن عباس رضى الله عنه فخرجت

معه حتى إذا توسطنا عسكرهم قام ابن الكواء يخطب الناس فقال : يا حملة القرآن إن هذا عبد الله بن عباس رضى الله عنه فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه من كتاب الله ما يعرف به ، هذا ممن نزل فيه وفى قومه ﴿ **قوم خصمون** ﴾ فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله فقام خطباؤهم فقالوا : والله لنواضعنه كتاب الله فإن جاء بحق نعرفه لنتبعه ، وإن جاء بباطل لنبكتنه ببطاله ، فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب فيهم ابن الكواء حتى أدخلهم على علىٍّ الكوفة فبعث علىّ رضى الله عنه إلى بقيتهم فقال : قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد ﷺ بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دماً حراماً أو تقطعوا سبيلاً أو تسلبوا ذمة فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء إن الله لا يحب الخائنين فقالت له عائشة رضى الله عنها : يا ابن شداد فقد قتلهم فقال : والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدم واستحلوا أهل الذمة فقالت : آلله ! قال آلله الذى لا إلـه إلا هو لقد كان . قالت : ما شىء بلغنى عن أهل الذمة[1] يتحدثونه يقولون ذو الثدى وذو الثدى ؟ قال : قد رأيته وقمت مع علىّ رضى الله عنه عليه فى القتلى فدعا الناس فقال : أتعرفون هذا ؟ فما أكثر من جاء يقول : قد رأيته فى مسجد بنى فلان يصلى ورأيته فى مسجد بنى فلان يصلى ، ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك قالت : فما قول علىّ رضى الله عنه حين قام عليه كما يزعم أهل العراق ؟ قال : سمعته يقول : صدق الله ورسوله قالت : هل سمعت منه أنه قال غير ذلك ؟ قال : اللهم لا . قالت : أجل صدق الله ورسوله يرحم الله علياً رضى الله عنه إنه كان من كلامه لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال صدق الله ورسوله فيذهب أهل العراق

---

(١) فى رواية أبى يعلى (عن أهل العراق) .

يكذبون عليه ويزيدون عليه فى الحديث .

حسن

وأخرجه أبو يعلى فى مسنده (٣٦٧/١)

قال النسائى رحمه الله (الخصائص حديث ١٨٥) :

أخبرنا عمرو بن علىّ قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال : حدثنا عكرمة بن عمار قال : حدثنا أبو زميل قال : حدثنى عبد الله بن عباس قال : لما خرجت الحرورية اعتزلوا فى دارهم وكانوا ستة آلاف فقلت لعلّى رضى الله عنه : يا أمير المؤمنين أبرد بالظهر لعلِّى آتى هؤلاء القوم فأُكلمهم قال : إنى أخاف عليك قلت : كلا . قال : فقمت وخرجت ودخلت عليهم فى نصف النهار وهم قائلون فسلمت عليهم فقالوا مرحباً بك يا ابن عباس فما جاء بك ؟ قلت لهم : أتيتكم من عند أصحاب النبى ﷺ وصهره ، وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم ، وليس فيكم منهم أحد لأبلغكم ما يقولون وتخبرون بما تقولون .

قلت : أخبرونى ماذا نقمتم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمه ؟ قالوا : ثلاث . قلت : ما هن ؟ قالوا :

أما إحداهن فإنه حكم الرجال فى أمر الله ، وقال الله تعالى : ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾ ما شأن الرجال والحكم ؟ فقلت : هذه واحدة . قالوا :

وأما الثانية فإنه قاتل ولم يسبِ ولم يغنم فإن كانوا كفاراً سلبهم ، وإن كانوا مؤمنين ما أحل قتالهم . قلت : هذه اثنان فما الثالثة ؟

قالوا : إنه محى نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين .

قلت : هل عندكم شىء غير هذا ؟ قالوا : حسبنا هذا .

قلت : أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ما يرد قولكم أترضون ؟ قالوا : نعم .

قلت : أما قولكم حكم الرجال فى أمر الله فأنا أقرأ عليكم فى كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال فى ثمن ربع درهم فأمر الرجال أن يحكموا فيه قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم** ﴾ الآية فأنشدتكم بالله تعالى أحكم الرجال فى أرنب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم فى دمائهم وصلاح ذات بينهم وأنتم تعلمون أن الله تعالى لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال ؟ قالوا : بل هذا أفضل . وفى المرأة وزوجها قال الله عز وجل : ﴿ **وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما**﴾ ، فأنشدتكم بالله حكم الرجال فى صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم فى امرأة أخرجت من هذه ؟ قالوا : نعم .

قلت : وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم أفتسبون أمكم عائشة وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهى أمكم ؟ فإن قلتم : إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم ، ولئن قلتم ليست بأمنا فقد كفرتم لأن الله تعالى يقول : ﴿ **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم** ﴾ فأنتم تدورون بين ضلالتين فأتوا منهما بمخرج قلت : فخرجت من هذه ؟ قالوا : نعم .

وأما قولكم : محى اسمه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون وأراكم قد سمعتم أن النبى ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلىّ رضى الله عنه : « **اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله** ﷺ » فقال المشركون : لا والله ما نعلم أنك رسول الله لو نعلم أنك رسول الله لأطعناك فاكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله ﷺ : « **امح يا علىّ رسول الله ، اللهم إنك تعلم أنى**

رسولك امح يا علىّ واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله » فوالله لرسول الله ﷺ خير من علىّ وقد محا نفسه و لم يكن محوه ذلك يمحوه من النبوة . خرجت من هذه ؟ قالوا : نعم فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا على ضلالتهم فقتلهم المهاجرون والأنصار .

حسن

* * *

الصلح بين الحسن ومعاوية رضى الله عنهما
وقول النبى ﷺ : (ابنى هذا سيد)

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧١٠٩) :

حدثنا علىّ بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا إسرائيل أبو موسى ولقيته بالكوفة جاء إلى ابن شبرمة فقال : أدخلنى على عيسى[١] فأعظهُ ، فكأن ابن شبرمة[٢] خاف عليه[٣] فلم يفعل قال : حدثنا الحسن[٤] قال : لما سار الحسنُ بن علىّ رضى الله عنهما إلى معاوية بالكتائب[٥] قال عمرو بن العاص لمعاوية : أرى كتيبة لا تولى حتى تدبر أخراها[٦] قال معاوية : منْ لذرارى المسلمين[٧] ؟ فقال :

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (٦٢/١٣) : وعيسى هو ابن موسى بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس ابن أخى المنصور وكان أميراً على الكوفة إذ ذاك .

(٢) أما ابن شبرمة فهو عبد الله قاضى الكوفة فى خلافة أبى جعفر المنصور ، ومات فى خلافته سنة أربع وأربعين ومائة ، وكان صارماً عفيفاً ثقة فقيهاً .

(٣) أى خاف على إسرائيل من دخوله على عيسى قال الحافظ : ولعل سبب خوفه عليه أنه كان صادعاً بالحق فخشى أنه لا يتلطف بعيسى فيبطش به لما عنده من عزة الشباب وعزة الملك قال ابن بطال : دل ذلك من صنيع ابن شبرمة على أن من خاف على نفسه سقط عنه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

(٤) الحسن هذا هو الحسن البصرى رحمه الله .

(٥) فى رواية البخارى (٢٧٠٤) : استقبل - والله - الحسنُ بن على معاوية بكتائب أمثال الجبال ..

(٦) فى رواية البخارى (٢٧٠٤) : إنى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها .

(٧) فى الرواية المذكورة إن قتل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء مَن لى بأمور الناس ، مَن لى بنسائهم من لى بضيعتهم .

أنا[١] فقال عبدُ الله بن عامر وعبدُ الرحمن بن سمرة نلقاه فنقول له : الصلحَ[٢] . قال الحسن : ولقد سمعتُ أبا بكرة قال : بينا النبى ﷺ يخطب جاء الحسنُ فقال النبىُّ ﷺ : « **ابنى هذا سيدٌ ، ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين[٣] من المسلمين** » .

صحيح

وأخرجه مختصراً أبو داود (٤٦٦٢) والترمذى (٣٧٧٣) وقال هذا حديث حسن صحيح ، وعزاه المزى للنسائى .

---

(١) قال الحافظ : ظاهره يوهم أن المجيب بذلك هو عمرو بن العاص ، ولم أر فى طرق الخبر ما يدل على ذلك ، فإن كانت محفوظة فلعلها كانت (فقال أنى) بتشديد النون المفتوحة قالها عمرو على سبيل الاستبعاد .

(٢) فى رواية البخارى (٢٧٠٤) : فبعث إليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز - فقال : اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له وطلبا إليه فقال لهما الحسن بن على : إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال ، وإن هذه الأمة قد عاثت فى دمائها ، قالا : فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك ، قال : فمن لى بهذا ؟ قالا : نحن لك به فما سألهما شيئاً إلا قالا : نحن لك به . فصالحه .

(٣) فى الرواية المشار إليها : « **فئتين عظيمتين من المسلمين** » .

هذا وفى الحديث فضيلة ظاهرة للحسن بن علىّ رضى الله عنه لما حقن الله به من دماء المسلمين وأصلح الله به ذات بينهم ، وتنازله عن الدنيا وعن متاعها وزهرتها لا عن ضعف وخور ، ولكن عن عزة ومنعة وقوة رضى الله عنه .

قال الحافظ فى الفتح (٦٧/١٣) : واستدل به على تصويب رأى من قعد عن القتال مع معاوية وعلىّ ، وإن كان علىٌّ أحق بالخلافة وأقرب إلى الحق ، وهو قول سعد بن أبى وقاص وابن عمر ومحمد بن مسلمة وسائر من اعتزل تلك الحروب ، وذهب جمهور أهل السنة إلى تصويب من قاتل مع علىّ لامتثال قوله تعالى : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** ﴾ الآية ففيها الأمر بقتال الفئة الباغية ، وقد ثبت أن من قاتل علياً كانوا بغاة ، وهؤلاء - مع هذا التصويب - متفقون على أنه لا يذم واحد من هؤلاء بل يقولون اجتهدوا فأخطئوا .

فتنة ابن عباس مع ابن الزبير رضى الله عنهما

قال الإمام البخارى رحمه الله (٤٦٦٥) :

حدثنى عبد الله بن محمد قال : حدثنى يحيى بن معين حدثنا حجاج قال ابن جريج : قال ابن أبى مليكة : « وكان بينهما شىء[1] ، فغدوت على ابن عباس

---

(١) أى بين ابن عباس وابن الزبير رضى الله عنهم ، كما هو واضح فى رواية البخارى (٤٦٦٤) .

وهذا الشىء الذى كان بين ابن عباس وابن الزبير كان بسبب البيعة كما قاله الحافظ فى الفتح (٣٢٦/٨) وقال : وذلك أن ابن الزبير حين مات معاوية امتنع من البيعة ليزيد بن معاوية وأصر على ذلك حتى أغرى يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة بالمدينة فكانت وقعة الحرة ، ثم توجه الجيش إلى مكة فمات أميرهم مسلم ابن عقبة وقام بأمر الجيش الشامى حصين بن نمير فحصر ابن الزبير بمكة ، ورموا الكعبة بالمنجنيق حتى احترقت ففجأهم الخبر بموت يزيد بن معاوية فرجعوا إلى الشام ، وقام ابن الزبير فى بناء الكعبة ، ثم دعا إلى نفسه فبويع بالخلافة وأطاعه أهل الحجاز ومصر والعراق وخراسان وكثير من أهل الشام ، ثم غلب مروان على الشام وقتل الضحاك بن قيس الأمير من قبل ابن الزبير بمرج راهط ، ومضى مروان إلى مصر وغلب عليها ، وذلك كله فى سنة أربع وستين ، وكمل بناء الكعبة فى سنة خمس ثم مات مروان فى سنة خمس وستين ، وقام عبد الملك ابنه مقامه ، وغلب المختار بن أبى عبيد على الكوفة ففر منه من كان مِن قبل ابن الزبير ، وكان محمد بن علىّ بن أبى طالب المعروف بابن الحنفية وعبد الله بن عباس مقيمين بمكة منذ قتل الحسين فدعاهما ابن الزبير إلى البيعة له فامتنعا وقالا : لا نبايع حتى يجتمع الناس على خليفة ، وتبعهما جماعة على ذلك فشدد عليهم ابن الزبير وحصرهم ، فبلغ المختار فجهز إليهم جيشاً فأخرجوهما واستأذنوهما فى قتال ابن الزبير فامتنعا وخرجا إلى الطائف فأقاما بها حتى مات ابن عباس =

فقلت[1] : أتريد أن تقاتل ابن الزبير فتحل ما حرم الله ؟ فقال : معاذ الله ، إن الله كتب ابن الزبير وبنى أمية محلين[2] ، وإنى والله لا أحله أبداً قال : قال الناس بايع لابن الزبير ، فقلت : وأين بهذا الأمر عنه[3] ، أما أبوه فحوارىُّ النبى ﷺ - يريد الزبير - وأما جده فصاحب الغار - يريد أبا بكر ، وأما أمه فذات النطاق ، يريد أسماء ، وأما خالته فأم المؤمنين يريد عائشة ، وأما عمته فزوج النبى ﷺ يريد خديجة ، وأما عمة النبى ﷺ فجدته يريد صفية ، ثم عفيف فى الإسلام قارئ للقرآن ، والله إن وصلونى وصلونى من قريب[4] وإن ربونى[5] ربونى أكفاء كرام[6] فآثر علىَّ التويتات

= سنة ثمان وستين ، ورحل ابن الحنفية بعده إلى جهة رضوى جبل بينبع فأقام هناك ثم أراد دخول الشام فتوجه إلى نحو أيلة فمات فى آخر سنة ثلاث أو أول سنة أربع وسبعين ، وذلك عقب قتل ابن الزبير على الصحيح ، وقيل عاش إلى سنة ثمانين أو بعد ذلك .

(١) القائل هو ابن أبى مليكة .

(٢) قال الحافظ فى الفتح قوله (محلين) أى أنهم كانوا يبيحون القتال فى الحرم ، وإنما نسب ابن الزبير إلى ذلك وإن كان بنو أمية هم الذين ابتدءوه بالقتال وحصروه ، وإنما بدا منه أولاً دفعهم عن نفسه لأنه بعد أن ردهم الله عنه حصر بنى هاشم ليبايعوه ، فشرع فيما يؤذن بإباحته القتال فى الحرم ، وكان بعض الناس يسمى ابن الزبير (المحل) لذلك ، قال الشاعر يتغزل فى أخته رملة :

ألا من لقلب معنى غزل ... يحب المحلة أخت المحل

وقوله : لا أحله أبداً أى لا أبيح القتال فيه ، وهذا مذهب ابن عباس أنه لا يقاتل فى الحرم ولو قوتل فيه .

(٣) أى أن الخلافة ليست بعيدة عنه لما له من الشرف بأسلافه الذين ذكرهم .

(٤) (إن وصلونى وصلونى من قريب) أى بسبب القرابة .

(٥) ربونى من التربية .

(٦) (كرام) أى كرام فى أحسابهم ، وفى رواية البخارى (٤٦٦٦) : لأن يربنى =

والأسامات والحُميدات[1] ، يريد أبطناً من بنى أسد : بنى تويت وبنى أُسامة من أسد . إن ابن أبى العاص برز يمشى القُدَمية[2] يعنى عبد الملك بن مروان ، وإنه لوى ذنبه[3] يعنى ابن الزبير .

صحيح

= بنو عمى أحب إلىَّ من أن يربنى غيرهم . قال الحافظ : فإن بنى عمه هم بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف لأنهم من بنى عبد المطلب فعبد المطلب جد عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم أمية جد مروان بن الحكم بن أبى العاص ، وكان هاشم وعبد شمس شقيقين .

(١) هى مجموعة قبائل وجمعهم ابن عباس جمع القلة تحقيراً لهم قاله الحافظ .

(٢) قال الحافظ (فتح ٣٢٩/٨) : قوله (يمشى القدميه) بضم القاف وفتح الدال وقد تضم أيضاً وقد تسكن وكسر الميم وتشديد التحتانية قال الخطابى وغيره معناه التبختر ، وهو مثل يريد أنه برز يطلب معالى الأمور ، قال ابن الأثير : الذى فى البخارى (القدمية) : وهى التقدمة فى الشرف والفضل ، والذى فى كتب الغريب (اليقدمية) بزيادة تحتانية فى أوله ومعناه التقدمة فى الشرف ، وقيل التقدم بالهمة والفعل .

(٣) قوله : (وإنه لوى ذنبه) يعنى ابن الزبير لوى بتشديد الواو وبتخفيفها أى ثناه ، وكنى بذلك عن تأخره وتخلفه عن معالى الأمور ، وقيل كنى به عن الجبن وإيثار الدعة كما تفعل السباع إذا أرادت النوم والأول أولى ، وفى مثله قال الشاعر :

مشى ابن الزبير القهقهرى وتقدمت   أمية حتى أحرزوا القصبات

وقال الداودى : المعنى أنه وقف فلم يتقدم ولم يتأخر ، ولا وضع الأشياء مواضعها فأدنى الناصح وأقصى الكاشح ... ثم قال الحافظ رحمه الله : وكان الأمر كما قال ابن عباس فإن عبد الملك لم يزل فى تقدم من أمره إلى أن استنقذ العراق من ابن الزبير ، وقتل أخاه مصعباً ، ثم جهز العساكر إلى ابن الزبير بمكة فكان من الأمر ما كان ، ولم يزل أمر ابن الزبير فى تأخر إلى أن قتل رحمه الله.

قال الإمام البخارى رحمه الله (٤٦٦٦) :

حدثنا محمد بن عبيد بن ميمون حدثنا عيسى بن يونس عن عمر بن سعيد قال : أخبرنى ابن أبى مليكة « دخلنا على ابن عباس فقال : ألا تعجبون لابن الزبير ، قام فى أمره هذا فقلت : لأحاسبن نفسى له[١] ما حاسبتُها لأبى ولا لعمر ، ولهما كانا أولى بكل خيرٍ منه ، وقلت ابن عمة[٢] النبى ﷺ وابن الزبير وابن أبى بكر وابن أخى خديجة وابن أخت عائشة ، فإذا هو يتعلى عنى ولا يريد ذلك فقلت : ما كنت أظن أنى أعرض هذا من نفسى فيدعه ، وما أراه يريد خيراً ، وإن كان لابد لأن يُربنى بنو عمى أحب إلى من أن يربنى غيرهم[٣] .

صحيح

* * *

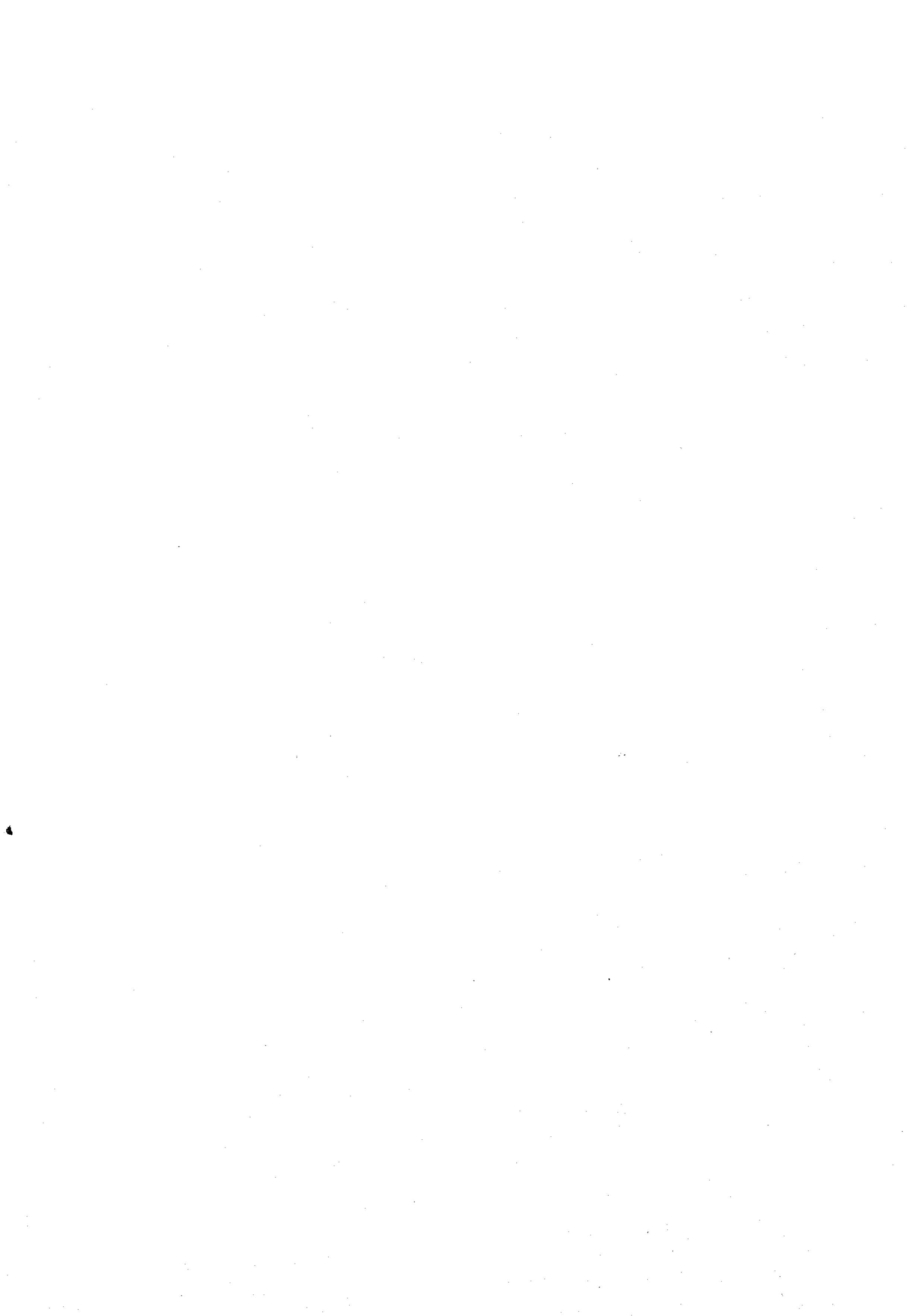
(١) قال الحافظ (وقوله لأحاسبن نفسى) أى لأناقشنها فى معونته ونصحه قاله الخطابى ، وقال الداودى : معناه لأذكرن من مناقبه ما لم أذكر من مناقبهما ، وإنما صنع ابن عباس ذلك لاشتراك الناس فى معرفة مناقب أبى بكر وعمر بخلاف ابن الزبير فما كانت مناقبه فى الشهرة كمناقبهما فأظهر ذلك ابن عباس وبينه للناس إنصافاً منه له فلما لم ينصفه هو رجع عنه .

(٢) أى جدته عمة النبى ﷺ ، وهى صفية بنت عبد المطلب .

(٣) قال الحافظ : (قوله لأن يربنى) أى يكون علىَّ رباً أى أميراً ، أو ربه بمعنى رباه وقام بأمره وملك تدبيره ، قال التيمى : معناه لأن أكون فى طاعة بنى أمية أحب إلىَّ من أن أكون فى طاعة بنى أسد ، لأن بنى أمية أقرب إلى بنى هاشم من بنى أسد كما تقدم ، والله أعلم .



متفرقات



فتنة المال

وقول الله عز وجل : ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، والله عنده أجرٌ عظيم** ﴾ التغابن ١٥

وتحذير النبي ﷺ أمته من الافتتان بالدنيا .



قال الترمذى رحمه الله (٢٣٣٦) :

حدثنا أحمد بن منيع حدثنا الحسن بن سوار حدثنا ليث بن سعد عن معاوية ابن صالح أن عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه عن أبيه عن كعب بن عياض قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « **إن لكل أمةٍ فتنةً ، وفتنةُ أمتى المالُ** » .

حسن

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب إنما نعرفه من حديث معاوية ابن صالح .

قلت : والحديث أخرجه أحمد (١٦٠/٤) والبخارى فى التاريخ الكبير (٢٢٢/٧) وابن حبان (موارد الظمآن ٢٤٧٠) والحاكم فى المستدرك (٣١٨/٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ، وصححه الذهبى ، وعزاه المزى للنسائى وصححه أبو عمر (كما فى الإصابة ترجمة كعب بن عياض رضى الله عنه) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣١٥٨) :

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال : حدثنى عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة أنه أخبره أن عمرو بن عوف الأنصارى - وهو حليف لبنى عامر بن لؤى ، وكان شهد بدراً - أخبره أن رسول الله ﷺ بَعَثَ أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتى بجزيتها ، وكان رسولُ الله ﷺ هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمى ، فقدم أبو عبيدة بمالٍ من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة فوافقت صلاة الصبح مع النبىِّ ﷺ ، فلما صلى بهم الفجر انصرف ، فتعرضوا له فتبسم رسولُ الله ﷺ حين رآهم وقال : « **أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيءٍ** » ، قالوا : أجلْ يا رسول الله قال : « **فأبشروا وأملوا**[1] **ما يسركم ، فوالله لا الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم**

(١) أملوا من الأمل وهو الرجاء .

أن تُبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها[1] كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم[2]» .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٦١) ، والترمذى (٢٤٦٢) وقال : هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه (٣٩٩٧) وعزاه المزى للنسائى .

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢٥/٦) :

حدثنا أبو المغيرة قال : ثنا صفوان قال : ثنا عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك الأشجعى قال : كان رسول الله ﷺ إذا جاء فىء قسمه من يومه فأعطى الآهل حظين وأعطى العزب حظاً واحداً فدُعينا وكنت أدْعى

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (٢٤٥/١١) : قوله (**فتنافسوها**) بفتح المثناة فيها ، والأصل فتتنافسوا فحذفت إحدى التاءين ، والتنافس من المنافسة وهى الرغبة فى الشىء ومحبة الانفراد به والمغالبة عليه ، وأصلها من الشىء النفيس فى نوعه ، يقال نافست فى الشىء منافسة ونفاسة ونفاساً ، « ونفس الشىء بالضم نفاسة صار مرغوباً فيه ، ونفست به بالكسر بخلت ، ونفست عليه لم أره أهلاً لذلك .

(٢) قوله : (**فتهلككم**) أى لأن المال مرغوب فيه فترتاح النفس لطلبه فتمنع منه فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك .

قال ابن بطال : فيه أن زهرة الدنيا ينبغى لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فتنتها ، فلا يطمئن إلى زخرفها ولا ينافس غيره فيها ، ويستدل به على أن الفقر أفضل من الغنى لأن فتنة الدنيا مقرونة بالغنى والغنى مظنة الوقوع فى الفتنة التى قد تجر إلى هلاك النفس غالباً ، والفقير آمن من ذلك .

قلت : والكلام الأخير الذى هو (والفقر أفضل من الغنى) محل خلاف بين أهل العلم ، وبسط ذلك محله ليس هنا .

هذا وقد قال الحافظ فى الفتح (٢٦٣/٦) : وفيه أن المنافسة فى الدنيا قد تجر إلى هلاك الدين .

قبل عمار بن ياسر فدُعيت فأعطانى حظين وكان لى أهل ، ثم دعا بعمار ابن ياسر فأُعطى حظاً واحداً فبقيتْ قطعةُ سلسلةٍ من ذهبٍ فجعل النبى ﷺ يرفعها بطرف عصاه فتسقط ثم رفعها وهو يقول : « **كيف أنتم يوم يكثر لكم من هذا** » .

صحيح

وأخرجه أبو داود مختصراً (٢٩٥٣)

* * *

التحذير من الانكباب على الدنيا وترك أمر الآخرة

قال الإمام البخارى رحمه الله (٢٣٢١) :

حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا عبد الله بن سالم الحمصى حدثنا محمد بن زياد الألهانى عن أبى أمامة الباهلى قال : ورأى سِكة[١] وشيئاً من آلة الحرث فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا يدخلُ هذا بيتَ قومٍ إلا أدخلهُ اللّهُ الذل** »[٢] .

صحيح

---

(١) السكة بكسر المهملة هى الحديدة التى تحرث بها الأرض .

(٢) بوّب البخارى لهذا الحديث بباب : ما يحذر من الاشتغال بآلة الزرع أو مجاوزة الحد الذى أمر به .

قال الحافظ فى الفتح (٥/٥) : وفى رواية أبى نعيم المذكورة « **إلا أدخلوا على أنفسهم ذلاً لا يخرج عنهم إلى يوم القيامة** » والمراد بذلك ما يلزمهم من حقوق الأرض التى تطالبهم بها الولاة ، وكان العمل فى الأراضى أول ما افتتحت على أهل الذمة فكان الصحابة يكرهون تعاطى ذلك .

ثم قال الحافظ : وقد أشار البخارى بالترجمة إلى الجمع بين حديث أبى أمامة والحديث الماضى[*] فى فضل الزرع والغرس بأحد أمرين :

إما أن يحمل ما ورد من الذم على عاقبة ذلك ، ومحله ما إذا اشتغل به فضيع بسببه ما أمر بحفظه ، وإما أن يحمل على ما إذا لم يضيع إلا أنه جاوز الحد فيه والذى يظهر أن كلام أبى مامة محمول على من يتعاطى ذلك بنفسه ، أما من =

(*) يعنى حديث « **ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقه** » .

قال محمد : واسم أبى أمامة صدى بن عجلان .

* * *

= له عمال يعملون له وأدخل داره الآلة المذكورة لتحفظ لهم فليس مراداً ، ويمكن الحمل على عمومه فإن الذل شامل لكل من أدخل على نفسه ما يستلزم مطالبة آخر له ، ولا سيما إذا كان المطالب من الولاة ، وعن الداودى : هذا لمن يقرب من العدو فإنه إذا اشتغل بالحرث لا يشتغل بالفروسية فيتأسد عليه العدو فحقهم أن يشتغلوا بالفروسية وعلى غيرهم إمدادهم بما يحتاجون إليه .

مثل ضرب للمال وجامعه

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٤٢٧) :

حدثنا إسماعيل قال : حدثنى مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن أكثر ما أخافُ عليكم ما يخرجُ اللّٰهُ من بركات الأرض** » ؟ قيل وما بركات الأرض ؟ قال « **زهرةُ الدنيا** » . فقال له رجلٌ : هل يأتى الخيرُ بالشر ؟ فصمت النبىُ ﷺ حتى ظننتُ أنهُ ينزل عليه[١] ثم جعل يمسح عن جبينه فقال : « **أين السائل** » ؟ قال أنا . قال أبو سعيد : لقد حمدناه حين طلع لذلك ، قال : « **لا يأتى الخير إلا بالخير[٢] إن هذا المال خضرةٌ حلوة[٣] وإن كل ما أنبت**

---

(١) أى ينزل عليه الوحى .

(٢) قال الحافظ فى الفتح (٢٤٦/١١) : قوله « **لا يأتى الخير إلا بالخير** » زاد فى رواية الدارقطنى تكرار ذلك ثلاث مرات ، وفى رواية هلال (**إنه لا يأتى الخير بالشر**) ويؤخذ منه أن الرزق ولو كثر فهو من جملة الخير ، وإنما يعرض له الشر بعارض البخل به عمن يستحقه والإسراف فى إنفاقه فيما لم يشرع وأن كل شىء قضى الله أن يكون خيراً فلا يكون شراً وبالعكس ، ولكن يخشى على من زرق الخير أن يعرض له فى تصرفه فيه ما يجلب الشر ، ووقع فى مرسل سعيد المقبرى عند سعيد بن منصور (أو خير هو ؟ ثلاث مرات) وهو استفهام إنكار أى أن المال ليس خيراً حقيقياً وإن سمى خيراً لأن الخير الحقيقى هو ما يعرض له من الإنفاق فى الحق كما أن الشر الحقيقى فيه ما يعرض له من الإمساك عن الحق والإخراج فى الباطل ، وما ذكر فى الحديث بعد ذلك من قوله « **إن هذا المال خضرة حلوة** » كضرب المثل بهذه الجملة .

(٣) قال الحافظ : معناه أن صورة الدنيا حسنة مؤنقة والعرب تسمى كل شىء =

الربيع[1] يقتل حبطاً[2] أبو يُلم[3] إلا آكلة الخضرة[4] ، أكلتْ حتى إذا امتدت خاصرتاها[5] استقبلت الشمس فاجترت[6] وثلطت[7] وبالت ثم

= مشرق ناضر أخضر وقال ابن الأنبارى : قوله « **المال خضرة حلوة** » ليس هو صفة المال وإنما هو للتشبيه كأنه قال : المال كالبقلة الخضراء الحلوة ، أو التاء فى قوله خضرة وحلوة باعتبار ما يشتمل عليه المال من زهرة الدنيا ، أبو على معنى فائدة المال أى أن الحياة به أبو العيشة أبو أن المراد بالمال هنا الدنيا لأنه من زينتها . قال الله تعالى : ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا** ﴾ قال : وقد وقع فى حديث أبى سعيد أيضاً المخرج فى السنن « **الدنيا خضرة حلوة** » فيتوافق الحديثان ، ويحتمل أن تكون التاء فيهما للمبالغة .

قوله : (وأن كل ما أنبت الربيع) .

(١) الربيع هو الجدول أو النهر الصغير الذى يسقى الزرع .

(٢) قوله (حبطاً) قال الحافظ فى الفتح أما حبطاً بفتح المهملة والموحدة والطاء مهملة أيضاً ، والحبط انتفاخ البطن من كثرة الأكل يقال حبطت الدابة تحبط حبطاً إذا أصابت مرعى طيباً فأمعنت فى الأكل حتى تنتفخ فتموت .

(٣) (يُلم) أى يقترب من الهلاك .

(٤) (الخضرة) هو ضرب من الكلأ يعجب الماشية وواحده خضرة .

(٥) (خاصرتاها) تثنية خاصرة بخاء معجمة وصاد مهملة وهما جانبا البطن من الحيوان .

(٦) اجترت من الاجترار وهو معروف عند بعض الحيوانات أى استرفعت ما أدخلته فى كرشها من العلف فأعادت مضغه .

(٧) ثلطت فى اللسان الثَّلط الرقيق من الرجيع قال ابن الأثير وأكثر ما يقال للإبل والبقر والفيلة ، وفى حديث علىّ كرم الله وجهه : كانوا يبعرون بعراً وأنتم تثلطون ثلطاً أى كانوا يتغوطون يابساً كالبعر لأنهم كانوا قليلى الأكل والمآكل وأنتم تثلطون رقيقاً ، وهو إشارة إلى كثرة المآكل وتنوعها .

قال الحافظ فى الفتح (٢٤٧/١١) : والمعنى أنها إذا شبعت فثقل عليها ما أكلت تحيلت فى دفعه بأن تجتر فيزداد نعومة ، ثم تستقبل الشمس فتحمى بها فيسهل خروجه فإذا خرج زال الانتفاخ فسلمت ، وهذا بخلاف من لم تتمكن من =

عادت فأكلت ، وإن هذا المال حلوة من أخذه بحقه ووضعه فى حقه فنعم المعونة هو ، وإن أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع » .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٠٥٢) ص٧٢٨ والنسائى (٥/٩٠) .

= ذلك فإن الانتفاخ يقتلها سريعاً ، قال الأزهرى : هذا الحديث إذا فرق لم يكد يظهر معناه ، وفيه مثلان **أحدهما** : للمفرط فى جمع الدنيا المانع من إخراجها فى وجهها ، وهو ما تقدم أى الذى يقتل حبطاً **والثانى** : المقتصد فى جمعها وفى الانتفاع بها وهو آكلة الخضر فإن الخضر ليس من أحرار البقول التى ينبتها الربيع ولكنها الحبة ، والحبة ما فوق البقل ودون الشجر التى ترعاها المواشى بعد هيج البقول ، فضرب آكلة الخضر من المواشى مثلاً لمن يقتصد فى أخذ الدنيا وجمعها ولا يحمله الحرص على أخذها بغير حقها ولا منعها من مستحقها ، فهو ينجو من وبالها كما نجت آكلة الخضر ، وأكثر ما تحبط الماشية إذا انحبس رجيعها فى بطنها ، وقال الزين بن المنير : آكلة الخضر هى بهيمة الأنعام التى ألف المخاطبون أحوالها فى سومها ورعيها وما يعرض لها من البشم وغيره ، والخضر النبات الأخضر وقيل حرار العشب التى تستلذ الماشية أكله فتستكثر منه ، وقيل هو ما ينبت بعد إدراك العشب وهياجه فإن الماشية تقتطف منه مثلاً شيئاً فشيئاً ولا يصيبها منه ألم وهذا الأخير فيه نظر فإن سياق الحديث يقتضى وجود الحبط للجميع إلا لمن وقعت منه المداومة حتى اندفع عنه ما يضره ، وليس المراد أن آكلة الخضر لا يحصل لها من أكله ضرر البتة ، والمستثنى آكلة الخضر بالوصف المذكور لا كل من اتصف بأنه آكلة الخضر ولعل قائله وقعت له رواية فيها (يقتل أو يلم إلا آكلة الخضر) ولم يذكر ما بعده فشرحه على ظاهر هذا الاختصار . وقال الحافظ : يؤخذ من الحديث التمثيل لثلاثة أصناف لأن الماشية إذا رعت الخضر للتغذية إما أن تقتصر منه على الكفاية ، وإما أن تستكثر الأول الزهاد والثانى إما أن يحتال على إخراج ما لو بقى لضر فإذا ما أخرجه زال الضر واستمر النفع ، وإما أن يهمل ذلك ، الأول العاملون فى جميع الدنيا بما يجب من إمساك =

= وبذل ، والثانى العاملون فى ذلك بخلاف ذلك .

وقال الطيبى يؤخذ منه أربعة أصناف فمن أكل منه أكل مستلذ مفرط منهمك حتى تنتفخ أضلاعه ولا يقلع فيسرع إليه الهلاك ، ومن أكل كذلك لكنه بادر إلى إزالة ما يضره وتحيل فى دفعه حتى انهضم فيسلم ، ومن أكل غير مفرط ولا منهمك ، وإنما اقتصر على ما يسد جوعته ويمسك رمقه ، فالأول مثال الكافر والثانى مثال العاصى الغافل عن الإقلاع والتوبة إلا عند فوتها والثالث مثال للمخلط المبادر للتوبة حيث تكون مقبولة والرابع مثال الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة ، وبعضها لم يصرح به فى الحديث وأخذه منه محتمل وقوله : (**فنعم المعونة**) كالتذييل للكلام المتقدم وفيه حذف تقديره إن عمل فيه بالحق ، وفيه إشارة إلى عكسه ، وهو بئس الرفيق هو لمن عمل فيه بغير الحق وقوله : (**كالذى يأكل ولا يشبع**) ذكر فى مقابلة (**فنعم المعونة هو**) وقوله : (**ويكون شهيداً عليه**) أى حجة يشهد عليه بحرصه وإسرافه وإنفاقه فيما لا يرضى الله .

وقال **الزين بن المنير** : فى هذا الحديث وجوه من التشبيهات بديعة :

● **أولها** : تشبيه المال ونموه بالنبات وظهوره .

● **ثانيها** : تشبيه المنهمك فى الاكتساب والأسباب بالبهائم المنهمكة فى الأعشاب .

● **وثالثها** : تشبيه الاستكثار منه والادخار له بالشره فى الأكل والامتلاء منه .

● **ورابعها** : تشبيه الخارج من المال مع عظمته فى النفوس حتى أدى إلى المبالغة فى البخل به بما تطرحه البهيمة من السلح ففيه إشارة بديعة إلى استقذاره شرعاً .

● **وخامسها** : تشبيه المتقاعد عن جمعه وضمه بالشاة إذا استراحت وحطت جانبها مستقبلة عين الشمس فإنها من أحسن حالاتها سكوناً وسكينة ، وفيه إشارة إلى إدراكها لمصالحها .

● **وسادسها** : تشبيه موت الجامع المانع بموت البهيمة الغافلة عن دفع ما يضرها .

● **وسابعها** : تشبيه المال بالصاحب الذى لا يؤمن أن ينقلب عدوا فإن المال من شأنه أن يحرز ويشد وثاقه حباً له وذلك يقتضى منعه من مستحقه فيكون سبباً =

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٦٢) :

حدثنا عمرو بن سواد العامرى ، أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث أن بكر بن سوادة حدثه أن يزيد بن رباح (هو أبو فراس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص) حدثه عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال « **إذا فُتِحتْ عليكم فارس والروم أى قومٍ أنتم ؟** » قال عبد الرحمن بن عوف : نقول كما أمرنا الله[1] قال رسولُ الله ﷺ « **أو غير ذلك ، تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون أو نحو ذلك ثم تنطلقون فى مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض** »[2] .

صحيح

وأخرجه ابن ماجه (٣٩٩٦)

= لعقاب مقتنيه .

● **وثامنها** : تشبيه آخذه بغير حق بالذى يأكل ولا يشبع .

وقال الغزالى : مثل المال مثل الحية التى فيها ترياق نافع وسم ناقع ، فإن أصابها العارف الذى يحترز عن شرها ويعرف استخراج ترياقها كان نعمة ، وإن أصابها الغبى فقد لقى البلاء المهلك .

(١) قال النووى : معناه نحمده ونشكره ونسأله المزيد من فضله .

(٢) نقل النووى عن العلماء قولهم : التنافس إلى الشىء المسابقة إليه ، وكراهة أخذ غيرك إياه ، وهو أول درجات الحسد .

وأما الحسد فهو تمنى زوال النعمة عن صاحبها ، والتدابر التقاطع ، وقد يبقى مع التدابر شىء من المودة أو لا يكون مودة ولا بغض .

قلت : وهذا الخبر « **تتنافسون ثم تتحاسدون** ... » خبر معناه النهى وهو يحمل فى طياته الزجر الشديد عن مثل هذا الفعل وقد يأتى الخبر أيضاً معناه الأمر كقوله تعالى : ﴿ **ومن دخله كان آمناً** ﴾ أى أمِّنوا أيها المسلمون من يدخل الحرم . والله أعلم .

خشية الرسول على أمته التنافس فى الدنيا[1]

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٥٩٦) :

حدثني سعيد بن شرحبيل حدثنا ليث عن يزيد عن أبى الخير عن عقبة بن عامر عن النبى ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أُحدٍ صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال : « **إنى فرطكم ، وأنا شهيدٌ عليكم ، وإنى والله لأنظر إلى حوضى الآن ، وإنى قد أُعطيت خزائن مفاتيح[*] الأرض ، وإنى والله ما أخاف بعدى أن تشركوا ، ولكن أخاف أن تنافسوا فيها** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٢٩٦)[2]

* * *

---

(١) وفى الأحاديث المتقدمة قريباً جزء كبير من هذا .

(٢) فى آخر رواية مسلم « .. **ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم** » .
قال عُقبة : فكانت آخر ما رأيت من رسول الله ﷺ .

(*) هكذا فى الفتح فى هذا الموضع ، وفى مواضع أخرى (**مفاتيح خزائن**) وهو الصواب والله أعلم مصححه .

خشية الصحابة على أنفسهم من سعة ما بُسط لهم

قال الإمام البخارى رحمه الله (٤٠٤٥) :

حدثنا عبدان حدثنا عبد الله أخبرنا شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم أن عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام - وكان صائماً - فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير منى ، كفن فى بردة إن غطى رأسه بدت رجلاه ، وإن غطى رجلاه بدا رأسه ، وأراه قال : وقتل حمزة وهو خير منى ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط - أو قال : أعطينا من الدنيا وقد خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت لنا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام .

صحيح

* * *

فتنة الحرص على الشرف والمال
وبيان مدى إفساده للدِّين

قال الإمام أحمد رحمه الله (٤٥٦/٣) :

حدثنا على بن بحر قال ثنا عيسى بن يونس عن زكريا عن محمد بن عبد الرحمن ابن سعد بن زرارة أن ابن كعب بن مالك حدثه عن أبيه أن النبى ﷺ قال :
« ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم أفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » .

صحيح[1]

(١) ولكعب بن مالك ولدان أحدهما عبد الله والآخر عبد الرحمن وكلاهما ثقة فأياً كان ابن كعب بن مالك منهما فهو ثقة ، وعلى كل حال فللحديث شواهد منها .
● ما أخرجه أبو يعلى الموصلى فى مسنده (٣٣١/١١) من طريق أبى بكر بن زنجويه حدثنا عمرو بن الربيع حدثنا يحيى بن أيوب عن عمارة بن غزية عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب عن أبى مرة مولى عقيل عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : **« ما ذئبان ضاريان جائعان فى غنم افترقت أحدهما فى أولها والآخر فى آخرها بأسرع فسادا من امرىء فى دينه يحب شرف الدنيا ومالها »** وهذا إسناد يصلح فى الشواهد والمتابعات .
وللحديث أيضاً شاهد من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٨٩/٧) .
من طريق قطبة بن العلاء ثنا سفيان الثورى عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعاً بنحوه إلا أن قطبة بن العلاء ضعيف ، وقد اختلف فى الحديث على سفيان الثورى أيضاً فأورده أبو نعيم ثم قال : تفرد به قطبة عن الثورى ، واختلف فيه على الثورى من غير وجه حدثنا محمد بن أحمد حدثنا الحسن بن علىّ بن =

وأخرجه أحمد أيضاً (٣/٤٦٠) والترمذى (٢٣٧٦) .
وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن حبان (موارد الظمآن ٢٤٧٢)
وعزاه المزى للنسائى .

* * *

= الوليد ثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة ثنا عبد الملك بن عبد الرحمن الذمارى ثنا سفيان الثورى عن أبى الحجاف عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **ماذئبان ضاريان أرسلا فى ذريبة غنم بأسرع فيها فساداً من حب الشرف والمال فى دين المسلم** » تفرد به الذمارى ولم نكتبه إلا من حديث إبراهيم .
حدثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد بن شعيب الزبيدى بها ثنا أبو جمة ثنا أبو قرة عن موسى بن طارق قال : ذكر سفيان الثورى عن سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما ذئبان ضاريان باتا فى حظيرة غنم يفترسان ويأكلان بأسرع فساداً فيها من طلب المال والشرف فى دين المسلم** » تفرد به أبو قرة .
هذه بعض أوجه الاختلاف التى ذكرها أبو نعيم على الثورى رحمه الله .
وللحديث طريق آخر ضعيف من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أخرجه أبو نعيم فى الحلية أيضاً (٣/٢١٩) .
وفى إسناده عيسى بن ميمون ، وفى هذه الطبقة راويان كل منهما عيسى بن ميمون أحدهما عيسى بن ميمون الجرشى وهو ثقة - والثانى عيسى بن ميمون المدنى مولى القاسم بن محمد وهو ضعيف ، وقد رجح بعض أهل العلم أنه الثانى . فالله أعلم .
وعلى كل حال فالحديث يصح بالطريقين الأولين والله تعالى أعلم .

حديث الثلاثة (الأبرص والأقرع والأعمى) وابتلاء الله لهم

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٤٦٤) :

حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا همام حدثنا إسحاق بن عبد الله قال حدثنى عبد الرحمن بن أبى عمرة أن أبا هريرة حدثه أنه سمع النبى ﷺ ح وحدثنى محمد حدثنا عبد الله بن رجاء أخبرنا همام عن إسحاق بن عبد الله قال أخبرنى عبد الرحمن بن أبى عمرة أن أبا هريرة رضى الله عنه حدثه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **إن ثلاثةً فى بنى إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله عزَّ وجل أن يبتليهم[1] فبعث إليهم ملكاً ، فأتى الأبرص فقال أىُّ شىء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن قد قذرنى[2] الناسُ . قال : فمسحه[3] فذهب عنه[4] فأُعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً ، فقال : أى المال أحبُّ إليك ؟ قال : الإبل أو قال البقر** ، هو شك فى ذلك : إن الأبرص والأقرع قال أحدهما الإبل ، وقال الآخر البقرُ – **فأُعطى ناقةً عشراء[5]، فقال يُبارك لك فيها وأتى الأقرعَ فقال : أىُّ شىء أحبُّ إليك ؟ قال : شعرٌ حسن**

---

(١) فى رواية مسلم : فأراد الله أن يبتليهم .

(٢) قال الحافظ فى الفتح (٥٠٢/٦) قوله (قذرنى) بفتح القاف ، والذال المعجمة المكسورة أى اشمأزوا من رؤيتى ، وفى رواية حكاها الكرمانى (**قذرونى الناس**) وهى على لغة أكلونى البراغيث .

(٣) (مسحه) : أى مسح جسمه .

(٤) أى ذهب عنه البرص .

(٥) قال النووى : الناقة العشراء هى الحامل القريبة الولادة ، وقال الحافظ فى الفتح : هى الحامل التى أتى عليها فى حملها عشرة أشهر من يوم طرقها الفحل ، وقيل يقال لها ذلك إلى أن تلد وبعد ما تضع ، وهى من أنفس المال .

ويذهب هذا عنى قد قذرنى الناسُ قال فمسحه فذهب وأُعطى شعراً حسناً قال فأى المال أحبُّ إليك قال البقر قال فأعطاه بقرةً حاملاً ، وقال : يبارك لك فيها ، وأتى الأعمى فقال أىُّ شىء أحبُّ إليك ؟ قال : يردُّ الله إلَّى بصرى فأبصر به الناس قال : فمسحه فرد الله إليه بصره . قال : فأىُّ المال أحبُّ إليك ؟ قال : الغنم فأعطاه شاةً والداً ، فأنتج[(١)] هذان وولَّدَ هذا فكان لهذا وادٍ من الإبل ، ولهذا وادٍ من بقر ، ولهذا واد من الغنم ، ثم إنه أتى الأبرص فى صورته وهيئته فقال رجلٌ مسكينٌ تقطعت به الحبال[(٢)] فى سفره فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ به[(٣)] فى سفرى فقال له : إن الحقوق كثيرةٌ فقال له : كأنى أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله ، فقال : لقد ورثت لكابرٍ عن كابرٍ[(٤)] ، فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأقرع فى صورته وهيئته ، فقال له مثل ما قال لهذا ، فرد عليه هذا ، فقال إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت ، وأتى

---

(١) أنتج هذان أى صاحب الإبل والبقر . قال النووى : (فأنتج) رباعى وهى لغة قليلة الاستعمال والمشهور (نتج) ثلاثى ، وممن حكى اللغتين الأخفش ومعناه تولى الولادة ، وهى النتج والإنتاج ، ومعنى ولد هذا بتشديد اللام معنى أنتج ، والناتج للإبل والمولد للغنم وغيرها هو كالقابلة للنساء .

وقال ابن حجر : (وأنتج) فى مثل هذا شاذ والمشهور فى اللغة نتجت الناقة بضم النون ونتج الرجل الناقة أى حمل عليها الفحل ، وقد سمع أنتجت الفرس إذا ولدت فهى نتوج .

(٢) أى الأسباب التى تقطع فى طلب الرزق .

(٣) أى أتوصل به إلى مرادى .

(٤) قال النووى : أى ورثته عن آبائى الذين ورثوه من أجدادى الذين ورثوه من آبائهم كبيراً عن كبير فى العز والشرف والثروة .

الأعمى فى صورته فقال رجلٌ مسكين وابن السبيل وتقطعت به الحبال فى سفره فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذى رد عليك بصرك شاةً أتبلغُ بها فى سفرى ، فقال له : قد كنت أعمى فرد الله بصرى وفقيراً فقد أغنانى فخذ ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشيءٍ أخذته لله[1] ، فقال : أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضى اللّهُ عنك وسخط على صاحبيك .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٦٤)

* * *

(١) قال النووى (شرح مسلم ٥/٨٢٠) : قوله (فوالله لا أجهدك اليوم شيئاً أخذته لله تعالى) هكذا هو فى رواية الجمهور (أجهدك) بالجيم والهاء ، وفى رواية ابن ماهان (أحمدك) بالحاء والميم ووقع فى البخارى بالوجهين ، لكن الأشهر فى مسلم بالجيم وفى البخارى بالحاء ، ومعنى الجيم لا أشق عليك برد شىء تأخذه أو تطلبه من مالى ، والجهد المشقة .
ومعناه بالحاء : لا أحمدك بترك شىء تحتاج إليه أو تريده فتكون لفظة الترك محذوفة مرادة كما قال الشاعر « ليس على طول الحياة ندم » أى فوات طول الحياة .
وقال الحافظ فى الفتح : وفى الحديث : جواز ذكر ما اتفق لمن مضى ليتعظ به من سمعه ولا يكون ذلك غيبة لهم ، ولعل هذا هو السر فى ترك تسميتهم ، ولم يفصح بما اتفق لهم بعد ذلك والذى يظهر أن الأمر فيهم وقع كما قال الملك ، وفيه التحذير من كفران النعم والترغيب فى شكرها والاعتراف بها وحمد الله عليها ، وفيه فضل الصدقة والحث على الرفق بالضعفاء وإكرامهم وتبليغهم مآربهم ، وفيه الزجر عن البخل لأنه حمل صاحبه على الكذب وعلى جحد نعمة الله تعالى :

جمع المال من الحلال ومن الحرام(*)
من أشراط الساعة

قال الإمام البخارى رحمه الله (٢٠٥٩) :

حدثنا آدم حدثنا ابن أبى ذئب حدثنا سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « **يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء ما أخذ منه**[١] **أمن الحلال أم من الحرام** »[٢] .

صحيح

وأخرجه النسائى (٧/٢٤٣)

* * *

(*) فيه بيان أن حب المال يطغى على الدين فلا يبالى الشخص إلا بجمع المال من أى مصدرٍ كان .

(١) أى المال كما فى رواية البخارى (٢٠٨٣) ففيها .. « **لا يبالى المرء بما أخذ المال أمن الحلال أم من حرام** » .

(٢) نقل الحافظ فى الفتح (٤/٢٩٦) عن ابن التين قوله : أخبر النبى ﷺ بهذا تحذيرًا من فتنة المال ، وهو من بعض دلائل نبوته لإخباره بالأمور التى لم تكن فى زمنه ، ووجه الذم من جهة التسوية بين الأمرين ، وإلا فأخذ المال من الحلال ليس مذموماً من حيث هو والله أعلم .

ومن فتن النساء

قال الله تعالى : ﴿ زُين للناسِ حبُّ الشهواتِ مِنَ النساء والبنينَ والقناطِير المقنطرة من الذهب والفضةِ والخيلِ المسومةِ والأنعامِ والحرثِ ذلك متاعُ الحياةِ الدنيا والله عنده حُسن المآب ، قل أَؤُنبئُكُم بخيرٍ من ذلكم للذين اتقوا عندَ ربِّهِم جناتٌ تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواجٌ مطهرةٌ ورضوانٌ من اللهِ واللهُ بصيرٌ بالعباد ﴾ .

آل عمران ١٤ – ١٥

* * *

قال الإمام البخارى رحمه الله (٥٠٩٦) :

حدثنا آدم حدثنا شعبة عن سليمان التيمى قال : سمعت أبا عثمان النهدى[١] عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال « **ما تركتُ بعدى فتنةً أضرَّ على الرِّجال من النساء** »[٢] .

صحيح

(١) وقد روى أبو عثمان هذا الحديث أيضاً عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عن رسول الله ﷺ كما عند مسلم (٢٧٤١) . وقال الدارقطنى فى العلل (٤٣٠/٤) : هو حديث يرويه معتمر بن سليمان عن أبيه عن أبى عثمان عن أسامة بن زيد وسعيد بن زيد عن النبى ﷺ ، وخالفه أصحاب التيمى منهم سفيان الثورى وشعبة ويزيد بن زريع وغيرهم فأسندوه عن أسامة بن زيد وحده عن النبى ﷺ وهو أحبها إلَّى .

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (١٣٨/٩) : وفى الحديث أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن ويشهد له قوله تعالى : ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء** ﴾ فجعلهن من حب الشهوات وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل فى ذلك ، ويقع فى المشاهدة حب الرجل ولده من امرأته التى هى عنده أكثر من حبه ولده من غيرها ، ومن أمثلة ذلك قصة النعمان بن بشير فى الهبة ، وقد قال بعض الحكماء : النساء شر كلهن وأشر ما فيهن عدم الاستغناء عنهن . قلت : وهذا القول لا يصدر عن حكيم فقد قال الله سبحانه : ﴿ **فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله** ﴾ فقد أبعد كل البعد من قال إن النساء شر كلهن ا.هـ .

ثم قال الحافظ رحمه الله : ومع أنها ناقصة العقل والدين تحمل الرجل على تعاطى ما فيه نقص العقل والدين كشغله عن طلب أمور الدين وحمله على التهالك على طلب الدنيا وذلك أشد الفساد .

● **تنبيه** : قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله (عمدة التفسير حاشية ص١٣٦ جـ١): وقد دأب الكتاب والأدباء فى عصرنا هذا على فرية أن آدم عليه السلام خدعته حواء حتى أكل من الشجرة !!! يصطنعون قول الكاذبين المفترين من أهل =

وأخرجه مسلم (٢٧٤٠) والترمذى (٢٧٨٠) وقال هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه (٣٩٩٨) وعزاه المزى للنسائى .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٧٤٢) :

حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبى مسلمة قال : سمعت أبا نضرة يحدث عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال « **إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا**[1] **واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء** » .

صحيح

وعزاه المزى للنسائى .

= الكتاب ، بما حرفوا وكذبوا ثم اجترؤوا واجترأت الصحف الماجنة والمجلات الداعرة على السخرية بآدم وحواء ، وتصويرهما فى صور قبيحة منكرة جرأة منهم على الدين واستهزاء بأول النبيين ، وما كان لمسلم أن يفعل هذا أو يقوله أعاذنا الله مما يقولون ويصنعون .

(١) قال النووى رحمه الله (٥/٥٨٢ شرح مسلم) ومعناه : تجنبوا الافتتان بها وبالنساء وتدخل فى النساء الزوجات وغيرهن وأكثرهن فتنة الزوجات ، ودوام فتنتهن وابتلاء أكثر الناس بهن .
ومعنى (**الدنيا خضرة حلوة**) يحتمل أن المراد به شيئان أحدهما حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة فإن النفوس تطلبها طلباً حثيثاً فكذا الدنيا ، والثانى سرعة فنائها كالشيء الأخضر فى هذين الوصفين ومعنى (**مستخلفكم فيها**) جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم فينظر هل تعملون بطاعته أم بمعصيته وشهواتكم .

ومن فتن نساء بنى إسرائيل

قال الإمام أحمد رحمه الله (٣/٤٦) :

حدثنا عبد الصمد المستمر بن الريان الأيادى ثنا أبو نضرة العبدى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ ذكر الدنيا فقال : « **إن الدنيا خضرة حلوة فاتقوها واتقوا النساء** » ثم ذكر نسوة ثلاثاً من بنى إسرائيل امرأتين طويلتين تعرفان ، وامرأة قصيرة لا تعرف فاتخذت رجلين من خشب وصاغت خاتماً فحشته من أطيب الطيب المسك وجعلت له غلقاً فإذا مرت بالملأ أو بالمجلس قالت به فنفخته ففاح ريحه . (قال المستمر بخنصره اليسرى فأشخصها دون أصابعه الثلاثة شيئاً وقبض الثلاثة) .

صحيح

وأخرجه مسلم ببعض الاختصار (٢٢٥٢) والنسائى (٨/١٥١)

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٤٣٦) :

حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « **لم يتكلمْ فى المهدِ إلا ثلاثة عيسىٰ ، وكان فى بنى إسرائيل رجل يقال له جُريج كان يُصلى فجاءته أُمُّه فدعته ، فقال أُجيبها أو أُصلى فقالت اللهم لا تُمته حتى تُريَه وجوهَ المومسات**[1] ، **وكان جُريج فى صومعته فتعرضت له امرأة**[2] **وكلمته فأبى ، فأتت راعياً فأمكنته من**

---

(١) وهن الزوانى البغايا المتجاهرات بذلك .

(٢) فى رواية البخارى (٢٤٨٢) ... **فقالت امرأة لأفتن جريجاً** ...

وفى رواية مسلم : **وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها فقالت إن شئتم لأفتننه لكم** =

نفسها فولدت غلاماً فقالت مِن جريج ، فَأَتَوه فكسروا صومعتَه وأَنزلوه وسبُّوه فتوضأ وصلى ، ثم أتى الغلام فقال : من أبوك يا غلام ؟ قال الراعى ، قالوا نبنى صومعتك من ذهب ؟ قال لا إلا من طين[1] . ، وكانت امرأة تُرضع ابنا لها من بنى إسرائيل فمر رجل راكب ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابنى مثله ، فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال : اللهم لا تجعلنى مثله ، ثم أقبل على ثديها يمصه قال أبو هريرة : كأنى أنظر إلى النبى ﷺ يمص إصبعه ، **ثم مرَّ بأمةٍ فقالت اللهم لا تجعل ابنى مثل هذه ، فترك ثديها فقال اللهم اجعلنى مِثْلَها فقالت لِمَ ذاك ؟ فقال : الراكبُ جبارٌ من الجبابرة ، وهذه الأَمَةُ يقولون سَرَقَتْ ، زَنَيَتْ ولم تَفْعل »** .

صحيح

وأخرجه مسلم ص (١٩٧٦ - ١٩٧٧)

التحذير من الخلوة بالنساء[2]

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢٦/١) :

حدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال : خطب عمر الناس بالجابية فقال إن رسول الله ﷺ قام فى مثل مقامى هذا فقال « **أحسنوا**

= **فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعياً كان يأوى إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج ..**

(١) قال الحافظ ابن حجر (فتح البارى ٤٨٣/٦) : فيه أن صاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن .

(٢) ولهذا الباب مزيد بسط فى كتابنا جامع أحكام النساء (قسم الأدب) وإنما أوردنا هذا القدر فقط لأن فى هذا الحديث فقرات تتعلق ببعض ما بين يدى الساعة ثم رأينا أنه من اللائق إثباته هنا وبالله التوفيق ومن الواضح هنا أن المراد بالنساء غير المحارم .

إلى أصحابى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجئ قوم يحلف أحدهم على اليمين قبل أن يستحلف عليها ويشهد على الشهادة قبل أن يستشهد فمن أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ولا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان ، ومن كان منكم تسره حسنته وتسؤه سيئته فهو مؤمن » .

صحيح لشواهده[1]

وعزاه المزى للنسائى

* * *

(١) وقد أخرجه عبد بن حميد فى المنتخب بتحقيقى (رقم ٢٣) من طريق عبد الملك ابن عمير عن عبد الله بن الزبير أن عمر قام ... فذكر نحوه .
وللحديث شاهد من طريق محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن عمر به .
أخرجه أحمد (١/١٨) والترمذى (٢١٦٨) ، ولمزيد انظر المنتخب من مسند عبد بن حميد (بتحقيقى حديث رقم ٢٣) .
● هذا وقد أورد الدارقطنى رحمه الله هذا الحديث فى كتاب العلل (٢/١٢٢) فقال :
يرويه عبد الملك بن عمير واختلف عنه فى إسناده فقيل : عنه فيه عدة أقاويل :
ورواه جرير بن حازم ومحمد بن شبيب الزهرانى وقرة بن خالد وجرير بن عبد الحميد ، وقيل : عن شعبة بن الحجاج فقالوا عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة عن عمر .
وخالفهم جماعة ثقات منهم عبد الله بن المختار ويونس بن أبى إسحاق وابنه =

الفتنة بالولد

وقال الله عز وجل ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾

قال أبو داود رحمه الله (١١٠٩) :

حدثنا محمد بن العلاء أن زيد بن حباب[1] حدثهم حدثنا حسين بن واقد حدثنى عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فأقبل الحسن والحسين رضى الله عنهما عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان ، فنزل فأخذهما فصعد بهما المنبر ثم قال : « **صدق الله ﴿ إنما أموالكم وأولادكم**

= إسرائيل ومعمر وعبد الحكيم بن منصور وحبان ومندل ابنا علىّ وسفيان الثورى ، وقيل : عن شعبة والمسعودى وداود بن الزبرقان والحسين بن واقد والحصين بن واقد – شيخ روى عنه أبو بكر بن عياش – وقزعة بن سويد وأبو عوانة فرووه عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن الزبير عن عمر .
ورواه شيبان بن عبد الرحمن وشعيب بن صفوان وزايدة وعبيد الله بن عمر الرق عن عبد الملك بن عمير عن رجل لم يسم عن عبد الله بن الزبير .
وقال عبد الحميد بن موسى عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك بن عمير عن مجاهد عن ابن الزبير عن عمر ولم يصنع شيئاً .
وقال عمران– هو أخو سفيان ابن عيينة – عن عبد الملك عن ربعى بن حراش عن عمر .
وقال يحيى بن يعلى أبو المحياه وزهير ومحمد بن ثابت عن عبد الملك عن قبيصة ابن جابر عن عمر .
وقال حماد بن سلمة والمسعودى وقيس من رواية محمد بن مصعب عنهم عن عبد الملك عن رجاء بن حيوة عن عمر .
وقال ابن عينية عن عبد الملك عن رجل لم يسمه عن عمر .
ويشبه أن يكون الاضطراب فى هذا الإسناد من عبد الملك بن عمير لكثرة اختلاف الثقات عنه فى الإسناد . والله أعلم .
قلت : وانظر علل الدارقطنى أيضاً (٦٥/٢) .

(١) وقد توبع زيد بن حباب كما عند الترمذى (٣٧٧٤) وغيره .

فتنة ﴾ رأيت هذين فلم أصبر » ، ثم أخذ فى الخطبة .

صحيح

وأخرجه الترمذى (٣٧٧٤) وقال هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من حديث الحسين بن واقد ، والنسائى (١٠٨/٣) وابن أبى شيبة فى المصنف (١٢٢٣٧) وابن ماجه (٣٦٠٠) .

* * *

فتنة التصاوير

قال الإمام البخارى رحمه الله (٤٩٢٠) :

حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام عن ابن جريج ، وقال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما : صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد . أما وَدٌّ فكانت لكَلْب[١] بدومة الجندل وأما سواعٌ فكانت لهذيل[١] ، وأما يغوث فكانت لمرادٍ[١] ثم لبنى غُطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير[١] لآل ذى الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت[٢] .

---

(١) هى أسماء قبائل من قبائل العرب .

(٢) هذا الأثر مما انتقد على البخارى ووجه الانتقاد أن عطاء هنا هو الخراسانى وليس ابن أبى رباح كما يظن الظآن ، وذلك لأن ابن جريج قال : سألت عطاء عن التفسير من البقرة وآل عمران فقال اعفنى من هذا ، ولما كان عطاء هنا هو الخراسانى وعطاء الخراسانى لم يدرك ابن عباس كما قاله أبو دواد ، وأيضاً فقد تكلم فى سماع ابن جريج للتفسير من عطاء الخراسانى ، لهذا انتقد هذا الأثر ودافع الحافظ ابن حجر بعض الدفاع عنه فى الفتح وفى هدى السارى (مقدمة الفتح ص ٣٧٦) وقال فى خاتمة بحثه فى هدى السارى : فهذا جواب إقناعى ، وهذا عندى من المواضع العقيمة عن الجواب السديد ، ولابد للجواد من كبوة والله المستعان .

وقال فى الفتح (٨/٦٦٧) : قوله (عن ابن عباس) : قيل هذا منقطع لأن عطاء المذكور هو الخراسانى و لم يلق ابن عباس ، فقد أخرج ابن عباس هذا الحديث =

....

= فى تفسيره عن ابن جريج فقال : أخبرنى عطاء الخراسانى عن ابن عباس ، وقال أبو مسعود ثبت هذا الحديث فى تفسير ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس ، وابن جريج لم يسمع التفسير من عطاء الخراسانى وإنما أخذه من ابنه عثمان بن عطاء فنظر فيه وذكر صالح بن أحمد بن حنبل (فى العلل) عن علىّ ابن المدينى قال : سألت يحيى القطان عن حديث ابن جريج عن عطاء الخراسانى فقال ضعيف فقلت : إنه يقول أخبرنا قال لا شئ إنما هو كتاب دفعه إليه انتهى . وكان ابن جريج يستجيز إطلاق أخبرنا فى المناولة والمكاتبة ، وقال الإسماعيلى أخبرت عن علىّ بن المدينى أنه ذكر عن « تفسير ابن جريج » كلاماً معناه أنه كان يقول عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس فطال على الوراق أن يكتب الخراسانى فى كل حديث فتركه فرواه من روى على أنه عطاء بن أبى رباح انتهى . وأشار بهذا إلى القصة التى ذكرها صالح بن أحمد عن علىّ بن المدينى ونبه عليها أبو علىّ الجيانى فى (تقييد المهمل) قال ابن المدينى : سمعت هشام بن يوسف يقول قال لى ابن جريج سألت عطاء عن التفسير من البقرة وآل عمران ثم قال اعفنى من هذا . قال قال هشام فكان بعد إذا قال قال عطاء عن ابن عباس قال عطاء الخراسانى قال هشام فكتبنا ثم مللنا يعنى كتبنا الخراسانى . قال ابن المدينى ؛ وإنما بينت هذا لأن محمد بن ثور كان يجعلها – يعنى فى روايته عن ابن جريج – عن عطاء عن ابن عباس فيظن أن عطاء بن أبى رباح ، وقد أخرج الفاكهى الحديث المذكور من طريق محمد بن ثور عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس ولم يقل الخراسانى ، وأخرجه عبد الرزاق كما تقدم فقال الخراسانى ، وهذا مما استعظم على البخارى أن يخفى عليه لكن الذى قوى عندى أن هذا الحديث بخصوصه عند ابن جريج عن عطاء الخراسانى وعن عطاء بن أبى رباح جميعاً ، ولا يلزم من امتناع عطاء بن أبى رباح من التحديث بالتفسير أن لا يحدث بهذا الحديث فى باب آخر من الأبواب أو فى المذاكرة ، وإلا فكيف يخفى على البخارى ذلك مع تشدده فى شرط الإتصال واعتماده غالباً فى العلل على علىّ بن المدينى شيخه ، وهو الذى نبه على هذه القصة ، ومما يؤيد ذلك =

....

= أنه لم يكثر من تخريج هذه النسخة ، وإنما ذكر بهذا الإسناد موضعين هذا ، وآخر فى النكاح ، ولو كان خفى عليه لاستكثر من إخراجها لأن ظاهرها أنها على شرطه . وقد ورد فى هذا الباب بعض الآثار .

● منها ما أخرجه ابن جرير الطبرى (٦٢/٢٩) فقال حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس : ويعوق ونسرا قال كانوا قوماً صالحين من بنى آدم وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم .

وهذا الأثر إسناده ضعيف ففيه ابن حميد ، وهو محمد بن حميد الرازى وهو ضعيف .

● وقال ابن كثير رحمه الله (التفسير ٤٢٦/٤) : وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن منصور حدثنا الحسن بن موسى حدثنا يعقوب عن أبى المطهر قال ذكروا عند أبى جعفر وهو قائم يصلى يزيد بن المهلب قال فلما انفتل من صلاته قال ذكرتم يزيد بن المهلب أما إنه قتل فى أول أرض عبد فيها غير الله ، قال ثم ذكروا رجلاً مسلماً وكان محبباً فى قومه فلما مات اعتكفوا حول قبره فى أرض بل[1] وجزعوا عليه فلما رأى إبليس جزعهم عليه تشبه فى صورة إنسان ثم قال : إنى أرى جزعكم على هذا الرجل فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون فى ناديكم فتذكرونه ؟ قالوا : نعم فصور لهم مثله قال ووضعوه فى ناديهم وجعلوا يذكرونه فلما رأى ما بهم من ذكره قال هل لكم أن أجعل فى منزل كل رجل منكم تمثالاً مثله فيكون له فى بيته فتذكرونه ؟ قالوا : نعم فمثل لكل أهل بيت تمثالاً مثله فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به ، قال : وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به قال : وتناسلوا ودرس أمر ذكرهم إياه حتى اتخذه إلهاً يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم فكان أول ما عبد من دون الله ودّ الصنم الذى سموه وداً . =

---

(١) الذى يبدو أن الصواب بابل والله أعلم .

= قلت : وفى صحة هذا الأثر نظر فأبو المطهر لا أعرفه ، وأيضاً فبين أبى جعفر وهذه القصة مفاوز فى غاية البعد ، والله أعلم .

● وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٦٦٩/٨) : وأخرج الفاكهى من طريق عبيد الله بن عبيد بن عمير قال : أول ما حدثت الأصنام على عهد نوح ، وكانت الأبناء تبر الآباء فمات رجل منهم فجُزع عليه فجعل لا يصبر عنه ، فاتخذ مثالاً على صورته فكلما اشتاق إليه نظره ، ثم مات ففعل به كما فعل حتى تتابعوا على ذلك فمات الآباء ، فقال الأبناء ما اتخذ آباؤنا هذه إلا أنها كانت آلهتهم فعبدوها .

قلت : وبين عبيد الله وهذه القصة بون شاسع .

هذا وإن كانت هذه الآثار فيها ما قد رأيت إلا أن فتنة الصور قد عمت وطغت فأصبح كثير من الرجال يقتنى صورة محبوبته ومعشوقته وينظر إلى صور الكاسيات العاريات الفاضحة بل ويحتفظ بها فى جيبه وتحت وسادته وكذلك كثير من النسوة يحتفظن بصور محبوبهن ومعشوقهن ويتغزلن فيه ويتأملن ، وكذلك إذا رأين فتياً من الرجال بادرن إلى شراء صورته وحفظها واقتنائها ، وآل الحال بهؤلاء وأولئك إلى الإمعان فى الصور والنظر إليها أكثر من الإمعان فى كتاب الله وتدبر آياته ، واستحوذت تلكم التصاوير على أسماعهم وأبصارهم وأفئدتهم أكثر مما ناله كتاب الله من قلوبهم .

وأصبح كثير من أهل بلادنا وأصحاب زماننا فى حالة من قلة الحياء يرثى لها ، فإذا تزوج أحدهم أخذ زوجته وانطلق بها إلى المصور لكى يصورها وهى آخذة زينتها لأسعد يوم فى حياتها - بزعمها - فيلتقط لها المصور ولزوجها صورة وهى فى غاية من التبرج المزرى ، وتوضع هذه الصورة ذات الحجم الكبير وقد أصبغت عليها من الألوان ما قد أصبغ حتى تزداد جمالاً إلى جمالها توضع هذه الصورة صورة الزوجة وزوجه فى غرفة الضيافة كى يراهما كل زائر ، وكأن لسان حال الزوجين يقول للزائرين انظروا إلى هذا الجمال وشاهدوا !!! فإنا لله وإنا إليه راجعون فقد أصبح وقوف أحدهم أمام صورة معشوقته ومحبوبته أحب إليه من الوقوف فى الصلاة بين يدى ربه الخالق البارىء المصور . =

= وكم حدثت بين الناس من مشاحنات بسبب تلك الصور فتعطى المخطوبة لخطيبها صورة لها ثم تتفكك الخطبة ويصير دائماً مهددًا لها خاصة إذا صورها على حالة تكرهها .

● وكما قال ابن القيم رحمه الله (إغاثة اللهفان ص٥٠٦) : وكم وقع بين الناس بسبب عشق الصور - من العداوة والبغضاء وزوال الألفة والمحبة وانقلابها عداوة .

● وقال رحمه الله (ص٦٢٢) : فى ذكره تلاعب الشيطان بالنصارى : وتلاعب بهم فى تصوير الصور فى الكنائس وعبادتها فلا تجد كنيسة من كنائسهم تخلو عن صورة مريم والمسيح وجرجس وبطرس وغيرهم من القديسين عندهم والشهداء ، وأكثرهم يسجدون للصور ويدعونها من دون الله تعالى حتى لقد كتب بَطْريق الأسكندرية إلى ملك الروم كتاباً يحتج فيه للسجود للصور بأن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يصور فى قبة الزمان صورة الساروس ، وبأن سليمان بن داود لما عمل الهيكل عمل صورة الساروس من ذهب ، ونصبها داخل الهيكل .

ثم قال فى كتابه : وإنما مثال هذا مثال الملك يكتب إلى بعض عماله كتاباً فيأخذه العامل ويقبله ويضعه على عينيه ويقوم له لا تعظيماً للقرطاس والمداد بل تعظيماً للملك كذلك السجود للصور تعظيم لاسم ذلك المصور ، لا للأصباغ والألوان .

وبهذا المثال بعينه عبدت الأصنام .

وما ذكره هذا المشرك عن موسى وسليمان عليهما السلام ، لو صح - لم يكن فيه دليل على السجود للصور ، وغايته أن يكون بمثابة ما يذكر عن داود : أنه نقش خطيئته فى كفه كيلا ينساها ، فأين هذا مما يفعله هؤلاء المشركون من التذلل والخضوع والسجود بين يدى تلك الصور . وإنما المثال المطابق لما يفعله هؤلاء المشركون مثال خادم من خدام الملك دخل على رجل فوثب الرجل من مجلسه وسجد له وعبده وفعل به ما لا يصلح أن يفعل إلا مع الملك ، وكل =

= عاقل يستجهله ويستحمقه فى فعله ، إذ قد فعل مع عبد الملك ما كان ينبغى أن يخص به الملك دون عبيده من الخضوع والإكرام والتذلل .
ومعلوم أن هذا إلى مقت الملك له وسقوطه من عينه أقرب منه إلى إكرامه له ورفع منزلته . كذلك حال من سجد لمخلوق أو لصورة مخلوق لأنه عمد إلى السجود الذى هو غاية ما يتوصل به العبد إلى رضا الرب ، ولا يصلح إلا له ، ففعله لصورة عبد من عبيده وسوى بين الله وبين عبده فى ذلك ، وليس وراء هذا فى القبح والظلم شيء ولهذا قال تعالى : ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ .
قلت : ولهذا ولغيره جاء التحذير من رسول الله ﷺ عن التصوير واقتناء الصور وجاء أمر النبى ﷺ بطمسها ، وجاء عنه عليه الصلاة والسلام الوعيد للمصورين ، وهتكها ﷺ وذكر أن الملائكة لا تدخل بيتاً فى صورة ، ونورد هنا إن شاء الله – على سبيل الإيجاز والاختصار السريع – بعض ما جاء عن رسول الله ﷺ فى ذلك .

● أخرج البخارى (٥٩٥٠) ومسلم (٢١٠٩) من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال سمعت النبى ﷺ يقول : « **إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون** » .

● وأخرج البخارى (٥٩٥١) ومسلم (٢١٠٨) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم** » .

● وأخرج البخارى (٥٩٤٩) ومسلم (٢١٠٦) من حديث أبى طلحة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة** » .

● وأخرج البخارى (٥٩٦٣) ومسلم (٢١١٠) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **من صور صورة فى الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ** » .

● وأخرج البخارى (٥٩٦٢) من حديث أبى جحيفة رضى الله عنه أن =

= النبى ﷺ نهى عن ثمن الدم وثمن الكلب وكسب البغى ، ولعن آكل الربا وموكله والواشمة والمستوشمة والمصور .

● وأخرج البخارى (٥٩٦١) ومسلم (٢١٠٧) من حديث عائشة رضى الله عنها قالت اشتريت نمرقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل فعرفت فى وجهه الكراهية ، قالت يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله ماذا أذنبت ؟ قال : « **ما بال هذه النمرقة ؟** » فقالت : اشتريتها لتقعد عليها وتوسدها . فقال رسول الله ﷺ « **إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم** ، وقال **إن البيت الذى فيه الصور لا تدخله الملائكة** » .

وفى رواية لمسلم (ص١٦٦٧) عن عائشة قالت : دخل علىَّ رسول الله ﷺ وأنا متسترة بقرام فيه صورة فتلون وجهه ثم تناول الستر فهتكه ثم قال : « **إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله** » .

● وأخرج البخارى (٥٩٥٣) ومسلم (٢١١١) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه دخل داراً بالمدينة فرأى فى أعلاها مصوراً يصور فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله عز وجل : « **ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرَّة وليخلقوا شعيرة** » .

وفى لفظ لمسلم من حديث أبى هريرة مرفوعاً « **لا تدخل الملائكة بيتاً فيه تماثيل أو تصاوير** » .

● وأخرج البخارى (٥٩٥٢) من حديث عائشة قالت : إن النبى ﷺ لم يكن يترك فى بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه .

إلا أن هذا الأخير من طريق عمران بن حطان وهو خارجى خبيث .

● وأخرج البخارى (٥٩٦٠) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال وعد جبريل النبى ﷺ فراث عليه حتى اشتد على النبى ﷺ فخرج النبى ﷺ فلقيه فشكا إليه ما وجد ، فقال له : إنا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب .

● وأخرج مسلم (٢١٠٤) من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : واعد =

فتنة الأئمة المضلين

قال الترمذى رحمه الله (٢٢٢٩) :

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى أسماء الرحبى عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ « **إنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين** » قال : وقال رسول الله ﷺ « **لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من يخذلهم حتى يأتى أمر الله** » .

صحيح

= رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام فى ساعة يأتيه فيها فجاءت تلك الساعة ولم يأته ، وفى يده عصا فألقاها من يده وقال : « **ما يخلف الله وعده ولا رسله** » ثم التفت فإذا جرو كلب تحت سريره فقال : « **يا عائشة متى دخل هذا الكلب ههنا ؟** » فقالت : والله ما دريت فأمر به فأخرج فجاء جبريل فقال رسول الله ﷺ : « **واعدتنى فجلست لك فلم تأت** » فقال : منعنى الكلب الذى كان فى بيتك إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة .

● وأخرج مسلم (٢١٠٥) من حديث ميمونة رضى الله عنها قالت : أصبح رسول الله ﷺ يوماً واجماً فقالت ميمونة يا رسول الله : لقد استنكرت هيئتك منذ اليوم قال رسول الله ﷺ : « **إن جبريل كان وعدنى أن يلقانى الليلة فلم يلقنى أَمَ والله ما أخلفنى** » قال فظل رسول الله ﷺ يومه ذلك على ذلك ثم وقع فى نفسه جرو كلب تحت فسطاط لنا فأمر به فأخرج ثم أخذ بيده ماء فنضح مكانه فلما أمسى لقيه جبريل فقال له : « **قد كنت وعدتنى أن تلقانى البارحة** » قال : أجل ولكنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة .

● وأخرج مسلم (٩٦٩) من طريق أبى الهياج الأسدى قال : قال لى علىّ بن أبى طالب ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سوَّيته .

قال أبو عيسى : وهذا حديث حسن صحيح . ، وتقدم تخريجه .

قال الإمام النسائى رحمه الله (٧/١٦٠) :

أخبرنا هارون بن إسحاق قال حدثنا محمد - يعنى ابن عبد الوهاب - قال حدثنا مسعر عن أبى حصين عن الشعبى عن عاصم العدوى عن كعب بن عجرة قال : خرج إلينا رسول الله ﷺ ونحن تسعة خمسة وأربعة أحد العددين من العرب والآخر من العجم فقال : « **اسمعوا هل سمعتم أنه ستكون بعدى أمراء[1] من دخل عليهم[2] فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه وليس يرد على الحوض ، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه وسيرد على الحوض** » .

صحيح[3]

وأخرجه الترمذى (٢٢٥٩) وقال : هذا حديث صحيح غريب .

---

(١) فى رواية لأحمد (٤/٢٤٣) : (**يكذبون ويظلمون**) .

(٢) قال المباركفورى (تحفة الأحوذى ٦/٥٣٧) : (**فمن دخل عليهم**) أى من العلماء وغيرهم وأعانهم على ظلمهم أى بالإفتاء ونحوه .

(٣) وللحديث شاهد عند أحمد (٣/٣٢١ و ٣٩٩) من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله قال حُدثنا أن رسول الله ﷺ قال : « **يا كعب بن عجرة أُعيذك بالله من إمارة السفهاء** » قال وما ذاك يا رسول الله قال : « **أمراء سيكونون من بعدى من دخل عليهم فصدقهم بحديثهم وأعانهم على ظلمهم فليسوا منى ولست منهم ولم يردوا علىَّ الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بحديثهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك منى وأنا منهم وأولئك يردون علىَّ الحوض ..** » الحديث .

وفى إسناده عبد الرحمن بن سابط لم يسمع من جابر .

إلا أنه يصلح شاهداً قوياً لحديث الباب ، وحديث الباب صحيح لذاته .

والله أعلم .

قال ابن حبان رحمه الله (موارد الظمآن ١٥٥٨) :

أخبرنا أحمد بن علىّ بن المثنى حدثنا إسحاق بن إبراهيم المروزى أنبأنا جرير بن عبد الحميد عن رقبة بن مصقلة عن جعفر بن إياس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبى سعيد وأبى هريرة قالا : قال رسول الله ﷺ : « **ليأتين عليكم أمراء يقربون شرار الناس ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها فمن أدرك ذلك منكم فلا يكونن عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ولا خازناً** » .

صحيح[1]

وأخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده (٣٦٢/٢) .

التحذير من زلة العالِم

قال أبو داود رحمه الله (٤٦١١) .

حدثنا يزيد بن خالد بن يزيد بن عبد الله بن موهب الهمدانى حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أن أبا إدريس الخولانى عائذ الله أخبره أن يزيد بن عميرة ، وكان من أصحاب معاذ بن جبل أخبره قال : كان لا يجلس مجلسا للذكر حين يجلس إلا قال : الله حكمٌ قسط هلك المرتابون فقال معاذ بن جبل يوماً : إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن[2] حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر فيوشك قائل أن يقول : ما للناس لا يتبعونى وقد قرأت القرآن ؟ ما هم بمتبعىّ حتى أبتدع لهم غيره فإياكم

---

(١) وله شاهد أشار إليه الشيخ ناصر الألبانى - حفظه الله - فى السلسلة الصحيحة تحت رقم (٣٦٠) فراجعه إن شئت .

(٢) قال صاحب عون المعبود (٣٦٤/١٢) : المعنى أن فى أيام هذه الفتن يشيع إقراء القرآن وقراءته ويروج تلاوته بحيث يقرؤه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والكبير والصغير والعبد والحر .

وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة ، وأحذركم زيغة الحكيم فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم ، وقد يقول المنافق كلمة الحق قال قلت لمعاذ : ما يدريني رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة ، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق ؟ قال : بلى اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات[1] التى يقال لها ما هذه ، ولا يثنينك ذلك عنه فإنه لعله أن يراجع[2] ، وتلقَّ الحق إذا سمعته فإن على الحق نوراً[3] .

موقوف صحيح

قال أبو داود : قال معمر عن الزهرى فى هذا الحديث ولا ينئينك ذلك عنه مكان يثنينك ، وقال صالح بن كيسان عن الزهرى فى هذا : المشبهات مكان المشتهرات وقال لا يثنينك كما قال عقيل ، وقال ابن إسحاق عن الزهرى قال : بلى ما تشابه عليك من قول الحكيم حتى تقول ما أراد بهذه الكلمة .



(١) قال صاحب العون : أى الكلمات المشتهرات بالبطلان (التى يقال لها ما هذه) أى يقول الناس إنكاراً فى شأن تلك المشتهرات ما هذه (ولا ينئيك) أى لا يصرفنك عن الصراط المستقيم .

(٢) أى لعله أن يرجع عن تلك المقولات .

(٣) (فإن على الحق نوراً) أى فلا يخفى عليك كلمة الحق وإن سمعتها من المنافق لما عليها من النور والضياء ، وكذلك كلمات الحكيم الباطلة لا تخفى عليك لأن الناس إذ يسمعونها ينكرونها لما عليها من ظلام البدعة والبطلان ويقولون إنكاراً ما هذه ، وتشتهر تلك الكلمات بين الناس بالبطلان فعليك أن تجتنب من كلمات الحكيم المنكرة الباطلة ، ولكن لا تترك صحبة الحكيم فإنه لعله يرجع عنها (ولا يُنئينك) بضم الياء وسكون النون وكسر الهمزة أى لا يباعدنك .

فتنة السجون

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٩٩٢) :

حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء حدثنا جويرية عن مالك عن الزهرى أن سعيد ابن المسيب وأبا عبيد أخبراه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسولُ اللّهُ ﷺ :
« لو لَبِثْتُ فى السجن ما لبث يوسُف ثم أتانى الداعى لأجبته »[1] .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٥١) والطبرى فى التفسير (١٣٩/١٢) وعزاه المزى للنسائى .

---

(١) أخرج ابن جرير الطبرى (التفسير ١٣٩/١٢) من طريق عبد الرزاق (وكذا عزاه ابن كثير فى التفسير (٤٨١/٢) والحافظ فى الفتح (٣٨٢/١٢) إلى عبد الرزاق) قال : أخبرنا ابن عينية عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال : قال رسول الله ﷺ : **« لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين سُئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم بشىء حتى أشترط أن يخرجونى ، ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرسول ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب ولكنه أراد أن يكون له العذر »** . وإسناد هذا مرسل ، وذكر الحافظ فى الفتح أن الطبرى قد وصله من طريق إبراهيم بن يزيد الخوزى بضم المعجمة والزاى عن عمرو بن دينار بذكر ابن عباس فيه فذكره .

قلت (القائل مصطفى) : إبراهيم بن يزيد الخوزى قد أطبق أهل العلم على تضعيفه وهو رجل متروك فلا يعول على رواية الوصل ، والمعول عليه هو الرواية المرسلة والمرسل من قسم الضعيف كما هو معلوم ، فأثر عكرمة لا يثبت .

أما بالنسبة لمعنى الحديث فقد قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٣٦٦/١) :
وأما قوله ﷺ : **«ولو لبثت فى السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعى »** : =

ومن فتن إبليس وجنده(*)

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨١٢) :
حدثنا عثمان بن أبى شيبة وإسحاق بن إبراهيم (قال إسحاق أخبرنا وقال عثمان حدثنا) جرير عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال **سمعت النبى ﷺ يقول « إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ، ولكن فى التحريش**

= فهو ثناء على يوسف عليه الصلاة والسلام وبيان لصبره وتأنيه ، والمراد بالداعى رسول الملك الذى أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قال ﴿ **ائتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن** ﴾ فلم يخرج يوسف ﷺ مبادرًا إلى الراحة ومفارقة السجن الطويل بل تثبت وتوقر وراسل الملك فى كشف أمره الذى سجن بسببه ولتظهر براءته عند الملك وغيره ، ويلقاه مع اعتقاده براءته مما نسب إليه ولا خجل من يوسف ولا غيره فبين نبينا ﷺ فضيلة يوسف فى هذا وقوة نفسه فى الخير وكمال صبره وحسن نظره ، وقال النبى ﷺ عن نفسه ما قاله تواضعاً وإيثاراً للإبلاغ فى بيان كمال فضيلة يوسف ﷺ ، والله أعلم .

وقال الحافظ رحمه الله (فتح البارى ٦/٤١٣) : قوله « **ولو لبثت فى السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعى** » أى لأسرعت الإجابة فى الخروج من السجن ولما قدمت طلب البراءة فوصفه بشدة الصبر حيث لم يبادر بالخروج ، وإنما قاله ﷺ تواضعاً ، والتواضع لا يحط مرتبة الكبير بل يزيده رفعة وجلالاً ، وقيل هو من جنس قوله « **لا تفضلونى على يوسف** » وقد قيل إنه قاله قبل أن يعلم أنه أفضل من الجميع .

(*) للاحتراز من مكايد الشيطان راجع رسالتنا العواصم من الشيطان نشر دار الصحابة بطنطا . مصر .

بينهم »[1] .

صحيح

وأخرجه الترمذى (١٩٣٧) وقال : هذا حديث حسن .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٢٧٦) :

حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال : أخبرنى عروة ابن الزبير قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسولُ الله ﷺ : « **يأتى الشيطانُ أحدكم فيقولَ : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقولَ : من خلق ربَّك ؟ فإذا بلغهُ فليستعذ باللّهِ ولينتهِ** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٣٤) وأبو داود (٤٧٢١) والنسائى فى عمل اليوم والليلة (٦٦٣) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨١٣) :

حدثنا عثمان بن أبى شيبة وإسحاق بن إبراهيم (قال إسحاق أخبرنا وقال عثمان حدثنا) جرير عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال : سمعت النبى ﷺ يقول « **إن عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة** » .

صحيح

حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء وإسحاق بن إبراهيم (واللفظ لأبى كريب) قالا : أخبرنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجىء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئاً** ،

---

(١) أى بالخصومات والشحناء والحروب والفتن .

قال ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت » .

صحيح

قال الأعمش : أراه قال فيلتزمه .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨١٥) :

حدثنى هارون بن سعيد الأيلى حدثنا ابن وهب أخبرنى أبو صخر عن ابن قسيط حدثه أن عروة حدثه أن عائشة زوج النبى ﷺ حدثته أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً قالت فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع فقال « **مالكِ ؟ يا عائشة أغرت ؟** » فقلت ومالى لا يغار مثلى على مثلك ؟ فقال رسول الله ﷺ « **أقد جاءك شيطانك ؟** » قالت : يا رسول الله ! أومعى شيطان ؟ قال : « **نعم** » قلت : ومع كل إنسان يا رسول الله ؟ قال : « **نعم** » قلت : ومعك ؟ يا رسول الله ! قال « **نعم ولكن ربى أعاننى عليه حتى أسلم** » .

صحيح

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨١٤) :

حدثنا عثمان بن أبى شيبة وإسحاق بن إبراهيم (قال إسحاق أخبرنا ، وقال عثمان حدثنا) جرير عن منصور عن سالم بن أبى الجعد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « **ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن** »[1] قالوا : وإياك ؟ يا رسول الله . قال : « **وإياى . إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم[2] فلا يأمرنى إلا بخير** » .

صحيح

---

(١) فى رواية لمسلم « **وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة** » .

(٢) قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٥/٦٨٠) فأسلم برفع الميم وفتحها وهما =

فتنة السحرة والكهنة

قال الإمام البخارى رحمه الله (٤٨٠٠) :

حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال : سمعت عكرمة يقول : سمعت أبا هريرة يقول : إن نبىَّ اللّهِ ﷺ قال : « **إذا قضى اللّهُ الأمرَ فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خُضعاناً[1] لقوله كأنه سلسلةٌ على صفوانٍ[2] ، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذى قال الحق وهو العلى الكبير ، فيسمعها مسترقُ السمع ، ومسترقُ السمع هكذا بعضه فوق بعض** - ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - **فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يُلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدرك الشهابُ قبل أن يُلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يُدركه فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا**

= روايتان مشهورتان فمن رفع قال : معناه أسلم أنا من شره وفتنته . ومن فتح قال : إن القرين أسلم من الإسلام وصار مؤمناً لا يأمرنى إلا بخير ، واختلفوا فى الأرجح منهما ، فقال الخطابى : الصحيح المختار الرفع ، ورجح القاضى عياض الفتح وهو المختار لقوله ﷺ : « **فلا يأمرنى إلا بخير** » ، واختلفوا على رواية الفتح قيل أسلم بمعنى استسلم وانقاد ، وقد جاء هكذا فى غير صحيح مسلم (**فاستسلم**) وقيل معناه صار مسلماً مؤمناً ، وهذا هو الظاهر . قال القاضى : واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبى ﷺ من الشيطان فى جسمه وخاطره ولسانه وفى هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه فأعلمنا بأنه معنا لنتحرز منه بحسب الإمكان .

(١) أى خاضعة وهو من الخضوع .

(٢) الصفوان هو الحجر الأملس ، والسلسلة من الحديد .

وكذا فيُصدَّق بتلك الكلمة التى سمع من السماء » .

صحيح

وأخرجه الترمذى مختصراً (٣٢٢٣) وقال : هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه (١٩٤) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٢٢٨) :

وحدثنا عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن يحيى ابن عروة بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت : قلتُ يا رسولَ الله : إن الكُهان كانوا يُحدثوننا بالشىء فنجده حقاً . قال : « **تلك الكلمة الحق يخطفها الجنى فيقذفها فى أُذن وليِّه ويزيد فيها مائة كذبةٍ** » .

صحيح

وأخرجه البخارى (٧٥٦١) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٢٢٩) :

حدثنا حسن بن علىّ الحلوانى وعبد بن حميد (قال حسن : حدثنا يعقوب ، وقال عبد : حدثنى يعقوب بن إبراهيم بن سعد) حدثنا أبى عن صالح عن ابن شهاب حدثنى علىّ بن حسين أن عبد الله بن عباس قال : أخبرنى رجل من أصحاب النبى ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوسٌ ليلةً مع رسولِ الله ﷺ رُمى بنجمٍ فاستنار فقال لهم رسولُ الله ﷺ : « **ماذا كُنتم تقولون فى الجاهلية إذا رُمى بمثل هذا ؟** » قالوا : اللّهُ ورسوله أعلم ، كنا نقول : وُلد الليلة رجلٌ عظيمٌ ومات رجلٌ عظيمٌ فقال رسول الله ﷺ : « **فإنهالا يُرمى بها لموت أَحدٍ ولا لحياته ، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبَّح حملةُ العرشِ ثم سبح أهلُ السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيحُ أهل هذه السماء الدنيا ، ثم قال الذين يلونُ حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربُّكم فيخبرونهم ماذا قال . قال : فيستخبر بعضُ أهل السماوات بعضاً حتى يبلغ الخبرُ هذه السماء الدنيا**

فتخطف الجنُّ السمعَ فيقذفون إلى أوليائهم ، ويرمون به فما جاءوا به على وجهه فهو حقٌ ، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون » .

وأخرجه الترمذى (٣٢٢٤) من حديث ابن عباس وقال : هذا حديث حسن صحيح .

فتنة الأهل والجار(*)

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٥٨٦) :

حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن أبى عدى عن شعبة . وحدثنا بشر بن خالد حدثنا محمد عن شعبة عن سليمان سمعت أبا وائل يحدِّث عن حذيفة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ فى الفتنة ؟ فقال حذيفة : أنا أحفظ كما قال . قال : هات إنك لجرىء ، قال رسول الله ﷺ : « **فتنة**[1] **الرجل فى أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر** » . قال : ليست هذه ولكن التى تموج كموج البحر ، قال : يا أمير المؤمنين لا بأس عليك منها إن بينك وبينها باباً مغلقاً . قال : يفتح الباب أو يكسر ؟ قال : لا بل يكسر . قال : ذلك أحرى أن لا يغلق . قلنا : عَلِمَ الباب ؟ قال : نعم ، كما أن دون غدٍ الليلة إنى حدثته حديثاً ليس بالأغاليط فهبنا أن نسأله ، وأمرنا مسروقاً فسأله فقال : من الباب ؟ قال : عمر .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٤٤) والترمذى (٢٢٥٨) وقال : هذا حديث صحيح، وابن ماجه (٣٩٥٥) .

وعزاه المزى للنسائى .

(*) تقدمت فتنة المال بتوسع .

(١) قال الحافظ فى الفتح (٨/٢) : ومعنى الفتنة فى الأصل الاختبار والامتحان ، =

= ثم استعملت فى كل أمر يكشفه الامتحان عن سوء ، وتطلق على الكفر والغلو فى التأويل البعيد ، وعلى الفضيحة والبلية والعذاب والقتال والتحول من الحسن إلى القبيح والميل إلى الشيء والإعجاب به ، وتكون فى الخير والشر كقوله تعالى : ﴿ **ونبلوكم بالشر والخير فتنة** ﴾ .

● قال الحافظ فى الفتح (٦/٦٠٥) : قال بعض الشراح : يحتمل أن يكون كل واحدة من الصلاة وما معها مكفرة للمذكورات كلها لا لكل واحدة منها ، وأن يكون من باب اللف والنشر بأن الصلاة مثلاً مكفرة للفتنة فى الأهل والصوم فى الولد إلخ ، والمراد بالفتنة ما يعرض للإنسان مع ما ذكر من البشر ، أو الالتهاء بهم أو أن يأتى لأجلهم بما لا يحل له أو يخل بما يجب عليه ، واستشكل ابن أبى جمرة وقوع التكفير بالمذكورات للوقوع فى المحرمات والإخلال بالواجب لأن الطاعات لا تسقط بذلك ، فإن حمل على الوقوع فى المكروه والإخلال بالمستحب لم يناسب إطلاق التكفير ، والجواب : التزام الأول وأن الممتنع من تكفير الحرام والواجب ما كان كبيرة فهى التى فيها النزاع ، وأما الصغائر فلا نزاع أنها تكفر لقوله تعالى : ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم** ﴾ الآية .

وقال الزين بن المنير :

الفتنة بالأهل تقع بالميل إليهن أو عليهن فى القسمة والإيثار حتى فى أولادهن ، ومن جهة التفريط فى الحقوق الواجبة لهن .

وبالمال : يقع الاشتغال به عن العبادة أو بحبسه عن إخراج حق الله .

والفتنة بالأولاد : تقع بالميل الطبيعى إلى الولد وإيثاره على كل أحد .

والفتنة بالجار : تقع بالحسد والمفاخرة والمزاحمة فى الحقوق ، وإهمال التعاهد .

ثم قال : وأسباب الفتنة بمن ذكر غير منحصرة فيما ذكرت من الأمثلة .

قلت : وقد أورد الرازى فى التفسير الكبير (٣/٢٤١) كلاماً نافعاً مؤداه أن الحسد يتسرب إلى الجيران (سواء فى بيت أو عمل) أكثر مما يتسرب إلى غيرهم فقال رحمه الله : والمفاخرة مؤدية إلى الحسد فحيث لا مخالطة فليس هناك =

= محاسدة ، ولما لم توجد الرابطة بين شخصين فى بلدين لا جرم لم يكن بينهما محاسدة ، فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد ، والعابد يحسد العابد دون العالم ، والتاجر يحسد التاجر بل الإسكاف يحسد الإسكاف ولا يحسد البزاز ، ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب ، والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته لأن مقصد البزاز غير مقصد الإسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد ثم مزاحمة البزاز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق ، وبالجملة فأصل الحسد العداوة وأصل العداوة التزاحم على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل لا يجمع إلا متناسبين ، فلذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه العريض والصيت فى أطراف العالم فإنه يحسد كل من فى العالم ممن يشاركه فى الخصلة التى يتفاخر بها . إلى آخر ما قاله رحمه الله .

ثم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

وأما تخصيص الصلاة وما ذكر معها بالتكفير دون سائر العبادات ففيه إشارة إلى تعظيم قدرها لا نفى أن غيرها من الحسنات ليس فيها صلاحية التكفير ثم إن التكفير المذكور يحتمل أن يقع بنفس فعل الحسنات المذكورة ، ويحتمل أن يقع بالموازنة والأول أظهر والله أعلم .

وقال ابن أبى جمرة : خص الرجل بالذكر لأنه فى الغالب صاحب الحكم فى داره وأهله وإلا فالنساء شقائق الرجال فى الحكم . ثم أشار إلى أن التكفير لا يختص بالأربع المذكورات بل نبه بها على ما عداها ، والضابط أن كل ما يشغل صاحبه عن الله فهو فتنة له ، وكذلك المكفرات لا تختص بما ذكر بل نبه به على ما عداها ، فذكر من عبادة الأفعال الصلاة والصيام ، ومن عبادة المال الصدقة ، ومن عبادة الأقوال الأمر بالمعروف .

* * *

فتنة الفرح

قال الإمام البخارى رحمه الله (حديث ٦٨٠) :

حدثنا أبو اليمان قال : أخبرنا شعيب عن الزهرى قال : أخبرنى أنس بن مالك الأنصارى وكان تبع النبى ﷺ وخدمه وصحبه أن أبا بكر كان يصلى لهم فى وجع النبى ﷺ الذى توفى فيه، حتى إذا كان يوم الإثنين وهم صفوف فى الصلاة فكشف النبى ﷺ ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم يضحك فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبى ﷺ فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف ، وظن أن النبى ﷺ خارج إلى الصلاة فأشار إلينا النبى ﷺ أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر فتوفى من يومه.

صحيح

تحذير الإمام من فتنة المصلين

قال الإمام البخارى رحمه الله (حديث ٧٠١) :

وحدثنى محمد بن بشار قال : حدثنا غندر قال : حدثنا شعبة عن عمرو قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : كان معاذ بن جبل يصلى مع النبى ﷺ ثم يرجع فيؤم قومه فصلى العشاء فقرأ بالبقرة فانصرف الرجل فكأن معاذاً تناول منه فبلغ النبى ﷺ فقال : « **فتان فتان فتان** » (ثلاث مرار) أو قال : « **فاتناً فاتناً فاتناً** » ، وأمره بسورتين من أوسط المفصل. قال عمرو : لا أحفظهما[1].

صحيح

وأخرجه مسلم (٤٦٥) وأبو داود (٧٩٠) .

---

(١) فى رواية مسلم ص٣٤٠ من طريق الليث عن أبى الزبير عن جابر ... إذا أممت =

قال الإمام البخارى رحمه الله (حديث ٧٠٢) :

حدثنا أحمد بن يونس قال : حدثنا زهير قال : حدثنا إسماعيل قال : سمعت قيساً قال : أخبرنى أبو مسعود أن رجلاً قال : والله يا رسول الله إنى لأ تأخر[1] عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا . فما رأيت رسول الله ﷺ فى موعظة أشد غضباً منه يومئذ . ثم قال : « **إن منكم منفرين فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٤٦٦) وابن ماجه (٩٨٤) وعزاه المزى للنسائى .

= الناس فاقرأ بالشمس وضحاها وسبح اسم ربك الأعلى ، واقرأ باسم ربك والليل إذا يغشى .

قال الحافظ فى الفتح (٢/١٩٥) : ومعنى الفتنة ههنا أن التطويل يكون سبباً لخروجهم من الصلاة وللتكره للصلاة فى الجماعة ، وروى البيهقى فى الشعب بإسناد صحيح عن عمر قال : « لا تبغضوا إلى الله عباده يكون أحدكم إماماً فيطول على القوم الصلاة حتى يبغض إليهم ما هم فيه » وقال الداودى : يحتمل أن يريد بقوله (فتان) أى معذب لأنه عذبهم بالتطويل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات** ﴾ قيل : معناه عذبوهم .

هذا وفى رواية : « **أفتان أفتان أفتان** » أى أمنفر وموقع للناس فى الفتنة قال الطيبى (كما نقل عنه العظيم أبادى فى عون المعبود ٣/٥) : استفهام على سبيل التوبيخ وتنبيه على كراهة صنعه لأدائه إلى مفارقة الرجل الجماعة فافتتن به .

وفى شرح السنة : الفتنة صرف الناس عن دينهم وحملهم على الضلالة قال تعالى : ﴿ **ما أنتم عليه بفاتنين** ﴾ أى بمضلين .

(١) أى لا أحضرها مع الجماعة من أجل إطالة الإمام ، فإن إطالة الإمام تشق علىَّ فتحملنى على التخلف عن الجماعة .

إبعاد ما يفتن المصلى

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٧٣) :

حدثنا أحمد بن يونس قال : حدثنا إبراهيم بن سعد قال : حدثنا ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن النبى ﷺ صلى فى خميصة[١] لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة ، فلما انصرف قال : « **اذهبوا بخميصتى هذه إلى أبى جهم وائتونى بأنبجانية[٢] أبى جهم فإنها ألهتنى آنفاً عن صلاتى** »[٣] .

صحيح

وأخرجه مسلم (٥٥٦) وأبو داود (٤٠٥٢) .

قال الإمام أحمد رحمه الله (٦/٢٤٨) :

حدثنا عثمان بن عمر ثنا يونس عن الزهرى عن عروة عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يصلى على خمرة فقال : « **يا عائشة ارفعى عنا حصيرك هذا فقد خشيت أن يكون يفتن الناس** » .

صحيح

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (١/٤٨٣) : الخميصة بفتح المعجمة وكسر الميم وبالصاد المهملة كساء مربع له علمان .

(٢) الأنبجانية : بفتح الهمزة وسكون النون وكسر الموحدة وتخفيف الجيم وبعد النون ياء النسبة : كساء غليظ لا علم له .

(٣) فى رواية لمسلم ص٣٩٢ : أن النبى ﷺ كانت له خميصة لها علم فكان يتشاغل بها فى الصلاة فأعطاها أبا جهم وأخذ كساءً له أنبجانياً .

فتنة القبر

حديث أسماء رضى الله عنها

قال الإمام البخارى رحمه الله (١٣٧٣) :

حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب قال : أخبرنى يونس عن ابن شهاب أخبرنى عروة بن الزبير أنه سمع أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما تقول : قام رسول الله ﷺ خطيباً فذكر فتنة القبر التى يفتتن فيها المرء فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة .

صحيح

وأخرجه النسائى (١٠٣/٤) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٨٦) :

حدثنا موسى بن إسماعيل قال : حدثنا وهيب قال : حدثنا هشام عن فاطمة عن أسماء قالت : أتيت عائشة وهى تصلى فقلت : ما شأن الناس ؟ فأشارت إلى السماء فإذا الناس قيام فقالت : سبحان الله . قلت : آية فأشارت برأسها - أى نعم - فقمت حتى تجلانى الغشى فجعلت أصب على رأسى الماء فحمد الله عز وجل النبىُّ ﷺ وأثنى عليه ثم قال : « **ما من شىء لم أكن رأيته فى مقامى ، حتى الجنة والنار . فأوحى إلى أنكم تفتنون فى قبوركم مثل أو قريب** - » لا أدرى أى ذلك قالت أسماء - « **من فتنة المسيح الدجال ، يقال ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن ، أو الموقن** » لا أدرى بأيهما قالت أسماء - « **فيقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا واتبعنا ، هو محمد (ثلاثاً) فيقال : نم صالحاً ، قد علمنا إن كنت لموقناً به ، وأما المنافق ، أو المرتاب** »

لا أدرى أى ذلك قالت أسماء- **«فيقول لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته»**.

صحيح

وأخرجه مسلم (٩٠٥) .

قال الإمام أحمد رحمه الله (٦/٣٥٢) :

حدثنا حجين بن المثنى قال : ثنا عبد العزيز يعنى ابن أبى سلمة الماجشون عن محمد يعنى ابن المنكدر قال : كانت أسماء تحدث عن النبى ﷺ قالت : قال : **« إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمناً أحف به عمله الصلاة والصيام ، قال : فيأتيه الملك من نحو الصلاة فترده ، ومن نحو الصيام فيرده . قال فيناديه اجلس قال : فيجلس فيقول له : ماذا تقول فى هذا الرجل : يعنى النبى ﷺ ؟ قال من ؟ قال : محمد ، قال : أنا أشهد أنه رسول الله ﷺ قال : يقول : وما يدريك ؟ أدركته ؟!! قال : أشهد أنه رسول الله . قال : يقول : على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث . قال : وإن كان فاجراً أو كافراً قال : جاء الملك وليس بينه وبينه شىء يرده قال : فأجلسه قال : يقول : اجلس ماذا تقول فى هذا الرجل قال أى رجل ؟ قال : محمد . قال : يقول والله ما أدرى سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته قال : فيقول له الملك : على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث قال : وتسلَّط عليه دابة فى قبرة معها سوط ثمرته جمرة مثل غرب البعير تضربه ما شاء الله صماء لا تسمع صوته فترحمه .**

صحيح

حديث عائشة رضى الله عنها

قال الإمام البخارى رحمه (١٣٧٢) :

حدثنا عبدان أخبرنى أبى عن شعبة سمعت الأشعث عن أبيه عن مسروق عن

عائشة رضى الله عنها « أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال : « **نعم عذاب القبر** » قالت عائشة رضى الله عنها : فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر » زاد غندر (**عذاب القبر حق**) .

صحيح

وأخرجه مسلم (٥٨٦) والنسائى (٣/٥٦) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٥٨٤) :

حدثنا هارون بن سعيد وحرملة بن يحيى (قال هارون : حدثنا وقال حرملة : أخبرنا ابن وهب) أخبرنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال : حدثنى عروة بن الزبير أن عائشة قالت : دخل علىَّ رسول الله ﷺ وعندى امرأة من اليهود وهى تقول : « **هل شعرت أنكم تفتنون فى القبور ؟** » قالت : فارتاع رسول الله ﷺ وقال : « **إنما تفتن يهود** »(١) قالت عائشة : فلبثنا ليالى ثم قال رسول الله ﷺ : « **هل شعرت أنه أوحى إلَّى أنكم تفتنون فى القبور ؟** » قالت عائشة : فسمعت رسول الله ﷺ بعد يستعيذ من عذاب القبر .

صحيح

وأخرجه النسائى (٤/١٠٤) .

---

(١) الجمع بين هذه الرواية والرواية السابقة قال النووى بشأنه : هذا محمول على أنهما قضيتان فجرت القضية الأولى ثم أعلم النبى ﷺ بذلك ثم جاءت العجوزان بعد ليال فكذبتهما عائشة رضى الله عنها و لم تكن علمت نزول الوحى بإثبات عذاب القبر فدخل عليها النبى ﷺ فأخبرته بقول العجوزين فقال : صدقتا وأعلم عائشة رضى الله عنها بأنه قد كان نزل الوحى بإثباته .

قال الإمام أحمد رحمه الله (٦/١٣٩ - ١٤٠) :

حدثنا يزيد بن هارون قال : أنا ابن أبى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن ذكوان عن عائشة قالت : جاءت يهودية فاستطعمت على بابى فقالت : أطعمونى أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر قالت : فلم أزل أحبسها حتى جاء رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ما تقول هذه اليهودية ؟!! قال « **وما تقول ؟** » قلت : تقول أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر قالت عائشة : فقام رسول الله ﷺ فرفع يديه مداً يستعيذ بالله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر ، ثم قال : « **أما فتنة الدجال فإنه لم يكن نبى إلا قد حذر أمته وسأحذركموه تحذيراً لم يحذر نبى أمته إنه أعور والله عز وجل ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن فأما فتنة القبر فبى تفتنون وعنى تسألون ، فإذا كان الرجل الصالح أُجلس فى قبره غير فزع ولا مشعوف ثم يقال له : فيم كنت ؟ فيقول : فى الإسلام . فيقال : ما هذا الرجل الذى كان فيكم فيقول : محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله عز وجل فصدقناه فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً . فيقال له : انظر إلى ما وقاك الله عز وجل ثم يفرج له فرجة إلى الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له : هذا مقعدك منها ويقال : على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله . وإذا كان الرجل السوء أُجلس فى قبره فزعاً مشعوفاً فيقال له : فيم كنت فيقول لا أدرى فيقال : ما هذا الرجل الذى كان فيكم فيقول : سمعت الناس يقولون قولاً فقلت كما قالوا فتفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له : انظر إلى ما صرف الله عز وجل عنك ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ويقال له : هذا مقعدك منها ، كنت على الشك وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله ، ثم يعذب .**

قال محمد بن عمرو : فحدثنى سعيد بن يسار عن أبى هريرة عن النبى ﷺ

قال : « **إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب واخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء التى فيها الله عز وجل ، فإذا كان الرجل السوء قالوا : اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ارجعى ذميمة فإنه لا يفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح فيقال له ويرد** » مثل ما فى حديث عائشة سواء .

صحيح

حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٦٧) :

حدثنا يحيى بن أيوب وأبو بكر بن أبى شيبة جميعاً عن ابن علية قال ابن أيوب حدثنا ابن علية . قال : وأخبرنا سعيد الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى عن زيد بن ثابت ، قال أبو سعيد : ولم أشهده من النبى ﷺ ولكن حدثنيه زيد ابن ثابت قال : بينما النبى ﷺ فى حائط لبنى النجار على بغلة له ، ونحن معه ، إذ حادت به فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة (قال : كذا كان يقول الجريرى) فقال : « **من يعرف أصحاب هذه الأقبر** » ؟ فقال رجل : أنا . قال « **فمتى مات هؤلاء** » ؟ قال : ماتوا فى الإشراك . فقال « **إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه** » ثم أقبل علينا بوجهه ، فقال « **تعوذوا بالله من عذاب النار** » قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار . فقال « **تعوذوا بالله من عذاب القبر** » قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر . قال « **تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن** » قالوا : نعوذ بالله من الفتن

ما ظهر منها وما بطن . قال « **تعوذوا بالله من فتنة الدجال** » قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال .

صحيح

حديث أنس بن مالك رضى الله عنه

قال الإمام البخارى رحمه الله (١٣٧٤) :

حدثنا عياش بن الوليد حدثنا عبد الأعلى حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال : « **إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه – وإنه ليسمع قرع نعالهم – أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله . فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً** – قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له فى قبره . ثم رجع إلى حديث أنس قال – « **وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس . فيقال : لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٨٧٠) وأبو داود (٤٧٥١) والنسائى (٤/٩٧) .

حديث أبى هريرة رضى الله عنه

قال الترمذى رحمه الله (١٠٧١) :

حدثنا أبو سلمة يحيى بن خلف حدثنا بشر بن المفضل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ

« إذا قُبر الميت (أو قال أحدكم) أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما : المنكر والآخر : النكير فيقولان : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول ما كان يقول : هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا . ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً فى سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول : أرجع إلى أهلى فأخبرهم فيقولان : نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقاً قال : سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدرى فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض التئمى عليه فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك » .

حسن

وقال الترمذى : حديث حسن غريب .

وأخرجه أيضاً ابن أبى عاصم فى السنة (٨٦٤) ، وابن حبان (موارد الظمآن ٧٨٠) .

قال ابن حبان رحمه الله (موارد الظمآن ٧٨١) :

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا عبد الواحد بن غياث حدثنا معتمر بن سليمان قال : سمعت محمد بن عمرو يحدث عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إن الميت إذا وضع فى قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون مدبرين فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه وكان الصيام عن يمينه وكانت الزكاة عن شماله وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ما قبلى مدخل ثم يؤتى من قبل يساره فتقول الزكاة ما قبلى مدخل ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والإحسان

إلى الناس ما قبلى مدخل فيقول له : اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس وقد آذنت للغروب فيقال له : أرأيتك هذا الذى كان قبلكم ما تقول فيه وماذا تشهد عليه ؟ فيقول : دعونى حتى أصلى فيقولان : إنك ستفعل أخبرنا عما نسألك عنه أرأيتك هذا الرجل الذى كان قبلكم ماذا تقول فيه وماذا تشهد عليه ؟ قال : فيقول محمد ! أشهد أنه رسول الله ﷺ وأنه جاء بالحق من عند الله فيقال له : على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ثم يفتح له باب من أبواب الجنة فيقال له : هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسروراً ثم يفتح له باب من أبواب النار فيقال له : هذا مقعدك وما أعد الله لك فيها لو عصيته فيزداد غبطة وسروراً ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً وينور له فيه ويعاد الجسد لما بدىء منه فتجعل نسمته فى النسيم الطيب وهى طير تعلق فى شجر الجنة فذلك قوله : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ الآية وإن الكافر إذا أُتى من قِبل رأسه لم يوجد شىء ثم أتى عن يمينه فلا يوجد شىء ثم أتى عن شماله فلا يوجد شىء ثم أتى من قبل رجليه فلا يوجد شىء فيقال له اجلس فيجلس مرعوباً خائفاً فيقال : أرأيتك هذا الرجل الذى كان فيكم ماذا تقول فيه وماذا تشهد عليه؟ فيقول : أى رجل؟ ولا يهتدى لاسمه فيقال له : محمد فيقول : لا أدرى سمعت الناس قالوا قولاً فقلت كما قال الناس فيقال له : على ذلك حييت وعليه تبعث إن شاء الله . ثم يفتح له باب من أبواب النار فيقال له : هذا مقعدك من النار وما أعد الله لك فيها فيزداد حسرة وثبوراً ثم يفتح له باب من أبواب الجنة فيقال له : ذلك مقعدك وما أعد الله لك فيها لو أطعته فيزداد حسرة وثبوراً ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه فتلك المعيشة الضنك التى قال الله : ﴿فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ .

حسن

حديث البراء بن عازب رضى الله عنه
فى الاحتضار وقبض الروح وفتنة القبر

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢٨٧/٤ - ٢٨٨) :

حدثنا أبو معاوية قال ثنا الأعمش عن منهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع النبى ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير ، وفى يده عود ينكت فى الأرض فرفع رأسه فقال : « **استعيذوا بالله من عذاب القبر** » مرتين أو ثلاثاً ، ثم قال : « **إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فىّ السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال : فيصعدون بها فلا يمرون يعنى بها على ملاءٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال**

فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : دينى الإسلام فيقولان ، له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادى مناد فى السماء أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره . قال : ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول له من أنت فوجهك الوجه يجىء بالخير فيقول : أنا عملك الصالح فيقول : رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى ، قال : وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب قال فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاءٍ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولان فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ﴾ فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً ثم قرأ ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾ فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان

له : من ربك فيقول : هاه هاه لا أدرى فيقولان له ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول : هاه هاه لا أدرى فيناد مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه يجىء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة ».

صحيح

وأخرجه أبو داود (٤٧٥٣) .

قول الله عز وجل ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾

قال الإمام البخارى رحمه الله (١٣٦٩) :

حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **إذا أقعد المؤمن فى قبره أتى ثم شهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فذلك قوله : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٨٧١)[١] وأبو داود (٤٧٥٠) والترمذى (٣١٢٠) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والنسائى (٤/١٠١) وابن ماجه (٤٢٦٩) .

---

(١) لفظ مسلم : عن النبى ﷺ قال : **﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾** قال : « **نزلت فى عذاب القبر فيقال له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله ونبيى محمد ﷺ فذلك قول الله عز وجل ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾** .

الشهيد يُجار من فتنة القبر

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٩١٣) :

حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمى حدثنا أبو الوليد الطيالسى حدثنا ليث (يعنى ابن سعد) عن أيوب بن موسى عن مكحول عن شرحبيل بن السمط عن سلمان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفَتَّان** »[١] .

وأخرجه النسائى (٦/٣٩) .

قال الإمام النسائى رحمه الله (٤/٩٩) :

أخبرنا إبراهيم بن الحسن قال : حدثنا حجاج عن ليث بن سعد عن معاوية بن صالح أن صفوان بن عمرو حدثه عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب النبى ﷺ أن رجلاً قال : يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم إلا الشهيد ؟ قال : « **كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة** » .

حسن

قال الإمام الترمذى رحمه الله (١٦٦٣) :

حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا نعيم بن حماد حدثنا بقية بن الوليد[٢] عن

---

(١) ويروى بضم الفاء وبفتحها وعلى رواية الضم جمع فاتن وهو فاتن القبر . ، وفى حديث فضالة بن عبيد عند أحمد (٦/٢١) وغيره سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فى سبيل الله يجرى عليه أجره حتى يوم القيامة ويوقى فتنة القبر** » .

(٢) وقد توبع بقية بن الوليد كما عند أحمد وابن ماجه =

بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله ﷺ : « **للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له فى أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفّع فى سبعين من أقاربه** » .

صحيح

وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب .
وأخرجه أحمد (١٣١/٤) وابن ماجه (٢٧٩٩) .

هل يبتلى الرجل إذا تكلم بكلام ؟

قال الإمام البخارى رحمه الله (٥٣١٠) :

حدثنا سعيد بن عفير حدثنى الليث عن يحيى بن سعيد عن عبد الرحمن بن القاسم عن القاسم بن محمد عن ابن عباس أنه ذكر التلاعن عند النبى ﷺ فقال عاصم بن عدى فى ذلك قولاً[1] ثم انصرف فأتاه رجل من قومه

= هذا وقد روى الحديث أيضاً من طريق خالد بن معدان عن كثير بن مرة عن عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ كما عند أحمد (١٣١/٤) وروى عن كثير بن مرة عن قيس الجذامى رجل من أصحاب النبى ﷺ عن النبى ﷺ ولا نستطيع هنا أن نقول إن للحديث ثلاث طرق ، ولكننا نقول بالترجيح وإذا سلكنا مسلك الترجيح فرواية خالد بن معدان عن المقدام مرفوعاً والله أعلم .

(١) قال الكرمانى : (كما نقل عنه الحافظ فى الفتح ٤٥٤/٩) : معنى قوله (قولاً) أى كلاماً لا يليق به كعجب النفس والنخوة والمبالغة فى الغيرة وعدم المرد إلى إرادة الله وقدرته .

وتعقبه الحافظ بقوله وكل ذلك بمعزل عن الواقع . =

يشكو إليه أنه قد وجد مع امرأته رجلاً فقال عاصم : ما ابتليت بهذا إلا لقولى ، فذهب به إلى النبى ﷺ فأخبره بالذى وجد عليه امرأته ، وكان ذلك الرجل مصفراً قليل اللحم سبط الشعر ، وكان الذى ادعى عليه أنه وجده عند أهله آدم خدلاً كثير اللحم فقال النبى ﷺ : « **اللهم بيِّن** » ، فجاء شبيهاً بالرجل الذى ذكر زوجها أنه وجده فلاعن النبى ﷺ بينهما ، قال رجل لابن عباس فى المجلس : هى التى قال النبى ﷺ : « **لو رجمت أحداً بغير بينة رجمت هذه** »

= وزعم الداودى أن معناه أنه قال مثلاً لو وجدت أحداً يفعل ذلك لقتلته أو عيَّر أحداً بذلك فابتلى به ، وتعقبه الحافظ أيضاً بقوله : وكلامه بمعزل عن الواقع .
واختار الحافظ أن القول المبهم هو قوله : (أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه) وذلك لأن الحافظ رحمه الله رأى أن حديث الباب (الذى هو حديث ابن عباس) وحديث سهل بن سعد قصتهما واحدة ، أما حديث سهل فعند البخارى (٥٣٠٨) وفيه أن عويمراً العجلانى جاء إلى عاصم بن عدى الأنصارى فقال له : يا عاصم أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل سل لى يا عاصم عن ذلك رسول الله ﷺ فسأل عاصم رسول الله ﷺ عن ذلك فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله ﷺ فلما رجع عاصم إلى أهله جاءه عويمر فقال : يا عاصم ماذا قال لك رسول الله ﷺ ؟ فقال عاصم لعويمر : لم تأتنى بخير ، قد كره رسول الله ﷺ المسألة التى سألته عنها فقال عويمر : والله لا أنتهى حتى أسأله عنها ... الحديث .

● وما اختاره الحافظ ليس بواضح وذلك لأن قوله (أرأيت رجلاً ...) هو قول عويمر كما هو ظاهر ، وإن كان عاصم نقله بلفظه إلى رسول الله ﷺ فذلك لا يتناسق مع سياق الحديث وترتيبه فقال عاصم (كما فى حديث ابن عباس) ما ابتليت بهذا إلا لقولى فذهب به إلى النبى ﷺ .
فالذى يظهر أن عاصماً قال قولا فابتلى بسببه ، وعلى ذلك فقول الكرمانى وقول الداودى ليسا ببعيدين عن الواقع والله أعلم .

فقال : لا ، تلك امرأة كانت تظهر فى الإسلام السوء .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٤٩٧) .

وهذا أيضاً من الفتن(*)

أخرج البخارى حديث كعب بن مالك (٤٤١٨) وفيه ... فكنت[١] أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوفُ فى الأسواق ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله ﷺ فأُسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام علىَّ أم لا ؟ ثم أُصلى قريباً منه فأُسارقه النظر فإذا أقبلتُ على صلاتى أقبل إلىَّ وإذا التفتُّ نحوه أعرض عنى حتى إذا طال علىَّ ذلك من جفوة الناس مشيتُ حتى تسورتُ جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس إلىَّ فسلمت عليه فوالله ما رد علىَّ السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمنى أُحب الله ورسوله ؟ فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال : اللّهُ ورسوله أعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار ، قال : فبينا أنا أمشى بسوق المدينة إذا نبطى من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءنى دفع إلىَّ كتاباً من ملك غسان فإذا فيه أما بعد فإنه قد بلغنى أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك اللّهُ بدار هوانٍ ولا مضيعة فالحق بنا نواسك فقلت لما قرأتها : وهذا

(*) أى إغراء الكافر للمسلم بعروض الدنيا ليفتنه عن دينه .

(١) القائل هو كعب بن مالك رضى الله عنه .

أيضاً من البلاء فتيممت بها التنور[1] فسجرته بها ... الحديث .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٧٦٩) .

* * *

(١) التنور هو ما يخبز فيه .

قال الحافظ فى الفتح (١٢١/٨) : ودل صنيع كعب على قوة إيمانه ومحبته لله ولرسوله ، وإلا فمن صار فى مثل حاله من الهجر والإعراض قد يضعف عن احتمال ذلك ، وتحمله الرغبة فى الجاه والمال على هجران من هجره ولا سيما مع أمنه من الملك الذى استدعاه إليه أنه لا يكرهه على فراق دينه ، لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمن من الافتتان حسم المادة وأحرق الكتاب ومنع الجواب ، هذا مع كونه من الشعراء الذين طبعت نفوسهم على الرغبة ولا سيما بعد الاستدعاء والحث على الوصول إلى المقصود من الجاه والمال ، ولا سيما والذى استدعاه قريبه ونسيبه ، ومع ذلك فغلب عليه دينه وقوى عنده يقينه ورجح ما هو فيه من النكد والتعذيب على ما دعى إليه من الراحة والنعيم حباً فى الله ورسوله كما قال ﷺ : « **وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما** » وعند ابن عائذ أنه شكا حاله إلى رسول الله ﷺ وقال : ما زال إعراضك عنى حتى رغب فىَّ أهل الشرك .



المَخرَج مِن الفِتنَة



تقوى الله سبحانه وتعالى

قال الله عز وجل : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً** ﴾[1] الطلاق (٢)

وقال سبحانه : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له من أمره يُسراً** ﴾ الطلاق (٤)

التوكل على الله

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ الطلاق (٣)

وقال سبحانه : ﴿ **الذين قال لهم الناسُ إن الناسَ قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم** ﴾ آل عمران (١٧٣ - ١٧٤)

قال الإمام البخارى رحمه الله (٤٥٦٣) :

حدثنا أحمد بن يونس - أراه[2] قال - حدثنا أبو بكر عن أبى حصين عن أبى الضحى عن ابن عباس : ﴿ **حسبنا اللّهُ ونعم الوكيل** ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقى فى النار ، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا : ﴿ **إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم . فزادهم إيماناً وقالوا حسبُنا اللّهُ ونعم الوكيل** ﴾ .

صحيح

وأخرجه النسائى فى عمل اليوم والليلة (٦٠٣) .

---

(١) ولا يخفى على القارىء الكريم حديث الثلاثة (أصحاب الغار) وكيف أنجاهم الله عز وجل بفضله ثم بسبب تقواهم .

(٢) وهذا التشكك قد دُفع فى رواية البخارى التالية لهذه الرواية وذلك لأن البخارى أخرجه من طريق مالك بن إسماعيل حدثنا إسرائيل عن أبى حصين عن أبى الضحى عن ابن عباس قال : كان آخر قول إبراهيم حين أُلقى فى النار « حسبى الله ونعم الوكيل » .

الاستغفار والتضرع واللجوء إلى الله

● قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إلٰه إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين** ﴾ الأنبياء (٨٨)

● وقال سبحانه : ﴿ **ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا إذ جآءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون** ﴾ . الأنعام (٤٢ – ٤٣)

● وقال عز وجل : ﴿ **ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون** ﴾ . المؤمنون (٧٥ – ٧٦)

الاستعانة بالصبر والصلاة

﴿ **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين** ﴾ البقرة (١٥٣)

وهذا مطرد فى كتاب الله عز وجل .

● قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين** ﴾[١] الحجر (٩٨)

● وقال جل ذكره : ﴿ **وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلاً سُنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلاً أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى**

---

(١) فأرشد الله نبيه للصلاة علاجاً لضيق صدره مما يقوله قومه.

أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾[1] الإسراء (٧٦ - ٧٩)

● وقال جل ذكره : ﴿ **فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى** ﴾ طه (١٣٠)

● وقال سبحانه : ﴿ **إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلاً** ﴾ المزمل (٦)

● وقال عز وجل : ﴿ **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شىء قدير وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير** ﴾ البقرة (١١٠)

النبى ﷺ يحث أهل بيته على الصلاة تحسباً للفتن

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٦٩) :

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى ح وحدثنا إسماعيل حدثنى أخى عن سليمان بن بلال عن محمد بن أبى عتيق عن ابن شهاب عن هند بنت الحارث الفراسية أن أم سلمة زوج النبى ﷺ قالت : استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعاً يقول « **سبحان الله ماذا أنزل الله**[2] **من** ....

---

(١) فأرشده الله إلى الصلاة عند محاولات استفزاز قومه له .
وقد قالت عائشة : « كان رسول الله ﷺ إذا حز به أمرٌ فزع إلى الصلاة » .

(٢) قال الحافظ (فتح البارى ١/٢١٠) : والمراد بالإنزال إعلام الملائكة بالأمر المقدور ، أو أن النبى ﷺ أوحى إليه فى نومه ذاك بما سيقع بعده من الفتن =

الخزائن[١] ، وماذا أنزل من الفتن ؟ من يوقظ صواحب الحجرات - يريد أزواجه - **لكى يصلين ؟ رب كاسية فى الدنيا عارية فى الآخرة[٢]** .

صحيح

وأخرجه الترمذى (٢١٩٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

= فعبر عنه بالإنزال .

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح البارى ١/٢١٠) : قال الداودى : الأول هو الثانى (يريد أن الخزائن هى الفتن أو عكسه) والشىء قد يعطف على نفسه تأكيداً ، لأن ما يفتح من الخزائن يكون سبباً للفتنة ، وكأنه أن المراد بالخزائن خزائن فارس والروم وغيرهما مما فتح على الصحابة ، لكن المغايرة بين الخزائن والفتن أوضح لأنهما غير متلازمين ، وكم من نائل من تلك الخزائن سالم من الفتن .

وقال فى الفتح (١٣/٢٣) : قال ابن بطال : فى هذا الحديث أن الفتوح فى الخزائن تنشأ عنه فتنة المال بأن يتنافس فيه فيقع القتال بسببه وأن يبخل به فيمنع الحق أو يبطر صاحبه فيسرف فأراد ﷺ تحذير أزواجه من ذلك كله وكذا غيرهن ممن بلغه ذلك ، وأراد بقوله (**من يوقظ**) بعض خدمه كما قال يوم الخندق « **من يأتينى بخبر القوم** » وأراد أصحابه ، لكن هناك عرف الذى انتدب كما تقدم وهنا لم يذكر ، وفى الحديث الندب إلى الدعاء والتضرع عند نزول الفتنة ولا سيما فى الليل لرجاء وقت الإجابة لتكشف أو يسلم الداعى ومن دعا له ، وبالله التوفيق .

(٢) قال الحافظ فى الفتح (١٣/٢٣) : واختلف فى المراد بقوله : (**كاسية عارية**) على أوجه : أحدها : كاسية فى الدنيا بالثياب لوجود الغنى عارية فى الآخرة من الثواب لعدم العمل فى الدنيا .

ثانيها : كاسية بالثياب لكنها شفافة لا تستر عورتها فتعاقب فى الآخرة بالعرى جزاء على ذلك .

ثالثها : كاسية من نعم الله عارية من الشكر الذى تظهر ثمرته فى الآخرة بالثواب . =

صلاة الجماعة زمن الفتنة

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٩٥) :

وقال لنا محمد بن يوسف حدثنا الأوزاعى حدثنا الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن عبيد الله بن عدى بن خيار أنه دخل على عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو محصور فقال : إنك إمام عامة[1] ، ونزل بك ما نرى ويصلى لنا إمام فتنة[2] ونتحرج فقال : الصلاة أحسن ما يعمل الناس ، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم ، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم .

صحيح

* * *

= رابعها : كاسية جسدها لكنها تشد خمارها من ورائها فيبدو صدرها فتصير عارية فتعاقب فى الآخرة .

خامسها : كاسية من خلعة التزوج بالرجل الصالح عارية فى الآخرة من العمل فلا ينفعها صلاح زوجها كما قال تعالى : ﴿ **فلا أنساب بينهم** ﴾ ذكر هذا الأخير الطيبى ورجحه لمناسبة المقام ، واللفظة وإن وردت فى أزواج النبى ﷺ لكن العبرة بعموم اللفظ ، وقد سبق لنحوه الداودى فقال : كاسية للشرف فى الدنيا لكونها أهل التشريف وعارية يوم القيامة . قال : ويحتمل أن يراد عارية فى النار .

(١) أى إمام الجماعة أو الإمام الأعظم .

(٢) أى رئيس الفتنة الذى خرج على إمام المسلمين .

● قال الحافظ ابن حجر (فتح البارى ٢/١٩٠) : وفى هذا الأثر الحض على شهود الجماعة ولا سيما فى زمن الفتنة لئلا يزداد تفرق الكلمة ، وفيه أن الصلاة خلف من تكره الصلاة خلفه أولى من تعطيل الجماعة .

قول النبى ﷺ « إن السعيد لمن جنب الفتن »

قال أبو داود رحمه الله (٤٢٦٣) :

حدثنا إبراهيم بن الحسن المصيصى حدثنا حجاج - يعنى ابن محمد - حدثنا الليث بن سعد قال : حدثنى معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير حدثه عن أبيه عن المقداد بن الأسود قال : أيم الله لقد سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « **إن السعيدَ لمن جنب الفتن إن السعيدَ لمنْ جنبَ الفتنَ إن السعيدَ لمن جنبَ الفتنَ ولمن ابتلى فصبر فواهاً** »[1] .

حسن

□ الفرار من الفتن □

قال الإمام البخارى رحمه الله (حديث ١٩) :

حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى صعصعة عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى أنه قال قال رسول الله ﷺ : « **يوشكُ أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال**[2] **ومواقع**

---

(١) الذى يظهر لى - والله أعلم - فى معنى قوله عليه السلام « **ولمن ابتلى فصبر فواهاً** » أن المراد التعجب من أمر من ابتلى فصبر على البلاء فكأنه قال وما أحسن وما أطيب من ابتلى فصبر على البلاء والله أعلم .
هذا وليس فى الحديث التعرض لطلب البلاء كما هو واضح .

(٢) شعف الجبال : هى رؤوس الجبال .

القطر[1] يفرُّ بدينه من الفتن » .

صحيح

وأخرجه البخارى فى مواضع متعددة من صحيحه وأبو داود (٤٢٦٧) والنسائى (١٢٣/٨) وابن ماجه (٣٩٨٠) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٢٧٨٦) :

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال : حدثنى عطاء بن يزيد الليثى أن أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه حدثه قال : قيل يا رسولَ الله أىُّ الناسِ أفضل ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : **« مؤمنٌ يُجاهد فى سبيل اللّهِ بنفسه وماله قالوا : ثمَّ من ؟ قال مؤمنٌ فى شعبٍ من الشعاب يتقى الله ويدعُ الناس من شرِّه »[2]** .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٨٨٨) وأبو داود (٢٤٨٥) والترمذى (١٦٦٠) وقال : هذا

---

(١) مواقع القطَر : أى بطون الأودية .
قال الخطابى : وفيه الحث على العزلة أيام الفتن .
وقال الحافظ ابن حجر (فتح البارى ٤٢/١٣) : والخبر دال على فضيلة العزلة لمن خاف على دينه .

(٢) قال الحافظ فى الفتح (٦/٦) : ... وإنما كان المؤمن المعتزل يتلوه فى الفضيلة لأن الذى يخالط الناس لا يسلم من ارتكاب الآثام فقد لا يفى هذا بهذا وهو مقيد بوقوع الفتن .
● قال الخطابى (كما نقل عنه الحافظ فى الفتح ٣٣١/١١) : لو لم يكن فى العزلة إلا السلامة من الغيبة ومن رؤية المنكر الذى لا يقدر على إزالته لكان ذلك خيراً كثيراً .
● وقال الحافظ فى الفتح (٧/٦) : وفى الحديث فضل الانفراد لما فيه من السلامة من الغيبة واللغو ونحو ذلك .

حديث صحيح ، والنسائى (٦/١١) وابن ماجه (٣٩٧٨) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٨٨٩) :

حدثنا يحيى بن يحيى التميمى حدثنا عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه عن بعجة عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من خير معاش الناس لهم رجلٌ ممسك عنان فرسه فى سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعةً طار عليه يبتغى القتل والموت مظانه أو رجلٌ فى غنيمة فى رأس شعفةٍ من هذه الشعف أو بطن وادٍ من هذه الأودية يُقيم الصلاة ويُؤتى الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا فى خيرٍ** »[1] .

صحيح

وأخرجه ابن ماجه (٣٩٧٧) وعزاه المزى للنسائى .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٨٧) :

حدثنى أبو كامل الجحدرى فضيل بن حسين حدثنا حماد بن زيد حدثنا عثمان الشحام قال : انطلقت أنا وفرقد السبخى إلى مسلم بن أبى بكرة ، وهو فى أرضه فدخلنا عليه فقلنا هل سمعت أباك يحدث فى الفتن حديثاً ؟ قال : نعم . سمعت أبا بكرة يحدث قال : قال رسولُ الله ﷺ : « **إنها ستكون فتنٌ ، ألا ثمَّ تكون فتنةٌ القاعد فيها خيرٌ من الماشى فيها ، والماشى فيها خيرٌ من الساعى إليها ألا فإذا نزلتْ أو وقعتْ فمن كان له إبلٌ فليلحق بإبله ، ومن كانت له غنمٌ فليلحق بغنمه ومن كانت له أرضٌ فليلحق بأرضه** » قال : فقال رجلٌ يا رسولَ الله : أرأيتَ من لم يكن له إبل ولا غنمٌ ولا أرضٌ ؟ قال « **يعمد**

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (١٣/٤٣) : الحديث كأنه ورد فى أى الكسب أطيب ، فإن أخذ على عمومه دل على فضيلة العزلة لمن لا يتأتى له الجهاد فى سبيل الله ، إلا أن يكون قيد بزمان وقوع الفتن والله أعلم .

إلى سيفه فيدق على[1] **حده بحجر ثم لينج إن استطاع النجاء ، اللهم هل بلغت ؟ اللهم هل بلغت ؟ اللهم هل بلغت ؟** » قال : فقال رجل : يا رسول الله ! أرأيت إن أكرهت حتى يُنطلق بى إلى إحدى الصفين أو إحدى الفئتين فضربنى رجل بسيفه أو يجىء سهم فيقتلنى ؟ قال : « **يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار** » .

صحيح

وأخرجه أبو داود (٤٢٥٦) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٨١) :

حدثنا محمد بن عبيد الله حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة ، قال إبراهيم : وحدثنى صالح بن كيسان عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ : « **ستكون فتن**[2] **القاعدُ فيها خيرٌ من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى**[3] **، من تشرف** ....

---

(١) قال النووى رحمه الله : قيل : المراد كسر السيف حقيقة على ظاهر الحديث ليسد على نفسه باب هذا القتال ، وقيل هو مجاز ، والمراد به ترك القتال ، والأول أصح .

(٢) فى بعض روايات مسلم : « **النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القائم ...** » .

(٣) قال النووى رحمه الله (٧٣٥/٥) : وأما قوله ﷺ : « **القاعد فيها خير من القائم ....** » فمعناه بيان عظيم خطرها والحث على تجنبها والهرب منها ، ومن التشبث فى شىء، وأن شرها وفتنتها يكون على حسب التعلق بها .

وقال الحافظ فى الفتح (٣٠/١٣) : قال بعض الشراح فى قوله : « **والقاعد فيها خير من القائم** » أى القاعد فى زمانها عنها . قال : والمراد بالقائم الذى لا يستشرفها وبالماشى من يمشى فى أسبابه لأمر سواها ، فربما يقع بسبب مشيه فى أمر =

لها[1] تستشرفه فمن وجد منها ملجأ أو معاذاً[2] فليعذ به .

صحيح

= يكرهه ، وحكى ابن التين عن الداودى أن الظاهر أن المراد من يكون مباشراً لها فى الأحوال كلها يعنى أن بعضهم فى ذلك أشد من بعض فأعلاهم فى ذلك الساعى فيها بحيث يكون سبباً لإثارتها ثم من يكون قائماً بأسبابها وهو الماشى ثم من يكون مباشراً لها وهو القائم ثم من يكون مع النظارة ولا يقاتل وهو القاعد ، ثم من يكون مجتنباً لها ولا يباشر ولا ينظر وهو المضطجع اليقظان ثم من لا يقع منه شىء من ذلك ولكنه راض وهو النائم ، والمراد بالأفضلية فى هذه الخيرية من يكون أقل شراً ممن فوقه على التفصيل المذكور .

(١) قال النووى رحمه الله : قوله (**تشرف**) هو من الإشراف للشىء وهو الانتصاب والتطلع إليه والتعرض له ، ومعنى تستشرفه تقلبه وتصرعه .
وقال الحافظ فى الفتح : (**تستشرفه**) أى تهلكه بأن يشرف منها على الهلاك ، يقال : استشرفت الشىء علوته وأشرفت عليه ، يريد من انتصب لها انتصبت له ومن أعرض عنها أعرضت عنه ، وحاصله أن من طلع فيها بشخصه قابلته بشرها ، ويحتمل أن يكون المراد من خاطر فيها بنفسه أهلكته ، ونحوه قول القائل من غالبها غلبته .

(٢) المعاذ بمعنى الملجأ
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : والمراد بالفتنة ما ينشأ عن الاختلاف فى طلب الملك حيث لا يعلم المحق من المبطل . قال الطبرى : اختلف السلف فحمل ذلك بعضهم على العموم وهم من قعد عن الدخول فى القتال بين المسلمين مطلقاً كسعد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وأبى بكرة فى آخرين ، وتمسكوا بالظواهر المذكورة وغيرها ، ثم اختلف هؤلاء فقالت طائفة بلزوم البيت ، وقالت طائفة بل بالتحول عن بلد الفتن أصلاً ، ثم اختلفوا فمنهم من قال : إذا هجم عليه شىء من ذلك يكف يده ولو قتل ومنهم من قال بل يدافع عن نفسه وعن ماله وعن أهله وهو معذور إن قتل أو قتل .
وقال آخرون : إذا بغت طائفة على الإمام فامتنعت من الواجب عليها ونصبت =

وأخرجه مسلم (٢٨٨٦) .

= الحرب وجب قتالها ، وكذلك لو تحاربت طائفتان وجب على كل قادر الأخذ على يد المخطىء ونصر المصيب ، وهذا قول الجمهور .

وفصل آخرون فقالوا : كل قتال وقع بين طائفتين من المسلمين حيث لا إمام للجماعة فالقتال حينئذ ممنوع ، وتنزل الأحاديث التى فى هذا الباب وغيره على ذلك وهو قول الأوزاعى .

قال الطبرى : والصواب أن يقال إن الفتنة أصلها الابتلاء ، وإنكار المنكر واجب على كل من قدر عليه فمن أعان المحق أصاب ومن أعان المخطىء أخطأ ، وإن أشكل الأمر فهى الحالة التى ورد النهى عن القتال فيها .

وذهب آخرون إلى أن الأحاديث وردت فى حق ناس مخصوصين ، وأن النهى مخصوص بمن خوطب بذلك .

وقيل إن أحاديث النهى مخصوصة بآخر الزمان حيث يحصل التحقق أن المقاتلة إنما هى فى طلب الملك . وقد وقع فى حديث ابن مسعود (قلت يا رسول الله : ومتى ذلك ؟ قال : **«أيام الهرج»** قلت : ومتى ؟ قال : **«حين لا يأمن الرجل جليسه»** .

قلت : وهذا الحديث أخرجه أحمد (١/٤٤٨ - ٤٤٩) وفى إسناده مبهم فالإسناد ضعيف .

وقال النووى رحمه الله (٥/٧٣٦) : وقد اختلف العلماء فى قتال الفتنة فقالت طائفة : لا يقاتل فى فتن المسلمين ، وإن دخلوا عليه بيته وطلبوا قتله فلا يجوز له المدافعة عن نفسه لأن الطالب متأول وهذا مذهب الصحابى أبى بكرة رضى الله عنه وغيره ، وقال ابن عمر وعمران بن الحصين رضى الله عنهم وغيرهما لا يدخل فيها ، لكن إن قصد دفع عن نفسه فهذان المذهبان متفقان على ترك الدخول فى جميع فتن الإسلام .

● وقال معظم الصحابة والتابعين وعامة علماء الإسلام يجب نصر المحق فى الفتن والقيام معه بمقاتلة الباغين كما قال تعالى : ﴿ **فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء** ﴾ .... الآية وهذا هو الصحيح ، وتتأول الأحاديث على من لم يظهر له المحق أو على طائفتين ظالمتين لا تأويل لواحدة منهما ، ولو كان كما قال الأولون لظهر الفساد ، واستطال أهل البغى والمبطلون والله أعلم .

قال أبو داود رحمه الله (٤٢٥٩) :

حدثنا مسدد . حدثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن محمد بن جحادة ، عن عبد الرحمن بن ثروان[١] عن هزيل عن أبي موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن بين يدى الساعة فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً ، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً ، القاعد فيها خيرٌ من القائم ، والماشى فيها خير من الساعى فكسِّروا قِسِيَّكُم وقطعوا أوتاركم واضربوا سيوفكم بالحجارة ، فإن دخل** – يعنى على أحد منكم – **فليكن كخير ابنى آدم** »[٢] .

صحيح

وأخرجه الترمذى (٢٢٠٤) وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح .

وأخرجه ابن ماجه (٣٩٦١) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٨٧) :

حدثنا قتيبة بن سعيد . حدثنا حاتم ، عن يزيد بن أبى عبيد ، عن سلمةَ بن الأكوع ، أنه دخل على الحجاج فقال : يا ابن الأكوع ارتددت على عقبيك تعربت ؟[٣] قال لا ولكن رسول الله ﷺ أذن لى فى البدو .

صحيح

---

(١) وقد روى هذا الحديث بإسقاط عبد الرحمن بن ثروان ، ورجح أبو حاتم فى العلل (٢/٤١٤) رواية من أثبت ابن ثروان .

(٢) أى فليكن كابن آدم المقتول ليس القاتل إذ القاتل أظلم .

(٣) التعرب هو أن ينتقل المهاجر من البلد التى هاجر منها فيسكن البدو فيرجع بعد هجرته أعرابياً وكان إذ ذاك محرماً إلا أن الشارع أذن له فى ذلك ، وقيده بالفتنة إشارة إلى ما ورد من الإذن فى ذلك عند حلول الفتن ، وقيل بمنعه فى زمن الفتنة لما يترتب عليه من خذلان أهل الحق ، ولكن نظر السلف اختلف فى =

وعن يزيد بن أبى عبيد قال : لما قتل عثمان بن عفان خرج سلمة بن الأكوع إلى الربذة وتزوج هناك امرأة وولدت له أولاداً فلم يزل بها حتى قبل أن يموت بليالٍ نزل المدينة .

وأخرجه مسلم (١٨٦٢) .

* * *

= ذلك فمنهم من آثر السلامة واعتزل الفتن كسعد ومحمد بن مسلمة وابن عمر فى طائفة ، ومنهم من باشر القتال وهم الجمهور .

مسألة هل العزلة أفضل أم الاختلاط بالناس ؟

● ذكر الخطابى فى كتاب العزلة (كما نقل عنه الحافظ فى الفتح ٣٣٣/١١) أن العزلة والاختلاط يختلفان باختلاف متعلقاتهما فتحمل الأدلة الواردة فى الحض على الاجتماع على ما يتعلق بطاعة الأئمة وأمور الدين وعكسها فى عكسه ، وأما الاجتماع والافتراق بالأبدان فمن عرف الاكتفاء بنفسه فى حق معاشه ومحافظة دينه فالأولى له الانكفاف عن مخالطة الناس بشرط أن يحافظ على الجماعة والسلام والرد وحقوق المسلمين من العيادة وشهود الجنازة ونحو ذلك ، والمطلوب إنما هو ترك فضول الصحبة لما فى ذلك من شغل البال وتضييع الوقت عن المهمات ، ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغذاء والعشاء فيقتصر منه على ما لابد له منه فهو أروح للبدن والقلب والله أعلم .

● وقال القشيرى فى الرسالة : طريق من آثر العزلة أن يعتقد سلامة الناس من شره لا العكس ، فإن الأول ينتجه استصغاره نفسه وهى صفة المتواضع ، والثانى شهوده مزية له على غيره وهذه صفة المتكبر .

● وقال الحافظ ابن حجر (فتح البارى ٤٢/١٣) : وقد اختلف السلف فى أصل العزلة فقال الجمهور : الاختلاط أولى لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام وتكثير سواد المسلمين وإيصال أنواع الخير إليهم من إعانة وإغاثة وعيادة وغير ذلك . وقال قوم : العزلة أولى لتحقق السلامة بشرط معرفة ما يتعين .

وقال النووى : المختار تفضيل المخالطة لمن لا يغلب على ظنه أنه يقع فى معصية فإن أشكل الأمر فالعزلة أولى . وقال غيره : يختلف باختلاف الأحوال فإن تعارضاً اختلف باختلاف الأوقات ، فمن يتحتم عليه المخالطة من كانت له قدرة على إزالة المنكر فيجب عليه إما عينًا وإما كفاية بحسب الحال والإمكان ، وممن يترجح من يغلب على ظنه أنه يسلم فى نفسه إذا قام فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وممن يستوى من يأمن على نفسه ولكنه يتحقق أنه لا يطاع ، وهذا حيث لا يكون هناك فتنة عامة فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة لما ينشأ فيها غالباً من الوقوع فى المحذور ، وقد تقع

العقوبة بأصحاب الفتنة فتعم من ليس من أهلها كما قال تعالى ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ .

● قلت : وقد ورد فى الباب حديث المسلم إذا كان يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم .

وها هو تخريجه (انظر أعلاه) .

هذا وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (كما فى مجموع الفتاوى ١٠/٤٢٥) هل الأفضل للسالك العزلة أو الخلطة ؟ فأجاب

هذه المسألة وإن كان الناس يتنازعون فيها إما نزاعاً كلياً وإما حالياً فحقيقة الأمر أن (الخلطة) تارة تكون واجبة أو مستحبة ، والشخص الواحد قد يكون مأموراً بالمخالطة تارة وبالانفراد تارة، وجماع ذلك أن « المخالطة » إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهى مأمور بها ، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهى منهى عنها فالاختلاط بالمسلمين فى جنس العبادات كالصلوات الخمس والجمعة والعيدين وصلاة الكسوف والاستسقاء ونحو ذلك هو مما أمر الله به ورسوله .

وكذلك الاختلاط بهم فى الحج وفى غزو الكفار والخوارج المارقين ، وإن كان أئمة ذلك فجاراً ، وإن كان فى تلك الجماعات فجار ، وكذلك الاجتماع الذى يزداد العبد به إيماناً إما لانتفاعه به ، وإما لنفعه له ونحو ذلك .

ولابد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه فى دعائه وذكره وصلاته وتفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه ، وما يختص به من الأمور التى لا يشركه فيها غيره ، فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه إما فى بيته كما قال طاووس نعم صومعة الرجل بيته يكف فيها بصره ولسانه ، وإما فى غير بيته .

فاختيار المخالطة مطلقاً خطأ ، واختيار الانفراد مطلقاً خطأ ، وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا وهذا ، وما هو الأصلح له فى كل حال فهذا يحتاج إلى نظر خاص كما تقدم .

قال الترمذى رحمه الله (٢٥٠٧) :

حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى حدثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمان الأعمش عن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب النبى ﷺ عن النبى ﷺ قال : « **المسلمُ إذا كان مُخالطاً الناس ويصبر على أذاهم خيرٌ من المسلم الذى لا يُخالط الناس ولا يصبر على أذاهم** » .

صحيح

قال أبو موسى : قال ابن أبى عدى : كان شعبة يرى أنه ابن عمر .

وأخرجه أحمد (٥/٣٦٥)[1] والبخارى فى الأدب المفرد (٣٨٨) وابن ماجه (٤٠٣٢).

الأخذ على يد الظالم

وقول الله عز وجل ﴿**واتقوا فتنةً لا تُصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**﴾.

● قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٢/٢٩٨) : يحذر تعالى عباده المؤمنين فتنة أى اختباراً ومحنة يعم بها المسىء وغيره لا يخص بها أهل المعاصى ولا من باشر الذنب بل يعمها لم تدفع وترفع .

● وقال الشوكانى رحمه الله (فتح القدير ٢/٢٩٩) : قوله : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ أى اتقوا فتنة تتعدى الظالم فتصيب الصالح والطالح ولا تختص إصابتها بمن يباشر الظلم منكم .

---

(١) لفظ أحمد : المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم . وإسناده صحيح أيضاً .

● قال الصنعانى رحمه الله (سبل السلام ص ١٦١٦) : فيه أفضلية من يخالط الناس مخالطة يأمرهم فيها بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحسن معاملتهم فإنه أفضل من الذى يعتزلهم ولا يصبر على المخالطة ، ولكل حال مقال ، ومن رجح العزلة فله على فضلها أدلة ، وقد استوفاها الغزالى فى الإحياء وغيره .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٢٤٩٣) :

حدثنا أبو نعيم حدثنا زكرياء قال سمعت عامراً يقول سمعت النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينةٍ فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً** » .

صحيح

وأخرجه الترمذى (٢١٧٣) وقال هذا حديث حسن صحيح .

قال الترمذى رحمه الله (٢١٦٨) :

حدثنا أحمد بن منيع حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن أبى بكر الصديق قال : أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ ، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه** » .

إسناده صحيح[1]

---

(١) وقد رواه جماعة عن إسماعيل عن قيس عن أبى بكر مرفوعاً ورواه آخرون عن إسماعيل عن قيس عن أبى بكر موقوفاً . كما قال الترمذى رحمه الله .

● قال ابن أبى حاتم فى العلل (٩٨/٢) : سمعت أبا زرعة وسئل عن حديث رواه شعيب عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن أبى بكر عن النبى ﷺ قال « **أيها الناس لعلكم تقرءون هذه الآية وتضعونها على غير ماوضعها الله** » ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ وإن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشكوا أن يعمهم الله بعقاب =

. . . .

= قال أبو زرعة : وقد وقفه ابن عيينة ووكيع ويحيى بن سعيد القطان عن إسماعيل ويونس بن أبي إسحاق ، ورواه يونس عن طارق بن بيان بن بشر عن قيس عن أبي بكر موقوفاً ، ورواه الحكم عن قيس عن أبي بكر موقوفاً .

قال أبو زرعة ، وأحسب إسماعيل بن أبي خالد كان يرفعه مرة ويوقفه مرة .

● وقال الدارقطني رحمه الله (العلل ١/٢٥٠) – وسئل عن هذا الحديث – هو حديث رواه إسماعيل بن أبي خالد عن قيس فرواه عنه جماعة من الثقات فاختلفوا عليه فيه فمنهم من أسنده إلى النبي ﷺ ومنهم من أوقفه على أبي بكر .

فمن أسنده إلى النبي ﷺ عبد الله بن نمير وأبو أسامة ويحيى بن سعيد الأموي وزهير بن معاوية وهشيم بن بشير وعبيد الله بن عمرو ويحيى بن عبد الملك بن أبي غنية ومروان بن معاوية الفزاري ومرجى بن رجاء ويزيد بن هارون وعبد الرحيم بن سليمان والوليد بن القاسم وعلّى بن عاصم وجرير بن عبد الحميد وشعبة بن الحجاج ومالك بن مغول ويونس بن أبي إسحاق وعبد العزيز بن مسلم القسملي وهياج بن بسطام ومعلى بن هلال وأبو حمزة السكرى ووكيع بن الجراح فاتفقوا على رفعه إلى النبي ﷺ .

وخالفهم يحيى بن سعيد القطان وسفيان بن عيينة وإسماعيل بن مجالد وعبيد الله ابن موسى فرووه عن إسماعيل موقوفاً على أبي بكر .

ورواه بيان بن بشر وطارق بن عبد الرحمن وذر بن عبد الله الهمداني والحكم بن عتيبة وعبد الملك بن عمير وعبد الملك بن ميسرة فرووه عن قيس عن أبي بكر موقوفاً .

وجميع رواة هذا الحديث ثقات (قال مصطفى بل فى بعضهم ضعف) ويشبه أن يكون قيس بن أبي حازم كان ينشط فى الرواية مرة فيسنده ومرة يجبن عنه فيقفه على أبي بكر وروى هذا الحديث عن محمد بن قدامة المصيصي عن جرير عن إسماعيل بن أبي خالد عن طارق بن شهاب عن أبي بكر عن النبي ﷺ مرفوعاً .

وذلك وهم من راويه والصحيح عن جرير ما تقدم ذكره عن إسماعيل عن قيس =

حدثنا محمد بن بشار حدثنا يزيد بن هارون عن إسماعيل بن أبي خالد نحوه .

قال أبو عيسى : وفى الباب عن عائشة وأم سلمة والنعمان بن بشير وعبد الله بن عمر وحذيفة وهذا حديث صحيح ، وهكذا روى غير واحد عن إسماعيل نحو حديث يزيد ورفعه بعضهم عن إسماعيل وأوقفه بعضهم .

قلت والحديث أخرجه الترمذى أيضاً (٣٠٥٧) وقال هذا حديث حسن صحيح ثم ذكر نحو ما تقدم . وأخرجه أيضاً أحمد (١/٢ و ٥ و ٧ و ٩) وأبو داود فى الملاحم (٤٣٣٨) وابن ماجه (٤٠٠٥) ونسبه المنذرى للنسائى .

وأخرجه عبد بن حميد فى المنتخب (بتحقيقى حديث ١) .

قال الإمام أبو داود السجستانى رحمه الله (٤٢٧٧) :

حدثنا مسدد حدثنا أبو الأحوص سلام بن سليم عن منصور عن هلال بن يساف عن سعيد بن زيد قال كنا عند النبى ﷺ فذكر فتنة فعظم أمرها فقلنا أو قالوا يا رسول الله لئن أدركتنا هذه لتهلكنا[1] فقال رسولُ الله ﷺ « **كلا إن بحسبكم القتل** »[2] قال سعيد فرأيت إخوانى قتلوا .

صحيح لغيره[3] .

وأخرجه الطبرانى (٣٤٦) و (٣٤٧) و (٣٤٨) و (٣٤٩) وأحمد (١٨٩/١) .

= قلت (والقائل مصطفى) ولا شك أن رواية من رفعوه إلى النبى ﷺ صحيحة فعددهم كبير ومنهم ثقات أثبات فيصح رفعه إلى النبى ﷺ . والعلم عند الله .

(١) كأن مرادهم أنها إذا أدركتهم أهلكت دنياهم وآخرتهم .

(٢) المعنى والله أعلم أنكم يكفيكم كونكم قتلتم ، ولا يلحقكم بعد ذلك ضرر فى أخراكم بل يرحمكم الله ويتجاوز عنكم ، والله أعلم .

(٣) ورجال هذا الإسناد ثقات إلا أن الحديث قد روى عند أحمد والطبرانى بإدخال واسطة بين هلال بن يساف وسعيد بن زيد ألا وهو عبد الله بن ظالم . وانظر علل الدارقطنى (٤١٣/٤) وعبد الله بن ظالم هذا لا يحتج بحديثه إلا أن للحديث شاهداً عند أحمد (٤٧٢/٣) فقال أحمد ثنا يزيد بن هارون ببغداد أنبأنا أبو مالك =

....

= الأشجعى سعد بن طارق عن أبيه أنه سمع النبى ﷺ يقول : « **بحسب أصحابى القتل** » . وهذا إسناد صحيح .

● هذا وقد ورد فى هذا الباب حديث أخرجه أبو داود (٤٢٧٨) وأحمد (٤١٠/٤ و ٤١٨) وعبد بن حميد فى المنتخب (بتحقيقى رقم ٥٣٥) والحاكم فى المستدرك (٤٤٤/٤) من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة المسعودى عن سعيد بن أبى بردة عن أبيه عن أبى موسى قال قال رسول الله ﷺ « **أمتى هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة عذابها فى الدنيا الفتن والزلازل والقتل** » إلا أن فى هذا الإسناد المسعودى وهو مختلط .

وقد توبع المسعودى كما عند أحمد (٤٠٨/٤) فقد أخرج أحمد الحديث هناك من طريق محمد بن سابق ثنا ربيع يعنى أبا سعيد النصرى عن معاوية بن إسحاق عن أبى بردة قال أبو بردة حدثنى أبى أنه سمع رسول الله ﷺ .. فذكر نحوه . لكن فى هذا الإسناد أبو سعيد النصرى وهو مجهول .

وفى الإسناد إشكال آخر ألا وهو الاختلاف على أبى بردة فى هذا الحديث فقد روى عنه عن أبيه (أبو موسى الأشعرى) عن النبى ﷺ كما هنا وكما عند البخارى فى التاريخ الكبير (٣٨/١/١ - ٣٩) .

وروى عنه عن عبد الله بن يزيد كما عند الحاكم فى المستدرك (٤٩/١) و (٢٥٤/٤) .

وذلك من طريق أبى بكر بن عياش ثنا أبو حصين عن أبى بردة قال كنت جالساً عند عبيد الله بن زياد فأتى برءوس الخوارج كلما جاء رأس قلت إلى النار (وفى رواية كلما مروا عليه برأس قال إلى النار) فقال عبد الله بن يزيد الأنصارى أو لم تعلم يا ابن أخى أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن عذاب هذه الأمة جعل فى دنياها** » قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولا أعلم له علة وله شاهد صحيح . ووافقه الذهبى فقال على شرطهما ولا علة له

قلت أبو بكر بن عياش لم يخرج له مسلم فالإسناد على شرط البخارى وحده . =

....

= هذا ولم يعبأ الإمام أحمد بهذه الرواية فقد سئل (كما فى التهذيب ٧٩/٦) هل لعبد الله بن يزيد صحبة صحيحة ؟ قال أما صحيحة فلا . ثم قال شيء يرويه أبو بكر بن عياش عن أبى حصين عن أبى بردة عن عبد الله بن يزيد سمعت النبى ﷺ ، وما أرى ذاك بشيء .

ثم أورد الحاكم له شاهداً من طريق يحيى بن زكرياء عن إبراهيم بن سويد النخعى وكان ثقة (كذا فى المستدرك) عن الحسن بن الحكم النخعى عن أبى بردة قال سمعت عبد الله بن يزيد يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **عذاب أمتى فى دنياها** »

قلت : وهذا يصلح شاهداً للحديث إذا سلم الحديث من سائر العلل .

وثمة اختلاف آخر على أبى بردة فقد أخرجه الحاكم (٢٥٣/٤ - ٢٥٤) من طريق أحمد بن عبد الجبار ثنا محمد بن فضيل بن غزوان ثنا صدقة بن المثنى ثنا رباح بن الحارث عن أبى بردة قال بينا أنا واقف فى السوق فى إمارة زياد إذ ضربت بإحدى يدى على الأخرى تعجباً فقال رجل من الأنصار قد كانت لأبيه صحبة مع رسول الله ﷺ مما تعجب يا أبا بردة قلت أعجب من قوم دينهم واحد ونبيهم واحد ودعوتهم واحدة وحجهم واحد وغزوهم واحد يستحل بعضهم قتل بعض قال فلا تعجب فإنى سمعت والدى أخبرنى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **إن أمتى أمة مرحومة ليس عليها فى الآخرة حساب ولا عذاب إنما عذابها القتل والزلازل والفتن** » . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبى صحيح .

قلت : وفى هذا الإسناد أحمد بن عبد الجبار وهو ضعيف إلا أنه قد توبع كما عند البخارى فى التاريخ الكبير (٣٩/١/١) تابعه البخارى نفسه .

وقد أورد البخارى فى التاريخ الكبير (٣٩/١/١) ما يؤيد رواية أبى بردة عن رجل من الأنصار عن أبيه فقال البخارى : وقال لنا سعيد بن يحيى حدثنا أبى قال حدثنا بريد عن أبى بردة عن رجل من الأنصار عن أبيه عن النبى ﷺ .

● والذى يبدو لنا أنه الصواب من هذه الطرق هى رواية من روى الحديث من طريق أبى بردة عن رجل من الأنصار عن أبيه عن النبى ﷺ . =

....

= وذلك لأمور منها أولاً : أن الطرق إلى أبى بردة بذلك هى الأصح والأسلم من الإشكالات . ثانياً أن طريق أبى بردة عن رجل من الأنصار عن أبيه عن رسول الله ﷺ هى غير الجادة ، وكما هو معلوم أن غير الجادة إذا تعارضت مع الجادة قدمت غير الجادة ، فعليه تقدم رواية أبى بردة عن رجل من الأنصار عن أبيه مرفوعاً على رواية من روى أبو بردة عن أبيه عن النبى ﷺ .
وأيضاً فتقدم على رواية من ذكر عبد الله بن يزيد فعبد الله بن يزيد مختلف فى صحبته .

ومن ثم إذا تقرر لك ذلك وعلمت أن رواية أبى بردة عن رجل من الأنصار عن أبيه سمعت رسول الله ﷺ هى التى يعول عليها فبالتعويل عليها نجد أنها رواية ضعيفة وذلك لأن الرجل من الأنصار لم يُسم فهو مبهم وعليها فالسند ضعيف والله أعلم .

تنبيه : قد يعكر على رواية إسماعيل بن عياش (وإسماعيل يغلط كثيراً كما فى تراجمه) بتعكير آخر وهو أن الصحابى نزَّل الحديث على الخوارج ، وفيه أن النبى ﷺ قال « **إن عذاب هذه الأمة جعل فى دنياها** » مع أنه قد ورد فى الخوارج أنهم يعذبون وأنهم كلاب أهل النار ، وشر قتلى تحت أديم السماء ، وفى قتلهم أجر لمن قتلهم ... إلى آخر ما ورد فى ذلك . والله أعلم .

* * *

قول الله عز وجل ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾
أقوال أهل العلم فى الآية[1]

● قال أبو جعفر الطبرى رحمه الله (٣/٥٧٠) :

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ : وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتى لا تكون فتنة يعنى حتى لا يكون شرك بالله ، وحتى لا يعبد دونه أحد ، وتضمحل عبادة الأوثان والآلهة والأنداد ، وتكون العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان .

ثم ذكر رحمه الله بإسناد صحيح إلى قتادة فى قوله تعالى ﴿ **حتى لا تكون فتنة** ﴾ قال حتى لا يكون شرك ، وبإسناد صحيح إلى ابن زيد أيضاً فى قوله ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة** ﴾ قال حتى لا يكون كفر ، وقرأ (تقاتلونهم أو يُسلمون) وأورد جملة آثار أخرى فى هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد والسدى وفى الأسانيد إليهم ضعف .

* * *

(١) وقد تقدم قول ابن عمر رضى الله عنهما فى الآية فى أبواب الفتن الواردة فى زمن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

قول الله عز وجل ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾

أقوال أهل العلم فى الآية :

● قال أبو جعفر الطبرى رحمه الله : يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ **والفتنة أشد من القتل** ﴾ والشرك بالله أشد من القتل ، وقد بينت فيما مضى أن أصل « الفتنة » الابتلاء والاختبار فتأويل الكلام : وابتلاء المؤمن فى دينه حتى يرجع عنه فيصير مشركاً بالله من بعد إسلامه ، أشد عليه وأضر من أن يقتل مقيماً على دينه متمسكاً عليه محقاً فيه .

ثم أورد جملة آثار عن السلف بعضها صحيح وبعضها ضعيف تدور على هذا القول أى أن المراد الشرك أشد من القتل .

● وقال ابن كثير رحمه الله (التفسير ١/٣٩٩ بتحقيق الوادعى) : ولما كان الجهاد فيه إزهاق النفوس وقتل الرجال نبه تعالى على أن ما هم مشتملون عليه من الكفر بالله والشرك به والصد عن سبيله أبلغ وأشد وأعظم وأطم من القتل ولهذا قال ﴿ **والفتنة أشد من القتل** ﴾ قال أبو مالك : أى ما أنتم مقيمون عليه أكبر من القتل ، وقال أبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس فى قوله ﴿ **والفتنة أشد من القتل** ﴾ يقول الشرك أشد من القتل .

* * *

كراهية تكثير سواد أهل الفتن
وقول الله عز وجل ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم﴾

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٨٥) :

حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا حيوة وغيره قال حدثنا أبو الأسود ، وقال الليث عن أبى الأسود قال : قطع على أهل المدينة بعث فاكتتبت فيه فلقيت عكرمة فأخبرته فنهانى أشد النهى ثم قال : أخبرنى ابن عباس أن أُناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ فيأتى السهم فيرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضربه فيقتله ، فأنزل الله تعالى ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم** ﴾[1] .

صحيح

قال الإمام البخارى رحمه الله (٢١١٨) :

حدثنى محمد بن الصباح حدثنا إسماعيل بن زكرياء عن محمد بن سوقة عن نافع بن جبير بن مطعم قال حدثتنى عائشة رضى الله عنها قالت قال رسولُ الله

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (٣٨/١٣) : وفيه تخطئة من يقيم بين أهل المعصية باختياره لا لقصد صحيح من إنكار عليهم مثلاً أو رجاء إنقاذ مسلم من هلكة وأن القادر على التحول عنهم لا يعذر كما وقع للذين كانوا أسلموا ومنعهم المشركون من أهلهم من الهجرة ثم كانوا يخرجون مع المشركين لا لقصد قتال المسلمين بل لإيهام كثرتهم فى عيون المسلمين ، فحصلت لهم المؤاخذة بذلك ، فرأى عكرمة أن من خرج فى جيش يقاتلون المسلمين يأثم وإن لم يقاتل ولا نوى ذلك ، ويتأيد ذلك فى عكسه بحديث « **هم القوم لا يشقى بهم جليسهم** » .

ﷺ : **يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء[1] من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم** . قالت : قلتُ يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم ؟ قال « **يخسف بأولهم وآخرهم ثم يُبعثون على نياتهم** »[2] .

صحيح

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧١٠٨) :

حدثنا عبد الله بن عثمان أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهرى أخبرنى حمزة بن عبد الله بن عمر أنه سمع ابن عمر رضى الله عنهما يقول قال رسولُ الله ﷺ « **إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم[3] ثم بعثوا على**

---

(١) قال النووى : البيداء كل أرض ملساء لا شئ بها .

(٢) قال الحافظ فى الفتح (٤/٢٤١) : قال المهلب : فى هذا الحديث أن من كثر سواد قوم فى المعصية مختاراً أن العقوبة تلزمه معهم . قال : واستنبط منه مالك عقوبة من يجالس شربة الخمر وإن لم يشرب ، وتعقبه ابن المنير بأن العقوبة التى فى الحديث هى الهجمة السماوية فلا يقاس عليها العقوبات الشرعية ، ويؤيده آخر الحديث حيث قال : « **ويبعثون على نياتهم** » وفى هذا الحديث أن الأعمال تعتبر بنية العامل ، والتحذير من مصاحبة أهل الظلم ومجالستهم وتكثير سوادهم إلا لمن اضطر إلى ذلك ويتردد النظر فى مصاحبة التاجر لأهل الفتنة هل هى إعانة لهم على ظلمهم أو هى من ضرورة البشرية ثم يعتبر عمل كل أحد بنيته ، وعلى الثانى يدل ظاهر الحديث .

وقال ابن التين : يحتمل أن يكون هذا الجيش الذى يخسف بهم هم الذين يهدمون الكعبة فينتقم منهم فيخسف بهم ، وتعقب بأن فى بعض طرقه عند مسلم « **إن ناساً من أمتى** » والذين يهدمونها من كفار الحبشة ، وأيضاً فمقتضى كلامه أنهم يخسف بهم بعد أن يهدموها ويرجعوا ، وظاهر الخبر أنه يخسف بهم قبل أن يصلوا إليها .

(٣) قال الحافظ فى الفتح (١٣/٦٠) : المراد من كان فيهم ممن ليس هو على رأيهم .

أعمالهم[(١)]» .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٨٧٩) .

---

(١) أى بعث كل واحد منهم على حسب عمله إن كان صالحاً فعقباه صالحة وإلا فسيئة ، فيكون ذلك العذاب طهرة للصالحين ونقمة على الفاسقين .

وقال الحافظ رحمه الله – بعد أن أورد كلام عدد من أهل العلم : والحاصل أنه لا يلزم من الاشتراك فى الموت الاشتراك فى الثواب أو العقاب بل يجازى كل أحد بعمله على حسب نيته ، وجنح ابن أبى جمرة إلى أن الذين يقع لهم ذلك إنما يقع بسبب سكوتهم عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأما من أمر ونهى فهم المؤمنون حقاً لا يرسل الله عليهم العذاب بل يدفع بهم العذاب ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ **وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون** ﴾ وقوله تعالى ﴿**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** ﴾ ويدل على تعميم العذاب لمن لم ينه عن المنكر وإن لم يتعاطاه قوله تعالى ﴿ **فلا تقعد معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذاً مثلهم** ﴾ ويستفاد من هذا مشروعية الهرب من الكفار ومن الظلمة لأن الإقامة معهم من إلقاء النفس إلى التهلكة ، هذا إذا لم يعنهم ولم يرض بأفعالهم فإن أعان أو رضى فهو منهم ، ويؤيده أمره ﷺ بالإسراع فى الخروج من ديار ثمود ، وأما بعثهم على أعمالهم فحكم عدل لأن أعمالهم الصالحة إنما يجازون بها فى الآخرة ، وأما فى الدنيا فمهما أصابهم من بلاء كان تكفيراً لما قدموه من عمل سىء فكان العذاب المرسل فى الدنيا على الذين ظلموا يتناول من كان معهم ولم ينكر عليهم فكان ذلك جزاء لهم على مداهنتهم ثم يوم القيامة يبعث كل منهم فيجازى بعمله . وفى الحديث تحذير وتخويف عظيم لمن سكت عن النهى فكيف بمن داهن فكيف بمن رضى فكيف بمن عاون ، نسأل الله السلامة .

قال الحافظ قلت : ومقتضى كلامه أن أهل الطاعة لا يصيبهم العذاب فى الدنيا بجريرة العصاة وإلى ذلك جنح القرطبى فى التذكرة ، وما قدمناه قريباً أشبه =

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٨٤) :

وحدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا يونس بن محمد حدثنا القاسم بن الفضل الحدانى عن محمد بن زياد عن عبد الله بن الزبير أن عائشة قالت : عبث[١] رسول الله ﷺ فى منامه فقلنا يا رسول الله ! صنعت شيئاً فى منامك لم تكن تفعله . فقال : **« العجبُ إن ناساً من أمتى يؤمون بالبيت برجلٍ من قريش قد لجأ بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء خُسف بهم »** فقلنا يا رسول الله إن الطريق قد يجمعُ الناس . قال **« نعم فيهم المستبصر[٢] والمجبور[٣] وابن السبيل[٤] يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى يبعثهم اللهُ على نياتهم »** .

صحيح

= بظاهر الحديث وإلى نحوه مال القاضى ابن العربى .

قلت (يعنى بما قدمه قوله : أى بعث كل واحد منهم على حسب عمله إن كان صالحاً فعقباه صالحة وإلا فسيئة فيكون ذلك العذاب طهرة للصالحين ونقمة على الفاسقين) والله أعلم .

(١) قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٥/٧٣٣) عبث هو بكسر الباء : قيل معناه اضطرب بجسمه ، وقيل حرك أطرافه كمن يأخذ شيئاً أو يدفعه .

(٢) المستبصر هو المستبين لذلك القاصد للمقاتلة .

(٣) المجبور : هو المكره .

(٤) ابن السبيل : المراد به هنا سالك الطريق معهم وليس منهم .

قال النووى رحمه الله : وفى هذا الحديث من الفقه : التباعد من أهل الظلم ، والتحذير من مجالستهم ، ومجالسة البغاة ونحوهم من المبطلين لئلا يناله ما يعاقبون به .

وفيه أن من كثر سواد قوم جرى عليه حكمهم فى ظاهر عقوبات الدنيا .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٨٢) :

حدثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبى شيبة وإسحاق بن إبراهيم - واللفظ لقتيبة - (قال إسحاق أخبرنا ، وقال الآخران : حدثنا) جرير عن عبد العزيز بن رفيع عن عبيد الله بن القبطية قال : دخل الحارث بن أبى ربيعة وعبد الله بن صفوان - وأنا معهما - على أم سلمة أم المؤمنين فسألاها عن الجيش الذى يخسف به ، وكان ذلك فى أيام ابن الزبير فقالت : قال رسول الله ﷺ « **يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم** » ، فقلت يا رسول الله ! فكيف بمن كان كارهاً ؟ قال « **يُخسف به معهم ولكنه يُبعث يوم القيامة على نيته** » وقال أبو جعفر هى بيداء[1] المدينة .

صحيح

حدثناه أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا عبد العزيز بن رفيع بهذا الإسناد ، وفى حديثه قال فلقيت أبا جعفر فقلت إنها إنما قالت : ببيداء من الأرض فقال أبو جعفر كلا والله إنها لبيداءُ المدينة .

والحديث أخرجه أبو داود مختصراً (٤٢٨٩) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٨٣) :

حدثنا عمرو الناقد وابن أبى عمر (واللفظ لعمرو) قالا حدثنا سفيان بن عيينة عن أمية بن صفوان سمع جده عبد الله بن صفوان يقول أخبرتنى حفصة أنها سمعت النبى ﷺ يقول : « **ليؤمن[2] هذا البيت جيش يغزونه حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوسطهم ويُنادى أولهم آخرهم ثم يخسف بهم فلا يبقى إلا الشريد الذى يخبر عنهم** » .

صحيح

---

(١) قال النووى : وبيداء المدينة الشرف الذى قدام ذى الحليفة أى إلى جهة مكة .
قلت : وقد تقدم أن البيداء هى كل أرض ملساء .

(٢) ليؤمن أى ليقصدن .

فقال رجلٌ : أشهد عليك أنك لم تكذب على حفصة ، وأشهد على حفصة أنها لم تكذب على النبى ﷺ .

وأخرجه النسائى (٥/٢٠٧) وابن ماجه (٤٠٦٣) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (صـ ٢٢١٠) :

وحدثنى محمد بن حاتم بن ميمون حدثنا الوليد بن صالح حدثنا عبيد الله بن عمرو حدثنا زيد بن أبى أنيسة عن عبد الملك العامرى عن يوسف بن ماهك أخبرنى عبد الله بن صفوان عن أم المؤمنين أن رسولَ الله ﷺ قال : « **سيعوذُ بهذا البيت** – يعنى الكعبة – **قوم ليست لهم منعة ولا عدد ولا عُدة ، يُبعث إليهم جيش حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بهم** » .

صحيح[١]

قال يوسف : وأهل الشأم يومئذ يسيرون إلى مكة فقال عبد الله بن صفوان أما والله ما هو بهذا الجيش .

قال زيد : وحدثنى عبد الملك العامرى عن عبد الرحمن بن سابط عن الحارث ابن أبى ربيعة عن أم المؤمنين بمثل حديث يوسف بن ماهك غير أنه لم يذكر فيه الجيش الذى ذكره عبد الله بن صفوان .

اعتزال الفتن

قال أبو يعلى الموصلى رحمه الله (٢/٢٤٥) :

حدثنا زحمويه[٢] حدثنا صالح بن عمر عن مطرف عن عامر قال : لما قاتل مروانُ الضحاك بن قيس أرسل إلى أيمن بن خريم الأسدى فقال إنا نحب أن

---

(١) وانظر الحديث المتقدم .

(٢) زحمويه هو زكريا بن يحيى بن صبيح الواسطى ترجمته فى تعجيل المنفعة وفيها .. ذكره ابن حبان فى الثقات وقال كان من المتقنين فى الروايات . =

تقاتل معنا فقال إن أبى وعمى شهدا بدراً[1] فعهدا إلَّى أن لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إلٰه إلا الله فإن جئتنى ببراءة من النار قاتلت معك !! فقال اذهب ووقعِ فيه وسبَّه فأنشأ أيمن يقول :

ولست مقاتلاً[2] رجلاً يصلى على سلطان آخر من قريش
لـه سلطانـه وعلـىَّ إثمى معاذ الله من جهل وطيش
أقاتل مسلماً فى غير شئ[3]؟!! فليس بنافعى ما عشت عيشى

موقوف صحيح

والحديث أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى (١٩٣/٨) والطبرانى فى الكبير (٢٩٠/١) .

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢٢٦/٤) :

حدثنا عبد الصمد ثنا زياد بن مسلم أبو عمر ثنا أبو الأشعث الصنعانى قال بعثنا يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير فلما قدمت المدينة دخلت على فلان سمى زياد اسمه فقال : إن الناس قد صنعوا ما صنعوا فما ترى فقال : أوصانى خليلى أبو القاسم ﷺ إن أدركت شيئاً من هذه الفتن فاعمد إلى أُحُد فاكسر به حد سيفك ثم اقعد

= قلت فعلى هذا فالرجل ثقة لأن ابن حبان لم يقتصر على ذكره فى الثقات بل أتبعها بقوله كان من المتقنين فى الروايات ، وهذا عند أهل العلم المطلعين على طريقة ابن حبان ومدى موافقته لغيره ، مرتبة فى التوثيق لا تقل عن توثيق غير ابن حبان .

(١) فى قوله شهدا بدراً بعض الخلاف فقد رجح بعض أهل العلم هذه الرواية (رواية أنه شهد بدراً) ورجح آخرون أنها الحديبية .
كما فى التهذيب (ترجمة خريم بن فاتك) وكما فى الإصابة ترجمة أيمن بن خريم ابن فاتك ، وكذلك ترجمة خريم بن فاتك (١٠٣/١) و (٤٢٣/١) .

(٢) فى رواية البيهقى والطبرانى ولست بقاتلٍ .

(٣) فى رواية البيهقى والطبرانى أيضاً (أأقتل مسلماً فى غير جرم ...) .

فى بيتك قال فإن دخل عليك أحد إلى البيت فقم إلى المخدع فإن دخل عليك المخدع فاجث على ركبتيك وقل بوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فقد كسرت حد سيفى وقعدت فى بيتى .

حسن

* * *

ترك أرض الفتن

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٧٦٦) :

حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار (واللفظ لابن المثنى) قالا حدثنا معاذ ابن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن أبى الصديق عن أبى سعيد الخدرى أن نبى الله ﷺ قال « **كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت[1] فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب[2] فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط ، فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم . فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد[3] فقبضته ملائكة الرحمة** » .

صحيح

---

(١) فى رواية البخارى فأدركه الموت فناء بصدره نحوها (أى نحو القرية الطيبة) كما هو واضح فى رواية البخارى .

(٢) فى رواية البخارى : فأوحى الله إلى هذه أن تقربى ، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدى .

(٣) فى رواية لمسلم (ونحوها عند البخارى) فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها =

قال قتادة فقال الحسن ذكر لنا أنه لما أتاه الموت نأى بصدره .

والحديث أخرجه البخارى مختصراً بعض الشىء (٣٤٧٠) وابن ماجه (٢٦٢٢) وأحمد ٧٢/٣ .

وصية الرسول ﷺ لأبى ذر فى الفتنة

قال ابن حبان رحمه الله (موارد الظمآن ١٨٦٢) :

أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدى حدثنا إسحاق بن إبراهيم أنبأنا مرحوم بن عبد العزيز حدثنا أبو عمران الجونى حدثنا عبد الله بن الصامت عن أبى ذر قال : ركب رسول الله ﷺ حماراً وأردفنى خلفه ثم قال : « **أبا ذر أرأيت إن أصاب الناس جوع شديد حتى لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك** ، قلت : الله ورسوله أعلم . قال **تعفف** ، **قال يا أبا ذر أرأيت إن أصاب الناس موت شديد حتى يكون البيت بالعبد كيف تصنع ؟** قال الله

= بشبر فجعل من أهلها .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح البارى ٥١٧/٦) : وفيه فضل التحول من الأرض التى يصيب الإنسان فيها المعصية لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك إما لتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها ، وإما لوجود من كان يعينه على ذلك ويحضه عليه ولهذا قال له الأخير : ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ، ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغى له مفارقة الأحوال التى اعتادها فى زمن المعصية ، والتحول منها كلها والاشتغال بغيرها .

وفيه فضل العالم على العابد لأن الذى أفتاه أولاً بأن لا توبة له غلبت عليه العبادة فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير وأما الثانى فغلب عليه العلم فأفتاه بالصواب ودله على طريق النجاة .

ورسوله أعلم قال **اصبر يا أبا ذر أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضاً حتى تغرق حجارة الزيت فى الدماء كيف تصنع ؟** قال الله ورسوله أعلم قال **اقعد فى بيتك وأغلق عليك بابك** . قال أرأيت إن لم أُترك قال **ائت من أنت منه فكن فيهم** ، قال فآخذ سلاحى ؟ قال **إذاً تشاركهم ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف فألق طرف ردائك على وجهك يبوء بإثمه وإثمك** » .

إسناده صحيح(1)

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أنبأنا عبد الله أنبأنا حماد بن سلمة عن أبى عمران الجونى ... فذكر نحوه .

قلت : وأخرجه أحمد (١٤٩/٥) وأبو داود (٤٢٦١) وابن ماجه (٣٩٥٨) والحاكم فى المستدرك (٤٢٣/٤) .

وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وقد أخرجه البخارى من

---

(١) قلت : وإسناده صحيح كما ترى إلا أن أبا داود وابن ماجه والحاكم قد أخرجوه بزيادة بين أبى عمران الجونى وبين عبد الله بن الصامت وهو المشعث بن طريف ، والذى زاد هذه الزيادة هو حماد بن زيد وهو ثقة ثبت ، وهو الذى تفرد بذكر المشعث بن طريف على ما ذكره أبو داود فى سننه فقال أبو داود : لم يذكر المشعث فى هذه الحديث غير حماد بن زيد وتعقب الحافظ فى تهذيب التهذيب هذا الكلام بقوله : وقد رواه جعفر بن سليمان وغير واحد عن أبى عمران عن عبد الله بن الصامت نفسه .
قلت : وعلى أى الأحوال فالمعشث بن طريف يصح حديثه لدينا فى هذا الباب ففى ترجمته فى التهذيب .
قال صالح بن محمد : كان قاضى هراة ولا نعرف بخراسان قاضياً أقدم منه إلا يحيى بن يعمر ، ومشعث جليل لا يعرف فى خراسان أجل منه وذكره ابن حبان فى الثقات .

حديث همام عن أبى عمران وقد زاد فى إسناده بين أبى عمران الجونى وعبد الله بن الصامت المشعث بن طريف بزيادة فى المتن وحماد بن زيد أثبت من حماد بن سلمة .

وقال الذهبى : وقد أخرجه البخارى من حديث همام عن أبى عمران وزاد حماد بن زيد فى إسناده بين أبى عمران وعبد الله بن الصامت المشعث بن طريف .

* * *

الاعتصام بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ

قال أبو داود رحمه الله (٤٦٠٧) :

حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ثور بن يزيد قال حدثنى خالد بن معدان قال حدثنى عبد الرحمن بن عمرو السلمى وحجر بن حجر قالا أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه ﴿ **ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه** ﴾ فسلمنا وقلنا أتيناك زائرين وعائدين[١] ومقتبسين[٢] ، فقال العرباض : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ قال « **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ[٣] ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة**

---

(١) عائدين من العيادة يعنى عيادة المريض .

(٢) مقتبسين أى مقتبسين من علمك .

(٣) قال صاحب العون (١٢/٣٦٠) : « **وعضوا عليها بالنواجذ** » : جمع ناجذة بالذال المعجمة قيل هو الضرس الأخير ، وقيل هو مرادف السن ، وهو كناية عن شدة ملازمة السنة والتمسك بها .
وقال الخطابى : وقد يكون معناه أيضاً الأمر بالصبر عل ما يصيبه من المضض فى ذات الله كما يفعله المتألم بالوجع يصيبه .
« **وإياكم ومحدثات الأمور** » قال الحافظ ابن رجب فى جامع العلوم والحكم : فيه تحذير للأمة من اتباع الأمور المحدثة المبتدعة . إلى آخره فراجعه إن شئت .
قلت: ولمزيد كلام حول الحديث راجع تحفة الأحوذى (شرح سنن الترمذى ٧/٤٤٩).

ضلالة » .

حسن[1]

وأخرجه الترمذى (٢٦٧٦) وقال هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه أحمد (١٢٦/٤) .

وأخرجه أيضاً ابن أبى عاصم فى السنة (٥٤) وابن ماجه (٤٣ و ٤٤) .

والدارمى (٤٤/١ - ٤٥) والحاكم فى المستدرك (٩٥/١ - ٩٦ - ٩٧) وقال هذا حديث صحيح ليس له علة ، ووافقه الذهبى .

□ فضل العبادة فى الهرج □

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٤٨) :

حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا حماد بن زيد عن معلى بن زياد عن معاوية بن قرة عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ ح وحدثناه قتيبة بن سعيد حدثنا حماد عن المعلى بن زياد رده إلى معاوية بن قرة رده إلى معقل بن يسار رده إلى النبى ﷺ قال « **العبادةُ فى الهرج كهجرة إلَّى** »[2] .

وحدثنيه أبو كامل حدثنا حماد بهذا الإسناد نحوه .

صحيح

وأخرجه الترمذى (٢٢٠١) وقال هذا حديث صحيح غريب إنما نعرفه من حديث حماد بن زيد عن المعلى ، وأخرجه ابن ماجه (٣٩٨٦) .

---

(١) وانظر سنن ابن ماجه رقم (٤٢) .

(٢) قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٨٠٩/٥) : قوله ﷺ « **العبادة فى الهرج كهجرة إلَّى** » المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس ، وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها ولا يتفرغ لها إلا أفراد .

الإقبال على أمر الخاصة وترك أمر العامة[(١)]

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/٢٢٠) :

حدثنا حسين بن محمد ثنا محمد مطرف عن أبى حازم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ أنه قال « **يأتى على الناس زمان يغربلون[(٢)] فيه غربلة يبقى منهم حثالة[(٣)] قد مرجت[(٤)] عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا** وشبك بين أصابعه قالوا يا رسول الله فما المخرج من ذلك قال **تأخذون ما تعرفون وتدعون ما تنكرون وتقبلون على أمر خاصتكم**

---

(١) وذلك إذا ما كان حال العامة كما هو موصوف فى الحديث .

(٢) قال شمس الحق العظيم أبادى (١١/٤٩٧) (يغربل الناس) : أى يذهب خيارهم ويبقى أراذلهم كأنه نقى بالغربال كذا فى المجمع .

(٣) تبقى حثالة (بمثلثة) أى أراذل الناس قاله السيوطى ، نقل ذلك صاحب العون عنه ، وفى المرقاة للقارى بضم الحاء وبالثاء المثلثة وهى ما سقط من قشر الشعير والأرز والتمر والردىء من كل شىء .

(٤) مرجت أى اختلطت وفسدت .

قال القارى بفتح الميم وكسر الراء أى فسدت (عهودهم وأماناتهم) أى لا يكون أمرهم مستقيماً بل يكون كل واحد فى كل لحظة على طبع وعلى عهد ينقضون العهود ويخون الأمانات (واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابعه) أى يمرج بعضهم ببعض وتلبس أمر دينهم فلا يعرف الأمين من الخائن ولا البر من الفاجر كذا فى المجمع (فقالوا كيف بنا يا رسول الله) أى فما نفعل عند ذلك وبمَ تأمرنا (ما تعرفون) أى ما تعرفون كونه حقاً (وتذرون) أى تتركون (**ما تنكرون**) أى ما تنكرون أنه حق .

وتدعون أمر عامتكم » .

صحيح بمجموع طرقه(*)

كف اليد فى الفتنة

قال الإمام أبو داود السجستانى رحمه الله (٤٢٤٩) :

حدثنا محمد بن يحيى بن فارس حدثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « **ويل للعرب من شر قد اقترب أفلح من كف يده** »(١) .

صحيح

قال الإمام الترمذى رحمه الله (٢١٩٤) .

حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن عياش بن عياش(٢) عن بكير بن عبد الله بن

(*) فللحديث طرق عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً منها ما أخرجه أبو داود (٤٣٤٢).
وابن ماجه (٣٩٥٧) وأحمد (٢/٢٢١) والحاكم فى المستدرك (٤/٤٣٥) .
من طريق أبى حازم عن عمارة بن عمرو بن حزم عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً بنحوه.
وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبى صحيح .
● وشاهد آخر عند أحمد (٢/١٦٢) من طريق الحسن عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً بنحوه .
● وشاهد ثالث عند أبى داود (٤٣٤٣) وأحمد (٢/٢١٢) والحاكم (٤/٥٢٥) من طريق هلال بن خباب قال حدثنى عكرمة حدثنى عبد الله بن عمرو بن العاص بنحوه مرفوعاً مع زيادة . وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبى صحيح .

(١) أى كف يده عن قتل وقتال المسلمين وأذى المسلمين .

(٢) فى رواية المسند عياش بن عباس .

الأشج عن بسر بن سعيد أن سعد بن أبى وقاص قال عند فتنة عثمان بن عفان أشهد أن رسول الله ﷺ قال : « **إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشى والماشى خير من الساعى** . قال أفرأيت إن دخل على بيتى وبسط يده إلَىَّ ليقتلنى قال **كن كابن آدم** » .

إسناده صحيح(١)

وأخرجه أحمد (١/١٨٥) .

حفظ اللسان فى الفتنة

قال الترمذى رحمه الله (٢٥٠١) :

حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافرى عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « **من صمت نجا** »(٢)

حسن(٣)

---

(١) وقد أخرج أبو داود هذا الحديث (٤٢٥٧) بذكر واسطة بين بسر بن سعيد وسعد بن أبى وقاص ألا وهو حسين بن عبد الرحمن الأشجعى وهو مجهول . ولكن طريق قتيبة هذه أقوى ، والله أعلم .

(٢) والمراد به الصمت حين لا يدرى ما وجه الحق والصواب ، وحين لا يتأكد الشخص هل فى كلامه نفع أم لا ، وقد عُلم ما للسان من دور فى الفتنة أما إذا علم الشخص علماً وكان الناس فى وقت يحتاجون إلى ذلك العلم فلا يتنزل هنا من صمت نجا ، وقد قال الله تبارك وتعالى ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾ . وقال عليه الصلاة والسلام : « **من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة** » كل ذلك بضوابطه المبسوطة فى محلها .

(٣) وقد روى ابن المبارك الحديث عن ابن لهيعة (كما فى الزهد لابن المبارك رقم =

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة .

والحديث أخرجه أحمد (٢/١٥٩ و ١٧٧) والدارمى فى السنن (٢/٢٩٩) وابن المبارك فى الزهد (٣٨٥) .

قال ابن حبان رحمه الله (موارد الظمآن ١١١) :

أخبرنا عمر بن محمد الهمدانى حدثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه حدثنا محمد ابن يوسف الفريابى عن سفيان عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال « لم يكن يقص فى زمان رسول الله ﷺ ولا أبى بكر ولا عمر ولا عثمان إنما كان القصص زمن الفتنة »[1]

صحيح

= ٣٨٥) وابن المبارك من العبادلة الأربعة الذين رووا عن ابن لهيعة قبل الاختلاط .
ويتنزل فى أوقات الفتن حديث رسول الله ﷺ « **ألا أدلكم على خير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا بلى يا رسول الله ! قال ذكر الله** » . (وقد خرجنا هذا الحديث فى كتابنا الصحيح المسند من الأذكار) .
فذكر الله من أفضل ما يتقرب به إلى الله فى الفتن بما يحويه الذكر من توبة واستغفار وتحميد وتهليل وتكبير وتسبيح ، وما يتبع ذلك من التفقه فى الدين والعلم فقد أنجى الله أبا بكرة رضى الله عنه بحديث سمعه من رسول الله لما ولى الفرس ابنة كسرى عليهم فقال رسول الله ﷺ « **لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة** » فعلقت هذه الكلمة بقلب أبى بكرة وامتنع عن الخروج مع عائشة يوم الجمل فأنجاه الله (الحديث بتصرف وهو موجود فى الصحيح وفى هذا الكتاب أيضاً) .

(١) ولذلك كثيراً ما ترى فى زمن الفتنة التعلق بالأحاديث الواهية التى تدور على الحكايات والروايات ويتعلق الناس بأحاديث أسانيدها أوهى من خيوط العنكبوت يصبرون بها أنفسهم ويرثون بها حالهم ويرفهون بها على العامة ، فالله المستعان .

تحريم ترويع المسلم

قال أبو داود رحمه الله (٥٠٠٤) :

حدثنا محمد بن سليمان الأنبارى حدثنا ابن نمير عن الأعمش عن عبد الله بن يسار عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبى ﷺ فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزع فقال رسول الله ﷺ « **لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً** » .

صحيح[1]

وأخرجه أحمد (٣٦٢/٥) .

قال الترمذى (٢١٦٠) :

حدثنا بندار حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا ابن أبى ذئب حدثنا عبد الله بن السائب ابن يزيد عن أبيه عن جده قال : قال رسولُ الله ﷺ « **لا يأخذ أحدكم عصا أخيه لاعباً أو جاداً**[2] **فمن أخذ عصا أخيه فليردها إليه** » .

صحيح

---

(١) ولا يشوب إسناده شيء إلا عنعنة الأعمش ولا نراها تضر هاهنا لأنه صرح بالواسطة بينه وبين ابن أبى ليلى . والله أعلم .
ثم إن جهالة الصحابة لا تضر فكلهم عدول . وبالله التوفيق .

(٢) قال الخطابى رحمه الله (كما نقل عنه فى عون المعبود ٣٤٦/١٣) : معناه أن يأخذه على وجه الهزل وسبيل المزاح ثم يحبسه عنه ولا يرده فيصير ذلك جداً .
وقال صاحب العون : وجه النهى عن الأخذ جاداً ظاهر لأنه سرقة ، وأما النهى عن الأخذ لعباً فلأنه لا فائدة فيه بل قد يكون سبباً لإدخال الغيظ والأذى على صاحب المتاع . =

أخرجه أبو داود (٥٠٠٣) وأحمد (٢٢١/٤) والبيهقى (٩٢/٦) والبخارى فى الأدب المفرد (٢٤١) .

النهى عن الإشارة بالسلاح إلى المسلمين

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٧٢) .

حدثنا محمد أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن همام سمعت أبا هريرة عن النبى ﷺ قال « **لا يُشير أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزغ فى يديه**[1] **فيقع فى حفرة من** ....

= قلت : وفى رواية للترمذى (لاعباً جاداً) قال المباركفورى (تحفة الأحوذى ٣٧٩/٦) قوله (لا يأخذ) بصيغة النهى وقيل بالنفى (عصا أخيه) يعنى مثلاً ، وفى رواية أبى داود لا يأخذن أحدكم متاع أخيه (لاعباً جاداً) حالان من فاعل يأخذ ، وإن ذهب إلى أنهما مترادفتان تناقضتا ، وإن ذهب إلى التداخل صح ، ذكره الطيبى رحمه الله .

قال القارى : يعنى ويكون حالاً من الأول ، لكن الظاهر أن الحال الثانية مقدرة حتى لا يلزم التناقض سواء كانتا مترادفتين أو متداخلتين إلا أن يحمل الأول على ظاهر الأمر والثانى على باطنه أى لاعباً ظاهراً جاداً باطناً أى يأخذ على سبيل الملاعبة ، وقصده فى ذلك إمساكه لنفسه لئلا يلزم اللعب والجد فى زمن واحد ، ولذا قال المظهر معناه أن يأخذ على وجه الدّلِ وسبيل المزاح ثم يحبسها عنه ولا يرده فيصير ذلك جداً . وفى شرح السنة عن أبى عبيد هو أن يأخذ متاعه لا يريد سرقته إنما يريد إدخال الغيظ عليه فهو لاعب فى السرقة جاد فى إدخال الغيظ والروع والأذى عليه انتهى . وينصر الأول قوله « **فمن أخذ عصا أخيه فليردها إليه** » قال التوربشتى رحمه الله : وإنما ضرب المثل بالعصا لأنه من الأشياء التافهة التى لا يكون لها كبير خطر عند صاحبها ليعلم أن ما كان فوقه فهو بهذا المعنى أحق وأجدر .

(١) قال النووى رحمه الله (٤٧٦/٥) : « **ولعل الشيطان ينزع** » ضبطناه بالعين =

النار »[1]

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٦١٧) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٦١٦) :

حدثنى عمرو الناقد وابن أبى عمر . قال عمرو حدثنا سفيان بن عيينة[2] عن أيوب عن ابن سيرين سمعت أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم ﷺ : « **من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه** » .

صحيح

وأخرجه الترمذى (٢١٦٢) وعزاه المزى للنسائى .

= المهملة ، وكذا نقله القاضى عن جميع روايات مسلم ، وكذا هو فى نسخ بلادنا ، ومعناه يرمى فى يده ويحقق ضربته ورميته ، وروى فى غير مسلم بالغين المعجمة وهو بمعنى الإغراء أى يحمل على تحقيق الضرب به ويزين ذلك . وقال الحافظ فى الفتح (١٣/٢٥) .

المراد أنه يغرى بينهم حتى يضرب أحدهما الآخر بسلاحه فيحقق الشيطان ضربته له .

(١) قال الحافظ فى الفتح (١٣/٢٥) : هو كناية عن وقوعه فى المعصية التى تفضى به إلى دخول النار .

(٢) وقد أشار ابن أبى حاتم فى العلل (٢/٤١٠) إلى أن حماد بن زيد روى هذا الحديث عن يونس وأيوب عن محمد عن أبى هريرة موقوفاً وصحح أبو حاتم الرازى المسند .

وورد هذا الحديث من طريق أبى سلمة عن أبى هريرة وهذه الرواية فيها وهم (أعنى رواية أبى سلمة) .

انظر العلل (٢/٤٢٠) .

النهى عن تعاطى السيف مسلولاً

قال أبو داود رحمه الله (٢٥٨٨) :

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن أبى الزبير عن جابر أن النبى ﷺ نهى أن يتعاطى السيف مسلولاً[١] .

صحيح[٢]

وأخرجه الترمذى (٢١٦٣) .

قال ابن حبان رحمه الله (موارد الظمآن ١٨٥٤) :

أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى حدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج قال أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول : إن النبى ﷺ مرّ على قوم يتعاطون سيفاً بينهم مسلولاً فقال **«ألم أزجركم عن هذا؟ ليغمده ثم يناوله أخاه »**.

صحيح

---

(١) مسلولاً : أى خارجاً من غمده .

(٢) وإن كان فى إسناده أبو الزبير وهو محمد بن مسلم المكى مدلس وقد عنعن لكن للحديث شاهد عند أحمد (٥/٤١ - ٤٢) قال أحمد ثنا أبو النضر وعفان قالا حدثنا المبارك عن الحسن عن أبى بكرة - قال عفان فى حديثه ثنا المبارك قال سمعت الحسن يقول أخبرنى أبو بكرة قال أتى رسول الله ﷺ على قوم يتعاطون سيفاً مسلولاً فقال « **لعن الله من فعل هذا ، أو ليس قد نهيت عن هذا ثم قال إذا سل أحدكم سيفه فنظر إليه فأراد أن يناوله أخاه فليغمده ثم يناوله إياه**».
قال الحافظ فى الفتح (١٣/٢٥) . قال ابن العربى إذا استحق الذى يشير بالحديدة اللعن فكيف الذى يصيب بها ؟ وإنما يستحق اللعن إذا كانت إشارته تهديداً سواء كان جاداً أم لاعباً ، وإنما أوخذ اللاعب لما أدخله على أخيه من الروع ، ولا يخفى أن إثم الهازل دون إثم الجاد ، وإنما نهى عن تعاطى السيف مسلولاً لما يخاف من الغفلة عند التناول فيسقط فيؤذى .

ومن حفاظ رسول الله ﷺ على أمته

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٧٣) :

حدثنا علىّ بن عبد الله حدثنا سفيان قال قلت لعمرو : يا أبا محمد : سمعت جابر بن عبد الله يقول مر رجل بسهام فى المسجد فقال له رسول الله ﷺ : « **أمسك بنصالها**[١] ، **قال نعم** »[٢] .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٦١٤) والنسائى (٤٩/٢) وابن ماجه (٣٧٧٧) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٧٥) :

حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن بريد عن أبى بردة عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : « **إذا مر أحدكم فى مسجدنا – أو فى سوقنا – ومعه نبلٌ فليمسك على نصالها** – أو قال **فليقبض بكفه أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشىءٍ** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٦١٥)[٣] وأبو داود (٢٥٨٧) وابن ماجه (٣٧٧٨) .

---

(١) النصل هو حديدة السهم .

(٢) وفى رواية فى الصحيح أيضاً أن رجلاً مرَّ فى المسجد بأسهمٍ قد بدا نصولها فأمر أن يأخذ بنصولها لا يخدش مسلماً .

(٣) وفى لفظ لمسلم « **إذا مرَّ أحدكم فى مجلس أو سوق وبيده نبل فليأخذ بنصالها ثم ليأخذ بنصالها ثم ليأخذ بنصالها** » قال فقال أبو موسى : والله ما متنا حتى سددناها بعضنا فى وجوه بعض .

التحذير من حمل السلاح على المسلمين
حديث ابن عمر رضى الله عنهما

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٧٠) :

حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **من حمل علينا[١] السلاح فليس منا** »[٢] .

صحيح

وأخرجه مسلم (٩٨) والنسائى (١١٧/٧) .

---

(١) أى من حمل السلاح على المسلمين لقتالهم بغير وجه حق ، وفيه دليل على تحريم قتال المسلمين .

(٢) قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ص ٩٢/١) : ومعناه عند أهل العلم أنه ليس ممن اهتدى بهدينا واقتدى بعلمنا وعملنا وحسن طريقتنا كما يقول الرجل لولده إذا لم يرض فعله : لست منى ، وهكذا القول فى كل الأحاديث الواردة بنحو هذا القول كقوله ﷺ : « **من غش فليس منا** » .
وقال ص٢٩٨ ما حاصله : وقاعدة مذهب أهل السنة والفقهاء هى أن من حمل السلاح على المسلمين بغير حق ولا تأويل ولم يستحله فهو عاص ولا يكفر بذلك فإن استحله كفر ، فأما تأويل الحديث فقيل هو محمول على المستحل بغير تأويل فيكفر ويخرج من الملة ، وقيل معناه ليس على سيرتنا الكاملة وهدينا ، وكان سفيان بن عيينة رحمه الله يكره قول من يفسره بليس على هدينا ويقول بئس هذا القول يعنى بل يمسك عن تأويله ليكون أوقع فى النفوس وأبلغ فى الزجر والله أعلم .
أما الحافظ ابن حجر رحمه الله فقال (فى فتح البارى ٢٤/١٣) قوله « **فليس منا** » أى ليس على طريقتنا أو ليس متبعاً لطريقتنا ، لأن من حق المسلم على =

حديث أبى موسى رضى الله عنه

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٧١) :

حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن بريد عن أبى بردة عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : « **من حمل علينا السلاح فليس منا** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٠٠) والترمذى (١٤٥٩) وقال حديث حسن صحيح ، وابن ماجه (٢٥٧٧) .

حديث سلمة بن الأكوع رضى الله عنه

قال الإمام مسلم رحمه الله (٩٩) :

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وابن نمير قالا : حدثنا مصعب (وهو ابن المقدام) حدثنا عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة عن أبيه عن النبى ﷺ قال : « **من**

= المسلم أن ينصره ويقاتل دونه لا أن يرعبه بحمل السلاح عليه لإرادة قتاله أو قتله ونظيره « **من غشنا فليس منا** » ، « **وليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب** » وهذا فى حق من لا يستحل ذلك ، فأما من يستحله فإنه يكفر باستحلال المحرم بشرطه لا مجرد حمل السلاح ، والأولى عند كثير من السلف إطلاق لفظ الخبر من غير تعرض لتأويله ليكون أبلغ فى الزجر ، وكان سفيان بن عيينة ينكر على من يصرفه عن ظاهره فيقول (معناه ليس على طريقتنا) ويرى أن الإمساك عن تأويله أولى لما ذكرناه ، والوعيد المذكور لا يتناول من قاتل البغاة من أهل الحق فيحمل على البغاة وعلى من بدأ بالقتال ظالماً .

سل علينا السيف فليس منا » .

صحيح

حديث أبى هريرة رضى الله عنه

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٠١) :

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب (وهو ابن عبد الرحمن القارىء) ح وحدثنا أبو الأحوص محمد بن حيان حدثنا ابن أبى حازم كلاهما عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **من حمل علينا السلاح فليس منا ، ومن غشنا فليس منا** » .

صحيح

وأخرجه ابن ماجه (٢٥٧٥) .

وصية الرسول لأمته بعدم الاقتتال فيما بينها

قال ابن ماجه رحمه الله (٣٩٤٤) :

حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير ثنا أبى ومحمد بن بشر قالا ثنا إسماعيل عن قيس[١] عن الصنابح الأحمسى قال رسول الله ﷺ « **ألا إنى فرطكم[٢] على**

---

(١) وقد روى هذا الحديث من طريق مجالد عن قيس عن الصنابحى مرفوعاً ، وهذا وهم إنما هو الصنابح الأحمسى ، ابن الأعسر ، وقد رجح ذلك أبو حاتم فى العلل (٢/٤١٠) .

(٢) الفرط هو المتقدم والسابق .

الحوض ، وإنى مكاثر بكم الأمم فلا تقتلن بعدى » .

صحيح

وأخرجه أحمد (٤/٣٤٩) .

* * *

الترهيب من قتل المسلم بغير حق[1]

والتحذير من فتن القتل والقتال بين المسلمين .

قال الله تعالى : ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها[2] وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً** ﴾ .

النساء (٩٣)

وقال سبحانه ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ، إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يُبدل الله سيئاتهم حسناتٍ وكان الله غفوراً رحيماً** ﴾ .

الفرقان (٦٨ – ٧٠)

* * *

(١) أوردنا هنا بعض الآيات والأحاديث فقط ، ليس على سبيل الاستقصاء ، وإنما ما يحصل به المراد ويليق بالمقام فى أبواب الفتن . ولمزيد انظر تفسير ابن كثير (٥٣٤/١) والصحيح المسند من الأحاديث القدسية (تأليفى) .

(٢) من المعلوم أن رأى جمهور أهل السنة على أن لقاتل النفس توبة ، وأنه يسرى عليه ما يسرى على أهل التوحيد إذا لم يكن مستحلاً ، ولهم على ذلك جملة أدلة منها الآية التالية (آية الفرقان) ومنها حديث قاتل التسعة وتسعين نفساً وغير ذلك من الأدلة .

قال البخارى رحمه الله (مع الفتح ٤٧/١٣) :

وقال ابن عيينة عن خلف بن حوشب :

كانوا يستحبون أن يتمثلوا بهذه الأبيات عند الفتن

قال امرؤ القيس[1] :

الحرب أول ما تكون فتية تسعى بزينتها لكل جهول

حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ولت عجوزاً غير ذات حليل

شمطاء ينكر لونها وتغيرت مكروهة للشم والتقبيل

* * *

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (٤٩/١٣) : والمحفوظ أن الأبيات المذكورة لعمرو بن معديكرب الزبيدى كما جزم به أبو العباس المبرد فى الكامل . وكذا رويناه فى كتاب الغرر من الأخبار لأبى بكر حمد بن خلف القاضى المعروف بوكيع قال : حدثنا معدان بن علىّ حدثنا عمرو بن محمد الناقد حدثنا سفيان بن عيينة عن خلف بن حوشب قال قال عمرو بن معديكرب ، وبذلك جزم السهيلى فى (الروض) ووقع لنا موصولاً من وجه آخر وفيه زيادة رويناه فى (فوائد الميمون بن حمزة المصرى) عن الطحاوى فيما زاده فى السنن التى رواها عن المزنى عن الشافعى فقال « حدثنا المزنى حدثنا الحميدى عن سفيان عن خلف بن حوشب قال قال عيسى بن مريم للحواريين : كما ترك لكم الملوك الحكمة فاتركوا لهم الدنيا » وكان خلف بن حوشب يقول ينبغى للناس أن يتعلموا هذه الأبيات فى الفتنة .

قال النسائى رحمه الله (٨٣/٧) :

أخبرنا الحسن بن إسحاق المروزى - ثقة - حدثنى خالد بن خداش قال : حدثنا حاتم بن إسماعيل عن بشير بن المهاجر عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ : « **قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا** » .

صحيح لغيره[1]

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٨٦٢) :

حدثنا علىّ حدثنا إسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « **لن يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً** » .

صحيح

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٨٦٤) :

حدثنا عبيد الله بن موسى عن الأعمش عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود

---

(١) ففى إسناده بشير بن المهاجر فيه كلام ، إلا أن للحديث شاهداً عند النسائى (٨٢/٧) والترمذى (١٣٩٥) من طريق ابن أبى عدى عن شعبة عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال « **لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم** » ،. وهذا إسناد صحيح . إلا أنه اختلف فى رفعه ووقفه فرواه محمد بن جعفر عن شعبة عن يعلى عن أبيه عن عبد الله بن عمرو موقوفاً ، ورجح الترمذى رحمه الله الموقوف .

وللحديث شاهد آخر عند ابن ماجه (٢٦١٩) من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه مرفوعاً .

وبالجملة فالحديث يرتقى بمجموع طرقه للصحة والله أعلم .

قال : قال النبيُّ ﷺ : « **أول ما يقضى بين الناس فى الدماء** »[١] .

صحيح[٢]

وأخرجه مسلم (١٦٧٨) والترمذى (١٣٩٦ و ١٣٩٧) وقال حديث عبد الله حديث حسن صحيح ، وهكذا روى غير واحد عن الأعمش مرفوعاً ، وروى بعضهم عن الأعمش و لم يرفعوه . ، وأخرجه النسائى (٨٣/٧) موقوفاً ومرفوعاً . ، وابن ماجه (٢٦١٥) .

قال أبو داود رحمه الله (٤٢٧٠) :

حدثنا مؤمل بن الفضل الحرانى ، حدثنا محمد بن شعيب عن خالد بن دهقان قال : كنا فى غزوة القسطنطينية بذُلُقْية[٣] فأقبل رجلٌ من أهل فلسطين من أشرافهم وخيارهم يعرفون ذلك له يقال له هانىء بن كلثوم بن شريك الكنانى فسلم على عبد الله بن أبى زكرياء وكان يعرف له حقه ، قال لنا خالد فحدثنا عبد الله بن أبى زكريا قال : سمعت أم الدرداء تقول سمعت أبا الدرداء يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « **كلُّ ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مُشركاً ، أو مؤمن قتل مؤمناً متعمداً** »[٤] فقال هانىء بن كلثوم سمعت محمود بن الربيع

---

(١) وقد ورد حديث (أول ما يحاسب به العبد الصلاة) ووجه الجمع بينه وبين هذا الحديث أن أول ما يحاسب عنه العبد فيما يتعلق بينه وبين ربه من حقوق هو الصلاة ، وأما أول ما يحاسب عنه فيما يتعلق بالحقوق بينه وبين البشر فهو الدماء . والله أعلم . وقد أخرج النسائى (٨٣/٧) كتاب تحريم الدم باب تعظيم الدم حديثاً يجمع بينهما لفظه (أول ما يحاسب به العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس فى الدماء) وهو بهذا الاقتران ضعيف ففى إسناده شريك وهو سىء الحفظ . والله أعلم .

(٢) وانظر علل الدارقطنى (٩٠/٥) إن شئت .

(٣) ذلقية اسم مدينة بالروم قاله صاحب عون المعبود (٣٥١/١١) ، وهى بضم الدال واللام وسكون القاف وفتح الياء التحتية .

(٤) الذى عليه جمهور أهل السنة والجماعة أن توبة القاتل صحيحة كغيره ، وذلك لقول الله تبارك وتعالى ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ ولحديث الرجل الذى قتل تسعة وتسعين نفساً ثم دل على راهب فأتاه فقيل هل لى من توبة قال لا فقتله فأكمل به المائة ثم ذهب إلى آخر =

يُحدث عن عبادة بن الصامت أنه سمعه يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال « **من قتل مؤمناً فاعتبط[1] بقتله لم يقبل الله منه صرفاً** ....

= فقال ومن يحول بينك وبين التوبة .. الحديث وفيه إن ملائكة الرحمة وملائكة العذاب اختصموا فيه فكان مآله فى آخر الأمر إلى ملائكة الرحمة .

ولقول الله تعالى ﴿ **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً** ... ﴾ إلى غير ذلك .

أما هذا الحديث ونحوه فقد حمله بعض أهل السنة على المستحل ، وحمله آخرون أنه ورد على سبيل الزجر والتغليظ ، وقال السندى فى حاشيته على النسائى (٨١/٧) وكأن المراد كل ذنب ترجى مغفرته ابتداء إلا قتل المؤمن فإنه لا يغفر بلا سبق عقوبة ، وإلا الكفر فإنه لا يغفر أصلاً ، وإذا حمل على القتل مستحلاً لا يبقى المقابلة بينه وبين الكفر ثم لابد من حمله على ما إذا لم يتب وإلا فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

قلت : ويمكن أن يقال إن القتل لما كان متعلقاً بحقوق الآدميين فتوقف ذلك على عفو المقتول والله تعالى أعلم .

وعلى كلٍ فليس المجال هنا مجال بسط هذه المسألة إنما ذكرناها فى غاية الاختصار وبالله التوفيق .

(١) فى رواية أبى داود (٤٢٧١) أورد أبو داود بسنده إلى خالد بن دهقان قال سألت يحيى بن يحيى الغسانى عن قوله (**اعتبط بقتله**) قال الذين يقاتلون فى الفتنة فيقتل أحدهم فيرى أنه على هدى لا يستغفر الله يعنى من ذلك .

قال أبو داود : وقال « فاعتبط يصب دمه صباً » .

وقال الخطابى فى معالم السنن (مع عون المعبود ٣٥٣/١١) يريد أنه قتله ظلماً لا عن قصاص .

وفى اللسان (مادة عبط) قال : وفى الحديث من اعتبط مؤمناً قتلاً فإنه قود أى قتله بلا جناية كانت منه ولا جريرة توجب قتله فإن القاتل يقاد به ويقتل وكل من مات بغير علة فقد اعتبط . ثم أورد كلام يحيى بن يحيى الغسانى المتقدم وقال : قال ابن الأثير : وهذا التفسير يدل على أنه من الغبطة بالغين المعجمة =

ولا عدلاً »[1] قال لنا خالد ثم حدثنى ابن أبى زكريا عن أم الدرداء عن أبى الدرداء أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يزال المؤمن معنقاً**[2] **صالحاً ما لم يُصب دماً حراماً فإذا أصاب دماً حراماً بلَّح »**[3] .

صحيح[4]

وحدث هانىء بن كلثوم عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ مثله سواء .

وحديث أبى الدرداء أخرجه ابن حبان (موارد الظمآن ٥١) والحاكم فى المستدرك (٣٥١/٤) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبى صحيح .

= وهى الفرح والسرور وحسن الحال لأن القاتل يفرح بقتل خصمه فإذا كان المقتول مؤمناً وفرح بقتله دخل فى هذا الوعيد .

(١) قال صاحب العون (**صرفاً ولا عدلاً**) قال العلقمى أى نافلة ولا فريضة ، وقيل غير ذلك .

(٢) (معنقاً) قال صاحب العون : بصيغة اسم الفاعل من الإعناق أى خفيف الظهر سريع السير قال الخطابى يريد خفيف الظهر يعنق مشيه أى يسير سير العنق ، والعنق ضرب من السير وسيع ، يقال أعنق الرجل فى سيره فهو معنق .، وقال فى النهاية أى مسرعاً فى طاعته منبسطاً فى عمله ، وقيل أراد يوم القيامة .

(٣) بلَّح قال الخطابى بموحدة وتشديد اللام وحاء مهملة أى أعيا وانقطع .
وقال فى النهاية : يقال بلح الرجل إذا انقطع من الإعياء فلم يقدر أن يتحرك ، وقد أبلحه السير فانقطع به يريد وقوعه فى الهلاك بإصابة الدم الحرام ، وقد يخفف اللام كذا فى مرقاة الصعود . قاله صاحب العون .

(٤) وللحديث شاهد عند النسائى (٨١/٧) وأحمد (٩٩/٤) والحاكم فى المستدرك (٣٥١/٤) من حديث معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه مرفوعاً .

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٨٤٨) :

حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا جرير (يعنى ابن حازم) حدثنا غيلان بن جرير عن أبى قيس بن رياح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال « **من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة فقتل فقتلة جاهلية ، ومن خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفى لذى عهد عهده فليس منى ولست منه** » .

صحيح

وأخرجه النسائى (١٢٣/٧) وابن ماجه (٣٩٤٨) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٨٦٣) :

حدثنى أحمد بن يعقوب حدثنا إسحاق بن سعيد قال سمعت أبى يحدث عن عبد الله بن عمر قال : إن ورطات الأمور التى لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله .

موقوف صحيح

قال الإمام مسلم رحمه الله (٩٧) :

حدثنا أحمد بن الحسن بن خراش حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا معتمر قال سمعت أبى يحدث أن خالداً الأثبج ابن أخى صفوان بن محرز حدث عن صفوان بن محرز أنه حدث أن جندب بن عبد الله البجلى بعث إلى عسعس بن سلامة زمن فتنة ابن الزبير فقال اجمع لى نفراً من إخوانك حتى أحدثهم فبعث رسولاً إليهم فلما اجتمعوا جاء جندب وعليه برنس أصفر فقال تحدثوا بما كنتم تحدثون به حتى دار الحديث فلما دار الحديث إليه حسر البرنس عن رأسه فقال : إنى أتيتكم ولا أريد أن أخبركم عن نبيكم إن رسول الله ﷺ بعث بعثاً من المسلمين إلى قومٍ من المشركين وإنهم التقوا فكان رجلٌ من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجلٍ من المسلمين قصد له فقتله ، وإن رجلاً من المسلمين قصد غفلته . قال وكنا نحدث

أنه أسامةُ بن زيد فلما رفع عليه السيف قال لا إلٰه إلا الله ، **فقتله** فجاء البشير إلى النبى ﷺ فسأله فأخبره حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع . فدعاه فسأله فقال « **لم قتلته ؟** » قال يا رسولَ الله أوجع فى المسلمين وقتل فلاناً وفلاناً وسمى له نفراً ، وإنى حملت عليه فلما رأى السيف قال لا إلٰه إلا الله قال رسولُ الله ﷺ « **أقتلته ؟** » قال نعم قال : « **فكيف تصنع بـ لا إلٰه إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟** » قال يا رسول الله استغفر لى . قال : « **وكيف تصنع بـ لا إلٰه إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟** » قال فجعل لا يزيده على أن يقول « **كيف تصنع بـ لا إلٰه إلا الله إذا جاءت يوم القيامة** » .

صحيح

قال الإمام البخارى رحمه الله (٤٠١٩) :

حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن الزهرى عن عطاء بن يزيد عن عبيد الله بن عدى عن المقداد بن الأسود ح وحدثنى إسحاق حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد حدثنا ابن أخى ابن شهاب عن عمه قال أخبرنى عطاء بن يزيد الليثى ثم الجندعى أن عبيد الله بن عدى بن الخيار أخبره أن المقداد بن عمرو الكندى - وكان حليفاً لبنى زهرة وكان ممن شهد بدراً مع رسول الله ﷺ أخبره أنه قال لرسول الله ﷺ أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يدى بالسيف فقطعها ثم لاذ منى بشجرة فقال أسلمت لله أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها ؟ فقال رسول الله ﷺ « **لا تقتله** » . فقال يا رسول الله إنه قطع إحدى يدى ثم قال ذلك بعد ما قطعها فقال رسول الله ﷺ « **لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التى قال** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٩٥) وأبو داود (٢٦٤٤) وعزاه المزى للنسائى .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٨٧٢) :

حدثنا عمرو بن زرارة حدثنا هشيم حدثنا حصين حدثنا أبو ظبيان قال سمعت أسامة بن زيد بن حارثة رضى الله عنهما يحدث قال : بعثنا رسولُ الله ﷺ إلى الحُرَقة من جُهينة قال فصبحنا القوم فهزمناهم قال : ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، قال فلما غشيناه قال : لا إلٰه إلا الله ، قال فكف عنه الأنصارى ، فطعنته برمحى حتى قتلته . قال فلما قدمنا بلغ ذلك النبى ﷺ ، قال فقال لى : « **يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إلٰه إلا الله ؟** » قال قلت يا رسول الله إنما كان متعوذاً ، قال « **قتلته بعد ما قال لا إلٰه إلا الله ؟** » قال فما زال يكررها علىَّ حتى تمنيتُ أنى لم أكن أسلمتُ قبل ذلك اليوم .

صحيح

وأخرجه مسلم (٩٦) وأبو داود (٢٦٤٣) وعزاه المزى للنسائى .

قول النبى ﷺ « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٧٦) :

حدثنا عمر بن حفص حدثنى أبى حدثنا الأعمش حدثنا شقيق[1] قال : قال عبد الله قال النبى ﷺ : « **سبابُ المسلم فسوق وقتاله كفر** »[2] .

صحيح

وأخرجه مسلم (٦٤) والنسائى (١٢٢/٧) وابن ماجه (٦٩) .

---

(١) وقد روى هذا الحديث بذكر واسطة بين شقيق وعبد الله وهو مسروق ، وقال الدارقطنى فى العلل (٢٥٩/٥) والصحيح قول من لم يذكر مسروقاً .

(٢) قال الحافظ فى الفتح (١١٢/١) : إن قيل هذا وإن تضمن الرد على المرجئة لكن ظاهره يقوى مذهب الخوارج الذين يكفرون بالمعاصى ، فالجواب : إن المبالغة =

= فى الرد على المبتدع اقتضت ذلك ولا متمسك للخوارج فيه لأن ظاهره غير مراد ، لكن لما كان القتال أشد من السباب - لأنه مفض إلى إزهاق الأرواح - عبر عنه بلفظ أشد من لفظ الفسق وهو الكفر ، ولم يرد حقيقة الكفر التى هى الخروج عن الملة بل أطلق عليه الكفر مبالغة فى التحذير ، معتمداً على ما تقرر من القواعد أن مثل ذلك لا يخرج عن الملة مثل حديث الشفاعة ، ومثل قوله تعالى ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ وقد أشرنا إلى ذلك فى باب المعاصى من أمر الجاهلية ، أو أطلق عليه الكفر لشبهه به ، لأن قتال المؤمن من شأن الكافر ، وقيل المراد هنا الكفر اللغوى وهو التغطية لأن حق المسلم على المسلم أن يعينه وينصره ويكف عنه أذاه ، فلما قاتله كان كأنه غطى على هذا الحق والأولان أليق بمراد المصنف وأولى بالمقصود من التحذير من فعل ذلك والزجر عنه بخلاف الثالث وقيل أراد بقوله كفر أى قد يؤول هذا الفعل بشؤمه إلى الكفر ، وهذا بعيد ، وأبعد منه حمله على المستحل لذلك لأنه لا يطابق الترجمة ، ولو كان مراداً لم يحصل التفريق بين السباب والقتال فإن مستحل لعن المسلم بغير تأويل يكفر أيضاً ، ثم ذلك محمول على من فعله بغير تأويل ، ومثل هذا الحديث قوله ﷺ « **لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض** » ففيه هذه الأجوبة ، وسيأتى فى كتاب الفتن ، ونظيره قوله تعالى ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض** ﴾ بعد قوله تعالى ﴿ **ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم** ﴾ الآية ، فدل على أن بعض الأعمال يطلق عليه الكفر تغليظاً ، وأما قوله ﷺ فيما رواه مسلم « **لعن المسلم كقتله** » فلا يخالف هذا الحديث لأن المشبه به فوق المشبه ، والقدر الذى اشتركا فيه بلوغ الغاية فى التأثير ، هذا فى العِرض ، وهذا فى النفس والله أعلم .

● وأورد النووى هذا الكلام ملخصاً (٢٥٢/١) فقال : وأما قتاله بغير حق فلا يكفر به عند أهل الحق كفراً يخرج به من الملة كما قدمناه فى مواضع كثيرة إلا إذا استحله ، فإذا تقرر هذا فقيل فى تأويل الحديث أقوال أحدها أنه فى =

قول النبى ﷺ « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض »

حديث أبى بكرة رضى الله عنه

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٧٨) :

حدثنا مسدد حدثنا يحيى حدثنا قرة بن خالد حدثنا ابن سيرين عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبى بكرة ، وعن رجل آخر هو أفضل فى نفسى من عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبى بكرة أن رسولَ الله ﷺ خطب الناس فقال : « **ألا تدرون أى يوم هذا ؟** قالوا اللّهُ ورسوله أعلم قال حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه – فقال **أليس بيوم النحر ؟** قلنا بلى يا رسول الله قال **أىُّ بلدٍ هذه ؟ أليست بالبلدة الحرام ؟** قلنا بلى يا رسول الله ، قال **فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟** قلنا نعم قال **اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب ، فإنه رب مبلغ يبلغه من هو أوعى له فكان كذلك ، قال لا ترجعوا بعدى كُفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض** »[1]

= المستحل . الثانى : أن المراد كفر الإحسان والنعمة وأخوة الإسلام لا كفر الجحود . الثالث : أنه يؤول إلى الكفر بشؤمه . الرابع : أنه كفعل الكفار والله أعلم .

ثم إن الظاهر من قتاله المقاتلة المعروفة ، قال القاضى : ويجوز أن يكون المراد المشادة والمدافعة والله أعلم .

(١) قال النووى رحمه الله (٢٥٤/١) : قيل فى معناه سبعة أقوال أحدها أن ذلك كفر فى حق المستحل بغير حق ، والثانى : المراد كفر النعمة وحق الإسلام ، =

فلما كان يوم حُرق ابن الحضرمى[1] حين حرقه جارية بن قدامة قال

= والثالث : أنه يقرب من الكفر ويؤدى إليه .
ـــ قال الحافظ فى الفتح (٢٧/١٣) : لأن من اعتاد الهجوم على كبار المعاصى جره شؤم ذلك إلى أشد منها فيخشى ألا يختم له بخاتمة الإسلام . ثم قال النووى رحمه الله :
والرابع : أنه فعل كفعل الكفار ، والخامس : المراد حقيقة الكفر ، ومعناه لا تكفروا بل دوموا مسلمين ، والسادس : حكاه الخطابى وغيره أن المراد بالكفار المتكفرون بالسلاح يقال تكفر الرجل بسلاحه إذا لبسه ، قال الأزهرى فى كتابه (تهذيب اللغة) يقال للابس السلاح كافر . والسابع : قاله الخطابى معناه لا يكفر بعضكم بعضاً فتستحلوا قتال بعضكم بعضاً .
وأورد الحافظ ابن حجر نحو هذه الأقوال (فى الفتح ١٩٤/١٢) وزاد : ثامنها لا يكفر بعضكم بعضاً كأن يقول أحد الفريقين للآخر يا كافر فيكفر أحدهما ، وأورد الحافظ أن الخوارج حملت هذا الحديث على ظاهره .
وقال هناك أيضاً قال الداودى : معناه لا تفعلوا بالمؤمنين ما تفعلون بالكفار ، ولا تفعلوا بهم ما لا يحل وأنتم ترونه حراماً .

(١) قال الحافظ فى الفتح (٢٨/١٣) : وابن الحضرمى فيما ذكره العسكرى اسمه عبد الله بن عمرو بن الحضرمى وأبوه عمرو هو أول من قتل من المشركين يوم بدر ، وعلى هذا فلعبد الله رؤية ، وقد ذكره بعضهم فى الصحابة ففى الاستيعاب : قال الواقدى ولد على عهد رسول الله ﷺ وروى عن عمر ، وعند المدائنى أنه عبد الله بن عامر الحضرمى ، وهو ابن عمرو المذكور ، والعلاء بن الحضرمى الصحابى المشهور عمه . ثم ذكر الحافظ ابن حجر القول المعتمد عنده فى قصة قتل ابن الحضرمى هذا فقال : وذكر الطبرى فى حوادث سنة ثمان وثلاثين من طريق أبى الحسن المدائنى ، وكذا أخرجه عمر بن شبه فى (أخبار البصرة) أن عبد الله بن عباس خرج من البصرة وكان عاملها لعلى ، واستخلف زياد بن سمية على البصرة ، فأرسل معاوية عبد الله بن عمرو بن الحضرمى ليأخذ له البصرة فنزل فى بنى تميم وانضمت إليه العثمانية فكتب زياد إلى علىّ يستنجده =

أشرفوا على أبى بكرة . فقالوا هذا أبو بكرة يراك ، قال عبد الرحمن فحدثتنى أمى عن أبى بكرة أنه قال : لو دخلوا على ما بهشت[1] بقصبةٍ .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٦٧٩) وعزاه المزى للنسائى .

حديث جرير رضى الله عنه

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٨٠) :

حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن علىّ بن مدرك سمعت أبا زرعة بن عمرو بن جرير عن جدِّه جرير قال : قال لى رسولُ الله ﷺ فى حجة الوداع : استنصت[2] الناسَ : ثم قال : « **لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعضٍ** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٦٥) وابن ماجه (٣٩٤٢) وعزاه المزى للنسائى .

= فأرسل إليه أعين بن ضبيعة المجاشعى فقتل غيلة فبعث علىٌّ بعده جارية بن قدامة فحصر ابن الحضرمى فى الدار التى نزل فيها ثم أحرق الدار عليه وعلى من معه ، وكانوا سبعين رجلاً أو أربعين وأنشد فى ذلك أشعاراً ، وهذا هو المعتمد .

(١) ما بهشت أى ما دافعتهم يقال بهش بعض القوم إلى بعض أى تراموا للقتال قاله الحافظ فى الفتح وقال : وكأنه قال ما مددت يدى إلى قصبة ولا تناولتها لأدافع بها عنى .

(٢) أى مرهم بالإنصات ليسمعوا هذه الأمور المهمة ، والقواعد التى سأقررها لكم وأحملكموها .

حديث ابن عباس رضى الله عنهما

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٧٩) :

حدثنا أحمد بن إشكاب حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال النبى ﷺ : « **لا ترتدوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض** » .

صحيح

وأخرجه الترمذى (٢١٩٣) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

حديث ابن عمر رضى الله عنهما

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٨٦٨) :

حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة قال واقد بن عبد الله[1] أخبرنى عن أبيه سمع

---

(١) واقد بن عبد الله كذا هى فى البخارى وفى مسلم واقد بن محمد . قال الحافظ فى الفتح (١٢/١٩٤) .
وواقد هذا قال أبو ذر فى روايته كذا وقع هنا واقد بن عبد الله والصواب واقد بن محمد .
قلت : (القائل هو الحافظ) وهو كذلك لكن لقوله واقد بن عبد الله توجيه وهو أن يكون الراوى نسبه لجده الأعلى عبد الله بن عمر فإنه واقد بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر ، والذى نسبه كذلك أبو الوليد شيخ البخارى فيه فقد أخرجه أبو داود فى السنن عن أبى الوليد كذلك ، وتقدم للمصنف فى الأدب من رواية خالد بن الحارث عن شعبة على الحقيقة فقال (عن واقد بن محمد) إلى آخر ما قاله الحافظ رحمه الله .

عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ قال : « **لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعضٍ** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٦٦) وأبو داود (٤٦٨٦) والنسائى (١٢٦/٧) وابن ماجه (٣٩٤٣) .

قول النبى ﷺ « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار »

قال الإمام البخارى رحمه الله (حديث ٣١) :

حدثنا عبد الرحمن بن المبارك حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب ويونس عن الحسن[١] عن الأحنف بن قيس قال ذهبت لأنصر هذا الرجل فلقينى أبو بكرة فقال : أين تريد قلت : أنصر هذا الرجل قال : ارجع فإنى سمعت رسولَ الله ﷺ يقول « **إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتلُ والمقتولُ فى النار** » فقلت : يا رسولَ الله هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال « **إنه كان حريصاً على قتل صاحبه** »[٢] .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٨٨٨) وأبو داود (٤٢٦٨) والنسائى (١٢٥/٧) .

---

(١) وقد روى هذا الحديث عن الحسن عن أبى بكرة - بدون ذكر الأحنف - ورجح الدارقطنى فى العلل (١٦٢/٧ - ١٦٤) رواية من أثبت الأحنف فى السند .

(٢) قال الحافظ ابن حجر (فتح البارى ٣٣/١٣ - ٣٤) : وذهب جمهور الصحابة والتابعين إلى وجوب نصر الحق وقتال الباغين وحمل هؤلاء الأحاديث الواردة فى ذلك على من ضعف عن القتال أو قصر نظره عن معرفة صاحب الحق ، واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا فى تلك الحروب إلا عن =

ما العمل مع أمراء الجور

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٨٤٦) :

حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب عن علقمة بن وائل الحضرمى عن أبيه قال : سأل سلمةُ بن يزيد الجعفى رسولَ الله ﷺ فقال يا نبىَّ الله : أرأيتَ إن قامت علينا أُمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه ، ثم سألهُ فأعرض عنه ثم سأله فى الثانية أو الثالثة فجذبه الأشعثُ بن قيس ، وقال[1] « **اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ماحملوا وعليكم ما حملتم** » .

صحيح

وأخرجه الترمذى (٢١٩٩) وقال هذا حديث حسن صحيح .

= اجتهاد ، وقد عفا الله تعالى عن المخطىء فى الاجتهاد بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً وأن المصيب يؤجر أجرين .

وحمل هؤلاء الوعيد المذكور فى الحديث على من قاتل بغير تأويل سائغ بل بمجرد طلب الملك .

ونقل الحافظ رحمه الله عن الطبرى قوله : لو كان الواجب فى كل اختلاف يقع بين المسلمين الهرب منه بلزوم المنازل وكسر السيف لما أقيم حد ولا أبطل باطل ، ولوجد أهل الفسوق سبيلاً إلى ارتكاب المحرمات من أخذ الأموال وسفك الدماء وسبى الحريم بأن يحاربوهم ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا هذه فتنة وقد نهينا عن القتال فيها وهذا مخالف للأمر بالأخذ على أيدى السفهاء .

(١) فى رواية فى مسلم : فقال رسول الله ﷺ « **اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم** » .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٥٢) :

حدثنا مسدد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا الأعمش حدثنا زيد بن وهب قال سمعت عبد الله قال قال لنا رسول الله ﷺ : « **إنكم سترون بعدى أثرة**[١] **وأموراً تُنكرونها**[٢] » . قالوا فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال « **أدُّوا إليهم**[٣] **حقهم**[٤] ، **وسلوا الله حقكم** »[٥] .

صحيح

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (٥٢/٨) أثرة بضم الهمزة وسكون المثلثة وبفتحتين ، ويجوز كسر أوله مع الإسكان أى الانفراد بالشىء المشترك دون من يشركه فيه ، وفى رواية الزهرى « أثرة شديدة » والمعنى أنه يستأثر عليهم بما لهم فيه اشتراك فى الاستحقاق ، وقال أبو عبيد : معناه يفضل نفسه عليكم فى الفىء ، وقيل المراد بالأثرة الشدة ، ويرده سياق الحديث وسببه .

(٢) يعنى من أمور الدين .

(٣) أى إلى الأمراء .

(٤) أى الذى وجب لهم المطالبة به وقبضه سواء كان يختص بهم أو يعم . قاله الحافظ (فتح ٦/١٣) وقال أيضاً : ووقع فى رواية الثورى « **تؤدون الحق الذى عليكم** » أى بذل المال الواجب فى الزكاة والنفس فى الخروج إلى الجهاد عند التعيين ونحو ذلك .

(٥) قال الحافظ فى الفتح (٦/١٣) قوله « **وسلوا الله حقكم** » فى رواية الثورى « **وتسألون الله الذى لكم** » أى بأن يلهمهم إنصافكم أو يبدلكم خيراً منهم ، وهذا ظاهره العموم فى المخاطبين ، ونقل ابن التين عن الداودى أنه خاص بالأنصار ، ولا يلزم من مخاطبة الأنصار بذلك أن يختص بهم فإنه يختص بهم بالنسبة إلى المهاجرين ، ويختص ببعض المهاجرين دون بعض ، فالمستأثر من يلى الأمر ، ومن عداه هو الذى يستأثر عليه ، ولما كان الأمر يختص بقريش ولا حظ للأنصار فيه خوطب الأنصار بأنكم ستلقون أثرة ، وخوطب الجميع بالنسبة لمن يلى الأمر ففى حديث يزيد بن سلمة الجعفى عند الطبرانى أنه قال يا رسول الله إن كان علينا أمراء يأخذون بالحق الذى علينا ويمنعونا الحق الذى =

وأخرجه مسلم (١٨٤٣) والترمذى (٢١٩٠) وقال هذا حديث حسن صحيح .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ص ١٤٧٦) :

وحدثنى محمد بن سهل بن عسكر التميمى حدثنا يحيى بن حسان ح وحدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى أخبرنا يحيى (وهو ابن حسان) حدثنا معاوية (يعنى ابن سلام) حدثنا زيد بن سلام عن أبى سلام قال قال حذيفة بن اليمان قلت يا رسول الله : إنا كنا بشرٍ فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير شرٌ ؟ قال « **نعم** » قلت هل وراء ذلك الشر خيرٌ ؟ قال « **نعم** » قلت فهل وراء ذلك الخير شرٌ ؟ قال « **نعم** » قلت كيف ؟ قال « **يكون بعدى أئمةٌ لا يهتدون بهُداى ، ولا يستنون بسنتى ، وسيقوم فيهم رجالٌ قلوبهم قلوبُ**

= لنا أنقاتلهم ؟ قال « **لا عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم** »[(١)] وأخرج مسلم من حديث أم سلمة مرفوعاً سيكون أمراء فيعرفون وينكرون فمن كره برئ ومن أنكر سلم ، ولكن من رضى وتابع . قالوا أفلا نقاتلهم ؟ قال « **لا ما صلوا** » ومن حديث عوف بن مالك رفعه فى حديث فى هذا المعنى قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ قال « **لا ما أقاموا الصلاة** » ، وفى رواية له (بالسيف) وزاد « **وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة** » وفى حديث عمر فى مسنده للإسماعيلى من طريق أبى مسلم الخولانى عن أبى عبيدة بن الجراح عن عمر رفعه قال « **أتانى جبريل فقال إن أمتك مفتتنة من بعدك فقلت : من أين ؟ قال من قبل أمرائهم وقرائهم ، يمنع الأمراء الناس الحقوق فيطلبون حقوقهم فيفتنون ، ويتبع القراء هؤلاء الأمراء فيفتنون . قلت كيف يسلم من سلم منهم ؟ قال بالكف والصبر إن أعطوا الذى لهم أخذوه وإن منعوه تركوه** » .

---

(١) الحديث ورد بنحوه عند مسلم أيضاً وسيأتى .

الشياطين فى جُثمان إنس » قال قلت : كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟ قال « **تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع** » .

مرسل[1]

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٥٥) :

حدثنا إسماعيل حدثنى ابن وهب عن عمرو عن بكير عن بُسر بن سعيد عن جنادة بن أبى أمية قال دخلنا على عُبادة بن الصامت وهو مريض قلنا أصلحك الله ، **حدِّث بحديثٍ ينفعك الله به سمعته من النبى ﷺ** قال : دعانا النبى ﷺ **فبايعناه فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعُسرنا ويُسرنا وأثرةٍ علينا وأن لا ننازع الأمر[2] أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً[3] عندكم من الله فيه** ....

(١) قال النووى رحمه الله (٥١٥/٤) : قال الدارقطنى : هذا عندى مرسل لأن أبا سلام لم يسمع حذيفة وهو كما قال الدارقطنى ، لكن المتن صحيح متصل بالطريق الأول وإنما أتى مسلم بهذا متابعة كما ترى ، وقد قدمنا فى الفصول وغيرها أن الحديث المرسل إذا روى من طريق آخر متصلاً تبينا به صحة المرسل ، وجاز الاحتجاج به ويصير فى المسألة حديثان صحيحان .

كذا قال النووى رحمه الله ، إلا أن الجزء الأخير وهو : وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك ليس له ما يشهد له فى الحديث الأول الذى قدمناه وقدمه مسلم والله أعلم .

هذا ، ولهذا الجزء الأخير شاهد عند ابن حبان (موارد الظمآن ١٥٤٥) من طريق حيان أبى النضر عن جنادة بن أبى أمية عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه مرفوعاً .

(٢) أى أمر الملك والإمارة ، والمراد بأهله هم الملوك والأمراء والخلفاء والحكام .

(٣) قال الحافظ فى الفتح (٨/١٣) قوله (بواحاً) بموحدة ومهملة قال الخطابى : =

برهان[1] .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٧٠٩) .

= معنى قوله (بواحا) يريد ظاهراً بادياً من قولهم باح بالشيء يبوح به بوحاً وبواحاً إذا أذاعه وأظهره وأنكر ثابت فى الدلائل بواحاً وقال : إنما يجوز بوحاً بسكون الواو وبؤاحاً بضم أوله ثم همزة ممدودة ، وقال الخطابى : من رواه بالراء فهو قريب من هذا المعنى ، وأصل البراح الأرض القفراء التى لا أنيس فيها ولا بناء وقيل البراح البيان يقال برح الخفاء إذا ظهر .

وقال النووى فى شرح مسلم (٥٠٦/٤) هكذا هو لمعظم الرواة وفى معظم النسخ (بواحاً) بالواو ، وفى بعضها (براحاً) والباء مفتوحة فيهما ، ومعناه كفراً ظاهراً ، والمراد بالكفر هنا المعاصى ، ومعنى عندكم من الله فيه برهان أى تعلمونه من دين الله تعالى .

(١) قال الحافظ فى الفتح (٨/١٣) قوله (عندكم من الله فيه برهان) أى نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم ما دام فعلهم يحتمل التأويل .

● وقال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٥٠٧/٥) : ومعنى الحديث : لا تنازعوا ولاة الأمور فى ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم ، وقولوا بالحق حيثما كنتم ، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين ، وإن كانوا فسقة ظالمين ، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق ، وأما الوجه المذكور فى كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل ، وحكى عن المعتزلة أيضاً فغلط من قائله مخالف للإجماع . قال العلماء : وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء ، وفساد ذات البين فتكون المفسدة فى عزله أكثر منها فى بقائه .

● قال القاضى عياض : أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر ، وعلى =

= أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل ، قال : كذا لو ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها ، قال : وكذلك عند جمهورهم البدعة ، قال وقال بعض البصريين : تنعقد له وتستدام له لأنه متأول ، قال القاضى فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك ، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر ولا يجب فى المبتدع إلا إذا ظنوا القدرة عليه ، فإن تحققوا العجز لم يجب القيام ، وليهاجر المسلم عن أرضه إلى غيرها ويفر بدينه قال : ولا تنعقد لفاسق ابتداء فلو طرأ على الخليفة فسق قال بعضهم يجب خلعه إلا أن تترتب عليه فتنة وحرب ، وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك بل يجب وعظه وتخويفه للأحاديث الواردة فى ذلك . قال القاضى : وقد ادعى أبو بكر بن مجاهد فى هذا الإجماع وقد رد عليه بعضهم هذا بقيام الحسين وابن الزبير وأهل المدينة على بنى أمية ، وبقيام جماعة عظيمة من التابعين والصدر الأول على الحجاج مع ابن الأشعث ، وتأول هذا القائل قوله : ألا ننازع الأمر أهله فى أئمة العدل ، وحجة الجمهور أن قيامهم على الحجاج ليس بمجرد الفسق ، بل لما غير من الشرع وظاهر من الكفر ، قال القاضى : وقيل إن هذا الخلاف كان أولاً ثم حصل الإجماع على منع الخروج عليهم . والله أعلم .

● وقال الحافظ فى الفتح (١٣/٨) : وقال غير النووى : المراد بالإثم هنا المعصية والكفر فلا يعترض على السلطان إلا إذا وقع فى الكفر الظاهر ، والذى يظهر حمل رواية الكفر على ما إذا كانت المنازعة فى الولاية فلا ينازعه بما يقدح فى الولاية إلا إذا ارتكب الكفر ، وحمل رواية المعصية على ما إذا كانت المعصية فيما عدا الولاية ، فإذا لم يقدح فى الولاية نازعه فى المعصية بأن ينكر عليه برفق ويتوصل إلى تثبيت الحق له بغير عنف ، ومحل ذلك إذا كان قادراً والله أعلم .

● ونقل ابن التين عن الداودىّ قال : الذى عليه العلماء فى أمراء الجور أنه =

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٥٣) :

حدثنا مسدد عن عبد الوارث عن الجعد عن أبى رجاء عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال « **من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان**[١] **شبراً مات ميتةً جاهليةً** »[٢] .

صحيح

= إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب ، وإلا فالواجب الصبر ، وعن بعضهم لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداء فإن أحدث جوراً بعد أن كان عدلاً فاختلفوا فى جواز الخروج عليه ، والصحيح المنع إلا أن يكفر فيجب الخروج عليه .

قلت (القائل مصطفى) كل هذا مقيد بقواعد المفاسد والمصالح المقررة فى الشرع والله أعلم .

وفى هذا الباب بعض الأقوال والمباحث الأخرى ليس هنا محل إيرادها انظر بعضها فى تفسير القرطبى (٢٧١/١) .

(١) فى رواية للبخارى : **فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية** .

(٢) قال الحافظ فى الفتح (٧/١٣) : والمراد بالميتة الجاهلية وهى بكسر الميم حالة الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال وليس له إمام مطاع لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك ، وليس المراد أنه يموت كافراً بل يموت عاصياً ، ويحتمل أن يكون التشبيه على ظاهره ، ومعناه أن يموت مثل موت الجاهلى وإن لم يكن هو جاهلياً ، أو أن ذلك ورد مورد الزجر والتنفير وظاهره غير مراد ، ويؤيد أن المراد بالجاهلية التشبيه قوله فى الحديث الآخر « **من فارق الجماعة شبراً فكأنما خلع ربقة الإسلام من عنقه** » .

● قال ابن بطال : فى الحديث حجة فى ترك الخروج على السلطان ولو جار ، وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه لما فى ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء ، وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده ، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته فى ذلك بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها .

وأخرجه مسلم (ص ١٤٧٨) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٤٥٥) :

حدثنى محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن فرات القزاز قال سمعت أبا حازم قال : قاعدت أبا هريرة خمس سنين ، فسمعته يحدث عن النبى ﷺ قال « **كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبى خلفه نبى ، وإنه لا نبى بعدى ، وسيكون خلفاء فيكثرون . قالوا فما تأمرنا ؟ قال فوا ببيعة الأول فالأول ، أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٨٤٢) وابن ماجه (٢٨٧١) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٨٥٤) :

حدثنا هداب بن خالد الأزدى حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن الحسن عن ضبَّة بن محصن عن أم سلمة أن رسولَ الله قال « **ستكون أُمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برىء[1] ، ومن أنكر سلم ، ولكن من رضى**

---

(١) فى رواية لمسلم من كره فقد سلم . قال النووى رحمه الله : معناه من كره ذلك المنكر فقد برىء من إثمه وعقوبته ، وهذا فى حق من لا يستطيع إنكاره بيده ولا لسانه فليكرهه بقلبه ، وليبرأ وأما من روى (فمن عرف فقد برىء) فمعناه – والله أعلم – فمن عرف المنكر ولم يشتبه عليه فقد صارت له طريق إلى البراءة من إثمه وعقوبته بأن يغيره بيديه أو بلسانه ، فإن عجز فليكرهه بقلبه وقوله ﷺ « **ولكن من رضى وتابع** » معناه ولكن الإثم والعقوبة على من رضى وتابع وفيه دليل على أن من عجز عن إزالة المنكر لا يأثم بمجرد السكوت بل إنما يأثم بالرضى أو بألا يكرهه بقلبه أو بالمتابعة عليه .

وتابع » قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال « **لا : ما صلوا** »[1] .

صحيح

وأخرجه أبو داود (٤٧٦٠) والترمذى (٢٦٦٥) وقال هذا حديث حسن صحيح .

* * *

(١) قال النووى : فيه معنى ما سبق أنه لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرد الظلم أو الفسق ما لم يغيروا شيئاً من قواعد الإسلام .

ما العمل إذا لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام ؟؟؟

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٨٤) :

حدثنا محمد بن المثنى حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن جابر حدثنى بسر بن عبيد الله الحضرمى أنه سمع أبا إدريس الخولانى أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير[(١)] وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى ، فقلت يا رسول الله إنا كنا فى جاهلية وشر[(٢)] فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال « **نعم** » قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال « **نعم وفيه دخن** »[(٣)]. قلت :

---

(١) فى رواية البخارى (٣٦٠٧) : تعلم أصحابى الخير وتعلمت الشر ، وفى رواية ابن أبى شيبة (١٨٩٦١) وأحمد (٣٨٦/٥) وعرفت أن الخير لن يسبقنى .

(٢) قال الحافظ فى الفتح (٣٥/١٣) : يشير بذلك إلى ما كان قبل الإسلام من الكفر وقتل بعضهم بعضاً ونهب بعضهم بعضاً وإتيان الفواحش ، وقوله « **فجاءنا الله بهذا الخير** » يعنى الإيمان والأمن وصلاح الحال واجتناب الفواحش .

(٣) قوله « **وفيه دخن** » قال النووى رحمه الله (٥١٤/٤) قال أبو عبيد وغيره : الدخن بفتح الدال المهملة والخاء المعجمة أصله أن تكون فى لون الدابة كدورة إلى سواد ، قالوا : والمراد هنا ألا تصفو القلوب بعضها لبعض ، ولا يزول خبثها ولا ترجع إلى ما كانت عليه من الصفا .

وقال الحافظ فى الفتح : وهو الحقد وقيل الدغل وقيل فساد فى القلب ومعنى الثلاثة متقارب يشير إلى أن الخير الذى يجىء بعد الشر لا يكون خيراً خالصاً بل فيه كدر ، وقيل المراد بالدخن الدخان ويشير بذلك إلى كدر الحال ، وقيل الدخن كل أمر مكروه ، وقال أبو عبيد يفسر المراد بهذا الحديث ، الحديث الآخر « **لا ترجع قلوب قوم على ما كانت عليه** » وأصله أن يكون فى لون الدابة كدورة فكأن المعنى أن قلوبهم لا يصفو بعضها لبعض .

وما دخنه ؟ قال « **قوم يهدون بغير هديى تعرف منهم وتنكر** »[1] ، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال « **نعم دعاة على أبواب جهنم**[2] ، **من أجابهم إليها قذفوه فيها** » . قلت يا رسول الله صفهم لنا ، قال **هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا** . قلت فما تأمرنى إن أدركنى ذلك ؟ قال « **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم** » ، قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال « **فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرةٍ حتى يدركك الموت وأنت على ذلك** »[3] .

صحيح

---

(١) أى من أعمالهم .

(٢) قال النووى رحمه الله : قال العلماء : هؤلاء من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة أو ضلال آخر كالخوارج والقرامطة وأصحاب المحنة .
وقال الحافظ فى الفتح (١٣/٣٦) : أطلق عليهم ذلك باعتبار ما يؤول إليه حالهم كما يقال لمن أمر بفعل محرم : وقف على شفير جهنم .

(٣) قال الحافظ فى الفتح (١٣/٣٦) قال البيضاوى : المعنى إذا لم يكن فى الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر ،والصبر على تحمل شدة الزمان ، وعض أصل الشجرة كناية عن مكابدة المشقة كقولهم فلان يعض الحجارة من شدة الألم ، أو المراد اللزوم كقوله فى الحديث الآخر « **عضوا عليها بالنواجذ** » ويؤيد الأول قوله فى الحديث الآخر « **فإن مت وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحداً منهم** » .

● وقال ابن بطال : فيه حجة لجماعة الفقهاء فى وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور لأنه وصف الطائفة الأخيرة بأنهم « **دعاة على أبواب جهنم** » ولم يقل فيهم « **تعرف وتنكر** » كما قال فى الأولين ، وهم لا يكونون كذلك إلا وهم على غير حق . وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة .

● قال الطبرى : اختلف فى هذا الأمر وفى الجماعة فقال قوم هو للوجوب ، والجماعة السواد الأعظم ثم ساق عن محمد بن سيرين عن أبى مسعود أنه وصى من سأله لما قتل عثمان « عليك بالجماعة فإن الله عز وجل لم يكن ليجمع أمة =

وأخرجه مسلم (١٨٤٧) وابن ماجه (٣٩٧٩) .

* * *

= محمد على ضلالة » وقال قوم المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم ، وقال قوم المراد بهم أهل العلم لأن الله جعلهم حجة على الخلق والناس تبع لهم فى أمر الدين ، قال الطبرى : والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين فى طاعة من اجتمعوا على تأميره ، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة قال : وفى الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزاباً فلا يتبع أحداً فى الفرقة ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع فى الشر ، وعلى ذلك يتنزل ما جاء فى سائر الأحاديث ، وبه يجمع بين ما ظاهره الاختلاف منها .

● قال ابن أبى جمرة : فى الحديث حكمة الله فى عباده كيف أقام كلاً منهم فيما شاء فحبب إلى أكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير ليعملوا بها ويبلغوها غيرهم ، وحبب لحذيفة السؤال عن الشر ليجتنبه ويكون سبباً لدفعه عن من أراد الله له النجاة .

هل يتمنى المسلم الموت فى الفتنة أو خشية الفتنة ؟

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢٤٣/٥) :

حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ثنا جهضم يعنى اليمامى ثنا يحيى يعنى ابن أبى كثير ثنا زيد يعنى ابن أبى سلام عن أبى سلام وهو زيد بن سلام بن أبى سلام – نسبه إلى جده – أنه حدثه عبد الرحمن بن عياش الحضرمى عن مالك بن يخامر أن معاذ بن جبل قال احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس فخرج رسول الله ﷺ سريعاً فثوب بالصلاة وصلى وتجوز فى صلاته فلما سلم قال « **كما أنتم على مصافكم** » ثم أقبل إلينا فقال « **إنى سأحدثكم ما حبسنى عنكم الغداة إنى قمت من الليل فصليت ما قدر لى فنعست فى صلاتى حتى استيقظت فإذا أنا بربى عز وجل فى أحسن صورة فقال : يا محمد أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدرى يا رب قال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟؟ قلت لا أدرى رب فرأيته وضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله بين صدرى فتجلى لى كل شىء وعرفت فقال : يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : فى الكفارات قال : وما الكفارات ؟ قلت : نقل الأقدام إلى الجمعات وجلوس فى المساجد بعد الصلاة وإسباغ الوضوء عند الكريهات . قال : وما الدرجات ؟ قلت : إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام قال : سل . قلت : اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لى وترحمنى وإذا أردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون ، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربنى إلى حبك** » ، وقال رسول الله ﷺ : « **إنها حق فادرسوها وتعلموها** » .

إسناده صحيح[1]

وأخرجه الترمذى (٣٢٣٥) وقال هذا حديث حسن صحيح . سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال هذا حديث حسن صحيح .

● وقال يوسف ﷺ ﴿ **توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين** ﴾ يوسف (١٠١)

● وقال سحرة فرعون بعد أن هددهم فرعون بالقتل[٢] ﴿ **إنا إلى ربنا منقلبون ، وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جآءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين** ﴾ الأعراف (١٢٥-١٢٦)

● وقالت مريم عليها السلام لما علمت أن الناس سيقذفونها بالفاحشة لأنها لم تكن ذات زوج وقد حملت ووضعت ﴿ **ياليتنى مِت قبل هذا وكنت نسياً منسياً** ﴾ مريم (٢٣)

● وقال النبى ﷺ « **اللهم ألحقنى بالرفيق الأعلى** »[٣] .

● وقال عليه الصلاة والسلام « .. **وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون** »[٣] .

روى مالك فى الموطأ (ص ٨٢٤) عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه

---

(١) ولمزيد تفصيل حول هذا الحديث انظر الإصابة (٣٩٨/٢ - ٣٩٩) ترجمة عبد الرحمن بن عائش ، هذا وقد روى هذا الحديث من حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً انظر سنن الترمذى (٣٢٣٣) ، (٣٢٣٤) .
وقد استدل الحافظ ابن كثير رحمه الله بهذا الحديث على جواز سؤال الموت إذا كانت الفتنة فى الدين (التفسير ٤٩٢/٢) ، وأيضاً استدل به الحافظ فى الفتح (١٢٨/١٠) على جواز ذلك .

(٢) وذلك فى قوله لهم ﴿ **لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين** ﴾ الأعراف (١٢٤) .

(٣) سيأتى تخريجهما قريباً إن شاء الله .

سمعه يقول : لما صدر عمر بن الخطاب من منى أناخ بالأبطح ثم كوم كومة بطحاء ثم طرح عليها رداءه واستلقى ثم مد يديه إلى السماء فقال اللهم كبرت سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مفرط ثم قدم المدينة فخطب الناس فقال أيها الناس قد سنت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض ، وتركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يميناً وشمالاً ، وضرب بإحدى يديه على الأخرى ، ثم قال إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم أن يقول قائل لا نجد حدين فى كتاب الله ، فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا ، والذى نفسى بيده لولا أن يقول الناس زاد عمر بن الخطاب فى كتاب الله لكتبتها (الشيخ والشيخة فارجموهما البتة) فإنا قد قرأناها .

قال مالك قال يحيى بن سعيد قال سعيد بن المسيب فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل عمر رحمه الله .

رجاله ثقات[1]

---

(١) وفى سماع سعيد بن المسيب من عمر بعض الخلاف فأثبت سماعه منه بعض أهل العلم ، وقال آخرون لم يسمع منه ، لكن بانضمام القول بأن مرسلات سعيد بن المسيب من أصح المراسيل إلى قول من قال إنه سمع من عمر ، وكذلك بضم قول من قال إن سعيداً كان شديد التحرى والبحث عن سيرة عمر حتى إن بعض أهل عمر كان يسألون سعيداً عن سيرة عمر ، وبكون هذه القصة التى يحكيها سعيد عن عمر فى أواخر حياة عمر رضى الله عنه ، كل ذلك يقوى الاستدلال بهذا الأثر ، والله تعالى أعلى وأعلم .

● هذا وقد أخرج أحمد (٣/٤٩٤) من حديث عبس الغفارى رضى الله عنه أنه قال يا طاعون خذنى ثلاثاً يقولها فقال له عليم لمَ تقول هذا ألم يقل رسول الله ﷺ « **لا يتمنى أحدكم الموت فإنه عند انقطاع عمله ولا يرد فيستعتب** » فقال إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « **بادروا بالموت ستاً إمرة السفهاء وكثرة الشرط وبيع الحكم واستخفافاً بالدم وقطيعة الرحم ونشواً يتخذون القرآن** =

قال يحيى : سمعت مالكاً يقول قوله الشيخ والشيخة ؛ يعنى الثيب والثيبة .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٥٦٧٣) :

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى أبو عبيد[(١)] مولى عبد الرحمن بن عوف أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لن يدخل أحداً عمله الجنة** . قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : **لا ، ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضل ورحمة فسددوا وقاربوا ، ولا يتمنين أحدكم الموت ، إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً ، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب** »[(٢)] .

صحيح

وأخرجه النسائى (٣/٤) .

= **مزامير يقدمونه يغنيهم وإن كان أقل منهم فقهاً** » .
وفى إسناد هذا الحديث عثمان بن عمير وهو ضعيف فالأثر لا يثبت .
وأخرج أحمد أيضاً (٢٢/٦) من حديث عوف بن مالك قال يا طاعون خذنى إليك قال فقالوا أليس قد سمعت رسول الله ﷺ يقول « **ما عمر المسلم كان خيراً له قال بلى ولكنى أخاف ستاً إمارة السفهاء وبيع الحكم وكثرة الشرط وقطيعة الرحم ونشواً يتخذون القرآن مزامير وسفك الدم** » .
وفى إسناده النهاس بن قهم وهو ضعيف أيضاً .

(١) هو سعد بن عبيد .

(٢) وقع فى رواية لمسلم (٢٦٨٢) من طريق همام عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ « **لا يتمنى أحدكم الموت ، ولا يدع به من قبل أن يأتيه ، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً** » ، وفى حديث أنس المتقدم ما يشعر بأن قصر العمر قد يكون فيه خير ، وذلك فى قوله عليه الصلاة والسلام « .. **وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى** » فوجه الجمع أن حديث =

قال الإمام البخارى رحمه الله (٥٦٧١) :

حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا ثابت البنانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « **لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه**[1] ، **فإن كان لابد فاعلاً فليقل اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً لى وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٦٨٠) .

= أبى هريرة محمول على الأغلب ، وذلك لأن المؤمن يعمل الخيرات ويحصل الثواب ويحقق التوحيد ... وكل ذلك يثاب عليه فإذا طال عمره كثر ذلك منه ، وهذا فى الغالب أما حديث أنس الذى فيه « **وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى** » فهو محمول على حالات نادرة تعرض لمن كتب له الشقاوة فيرتد فى أواخر عمره ، والعياذ بالله .

وقوله لعله أن يستعتب أى يرجع عن موجب العتب عليه .

(١) قال الحافظ فى الفتح (١٠/١٢٨) : وقوله « **من ضر أصابه** » حمله جماعة من السلف على الضر الدنيوى ، فإن وجد الضر الأخروى بأن خشى فتنة فى دينه لم يدخل فى النهى .

قال : ويمكن أن يؤخذ ذلك من رواية ابن حبان « **لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فى الدنيا** » ..

قلت : الرواية التى أشار إليها الحافظ عند ابن حبان (موارد الظمآن ٢٤٦٢) من طريق يحيى بن أيوب ، وهو الغافقى ، ويحيى متكلم فى حفظه فلا تطمئن النفس إلى ما ينفرد به من زيادات ، إلا أن ابن حبان عقبها بسندين إلى أنس .. وقال فذكر نحوه فلا ندرى هل مراده بنحوه إثبات زيادة « **ضر أصابه فى الدنيا** » أو بأصل الحديث فالله أعلم .

وعلى كل فالحمل الذى حمله جماعة من السلف بأن ذلك محمول على الضر الدنيوى حمل له وجه قوى لما سيرد مما يشير إلى جواز تمنى الموت خشية الفتنة =

قال الإمام البخارى رحمه الله (٥٦٧٢) :

حدثنا آدم قال حدثنا شعبة عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم : دخلنا على خباب نعوده – وقد اكتوى سبع كيات – فقال إن أصحابنا الذين سلفوا مضوا و لم تنقصهم الدنيا ، وإنا أصبنا ما لا نجد له موضعاً إلا التراب ، ولولا أن النبى ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به . ثم أتيناه مرة أخرى وهو يبنى حائطاً له فقال « **إن المسلم ليؤجر فى كل شىء ينفقه إلا فى شىء يجعله فى هذا التراب** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٦٨١) والنسائى (٤/٤) .

قول نبى الله يوسف عليه السلام
﴿ توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين ﴾[(١)]

قال ابن جرير الطبرى رحمه الله (٤٨/١٣) :

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله « **توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين** » لما جمع شمله وأقر عينه وهو يومئذ مغموس فى نعيم الدنيا وملكها وغضارتها فاشتاق إلى الصالحين قبله .

صحيح من قول قتادة

= فى الدين والله أعلم .

(١) قال ابن جرير الطبرى رحمه الله (٤٧/١٣) يقول تعالى ذكره : قال يوسف بعد ما جمع الله له أبويه وإخوته وبسط عليه من الدنيا ما بسط من الكرامة ومكنه فى الأرض متشوقاً إلى لقاء آبائه الصالحين (رب قد آتيتنى من الملك) يعنى من ملك مصر (وعلمتنى من تأويل الأحاديث) يعنى من عبارة الرؤيا تعديداً لنعم الله عليه وشكراً له عليها (فاطر السموات والأرض) يقول يا فاطر السموات والأرض يا خالقها وبارئها (أنت وليى فى الدنيا والآخرة) يقول أنت وليى فى دنياى على من عادانى وأرادنى بسوء بنصرك وتغذونى فيها بنعمتك وتلينى فى الآخرة =

قال الإمام البخارى رحمه الله (٥٦٧٤) :

حدثنا عبد الله بن أبى شيبة قال : حدثنا أبو أسامة عن هشام عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال : سمعت عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت النبى ﷺ وهو مستند إلىَّ يقول : « **اللهم اغفر لى وارحمنى وألحقنى بالرفيق الأعلى** »[1] .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٤٤٤) والترمذى (٣٤٩٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح والنسائى فى عمل اليوم والليلة (١٠٩٥) .

= بفضلك ورحمتك توفنى مسلماً يقول اقبضنى إليك مسلماً وألحقنى بالصالحين يقول وألحقنى بصالح آبائى إبراهيم وإسحاق ومن قبلهم من أنبيائك ورسلك . ثم ذكر ابن جرير رحمه الله جملة آثار فى أغلبها نظر عندنا إلا ما قدمنا من قول قتادة رحمه الله .

● أما ابن كثير رحمه الله فقال (٤٩٢/٢) : هذا دعاء من يوسف الصديق دعا به ربه عز وجل لما تمت نعمة الله عليه باجتماعه بأبويه وإخوته وما من الله به عليه من النبوة والملك سأل ربه عز وجل كما أتم نعمته عليه فى الدنيا أن يستمر بها عليه فى الآخرة وأن يتوفاه مسلماً حين يتوفاه قاله الضحاك ، وأن يلحقه بالصالحين وهم إخوانه من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . قال : وهذا الدعاء يحتمل أن يكون يوسف عليه السلام قاله عند احتضاره كما ثبت فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ جعل يرفع إصبعه عند الموت ويقول « **اللهم فى الرفيق الأعلى** » ثلاثاً ويحتمل أنه سأل الوفاة على الإسلام واللحاق بالصالحين إذا جاء أجله وانقضى عمره لا أنه سأل ذلك منجزاً كما يقول الداعى لغيره أماتك الله على الإسلام ، ويقول الداعى اللهم أحينا مسلمين وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين .

قال : ويحتمل أنه سأل ذلك منجزاً وكان ذلك سائغاً فى ملتهم . ثم أورد قول قتادة الذى ذكرناه .

(١) هل فى هذا الحديث تمنى الموت من رسول الله ﷺ أم لا ؟ فنقول وبالله =

قال الإمام أحمد رحمه الله (٤٢٧/٥) :

حدثنا أبو سلمة أنا عبد العزيز يعنى ابن محمد عن عمرو عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد[1] أن النبى ﷺ قال : « **اثنتان يكرههما ابن آدم : الموت ، والموت خير للمؤمن من الفتنة ، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب** » .

صحيح

وأخرجه أحمد أيضاً (٤٢٨/٥) .

* * *

= التوفيق .

قد ثبت من وجوه منها ما أخرجه البخارى (٤٤٣٧) وغيره من حديث عائشة أنها قالت كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول : « **إنه لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا – أو يخير –** » فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشى عليه فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال : « **اللهم فى الرفيق الأعلى** » فقلت إذاً لا يختارنا فعرفت أنه حديثه الذى كان يحدثنا وهو صحيح .

فعلى هذا فالحديث محمول على صورة مخصوصة ، وهى صورة من نزل به الموت ورأى مقعده الحسن من الجنة وقال فريق من أهل العلم : إن هذا خاص بالأنبياء ، والله أعلم .

فيكون النهى عن تمنى الموت مختص بالحالة التى قبل نزول الموت والله أعلم .

(١) أخرج أحمد بسند حسن (٤٢٧/٥) إلى محمود بن لبيد قال : أتانا رسول الله ﷺ فصلى بنا المغرب فى مسجدنا فلما سلم منها قال « **راكعوا هاتين الركعتين فى بيوتكم** » للسبحة بعد المغرب .

فهذا مما يدل على أن محمود بن لبيد رضى الله عنه له صحبة .

الاستعاذة من الفتن
حديث عائشة رضى الله عنها

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٣٦٨) :

حدثنا معلى بن أسد حدثنا وهيب عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يقول : « **اللهم إنى أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم ، ومن فتنة القبر وعذاب القبر ومن فتنة النار وعذاب النار ، ومن شر[1] فتنة الغنى وأعوذ بك من فتنة الفقر ، وأعوذ بك من**

---

(١) قال الحافظ (فتح البارى ١١/١٧٧) : صرح فى فتنة الغنى بذكر الشر إشارة إلى أن مضرته أكثر من مضرة غيره أو تغليظاً على أصحابه حتى لا يغتروا فيغفلوا عن مفاسده أو إيماء إلى أن صورته لا يكون فيها خير ، بخلاف صورة الفقر فإنها قد تكون خيراً انتهى .
وكل هذا غفلة فإن الذى ظهر لى أن لفظ (شر) فى الأصل ثابتة فى الموضعين ، وإنما اختصرها بعض الرواة فسيأتى بعد قليل فى (باب الاستعاذة من أرذل العمر) (كذا قال الحافظ والصواب فى باب التعوذ من فتنة الفقر فى صحيح البخارى حديث ٦٣٧٧) من طريق وكيع وأبى معاوية مفرقاً عن هشام بسنده هذا بلفظ (شر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر) ويأتى بعد أبواب أيضاً من رواية سلام بن أبى مطيع عن هشام بإسقاط (شر) فى الموضعين والتقييد فى الغنى والفقر بالشر لابد منه لأن كلًا منهما فيه خير باعتبار فالتقييد فى الاستعاذة منه بالشر يخرج ما فيه من الخير سواء قل أم كثر .

- قال الغزالى : فتنة الغنى الحرص على جمع المال وحبه حتى يكسبه من غير حله ويمنعه من واجبات إنفاقه وحقوقه .
- وفتنة الفقر يراد به الفقر المدقع الذى لا يصحبه خير ولا ورع حتى =

فتنة المسيح الدجال . اللهم اغسل عنى خطاياى بماء الثلج والبرد ، ونق قلبى من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، وباعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب » .

صحيح

حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه

قال الإمام البخارى رحمه الله (٢٨٢٢) :

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة حدثنا عبد الملك بن عمير سمعت عمرو بن ميمون الأودى قال : كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول : إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ منهن دبر الصلاة : **« اللهم إنى أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا[1] وأعوذ بك من عذاب القبر »** ، فحدثت به مصعباً فصدقه .

صحيح

وأخرجه الترمذى (٣٥٦٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح من هذا الوجه ، والنسائى (٢٥٦/٨) .

= يتورط صاحبه بسببه فيما لا يليق بأهل الدين والمروءة ولا يبالى بسبب فاقته على أى حرام وثب ولا فى أى حالة تورط ، وقيل المراد به فقر النفس الذى لا يرده ملك الدنيا بحذافيرها .

(١) فى رواية البخارى (٦٣٦٥) ... وأعوذ بك من فتنة الدنيا – يعنى فتنة الدجال وأشار الحافظ فى الفتح (١٧٩/١١) إلى أن الذى فسر فتنة الدنيا بأنها فتنة الدجال هو عبد الملك بن عمير . ثم قال الحافظ رحمه الله : وفى إطلاق الدنيا على الدجال إشارة إلى أن فتنته أعظم الفتن الكائنة فى الدنيا . =

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٣٦٧) :

حدثنا مسدد حدثنا المعتمر قال سمعت أبى قال سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول كان نبى الله ﷺ يقول : « **اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والهرم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات** »[1] .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٧٠٦) وأبو داود (١٥٤٠) والنسائى (٨/٢٥٧ - ٢٥٨) .

= قلت : والقول بالتعميم أولى وأفضل فيدخل فى فتنة الدنيا فتنة الدجال وغير ذلك من الفتن . أعاذنا الله والمسلمين من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

(١) قال الحافظ ابن حجر (فتح البارى ٣١٩/٢) :

قال ابن دقيق العيد : فتنة المحيا ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات ، وأعظمها - والعياذ بالله - أمر الخاتمة عند الموت ، وفتنة الممات يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت أضيفت إليه لقربها منه ، ويكون المراد بفتنة المحيا على هذا ما قبل ذلك ، ويجوز أن يراد بها فتنة القبر ، وقد صح حديث « **إنكم تفتنون فى قبوركم مثل أو قريباً من فتنة الدجال** » ، ولا يكون مع هذا الوجه متكرراً مع قوله (عذاب القبر) لأن العذاب مرتب عن الفتنة والسبب غير المسبب . وقيل أراد بفتنة المحيا الابتلاء مع زوال الصبر ، وبفتنة الممات السؤال فى القبر مع الحيرة ، وهذا من العام بعد الخاص لأن عذاب القبر داخل تحت فتنة الممات وفتنة الدجال داخلة تحت فتنة المحيا . وأخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول عن سفيان الثورى أن الميت إذا سئل (من ربك) تراءى له الشيطان (فيشير إلى نفسه إنى أنا ربك) فلهذا ورد سؤال التثبت له حين يسأل . ثم أخرج بسند جيد إلى عمرو بن مرة « كانوا يستحبون إذا وضع الميت فى القبر أن يقولوا اللهم أعذه من الشيطان » .

حديث أنس رضى الله عنه

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٣٦٢) :

حدثنا حفص بن عمر حدثنا هشام عن قتادة عن أنس رضى الله عنه : سألوا رسول الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة فغضب فصعد المنبر فقال « **لا تسألونى اليوم عن شىء إلا بينته لكم** » فجعلت أنظر يميناً وشمالاً فإذا كل رجلٍ لافٌ رأسه فى ثوبه يبكى فإذا رجل كان إذا لاحى الرجال يدعى لغير أبيه فقال يا رسول الله ، من أبى ؟ قال : « **حُذافة** » ثم أنشأ عمر فقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ رسولاً نعوذ بالله من الفتن[1] فقال رسولُ الله ﷺ : « **ما رأيت فى الخير والشر كاليوم قط ، إنه صورت لى الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط** » .

وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبْد لكم تسؤكم** ﴾ .

صحيح

وأخرجه مسلم ص ١٨٣٤ .

---

(١) فى رواية البخارى (٧٠٨٩) : نعوذ بالله من سوء الفتن ، وفى رواية : عائذاً بالله من سوء الفتن وفى رواية : عائذاً بالله من شر الفتن .
قال الحافظ ابن حجر (فتح البارى ٣/٤٤) : قال ابن بطال : فى مشروعية ذلك الرد على من قال : اسألوا الله الفتنة فإن فيها حصاد المنافقين ، وزعم أنه ورد فى حديث وهو لا يثبت رفعه بل الصحيح خلافه . قلت أخرجه أبو نعيم من حديث على بلفظ (لا تكرهوا الفتنة فى آخر الزمان فإنها تبير المنافقين) ، وفى سنده ضعيف ومجهول .

حديث أبى سعيد رضى الله عنه

قال الإمام البخارى رحمه الله (٤٤٧) :

حدثنا مسدد قال حدثنا عبد العزيز بن مختار قال : حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال لى ابن عباس ولابنه علىّ : انطلقا إلى أبى سعيد فاسمعا من حديثه ، فانطلقنا فإذا هو فى حائط يُصلحه فأخذ رداءه فاحتبى ، ثم أنشأ يحدثنا ، حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال : كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبى ﷺ فينفض التراب عنه ويقول : « **ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار** » . قال يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن[1] .

صحيح

حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٦٧) :

حدثنا يحيى بن أيوب وأبو بكر بن أبى شيبة جميعاً عن ابن علية قال ابن أيوب حدثنا ابن علية قال : وأخبرنا سعيد الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى عن زيد بن ثابت قال أبو سعيد ، ولم أشهده من النبى ﷺ ولكن حدثنيه زيد بن ثابت قال : بينما النبى ﷺ فى حائط لبنى النجار على بغلة له ونحن معه إذ

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (١/٥٤٣) : فيه دليل على استحباب الاستعاذة من الفتن ولو علم المرء أنه متمسك فيها بالحق لأنها قد تفضى إلى وقوع من لا يرى وقوعه قال ابن بطال : وفيه رد للحديث الشائع : لا تستعيذوا بالله من الفتن فإن فيها حصاد المنافقين قلت : وقد سئل ابن وهب قديماً عنه فقال : إنه باطل .

حادت به فكادت تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة (قال : كذا كان يقول الجريرى) فقال : « **من يعرف أصحاب هذه الأقبر** » ؟ فقال رجل : أنا . قال : « **فمتى مات هؤلاء** » قال : ماتوا فى الإشراك فقال : « **إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه** » ثم أقبل علينا بوجهه فقال : « **تعوذوا بالله من عذاب النار** » قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار ، فقال : « **تعوذوا بالله من عذاب القبر** » قالوا نعوذ بالله من عذاب القبر . قال : « **تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن** » قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن قال : « **تعوذوا بالله من فتنة الدجال** » قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال .

صحيح

* * *

فصل
في الملاحم وجملة من أشراط الساعة



تعريف الملحمة :

قال صاحب اللسان : والملحمة الوقعة العظيمة القتل ، وقيل موضع القتال ، وألحمت القوم إذا قتلتهم حتى صاروا لحماً ، وأُلحم الرجل إلحاماً واستُلحم استلحاماً إذا نشب فى الحرب فلم يجد مخلصاً ، وألحمه غيره فيها ، وألحمه القتال ، وفى حديث جعفر الطيار عليه السلام يوم مؤتة أنه أخذ الراية بعد قتل زيد فقاتل بها حتى ألحمه القتال ، فنزل وعقر فرسه ، ومنه حديث عمر رضى الله عنه فى صفة الغزاة ومنهم من ألحمه القتال ، ومنه حديث سهيل : لا يرد الدعاء عند البأس حين يُلحم بعضهم بعضاً أى تشتبك الحرب بينهم ، ويلزم بعضهم بعضاً ، وفى الحديث اليوم يوم الملحمة وفى حديث آخر ويجمعون للملحمة هى الحرب وموضع القتال ، والجمع الملاحم مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسَّدَى ، وقيل هو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها ، وألحمت الحرب فالتحمت ، والملحمة القتال فى الفتنة .

ابن الأعرابى : الملحمة حيث يقاطعون لحومهم بالسيوف ، قال ابن بَرِّى : شاهد الملحمة .

قول الشاعر :

بملحمة لا يستقل غرابها   دفيفاً ويمشى الذئب فيها مع النسر

والملحمة الحرب ذات القتل الشديد ، والملحمة الوقعة العظيمة فى الفتنة ، وفى قولهم نبى الملحمة قولان أحدهما نبى القتال ، وهو كقوله فى الحديث الآخر : بعثت بالسيف والثانى نبى الصلاح وتأليف الناس ، كان يؤلف أمر الأمة .

قتال الترك من أشراط الساعة

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٥٨٧) :

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر**[1] **، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف**[2] **الأنوف**

---

(١) فى رواية البخارى (٢٩٢٧) : **ينتعلون نعال الشعر** ، وفى رواية لمسلم : **يلبسون الشعر ويمشون فى الشعر** ، وفى هذه الرواية ما يفيد أنهم الترك فلفظها عند مسلم (ص٢٢٣٣) : **لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك ، قوماً وجوههم كالمجان المطرقة يلبسون الشعر ويمشون فى الشعر** .
قال الحافظ فى الفتح (٦٠٨/٦) : قيل : المراد به طول شعورهم حتى تصير أطرافها فى أرجلهم موضع النعال ، وقيل : المراد أن نعالهم من الشعر بأن يجعلوا نعالهم من شعر مضفور .
وقال الحافظ فى الفتح (١٠٤/٦) : قوله : « **ينتعلون نعال الشعر** » هذا الحديث ظاهر فى أن الذين ينتعلون الشعر غير الترك ، وقد وقع للإسماعيلى من طريق محمد بن عباد قال : بلغنى أن أصحاب بابك كانت نعالهم الشعر . قلت : بابك بموحدتين مفتوحتين وآخره كاف يقال له الخرمى بضم المعجمة وتشديد الراء المفتوحة ، وكان من طائفة من الزنادقة استباحوا المحرمات ، وقامت لهم شوكة كبيرة فى أيام المأمون وغلبوا على كثير من بلاد العجم كطبرستان والرى إلى أن قتل بابك المذكور فى أيام المعتصم ، وكان خروجه فى سنة إحدى ومائتين أو قبلها ، وقتله فى سنة اثنتين وعشرين .

(٢) قال النووى (شرح مسلم ٧٦١/٥) : معناه فطس الأنوف قصارها مع انبطاح وقيل : هو غلظ فى أرنبة الأنف ، وقيل : تطامن فيها وكله متقارب .
وفى اللسان الذَّلَف بالتحريك قصر الأنف وصغره ، وأورد فيه أقوالاً أخرى =

كأن وجوههم المجان[1] المطرقة »[2] .

صحيح

= وأورد الحديث ثم قال الذَّلَفُ بالتحريك قصر الأنف وانبطاحه وقيل : ارتفاع طرفه مع صغر أرنبته .

(١) المجان : جمع مجن وهو : الترس .

(٢) المطرقة : فى لسان العرب المجان المطرقة أى التراس التى ألبست العقب شيئاً فوق شىء أراد أنهم عراض الوجوه غلاظها .

وفى الفتح (٦/١٠٤) : والمطرقة : التى ألبست الأطرقة من الجلود وهى الأغشية تقول طارقت بين النعلين أى جعلت إحداهما على الأخرى ، وقال الهروى : هى التى أطرقت بالعصب أى أُلبست به .

وقال النووى (شرح مسلم ٥/٧٦٠) : قال العلماء : وهى التى ألبست العقب وأطرقت به طاقة فوق طاقة ، قالوا : ومعناه تشبيه وجوه الترك فى عرضها وتنور وجناتها بالترسة المطرقة . وقال المصحح لمسلم : أى التروس التى كسيت جلداً ، شبه وجوههم بالترس لبسطتها وتدورها ، وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها .

وقال النووى رحمه الله : وقد وجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التى ذكرها ﷺ صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنف عراض الوجوه كأن وجوههم المجان المطرقة ، ينتعلون الشعر ، فوجدوا بهذه الصفات كلها فى زماننا ، وقاتلهم المسلمون مرات ، وقتالهم الآن ، ونسأل الله الكريم إحسان العاقبة للمسلمين فى أمرهم وأمر غيرهم ، وسائر أحوالهم ، وإدامة اللطف بهم والحماية ، وصلى الله على رسوله الذى لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى .

وقال الحافظ فى الفتح (٦/٦٠٩) : وقد كان مشهوراً فى زمن الصحابة حديث « **اتركوا الترك ما تركوكم** » فروى الطبرانى من حديث معاوية قال : سمعت رسول الله يقوله[1] ، وروى أبو يعلى من وجه آخر عن معاوية بن خديج قال : « كنت عند معاوية فأتاه كتاب عامله أنه وقع بالترك وهزمهم فغضب معاوية =

---

(١) هذا الحديث عند الطبرانى فى المعجم الكبير (٨٨٢ و ٨٨٣) وإسناده ضعيف .

وأخرجه مسلم (٢٩١٢) :

= من ذلك ثم كتب إليه : لا تقاتلهم حتى يأتيك أمرى فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « **إن الترك تجلى العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح** »[١] .

قال : فأنا أكره قتالهم لذلك . وقاتل المسلمون الترك فى خلافة بنى أمية ، وكان ما بينهم وبين المسلمين مسدوداً إلى أن فتح ذلك شيئاً بعد شىء وكثر السبى منهم وتنافس الملوك فيهم لما فيهم من الشدة والبأس حتى كان أكثر عسكر المعتصم منهم ، ثم غلب الأتراك على الملك فقتلوا ابنة المتوكل ثم أولاده واحداً بعد واحد إلى أن خالط المملكة الديلم ، ثم كان الملوك السامانية من الترك أيضاً فملكوا بلاد العجم ، ثم غلب على تلك الممالك آل سبكتكين ثم آل سلجوق وامتدت مملكتهم إلى العراق والشام والروم ، ثم كان بقايا أتباعهم بالشام وهم آل زنكى وأتباع هؤلاء وهم بيت أيوب ، واستكثر هؤلاء أيضاً من الترك فغلبوهم على المملكة بالديار المصرية والشامية والحجازية ، وخرج على آل سلجوق فى المائة الخامسة الغز فخربوا البلاد وفتكوا فى العباد ، ثم جاءت الطامة الكبرى بالططر فكان خروج جنكزخان بعد الستمائة فأسعرت بهم الدنيا ناراً خصوصاً المشرق بأسره حتى لم يبق بلد منه حتى دخله شرهم ، ثم كان خراب بغداد وقتل الخليفة المستعصم آخر خلفائهم على أيديهم فى سنة ستة وخمسين وستمائة ، ثم لم تزل بقاياهم يخربون إلى أن كان آخرهم اللنك ومعناه : الأعرج واسمه تمر بفتح المثناة وضم الميم وربما أشبعت فطرق الديار الشامية وعاث فيها ، وحرق دمشق حتى صارت خاوية على عروشها ، ودخل الروم والهند وما بين ذلك ، وطالت مدته إلى أن أخذه الله وتفرق بنوه البلاد وظهر بجميع ما أوردته مصداق قوله ﷺ : « **إن بنى قنطوراء أول من سلب أمتى ملكهم** » وهو حديث أخرجه الطبرانى من حديث معاوية[٢] ، والمراد ببنى قنطورا : الترك ، وقنطورا : قيده الجواليقى فى المعرب بالمد ، وفى كتاب البارع بالقصر قيل كانت جارية =

(١) هذا الحديث لم أقف على إسناده .

(٢) قلت : بل أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير (١٠٣٨٩) من حديث عبد الله بن مسعود وإسناده ضعيف جداً بل حكم عليه بعض أهل العلم بأنه موضوع .

من أشراط الساعة قتال أقوام ينتعلون نعال الشعر وأقوام وجوههم كالمجان المطرَّقة

قال الإمام البخارى رحمه الله (٢٩٢٧) :

حدثنا أبو النعمان حدثنا جرير بن حازم قال : سمعت الحسن يقول : حدثنا عمرو بن تغلب قال : قال النبى ﷺ : « **إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً ينتعلون نعال الشعر ، وإن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً عراض الوجوه كأن وجوههم المجان المطرقة** » .

صحيح

وأخرجه ابن ماجه (٤٠٩٨) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٥٩٠) :

حدثنا يحيى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً وكرمان**[1] **من**

= لإبراهيم الخليل عليه السلام فولدت له أولاداً فانتشر منهم الترك حكاه ابن الأثير واستبعده ، وأما شيخنا فى القاموس فجزم به ، وحكى قولاً آخر : أن المراد بهم السودان ، وقد تقدم (فى باب قتال الترك) من الجهاد (قلت : أى من كتاب الجهاد فى صحيح البخارى) بقية ذلك ، وكأنه يريد بقوله : (أمتى) أمة النسب لا أمة الدعوة يعنى العرب والله أعلم .

قلت : والمراد بالترك فى كل ما ذكر غير المسلمين منهم والله أعلم .

(١) قال الحافظ ابن حجر (فتح البارى ٦٠٧/٦) : أما خوز فمن بلاد الأهواز وهى من عراق العجم ، وقيل : الخوز : صنف من الأعاجم ، وأما كرمان فبلدة مشهورة من بلاد العجم أيضاً بين خراسان وبحر الهند ، ورواه بعضهم =

الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة ، نعالهم الشعر » .

صحيح

تابعه غيره عن عبد الرزاق

قال الإمام أحمد رحمه الله (٣١/٣) :

حدثنا عمار بن محمد ابن أخت سفيان الثورى عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً صغار الأعين عراض الوجوه كأن أعينهم حدق الجراد كأن وجوههم المجان المطرقة ينتعلون الشعر ويتخذون الدرق حتى يربطوا خيولهم بالنخل** » .

صحيح

ما جاء فى بنى قنطوراء

قال أبو داود رحمه الله (٤٣٠٦) :

حدثنا محمد بن يحيى بن فارس حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنى أبى حدثنا سعيد بن جُمهان حدثنا مسلم بن أبى بكرة قال : سمعت أبى يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « **ينزل ناس من أمتى بغائط يسمونه البصرة عند نهر يقال له : دجلة يكون عليه جسر يكثر أهلها وتكون من أمصار المهاجرين** قال ابن يحيى : قال أبو معمر : « **وتكون من أمصار المسلمين** » **فإذا كان آخر الزمان جاء**

= (خوركرمان) براء مهملة وبالإضافة ، والإشكال باق ، ويمكن أن يجاب بأن هذا الحديث غير حديث قتال الترك ، ويجتمع منهما الإنذار بخروج الطائفتين .

بنو قنطوراء[*] عراض الوجوه صغار الأعين حتى ينزلوا على شط النهر فيتفرق أهلها ثلاث فرق : فرقة يأخذون أذناب البقر والبرية وهلكوا ، وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا ، وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم ويقاتلونهم وهم الشهداء » .

إسناده حسن[1]

* * *

(*) أما بنو قنطوراء المذكورين فى الحديث فقال الخطابى : هم الترك ، يقال : إن قنطوراء اسم جارية كانت لإبراهيم صلوات الله وسلامه عليه ولدت له أولاداً جاء من نسلهم الترك .

(١) الحديث وإن كان إسناده حسن إلا أن فيه سعيد بن جمهان وثقه عدد من أهل العلم إلا أن البخارى قال : فى حديثه عجائب ، وفى صدورنا من هذا الحديث ريب من أجل غرابة لفظه كما ترى فنخشى أن يكون من تلك العجائب فالله أعلم .
وقد : أورد ابن أبى حاتم هذا الحديث فى العلل ٤١٩/٢ من طريق راشد الحمانى عن أبى الحسن مولى أبى بكرة عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه مرفوعاً وقال : سألت أبى عنه فقال : هو حديث منكر فلا أدرى هل النكارة فى كونه من حديث عبد الرحمن أم لا ؟ ومثل هذا الإشكال وارد أيضاً فى الحديث السابق لهذا عند أبى داود (٤٣٠٥) فرواه أبو داود من طريق بشير بن المهاجر حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه عن النبى ﷺ فى حديث « **يقاتلكم قوم صغار الأعين** – يعنى الترك – **قال تسوقونهم ثلاث مرار حتى تلحقوهم بجزيرة العرب فأما فى السياقة الأولى فينجو من هرب منهم ، وأما فى الثانية فينجو بعض ويهلك بعض ، وأما فى الثالثة فيصطلمون** » . أو كما قال .
ففى إسناده بشير بن المهاجر ، وإن وثقه بعض أهل العلم إلا أن أحمد قال : منكر الحديث قد اعتبرت أحاديثه فإذا هو يجيء بالعجب ، وقال البخارى : يخالف فى بعض حديثه فمثل هذه الزيادات التى ينفرد بها ينبغى أن يتوقف فيها . والله أعلم .

فتنة الأحلاس وفتنة الدهيماء

قال أبو داود رحمه الله (٤٢٤٢) :

حدثنا يحيى بن عثمان بن سعيد الحمصى ، حدثنا أبو المغيرة حدثنى عبد الله بن سالم حدثنى العلاء بن عتبة عن عمير بن هانئ العنسى قال : سمعت عبد الله بن عمر يقول : كنا قعوداً عند رسول الله ﷺ فذكر الفتن فأكثر فى ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس فقال قائل : يا رسول الله : وما فتنة الأحلاس[1]؟ قال « **هى هرب وحرب ثم فتنة السراء[2]** ....

---

(١) فى اللسان : الحلس والحلس كل شىء ولى ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج وهى بمنزلة المرشحة تكون تحت اللبد ، وقيل : هو كساء رقيق يكون تحت البرذعة .

ثم أورد من معانى الحلس اللزوم فقال : وفلان حلس بيته إذا لم يبرحه ثم أورد عن الأزهرى عن الغتريفى : يقال فلان حلس من أحلاس البيت الذى لا يبرح البيت .، وهو عندهم ذم أى أنه لا يصلح إلا للزوم البيت .

ثم قال : وفى الحديث فى الفتنة : كن حلساً من أحلاس بيتك .

وقال صاحب عون المعبود (٣٠٨/١١) : قال فى النهاية : الأحلاس جمع حلس وهو الكساء الذى يلى ظهر البعير تحت القتب شبهها به للزومها ودوامها انتهى .

وقال الخطابى : إنما أضيفت الفتنة إلى الأحلاس لدوامها وطول لبثها أو لسواد لونها وظلمتها . قال النبى ﷺ : (**هى**) أى فتنة الأحلاس (**هرب**) : بفتحتين أى يفر بعضهم من بعض لما بينهم من العداوة والمحاربة قاله القارى (**وحرب**) فى النهاية الحرب بالتحريك نهب مال الإنسان وتركه لا شىء له انتهى .

وقال الخطابى : الحرب ذهاب المال والأهل .

(٢) (**فتنة السراء**) قال القارى : والمراد بالسراء النعماء التى تسر الناس من الصحة والرخاء والعافية من البلاء والوباء ، وأضيفت إلى السراء لأن السبب فى =

دخنها[1] من تحت قدمي رجل من أهل بيتى يزعم أنه منى وليس منى ، وإنما أوليائى المتقون ثم يصطلح الناس على رجل كورك[2] على ضلع[3] ، ثم

= وقوعها ارتكاب المعاصى بسبب كثرة التنعم أو لأنها تسر العدو انتهى .

(١) (**دخنها**) قال صاحب العون : يعنى ظهورها وإثارتها شبهها بالدخان المرتفع والدخن بالتحريك مصدر دخنت النار تدخن إذا ألقى عليها حطب رطب فكثر دخانها وقيل أصل الدخن أن يكون فى لون الدابة كدورة إلى سواد . قاله فى النهاية ، وإنما قال : (**من تحت قدمي رجل من أهل بيتى**) تنبيهاً على أنه هو الذى يسعى فى إثارتها أو إلى أنه يملك أمرها (**يزعم أنه منى**) أى فى الفعل ، وإن كان منى فى النسب ، والحاصل أن تلك الفتنة بسببه وأنه باعث على إقامتها (**وليس منى**) أى من أخلائى أو من أهلى فى الفعل لأنه لو كان من أهلى لم يهيج الفتنة ونظيره قوله تعالى ﴿ **إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح** ﴾ أو ليس من أوليائى فى الحقيقة ، ويؤيده قوله « **وإنما أوليائى المتقون** » .

(٢) الورك: هو ما فوق الفخذ كالكتف فوق العضد، الورك بفتح الواو وكسر الراء.

(٣) الضلع : بفتح اللام ويجوز تسكينها .

قال الخطابى رحمه الله : هو مثل ومعناه الأمر الذى لا يثبت ولا يستقيم وذلك أن الضلع لا يقوم بالورك ، وبالجملة يريد أن هذا الرجل غير خليق للملك ولا مستقل به انتهى . وفى النهاية أى يصطلحون على أمر واه لا نظام له ولا استقامة لأن الورك لا يستقيم على الضلع ولا يتركب عليه لاختلاف ما بينهما وبعده ، والورك ما فوق الفخذ . انتهى .

وقال القارى : هذا مثل والمراد أنه لا يكون على ثبات لأن الورك لثقله لا يثبت على الضلع لدقته ، والمعنى أنه يكون غير أهل الولاية لقلة علمه وخفة رأيه .

وقال الأردبيلى فى الأزهار : يقال فى التمثيل للموافقة والملائمة كف فى ساعد وللمخالفة والمغايرة ورك على ضلع انتهى .

وفى شرح السنة : معناه أن الأمر لا يثبت ولا يستقيم له ، وذلك أن الضلع لا يقوم بالورك ولا يحمله وحاصله أنه لا يستعد ولا يستبد لذلك فلا يقع منه الأمر موقعه كما أن الورك على ضلع يقع غير موقعه .

فتنة الدهيماء[1] لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمةً[2] ، فإذا قيل : انقضت تمادت يصبح الرجل فيها مؤمناً[3] ويمسى كافراً حتى يصير الناس إلى فسطاطين[4] فسطاط إيمانٍ لانفاق فيه ، وفسطاط نفاقٍ لا إيمان فيه فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده » .

إسناد صحيح[5]

وأخرجه أحمد (١٣٣/٢) والحاكم (٤٦٦/٤ - ٤٦٧) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبى : صحيح .

---

(١) فتنة الدهيماء : وهى بضم ففتح ، والدهماء السوداء . والتصغير للذم أى الفتنة العظماء والطامة العمياء . قاله القارى .
وفى النهاية تصغير الدهماء يريد الفتنة المظلمة والتصغير فيها للتعظيم وقيل أراد بالدهيماء الداهية ومن أسمائها الدهيم زعموا أن الدهيم اسم ناقة كان غزا عليها سبعة إخوة فقتلوا عن آخرهم وحملوا عليها حتى رجعت بهم فصارت مثلاً فى كل داهية .
وفى اللسان : الدهيماء السوداء المظلمة .

(٢) أى أصابته بمحنة ومسته ببلية ، وأصل اللطم : هو الضرب على الوجه ببطن الكف والمراد : أن أثر تلك الفتنة يعم الناس ويصل لكل أحد من ضررها : (**فإذا قيل : انقضت**) أى فمهما توهموا أن تلك الفتنة انتهت (**تمادت**) بتخفيف الدال أى بلغت المدى أى الغاية من التمادى وبتشديد الدال من التمادد تفاعل من المد أى استطالت واستمرت واستقرت . قاله القارى .

(٣) (**يصبح مؤمناً**) أى لتحريمه دم أخيه وماله وعرضه (**ويمسى كافراً**) أى لتحليله ما ذكر ويستمر ذلك .

(٤) المراد بالفسطاط هنا الفرقة ، وأصل الفسطاط الخيمة .

(٥) تنبيه هام : ذكر ابن أبى حاتم هذا الحديث فى كتاب العلل (٤١٦/٢) .
وقال : سألت أبى عنه فقال : روى هذا الحديث ابن جابر عن عمير بن هانىء عن النبى ﷺ مرسل ، والحديث عندى ليس بصحيح كأنه موضوع . =

ما جاء فى ظهور الرايات السود

قال ابن ماجه رحمه الله (٤٠٨٤) :

حدثنا محمد بن يحيى وأحمد بن يوسف قالا : ثنا عبد الرزاق عن سفيان الثورى عن خالد الحذاء عن أبى قلابة عن أبى أسماء الرحبى عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « **يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلى واحد منهم ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم** » .

ثم ذكر كلاماً لا أحفظه فقال : « **فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج فإنه خليفة الله المهدى** » .

إسناده صحيح[1]

وأخرجه الحاكم (٤/٤٦٣ - ٤٦٤) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى . وأخرجه الحاكم أيضاً (٤/٥٠٢) وأحمد مختصراً (٥/٢٧٧) .

= كذا قال أبو حاتم الرازى رحمه الله فى العلل ، وهل نترك ظاهر إسناد الحديث لكلام الإمام الحافظ أبى حاتم الرازى : (كأنه موضوع) أم نحكم بصحة الحديث بناء على ظاهر إسناده ؟!! علمها عند ربى ، ولكن ما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين . فحكمنا على الإسناد بظاهر الصحة وتركنا ما وراء ذلك .

(١) وقد أعل الشيخ ناصر الدين الألبانى إسناد هذا الحديث بعنعنة أبى قلابة وهو عبد الله بن زيد الجرمى بناء على أن الذهبى والعلائى وصفا أبا قلابة بالتدليس . وهذا مما لا نوافق الشيخ ناصر - حفظه الله - عليه ، فالذى عرف عن أبى قلابة كثرة الإرسال أما التدليس فلم يصفه المتقدمون من أئمة الشأن كأبى حاتم وأحمد ومن فى طبقتهما بذلك وقد ذكره الحافظ ابن حجر فى المرتبة الأولى من مراتب =

....

= المدلسين ، وقد ذكر فى مقدمة رسالته : أما بعد فهذه معرفة مراتب الموصوفين بالتدليس فى أسانيد الحديث النبوى لخصتها فى هذه الأوراق لتحفظ وهى مستمدة من جامع التحصيل للإمام صلاح الدين العلائى شيخ شيوخنا تغمدهم الله برحمته مع زيادات كثيرة فى الأسماء تعرف بالتأمل وهم على خمسة مراتب :
المرتبة الأولى : من لم يوصف بالتدليس إلا نادراً كيحيى بن سعيد الأنصارى .
الثانية : من احتمل الأئمة تدليسه وأخرجوا له فى الصحيح لإمامته وقلة تدليسه فى جنب ما روى كالثورى ، أو كان لا يدليس إلا عن ثقه كابن عيينة .
الثالثة : من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع ، ومنهم من رد حديثهم مطلقاً ومنهم من قبلهم مطلقاً كأبى الزبير المكى ..
ثم ذكر رحمه الله الطبقة الرابعة والخامسة .
وفى ذكره لرجال كل طبقة عدَّ عبد الله بن زيد الجرمى (أبو قلابة) فى الطبقة الأولى من طبقات المدلسين أى ممن لا يضر تدليسهم فمن كان مثل هذا فكيف يُعلُّ الحديث بعنعنته ؟!!!
وأيضاً فقد أخرج مسلم بهذا السند أحاديث فهذا مما يؤيد سماع أبى قلابة من أبى أسماء الرحبى ، ولا نعلم فى ذلك خلافاً يُذكر .
فالصواب أن الحديث صحيح الإسناد لا غبار على إسناده . والله أعلم .
أما المراد بالكنز المذكور : فقد قال ابن كثير رحمه الله – كما نقل عنه المعلق على ابن ماجه – : إنه كنز الكعبة .

تنبيه : أخرج أحمد فى مسنده (١/١٠ ، ١١) من طريق ابن أبى مليكة قال : قيل لأبى بكر رضى الله عنه : يا خليفة الله فقال : أنا خليفة رسول الله وأنا راض به راض به راض به . واحتج بهذا الأثر بعض أهل العلم على أنه لا يقال : يا خليفة الله . وبالنسبة لهذا الأثر فهو ضعيف ووجه ضعفه أنه لا تعرف لابن أبى مليكة عن أبى بكر رضى الله عنه ، فالأثر منقطع .

الملاحم بين المسلمين والروم

قال الإمام أبو داود رحمه الله (٤٢٩٢) :

حدثنا النفيلى حدثنا عيسى بن يونس حدثنا الأوزاعى عن حسان بن عطية قال : مال مكحول وابن أبى زكريا إلى خالد بن معدان ، وملت معهم فحدثنا عن جبير بن نفير (عن الهدنة) قال : قال جبير : انطلق بنا إلى ذى مخبر رجل من أصحاب النبى ﷺ فأتيناه فسأله جبير عن الهدنة فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« ستصالحون الروم صلحاً آمناً فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم فتنصرون وتغنمون وتسلمون ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج[1] ذى تلول[2] فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب فيقول : غلب الصليب[3] ، فيغضب رجل من المسلمين فيدقه[4] ، فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة »[5] .**

صحيح

---

(١) فى اللسان : المرج الفضاء ، وقيل : أرض ذات كلأ ترعى فيها الدواب وفى التهذيب : أرض واسعة فيها نبت كثير تمرج فيها الدواب .

(٢) تلول : جمع تل وهو الموضع المرتفع .

(٣) يقصد أن دين النصارى قد غلب .

(٤) أى يكسر الصليب .

(٥) قال صاحب اللسان : الملحمة هى الحرب وموضع القتال ، والجمع الملاحم مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسَّدَى ، وقيل : هومن اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها .
وقد تقدم لها تعريف أوسع فراجعه .

والحديث أخرجه أيضاً أبو داود (٢٧٦٧)[١] وابن ماجه (٤٠٨٩)[٢] وابن حبان (موارد الظمآن ١٨٧٤ و ١٨٧٥) والحاكم فى المستدرك (٤٢١/٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه وقال الذهبى : صحيح ؛ وأخرجه أحمد أيضاً (٩١/٤) ، (٣٧١/٥ - ٣٧٢) .

قال أبو داود رحمه الله (٤٢٩٨) :

حدثنا هشام بن عمار حدثنا يحيى بن حمزة حدثنا ابن جابر حدثنى زيد بن أرطأة قال : سمعت جبير بن نفير يحدث عن أبى الدرداء أن رسول الله ﷺ قال : **« إن فُسطاط[٣] المسلمين يوم الملحمة بالغوطة[٤] إلى جانب مدينة يقال لها دمشق[٥] من خير مدائن الشام »** .

صحيح

وأخرجه أحمد (١٩٧/٥) .

---

(١) قال أبو داود عقب إخراجه للحديث (وذلك فى حديث ٤٢٩٣) : حدثنا مؤمل ابن الفضل الحرانى حدثنا الوليد (بن مسلم) حدثنا أبو عمرو عن حسان بن عطية بهذا الحديث وزاد فيه « ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون ، فيُكرم الله تلك العصابة بالشهادة» إلا أن الوليد جعل الحديث عن جبير عن ذى مخبر عن النبى ﷺ.
قال أبو داود : ورواه روح ويحيى بن حمزة وبشر بن بكر عن الأوزاعى كما قال عيسى :

(٢) فى رواية لابن ماجه : فيجتمعون للملحمة فيأتون حينئذ تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً ، وكذا هى عند الحاكم وابن حبان .
وفى رواية لأحمد : فيأتونكم فى ثمانين غاية مع كل غاية عشرة آلاف .

(٣) أصل الفسطاط الخيمة ثم استعمل فى الحصن والملجأ .

(٢) الملحمة تقدم الكلام عليها بتوسع ، والمراد بها هنا المقتلة العظمى .

(٥) قال صاحب عون المعبود (دمشق) بكسر الدال المهملة وفتح الميم وسميت بذلك لأن دمشاق بن نمرود بن كنعان هو الذى بناها فسميت باسمه ، وكان آمن بإبراهيم عليه السلام وسار معه، وكان أبوه نمرود دفعه إليه لما رأى له من الآيات.

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٩٩) :

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وعلىّ بن حجر كلاهما عن ابن علية (واللفظ لابن حجر) حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن حميد بن هلال عن أبى قتادة العدوى عن يُسير بن جابر قال هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هجيرى[1] ألا يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة . قال : فقعد وكان متكئاً فقال :[2] إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمةٍ ثم قال : بيده هكذا (ونحاها نحو الشأم) فقال : عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام قلت : الروم تعنى ؟ قال : نعم ، وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة فيشترط المسلمون شرطةً للموت لا ترجع إلا غالبةً فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفىء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالبٍ وتفنى الشرطة ثم يشترط المسلمون شرطةً للموت لا ترجع إلا غالبةً فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفىء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا فيفىء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالبٍ وتفنى الشرطة فإذا كان يوم الرابع نهد[3] إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدبرة[4] عليهم فيقتلون مقتلةً - إما قال لا يُرى مثلها - وإما قال لم يُر مثلها - حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم[5] فما يخلفهم حتى يخر ميتاً فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقى منهم إلا الرجل الواحد فبأى غنيمةٍ يفرح

---

(١) أى ليس له كلام ولا نداء ولا دأب ولا شأن إلا ذلك .

(٢) الجزء الأول منه موقوف على عبد الله بن مسعود رضى الله عنه إلا أنه لا يقال من قبيل الرأى ثم إن فى آخر الحديث ما يشعر أنه تلقاه عن رسول الله ﷺ ، والله أعلم .

(٣) نهد أى نهض وتقدم .

(٤) الدبرة أى الهزيمة .

(٥) جنباتهم يعنى نواحيهم .

أو أى ميراث يقاسم فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأسٍ هو أكبر من ذلك فجاءهم الصريخ إن الدجال قد خلفهم فى ذراريهم فيرفضون ما فى أيديهم ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعةً قال رسول الله ﷺ : « **إنى لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذٍ ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ** » .

صحيح[1]

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٠٠) :

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوةٍ قال : فأتى النبى ﷺ قوم من قبل المغرب عليهم ثياب الصوف فوافقوه عند أكمةٍ فإنهم لقيام ورسول الله ﷺ قاعدٌ قال : فقالت لى نفسى : ائتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه قال : ثم قلت لعله نجى معهم[2] فأتيتهم فقمت بينهم وبينه قال : فحفظت منه أربع كلمات أعدهن فى يدى قال : « **تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله ثم تغزون الدجال فيفتحه الله** » .

صحيح

قال : فقال نافع : يا جابر لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم .

وأخرجه ابن ماجه (٤٠٩١) .

* * *

---

(١) انظر التعليق رقم (٢) المتقدم قريباً .

(٢) نجى معهم أى يناجيهم .

ست خلال بين يدى الساعة
منها هدنة بين المسلمين وبين بنى الأصفر ثم يغدرون

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣١٧٦) :

حدثنا الحميدى حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الله بن العلاء بن زبر قال : سمعت بسر بن عبيد الله أنه سمع أبا إدريس قال : سمعت عوف بن مالك قال : أتيت النبى ﷺ فى غزوة تبوك - وهو فى قبة من أدم - فقال : « **اعدد ستاً[١] بين يدى الساعة : موتى ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم مُوتان[٢] يأخذ فيكم كقعاص[٣] الغنم ، ثم استفاضة** ....

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (٦/٢٧٨) : أى ست علامات لقيام الساعة أو لظهور أشراطها المقتربة منها .

(٢) قال الحافظ : ثم (موتان) : بضم الميم وسكون الواو ، قال القزاز : هو الموت ، وقال غيره : الموت الكثير الوقوع ، ويقال : بالضم لغة تميم ،وغيرهم يفتحونها ، ويقال : للبليد موتان القلب بفتح الميم والسكون ، وقال ابن الجوزى : يغلط بعض المحدثين فيقول : موتان بفتح الميم والواو وإنما ذاك اسم الأرض التى لم تحى بالزرع والإصلاح . ثم قال الحافظ :

تنبيه : فى رواية ابن السكن (ثم موتتان) بلفظ التثنية وحينئذ فهو بفتح الميم .

(٣) قوله (كقعاص الغنم) بضم العين المهملة وتخفيف القاف وآخره مهملة هو داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها شىء فتموت فجأة . قال أبو عبيد : ومنه أخذ الإقعاص وهو القتل مكانه ، وقال ابن فارس : القعاص داء يأخذ فى صدر كأنه يكسر العنق ، ويقال : إن هذه الآية ظهرت فى طاعون عمواس فى خلافة عمر ، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس .

تنبيه : قال المعلق على الفتح (فى حاشية الفتح) : فى هامش طبعة بولاق : =

المال[1] حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر[2] فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية[3] تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً » .

صحيح

وسيأتى له تخريج قريب بسياق آخر .

= كذا فى نسخ الشارح التى بأيدينا والذى فى نسخ البخارى بتقديم القاف على العين ، وبه ضبط القسطلانى ، وهو المنصوص فى كتب اللغة والمتعين من قول أبى عبيد ومنه أخذ الإقعاص .

(١) قال الحافظ رحمه الله : قوله « **ثم استفاضة المال** » أى كثرته ، وظهرت فى خلافة عثمان عند تلك الفتوح العظيمة ، والفتنة المشار إليها افتتحت بقتل عثمان واستمرت الفتن بعده ، والسادسة لم تجىء بعد .

(٢) بنو الأصفر هم الروم .

(٣) قال الحافظ فى الفتح : قوله : (**غاية**) أى راية وسميت بذلك لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف ، ووقع فى حديث ذى مخبر بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الموحدة عند أبى داود فى نحو هذا الحديث بلفظ (**راية**) بدل غاية .. ثم قال : قال ابن الجوزى : رواه بعضهم (غابة) بموحدة بدل التحتانية والغابة الأجمة كأنه شبه كثرة الرماح بالأجمة .

وقال الخطابى : الغابة الغيضة فاستعيرت للرايات ترفع لرؤساء الجيش لما يشرع معها من الرماح ، وجملة العدد المشار إليها تسعمائة ألف وستون ألفاً ولعل أصله ألف ألف فألغيت كسوره ووقع مثله فى رواية ابن ماجه من حديث ذى مخبر ولفظه (**فيجتمعون للملحمة**) فيأتون تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً ووقع عند الإسماعيلى من وجه آخر عن الوليد بن مسلم قال تذاكرنا هذا الحديث وشيخاً من شيوخ(*) المدينة فقال أخبرنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أنه كان يقول مكان فتح بيت المقدس (عمران بيت المقدس) قال المهلب فيه =

(*) هذا الشيخ مبهم والأثر ضعيف .

لفظ آخر للحديث

قال ابن ماجه رحمه الله (٤٠٤٢) :

حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ثنا الوليد بن مسلم ثنا عبد الله بن العلاء حدثنى بسر بن عبيد الله حدثنى أبو إدريس الخولانى حدثنى عوف بن مالك الأشجعى قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو فى غزوة تبوك ، وهو فى خباءٍ من أدم فجلست بفناء الخباء فقال رسول الله ﷺ : « **ادخل يا عوف !** » فقلت : بكلى[1] يا رسول الله قال : « **بكلك** » ثم قال : « **يا عوف احفظ خلالاً ستاً بين يدى الساعة إحداهن موتى** » قال : فوجمت[2] عندها وجمةً شديدةً فقال : « **قل إحدى . ثم فتح بيت المقدس ثم داء يظهر فيكم يستشهد الله به ذراريكم وأنفسكم ويزكى به أعمالكم ثم تكون الأموال فيكم حتى يعطى الرجل**

= أن الغدر من أشراط الساعة وفيه أشياء أخر من علامات النبوة قد ظهر أكثرها ، وقال ابن المنير : أما قصة الروم فلم تجتمع إلى الآن ولا بلغنا أنهم غزوا فى البر فى هذا العدد فهى من الأمور التى لم تقع بعد وفيه بشارة ونذارة وذلك أنه دل على أن العاقبة للمؤمنين مع كثرة ذلك الجيش وفيه إشارة إلى أن عدد جيوش المسلمين سيكون أضعاف ما هو عليه ، ووقع فى رواية الحاكم من طريق الشعبى عن عوف بن مالك فى هذا الحديث أن عوف بن مالك قال لمعاذ فى طاعون عمواس إن رسول الله ﷺ قال لى : « **اعدد ستاً بين يدى الساعة** » ، **فقد** وقع منهن ثلاث يعنى موته ﷺ وفتح بيت المقدس والطاعون ، قال وبقى ثلاث فقال له معاذ : إن لهذا أهلا ، ووقع فى الفتن لنعيم بن حماد أن هذه القصة تكون فى زمن المهدى على يد ملك من آل هرقل .

(١) بكلى أى بكل جسمى أو ببعضه ، وذلك فيما يبدو لضيق الخباء والله أعلم .

(٢) الواجم الذى حزن حزناً أسكته .

مائة دينارٍ فيظل ساخطاً ، وفتنة تكون بينكم لا يبقى بيت مسلم إلا دخلته ثم تكون بينكم وبين بنى الأصفر[1] هدنة فيغدرون بكم فيسيرون إليكم فى ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً » .

صحيح

وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٤١٩/٤) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى . وأخرجه أحمد (٢٥/٦)[2] .

تقوم الساعة والروم أكثر أهل الأرض

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٩٨) :

حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث حدثنى عبد الله بن وهب أخبرنى الليث ابن سعد حدثنى موسى بن عُلَىٍّ عن أبيه قال : قال المستورد بن شداد عند عمرو بن العاص : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **تقوم الساعة والروم أكثر الناس** » فقال له عمرو : أبصر ما تقول . قال : أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ قال : لئن قلت ذلك « **إن فيهم لخصالاً أربعاً ، إنهم لأحلم الناس عند فتنة وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة وأوشكهم كرةً بعد فرةٍ وخيرهم لمسكين ويتيمٍ وضعيفٍ وخامسة حسنة جميلة : وأمنعهم من ظلم الملوك** » .

صحيح

---

(١) بنى الأصفر هم الروم .

(٢) عند أحمد من الزيادة فسطاط المسلمين يومئذ فى أرض يقال لها : الغوطة فى مدينة يقال لها : دمشق - وللحديث طريق أخرى عند أحمد (٢٢/٥) عن عوف بن مالك .

فتح القسطنطينية

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٢٠) :

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز (يعنى ابن محمد) عن ثور (وهو ابن زيد الديلى) عن أبى الغيث عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « **سمعتم بمدينة جانب منها فى البر وجانب منها فى البحر ؟** » قالوا : نعم يا رسول الله ! قال : « **لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بنى إسحاق**[1] **فإذا جاؤها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم قالوا : لا إلـٰه إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها** » .

قال ثور : لا أعلمه إلا قال : « **الذى فى البحر ثم يقولوا الثانية : لا إلـٰه إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر ثم يقولوا الثالثة : لا إلـٰه إلا الله والله أكبر فيفرج لهم فيدخلوها فيغنموا فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ فقال : إن الدجال قد خرج فيتركون كل شىء ويرجعون** » .

صحيح

* * *

---

(١) قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٥/٧٦٧) : قال القاضى : كذا هو فى جميع أصول صحيح مسلم (من بنى إسحاق) قال : قال بعضهم : المعروف المحفوظ من (بنى إسماعيل) وهو الذى يدل عليه الحديث وسياقه لأنه إنما أراد العرب ، وهذه المدينة القسطنطينية .

من أشراط الساعة قتال اليهود

قال الإمام البخارى رحمه الله (٢٩٢٥) :

حدثنا إسحاق بن محمد الفروى حدثنا مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **تقاتلون اليهود**[١] **حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول : يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٢١) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٢٩٢٦) :

حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، حتى يقول الحجر وراءه اليهودى : يا مسلم : هذا يهودى ورائى فاقتله** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٢٢) من طريق سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعا[٢] .

---

(١) فى رواية البخارى (٣٥٩٣) : « **تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم ، هذا يهودى ورائى فاقتله** » .

(٢) ولفظه عند مسلم : « **لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من** =

أخبار المهدى

قال أبو داود رحمه الله (٤٢٨٢) :

حدثنا مسدد أن عمر بن عبيد حدثهم / ح / وحدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو بكر – يعنى ابن عياش – / ح / وحدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان / ح / وحدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا زائدة / ح / وحدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنى عبيد الله (بن موسى) عن فطر المعنى (واحد) كلهم عن عاصم عن زر عن عبد الله عن النبى ﷺ قال : « **لو لم يبق من الدنيا إلا يوم** » قال زائدة فى حديثه : « **لطول الله ذلك اليوم** ، (ثم اتفقوا) **حتى يبعث (فيه) رجلاً منى أو من أهل بيتى يُواطىء اسمه اسمى ، واسم أبيه اسم أبى** » زاد

= **شجر اليهود** » .

● قال النووى : والغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس وهناك يكون قتل الدجال واليهود ، وقال أبو حنيفة الدينورى : إذا عظمت العوسجة صارت غرقدة .

● قال الحافظ ابن حجر (فتح البارى ١٠٣/٦) : وفى الحديث إشارة إلى بقاء دين الإسلام إلى أن ينزل عيسى عليه السلام فإنه الذى يقاتل الدجال ويستأصل اليهود الذين هم تبع الدجال .

وقال فى الفتح (٦١٠/٦) : وفى الحديث ظهور الآيات قرب قيام الساعة من كلام الجماد من شجرة وحجر ، وظاهره أن ذلك ينطق حقيقة ، ويحتمل المجاز بأن يكون المراد أنهم لا يفيدهم الاختباء ، والأول أولى .

قلت : أما عن وقت تكليم الحجر والشجر للمسلم وقولهما يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله فإن ذلك عند قتال المسلمين للدجال وأتباعه من اليهود كما هو واضح فى رواية أحمد وغيره من حديث ابن عمر (وستأتى إن شاء الله فى أبواب الدجال تحت باب أكثر أتباع الدجال من النساء) .

فى حديث فطر : « **يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً** » .

وقال فى حديث سفيان : « **لا تذهب أو لا تنقضى الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى** »[1] .

حسن

قال أبو داود : لفظ عمر وأبى بكر بمعنى سفيان .

قلت : والحديث أخرجه الترمذى (٢٢٣١) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وابن حبان (موارد الظمآن ١٨٧٦ و ١٨٧٧ و ١٨٧٨ و ١٨٧٩) .

وأحمد مختصراً (٣٧٦/١ - ٣٧٧) .

---

(١) قال صاحب عون المعبود رحمه الله (٣٦١/١١) :

واعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مر الأعصار أنه لابد فى آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولى على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدى ، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة فى الصحيح على أثره ، وأن عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله ويأتم بالمهدى فى صلاته .

وخرجوا أحاديث المهدى جماعة من الأئمة منهم أبو داود والترمذى وابن ماجه والبزار والحاكم والطبرانى وأبو يعلى الموصلى ، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل علىّ وابن عباس وابن عمر وطلحة وعبد الله بن مسعود وأبى هريرة وأنس وأبى سعيد الخدرى وأم حبيبة وأم سلمة وثوبان وقرة بن إياس وعلىّ الملالى وعبد الله بن الحارث بن جزء رضى الله عنهم .

وإسناد أحاديث هؤلاء بين صحيح وحسن وضعيف ، وقد بالغ الإمام المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون المغربى فى تاريخه فى تضعيف أحاديث المهدى كلها[1] =

---

(١) تعقب الشيخ ناصر الدين الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة (حـ٤/ ٤٠ حديث ١٥٢٩) هذا الكلام بقوله : لم يتمكن ابن خلدون من تضعيف هذا الحديث مع شططه فى تضعيف =

قال أبو داود رحمه الله (٤٢٨٣) :

حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا الفضل بن دكين حدثنا فطر عن القاسم بن أبى بزة عن أبى الطفيل عن علىّ رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال : « **لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتى يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً** » .

صحيح

قال الحاكم رحمه الله (المستدرك ٤/٥٥٧ - ٥٥٨) :

أخبرنى أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبى[(١)] بمرو ثنا سعيد بن مسعود[(٢)] ثنا النضر بن شميل ثنا سليمان بن عبيد[(٣)] ثنا أبو الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى

= فلم يُصب بل أخطأ .

وما روى مرفوعاً من رواية محمد بن المنكدر عن جابر (من كذب بالمهدى فقد كفر) فموضوع والمتهم فيه أبو بكر الإسكاف ، وربما تمسك المنكرون لشأن المهدى بما روى مرفوعاً أنه قال (لا مهدى إلا عيسى ابن مريم) والحديث ضعفه البيهقى والحاكم ، وفيه أبان بن صالح وهو متروك الحديث ، والله أعلم .

(١) ترجمته موجودة عرضاً فى عدة مواضع من سير أعلام النبلاء ، وهى تشعر بتوثيقه وقد أكثر الحاكم رحمه الله من الإخراج له فى المستدرك .

(٢) ترجمته فى سير أعلام النبلاء (١٢/٥٠٤) ووصفه الذهبى بأنه محدث مسند أحد الثقات .

(٣) سليمان بن عبيد هو السلمى ترجمته فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم (٤/١٢٩) أو (جـ٢ قسم ١ ص١٢٩) ووثقه ابن معين ، وقال أبو حاتم : صدوق . تنبيه : ما ذكره الشيخ ناصر الدين الألبانى فى السلسلة الصحيحة تحت (رقم ٧١١) حيث قال : وسعيد بن مسعود كذا وقع فى (المستدرك) (سعيد)=

= أكثر أحاديث المهدى بل أقر الحاكم على تصحيحه لهذه الطريق فمن نسب إليه أنه ضعف كل أحاديث المهدى فقد كذب عليه سهواً أو عمداً .

رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **يخرج فى آخر أمتى المهدى يسقيه الله الغيث ، وتخرج الأرض نباتها ويعطى المال صحاحاً ، وتكثر الماشية وتعظم الأمة ، يعيش سبعاً أو ثمانياً يعنى حججاً** » .

صحيح

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبى صحيح . وأخرجه الترمذى (٢٢٣٢) وقال هذا حديث حسن وابن ماجه (٤٠٨٣) .

قال الإمام أحمد رحمه الله (٣٦/٣) :

حدثنا محمد بن جعفر ثنا عوف[(١)] عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد

= والصواب (سعد) وهو ابن مسعود المروزى قال ابن أبى حاتم (٩٥/١/٢) روى عن إسحاق بن منصور السلولى وروح بن عبادة وخلف بن تميم ومحمد بن مصعب القرقسانى كتب إلى أبى وأبى زرعة وإلَّى ببعض حديثه وهو صدوق .
كذا قال الشيخ ناصر حفظه الله ، وهذا الذى قاله غلط منه فالصواب سعيد بن مسعود وليس سعداً ولعل الحامل للشيخ على هذا هو أنه ما وجد ترجمة لسعيد بن مسعود فيما بين يديه من الكتب وقت كتابة الحديث فى سلسلته الصحيحه ، أما ترجمة سعيد فهى موجودة فى سير أعلام النبلاء (٥٠٤/١٢) وفيها : سعيد بن مسعود بن عبد الرحمن المحدث المسند أبو عثمان المروزى أحد الثقات حدث عن النضر بن شميل و ... و ... وعنه ... ومحمد بن أحمد المحبوبى وأهل مرو .
وكذلك فى ترجمة محمد بن أحمد المحبوبى (سير أعلام النبلاء ٥٣٧/١٥) : الإمام المحدث مفيد مرو أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب بن فضيل المحبوبى المروزى راوى جامع أبى عيسى عنه وسمع من سعيد بن مسعود صاحب النضر بن شميل ...
فثبت بهذا أنه سعيد بن مسعود وليس سعد بن مسعود كما زعم الشيخ حفظه الله .

(١) وقد توبع عوف فى روايته لهذا الحديث عن أبى الصديق الناجى فرواه عدد عن أبى الصديق انظر مستدرك الحاكم (٥٥٨/٤) ، (٤٦٥/٤) .

الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى تمتلىء الأرض ظلماً وعدواناً قال : ثم يخرج رجل من عترتى أو من أهل بيتى يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً** » .

صحيح

وأخرجه ابن حبان (موارد الظمآن ١٨٨٠) والحاكم فى المستدرك (٥٥٧/٤) . وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى . وأخرجه أيضاً أبو نعيم فى الحلية (١٠١/٣ - ١٠٢) وقال مشهور من حديث أبى الصديق عن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه ، ورواه من التابعين عن أبى الصديق مطر الوراق وعنه حماد بن زيد .

وانظر تخريج الحديث المتقدم .

مدة بقاء المهدى

قال الإمام أحمد رحمه الله (١٧/٣) :

حدثنا أبو النضر ثنا أبو معاوية شيبان عن مطر بن طهمان عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتى أجلى أقنى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت قبله ظلماً يكون سبع سنين** » .

حسن

انظر ما تقدم .

* * *

غزو البيت الحرام بين يدى الساعة والخسف بجيش منهم

قال النسائى رحمه الله (٥/٢٠٦) :

أخبرنا محمد بن إدريس أبو حاتم الرازى قال حدثنا عمرو[1] بن حفص بن غياث قال حدثنا أبى عن مسعر قال : أخبرنى طلحة بن مصرف عن أبى مسلم الأغر عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « **لا تنتهى البعوث عن غزو هذا البيت حتى يخسف بجيش منهم** » .

صحيح

وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٤/٤٣٠) وقال : هذا حديث غريب صحيح ولم يخرجاه لا أعلم أحداً حدث به غير عمر بن حفص بن غياث يرويه عنه الإمام أبو حاتم . وقال الذهبى : صحيح غريب .

خراب الكعبة على يد الأحباش وصفة من يخربها

قال الإمام البخارى رحمه الله (١٥٩٦) :

حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة** »[2] .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٠٩) .

---

(١) كذا هى عند النسائى عمرو ، والصواب عمر كما فى رواية الحاكم .

(٢) قال الحافظ فى الفتح (٣/٤٦١) : قيل : هذا الحديث يخالف قوله تعالى ﴿ أو لم=

قال الإمام البخارى رحمه الله (١٥٩٥) :

حدثنا عمرو بن علىّ حدثنا يحيى بن سعيد قال حدثنا عبيد الله بن الأخنس حدثنى ابن أبى مليكة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال **« كأنى[١] به أسود أفْحَج[٢] يقلعها حجراً حجراً »** .

صحيح

= **يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ﴾** ولأن الله حبس عن مكة الفيل ، ولم يمكن أصحابه من تخريب الكعبة ، ولم تكن إذ ذاك قبلة فكيف يسلط عليها الحبشة بعد أن صارت قبله للمسلمين ؟ وأجيب بأن ذلك محمول على أنه يقع فى آخر الزمان قرب قيام الساعة حيث لا يبقى فى الأرض أحدٌ يقول الله الله كما ثبت فى صحيح مسلم **« لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله »** ولهذا وقع فى رواية سعيد بن سمعان **« لا يعمر بعده أبداً »** وقد وقع قبل ذلك فيه من القتال وغزو أهل الشام له فى زمن يزيد بن معاوية ثم من بعده فى وقائع كثيرة من أعظمها وقعة القرامطة بعد الثلاثمائة فقتلوا من المسلمين فى المطاف من لا يحصى كثرة وقلعوا الحجر الأسود فحولوه إلى بلادهم ثم أعادوه بعد مدة طويلة ثم غزى مراراً بعد ذلك ، وكل ذلك لا يعارض قوله تعالى **﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ﴾** لأن ذلك إنما وقع بأيدى المسلمين فهو مطابق لقوله ﷺ **« ولن يستحل هذا البيت إلا أهله »** فوقع ما أخبر به النبى ﷺ وهو من علامات نبوته ، وليس فى الآية ما يدل على استمرار الأمن المذكور فيها ، والله أعلم .

(١) قال الحافظ : قوله : (**كأنى به**) كذا فى جميع الروايات عن ابن عباس فى هذا الحديث ، والذى يظهر أن فى الحديث شيئاً حذف ، ويحتمل أن يكون هو ما وقع فى حديث علىّ عند أبى عبيد فى (غريب الحديث) من طريق أبى العالية عن علىّ قال (استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه فكأنى برجل من الحبشة أصلع - أو قال أصمع حمش الساقين قاعد عليها وهى تهدم).

(٢) قال الحافظ فى الفتح ، والفحج تباعد ما بين الساقين .

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/٢٢٠) :

حدثنا أحمد بن عبد الملك - وهو الحرانى - ثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلبها حليتها ويجردها من كسوتها ، ولكأنى أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته ومعاوله** » .

حسن[1]

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/٢٩١) :

حدثنا يزيد أنا ابن أبى ذئب عن سعيد بن سمعان سمعت أبا هريرة يخبر أبا قتادة أن رسول الله ﷺ قال : « **يُبايع لرجلٍ ما بين الركن والمقام ولن يستحل البيت إلا أهله فإذا استحلوه فلا يسأل عن هلكةِ العرب ثم تأتى الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً وهم الذين يستخرجون كنزه** » .

صحيح

وأخرجه أحمد أيضاً (٢/٢٩١ و ٣١٢ و ٣٢٨ و ٣٥١) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (١٥٩٣) :

حدثنا أحمد حدثنا أبى حدثنا إبراهيم عن الحجاج بن حجاج عن قتادة عن عبد الله بن أبى عتبة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « **ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج** » .

صحيح

تابعه أبان وعمران عن قتادة ، وقال عبد الرحمن : عن شعبة قال : « **لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت** » .

---

(١) ولأصله شواهد تقدمت .

والأول أكثر[1] . سمع قتادة عبدَ الله ، وعبدُ الله أبا سعيد .

قال الحافظ أبو يعلى الموصلى رحمه الله (٢٧٧/٢) :

حدثنا أبو خيثمة حدثنا يحيى عن شعبة حدثنى قتادة عن عبد الله بن أبى عتبة عن أبى سعيد الخدرى قال : « كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء فى خدرها » وقال : « **لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت** » .

إسناده صحيح موقوف[2]

---

(١) أى أن الذين رووا الحديث عن قتادة باللفظ الأول (**ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج**) أكثر عدداً .

قال الحافظ فى الفتح : قال البخارى : (والأول أكثر) أى لاتفاق من تقدم ذكره على هذا اللفظ وانفراد شعبة بما يخالفهم ، وإنما قال ذلك لأن ظاهرهما التعارض لأن المفهوم من الأول أن البيت يحج بعد أشراط الساعة ، ومن الثانى أنه لا يحج بعدها ولكن يمكن الجمع بين الحديثين فإنه لا يلزم من حج الناس بعد خروج يأجوج ومأجوج ، أن يمتنع الحج فى وقت ما عند قرب ظهور الساعة .

ويظهر والله أعلم أن المراد بقوله (**ليحجن البيت**) أى مكان البيت لما سيأتى بعد باب أن الحبشة إذا خربوه لم يعمر بعد .

هذا وقد رجح أبو حاتم فى العلل (٤٠٧/٢) ما رجحه البخارى ففى العلل قال ابن أبى حاتم : سألت أبى عن حديث رواه عبد الرحمن بن مهدى عن شعبة عن قتادة عن عبد الله بن عتبة أو ابن أبى عتبة عن أبى سعيد قال : ليحجن هذا البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج ، قلت : روى هذا الحديث أبان العطار عن قتادة عن عبد الله بن أبى عتبة عن أبى سعيد عن النبى ﷺ فأيهما الصحيح قال أبى : سمعت أبا زياد حماد بن زاذان يحدث عن عبد الرحمن هذين الحديثين ثم قال : سمعت عبد الرحمن يقول ما أرى أبان إلا وقد حفظ قال أبى : حديث أبان أصح من حديث شعبة .

(٢) ونعنى بالقدر الموقوف قوله : « **لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت** » .

وأخرجه الحاكم (٤٥٣/٤)[1] وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد أوقفه أبو داود عن شعبة والله أعلم .

وانظر الحديث المتقدم .

* * *

(١) لفظ الحاكم .. عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت** » .

بقاء طائفة من هذه الأمة ظاهرة على الحق إلى قيام الساعة لا يضرها تخاذل المتخاذلين ولا خلاف المخالفين

حديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٣١١) :

حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسماعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة عن النبى ﷺ قال : « **لا تزال طائفة[١] من أمتى ظاهرين[٢] حتى يأتيهم** ....

---

(١) ● قال البخارى رحمه الله (مع الفتح ٢٩٣/١٣) فى تفسير هذه الطائفة : هم أهل العلم .

● وقال أبو عيسى الترمذى رحمه الله (السنن مع تحقيق أحمد شاكر ٥٠٤/٤) : سمعت محمد بن إسماعيل يقول : سمعت علىّ بن المدينى يقول : وذكر هذا الحديث (يعنى حديث ثوبان وسيأتى قريباً) عن النبى ﷺ : « **لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق** » فقال على : هم أهل الحديث .

● وقال الحافظ فى الفتح (٢٩٣/١٣) : وأخرج الحاكم بسند صحيح عن أحمد : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدرى من هُم ، ومن طريق يزيد بن هارون مثله .

● وقال عدد من أهلْ العلم فى تأويل قوله تعالى ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً**﴾ هم الطائفة المذكورة فى حديث « **لا تزال طائفة من أمتى** .. » ذكر ذلك البخارى فى خلق أفعال العباد .

● وقال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٥٨٤/٤) : يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونوا متفرقين فى أقطار الأرض .

(٢) قال الحافظ فى الفتح قوله : « **حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون** » أى على من خالفهم أى غالبون أو المراد بالظهور أنهم غير مستترين بل مشهورون، والأول أولى.

أمر الله[1] وهم ظاهرون » .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٩٢١) .

حديث ثوبان رضى الله عنه

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٩٢٠) :

حدثنا سعيد بن منصور وأبو الربيع العتكى وقتيبة بن سعيد قالوا : حدثنا حماد (وهو ابن زيد) عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى أسماء عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك** » .

صحيح

وليس فى حديث قتيبة : « وهم كذلك » .

وتقدم تخريجه .

(١) قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٥٨٣/٤) : والمراد بقوله ﷺ : « **حتى يأتى أمر الله** » من الريح التى تأتى فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة ، وأن المراد برواية من روى : « **حتى تقوم الساعة** » أى تقرب الساعة ، وهو خروج الريح . وذكر الحافظ فى الفتح : أن المراد بأمر الله هبوب تلك الريح ، وأن المراد بقيام الساعة : ساعتهم ، وأن المراد بالذين يكونون ببيت المقدس : الذين يحصرهم الدجال إذا خرج فينزل عيسى إليهم فيقتل الدجال ، ويظهر الدين فى زمن عيسى ثم بعد موت عيسى تهب الريح المذكورة .

حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٩٢٣) :

حدثنى هارون بن عبد الله وحجاج بن الشاعر قالا : حدثنا حجاج بن محمد قال : قال ابن جريج : أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة** » .

صحيح

حديث جابر بن سمرة رضى الله عنه

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٩٢٢) :

وحدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة عن النبى ﷺ أنه قال : « **لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة** » .

صحيح

حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٩٢٥) :

حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا هشيم عن داود بن أبى هند عن أبى عثمان عن سعد ابن أبى وقاص قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يزال أهل الغرب[١] ظاهرين**

---

(١) قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٤/٥٨٥) : قال علىّ بن المدينى : المراد =

على الحق حتى تقوم الساعة »[1] .

صحيح

حديث معاوية رضى الله عنه

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٣١٢) :

حدثنا إسماعيل حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب أخبرنى حميد قال : سمعت معاوية بن أبى سفيان يخطب قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « **من يرد الله به خيراً يفقههفى الدين، وإنما أنا قاسم ويعطى الله ، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة أو حتى يأتى أمر الله** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٠٣٧) .

= بأهل الغرب العرب والمراد بالغرب الدلو الكبير لاختصاصهم بها غالباً ، وقال آخرون : المراد به الغرب من الأرض ، وقال معاذ : هم بالشام ، وجاء فى حديث آخر هم ببيت المقدس وقيل : هم أهل الشام وما وراء ذلك . قال القاضى : وقيل : المراد بأهل الغرب أهل الشدة والجلد ، وغرب كل شىء حده .
ولمزيد انظر فتح البارى (٢٩٥/١٣) .

(١) إن قيل : كيف يجمع بين هذا الحديث مع الأحاديث المشابهة له ، وبين حديث « **لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس** » ، فقد ذُكر عن الطبرى رحمه الله أنه قال : إن شرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة يكونون بموضع مخصوص ، وأن موضعاً آخر يكون به طائفة يقاتلون على الحق لا يضرهم من خالفهم .
هذا وفى ثنايا هذا الكتاب مزيد كلام للجمع بين الحديثين .

حديث عمران بن حصين رضى الله عنه

قال أبو داود رحمه الله (٢٤٨٤) :

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن قتادة عن مطرف عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم[1] حتى يقاتل آخرُهم المسيح الدجال** » .

صحيح

حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه

قال الإمام مسلم رحمه الله (حديث ١٩٢٤ ص١٥٢٤) :

حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثنا عمى عبد الله بن وهب حدثنا عمرو بن الحارث حدثنى يزيد بن أبى حبيب حدثنى عبد الرحمن بن شماسة المهرى قال : كنت عند مسلمة بن مخلد وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص فقال عبد الله : لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق هم شر من أهل الجاهلية لا يدعون الله بشىء إلا رده عليهم .

موقوف صحيح

فبينما هم على ذلك أقبل عقبة بن عامر فقال له مسلمة يا عقبة اسمع ما يقول عبد الله فقال عقبة : هو أعلم ، وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا تزال عصابة من أمتى يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم**

---

(١) المناوأة المعاداة ، وناوأهم ناهضهم وعاداهم .

حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك » .

صحيح

فقال عبد الله : أجل ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك مسها مس الحرير فلا تترك نفساً فى قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة .

موقوف صحيح

وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٤/٤٥٦) وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه[1] .

وقال الذهبى صحيح .

* * *

(١) قلت : وقد أخرجه مسلم كما ترى .

بقية أشراط الساعة الصغرى

وقول الله عز وجل

﴿ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها ﴾

محمد الآية (١٨)

* * *



قرب الساعة

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٥٠٣) :

حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا أبو غسان حدثنا أبو حازم عن سهل قال : قال رسول الله ﷺ :« **بعثت أنا والساعة كهاتين**[1] ، **ويشير بإصبعيه فيمدهما** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٥٠) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٥٠٥) :

حدثنى يحيى بن يوسف أخبرنا أبو بكر عن أبى حصين عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « **بعثت أنا والساعة كهاتين يعنى إصبعين** » .

صحيح

تابعه إسرائيل عن أبى حصين .

وأخرجه ابن ماجه (٤٠٤٠) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٥٠٤) :

حدثنى عبد الله بن محمد – هو الجعفى – حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة

---

(١) أخرج أحمد (٣٤٨/٥) من حديث بريدة رضى الله عنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « **بعثت أنا والساعة جميعاً إن كادت لتسبقنى** » وفى إسنادة بشير وهو ابن المهاجر يخالف فى بعض حديثه قاله البخارى وقد روى ما لا يتابع عليه قاله ابن عدى ، فلا تطمئن أنفسنا إلى ما يأتى به من زيادات والله أعلم .

عن قتادة وأبي التياح عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال : « **بعثت أنا والساعة كهاتين** »[1] .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٥١) والترمذي (٢٢١٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٣٤٩/١١) : قال عياض وغيره : أشار بهذا الحديث على اختلاف ألفاظه إلى قلة المدة بينه وبين الساعة والتفاوت إما في المجاورة وإما في قدر ما بينهما ويعضده قوله (**كفضل إحداهما على الأخرى**) ، وقال بعضهم : هذا الذي يتجه أن يقال ، ولو كان المرد الأول لقامت الساعة لاتصال إحدى الإصبعين بالأخرى .

● قال ابن التين : اختلف في معنى قوله (**كهاتين**) فقيل كما بين السبابة والوسطى في الطول ، وقيل المعنى ليس بينه وبينها نبي .

● وقال القرطبي في (المفهم) : حاصل الحديث تقريب أمر الساعة وسرعة مجيئها ، قال : وعلى رواية النصب يكون التشبيه وقع بالانضمام ، وعلى الرفع وقع بالتفاوت .

● وقال البيضاوي : معناه أن نسبة تقدم البعثة النبوية على قيام الساعة كنسبة فضل إحدى الإصبعين على الأخرى .

● وقيل المراد استمرار دعوته لا تفترق إحداهما عن الأخرى كما أن الإصبعين لا تفترق إحداهما عن الأخرى .

● وقال القرطبي في (التذكرة) : معنى هذا الحديث تقريب أمر الساعة ، ولا منافاة بينه وبين قوله في الحديث الآخر : « **ما المسئول عنها بأعلم من السائل** » فإن المراد بحديث الباب أنه ليس بينه وبين الساعة نبي كما ليس بين السبابة والوسطى إصبع أخرى ، ولا يلزم من ذلك علم وقتها بعينه لكن سياقه يفيد قربها وأن أشراطها متتابعة كما قال الله تعالى ﴿ **فقد جاء أشراطها** ﴾ قال الضحاك : أول أشراطها بعثة محمد ﷺ ، والحكمة في تقدم الأشراط إيقاظ =

قال الدولابى رحمه الله (الكنى ١/٢٣) :

حدثنا محمد بن منصور الجوّاز قال : ثنا سفيان عن إسماعيل عن قيس بن أبى حازم عن أبى جبيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **بعثت فى نسيم الساعة** » .

صحيح[(١)]

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٤٥٩) :

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « **إنما أجلكم**[(٢)] **فى أجل من خلا من الأمم ما بين**

= الغافلين وحثهم على التوبة والاستعداد ،وقال الكرمانى : قيل :معناه الإشارة إلى قرب المجاورة ، وقيل إلى تفاوت ما بينهما طولاً ، وعلى هذا فالنظر فى القول الأول إلى العرض ، وقيل المراد ليس بينهما واسطة ، ولا معارضة بين هذا وبين قوله تعالى ﴿ **إن الله عنده علم الساعة** ﴾ ونحو ذلك لأن علم قربها لا يستلزم علم وقت مجيئها معيناً .
وقيل : معنى الحديث أنه ليس بينه وبين القيامة شىء هى التى تلينى كما تلى السبابة الوسطى ، وعلى هذا فلا تنافى بين ما دل عليه الحديث وبين قوله تعالى عن الساعة ﴿ **لا يعلمها إلا هو**﴾ .

(١) وقد ورد بعض الاختلاف فى صحبة أبى جبيرة كما فى الإصابة (٤/٣١) وقد احتج بعض أهل العلم على إثبات صحبته بما أخرجه أحمد (٤/٢٦٠) والترمذى (٣٢٦٨) وقال : حديث حسن صحيح وغيرهما بإسناد صحيح إلى أبى جبيرة قال : فينا نزلت فى بنى سلمة ﴿ **ولا تنابزوا بالألقاب** ﴾ . قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فكان إذا دعى أحد منهم باسم من تلك الأسماء قالوا : يا رسول الله إنه يغضب من هذا قال : فنزلت ﴿ **ولا تنابزوا بالألقاب** ﴾ .

(٢) قال الحافظ فى الفتح (١١/٣٥١) : وله محملان : أحدهما : أن المراد بالتشبيه التقريب ولا يراد حقيقة المقدار فيه ، والثانى : أن يحمل على ظاهره ويكون فيه دلالة على أن مدة هذه الأمة قدر خمس النهار تقريباً .

صلاة العصر إلى مغرب الشمس وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال من يعمل لى إلى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط . ثم قال : من يعمل لى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ، ثم قال : من يعمل لى من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين ، ألا لكم الأجر مرتين . فغضبت اليهود والنصارى فقالوا : نحن أكثر عملاً وأقل عطاء . قال الله : هل ظلمتكم من حقكم شيئاً ؟ قالوا : لا . قال : فإنه فضلى أعطيه من أشاء » .

صحيح

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/١١٥) :

حدثنا الفضل بن دكين ثنا شريك سمعت سلمة بن كهيل يحدث عن مجاهد عن ابن عمر قال : كنا جلوساً عند النبى ﷺ والشمس على قعيقعان بعد العصر فقال : « **ما أعماركم فى أعمار من مضى إلا كما بقى من النهار فيما مضى منه** » .

حسن[1]

(١) وقد حسن الحافظ ابن حجر إسناده فى الفتح (١١/٣٥٠) .
وللحديث شاهد عند أحمد (٣/١٩ و ٦١) من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مرفوعاً بنحوه وفى إسناده علىّ بن زيد بن جدعان وهو ضعيف إلا أنه يصلح فى الشواهد والمتابعات .

قول النبى ﷺ: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرنِ القرن؟»

قال الحافظ أبو يعلى الموصلى رحمه الله (٣٣٩/٢) :

حدثنا عثمان حدثنا جرير عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « **كيف أنعم وصاحب القرن[1] قد التقم وحنا جبهته ينتظر متى يؤمر أن ينفخ ؟** » قيل : قلنا : يا رسول الله ما نقول يؤمئذ ؟ قال : « **قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا** » .

إسناده صحيح[2]

وأخرجه ابن حبان (موارد الظمآن ٢٥٦٩) والحاكم فى (٥٥٩/٤) .

---

(١) القرن هو الصور .

(٢) وقد رواه عطية العوفى عن أبى سعيد عن رسول الله ﷺ بنحوه أخرجه أحمد (٧/٣ و ٧٣) والترمذى (٣٢٤٣) وقال : هذا حديث حسن ، وقد رواه الأعمش أيضاً عن عطية عن أبى سعيد ، وأخرجه أيضاً ابن المبارك فى الزهد (١٥٩٧) وأبو نعيم فى الحلية (١٠٥/٥ ، ١٣٠/٧) ، وقد اضطرب فيه عطية العوفى فرواه عن أبى سعيد عن رسول الله ﷺ كما عند هؤلاء المذكورين الذين أشرنا إليهم ، ورواه عطية العوفى أيضاً عن ابن عباس مرفوعاً كما عند أحمد (٣٢٦/١) .

ورواه عطية العوفى عن زيد بن أرقم مرفوعاً كما عند أحمد (٣٧٤/٤) ولكنى أرى الرواية التى فيها ذكر زيد بن أرقم وهماً ليس من أوهام عطية العوفى بل من أوهام الراوى عنه وهو خالد بن طهمان أبو العلاء الخفاف فقد ذكر ابن معين أنه قد اختلط قبل موته بعشر سنين ، ومما يؤكد لى ذلك أنه (أعنى خالداً) رواه مرة عن عطية عن زيد بن أرقم ومرة عن عطية عن أبى سعيد كما عند أحمد (٣٧٤/٤) فهذا يدل على أن الوهم إنما هو من خالد .

وعلى كل حال فالرواية المحفوظة هى رواية عطية عن أبى سعيد وعطية ضعيف =

= على الراجح . ولكنه قد توبع كما فى مسند حديث الباب تابعه أبو صالح عن أبى سعيد ، وإسناد طريق أبى صالح عن أبى سعيد صحيح كما قد ذكرنا ، ولكن الذى يخشى منه هو أن الأعمش رحمه الله روى الحديث عن عطية عن أبى سعيد ، ورواه عن أبى صالح عن أبى سعيد فهل يُقال أن للأعمش شيخين أبو صالح وعطية ، لقائل أن يقول هذا ويشجعه على هذا القول كون الأعمش رحمه الله حافظ مكثر ، ويشجعه أيضاً ظاهر الروايات . أم يقال أن الأعمش أو مَنْ دونه وهموا فى الرواية التى فيها ذكر أبى صالح وذلك لاشتهار طريق عطية العوفى عن أبى سعيد .

هذا القول الأخير قول غير قوى عندى وذلك لأن فيه توهيم الرواة بلا مستند قوى فالمصير إلى الظاهر أولى ، والإسناد صحيح والحمد لله .

وللحديث شاهد عند الحاكم (٤/٥٥٨ - ٥٥٩) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن طرف صاحب الصور مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان** » .

* * *

دفع توهم[1]

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٠١) :

حدثنا أبو اليمان قال : أخبرنا شعيب عن الزهرى قال : حدثنى سالم بن عبد الله ابن عمر وأبو بكر بن أبى حثمة أن عبد الله بن عمر قال : صلى النبى ﷺ صلاة العشاء فى آخر حياته فلما سلم قام النبى ﷺ فقال : « **أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد** » ، فوهل الناس فى مقالة رسول الله ﷺ إلى ما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة ، وإنما قال النبى ﷺ : « **لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض** » يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٥٣٧) وأحمد (١٢١/٢) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٥٣٩) :

حدثنا ابن نمير حدثنا أبو خالد عن داود (واللفظ له) ح وحدثنا أبو بكر بن

---

(١) هذه الأحاديث قد تفهم على غير وجهها من بعض الناس فيتشككون فى حديث رسول الله ﷺ وهو عليه السلام لا ينطق عن الهوى ، فأوردناها وأوردنا توجيهها دفاعاً عن سنة المصطفى ﷺ أما توجيهها فقوله : « **فإن رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد** » فهو واضح أن المراد بذلك انخرام قرن النبى ﷺ أى أنه لا تمر مائة سنة من هذه المقالة إلا وقد مات كل من على ظهر الأرض ممن كان حياً وقت هذه المقالة ، ويوضحه الحديث الأخير الذى أوردناه وهو : « **إن يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم** » ففى قوله : ساعتكم ما يشير إلى أن المراد ساعة المخاطبين والله تعالى أعلم .

أبى شيبة حدثنا سليمان بن حيان عن داود عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال : لما رجع النبى ﷺ من تبوك سألوه عن الساعة فقال رسول الله ﷺ : **« لا تأتى مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم »** .

صحيح

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٥٣٨) :

حدثنى هارون بن عبد الله وحجاج بن الشاعر قالا : حدثنا حجاج بن محمد قال : قال ابن جريج : أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : سمعت النبى ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر **« تسألونى عن الساعة وإنما علمها عند الله وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة تأتى عليها مائة سنة »** .

صحيح

حدثنيه محمد بن حاتم حدثنا محمد بن بكر أخبرنا ابن جريج بهذا الإسناد ، ولم يذكر قبل موته بشهر .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٥١١) :

حدثنى صدقة أخبرنا عبدة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : كان رجال من الأعراب جفاة يأتون النبى ﷺ فيسألونه : متى الساعة ؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول : **« إن يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم »** قال هشام : يعنى موتهم .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٥٢) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٥٣) :

وحدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا يونس بن محمد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : متى تقوم الساعة ؟ وعنده

غلام من الأنصار يقال له محمد . فقال رسول الله ﷺ « **إن يعش هذا الغلام فعسى أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة** »[1] .

صحيح

غربة الإسلام وأهله آخر الزمان

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٤٥) :

حدثنا محمد بن عباد وابن أبى عمر جميعاً عن مروان الفزارى . قال ابن عباد : حدثنا مروان عن يزيد يعنى ابن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **بدأ الإسلام غريباً[2] وسيعود غريباً كما بدأ**

---

(١) قال القاضى : هذه الروايات كلها محمولة على معنى الأول ، والمراد بساعتكم : موتهم ومعناه يموت ذلك القرن أو أولئك المخاطبون ، قلت : ويحتمل أنه علم أن ذلك الغلام لا يبلغ الهرم ولا يعمر ولا يؤخر .

(٢) قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٣٥٩/١) : وأما معنى الحديث فقال القاضى عياض رحمه الله فى قوله (**غريباً**) : روى ابن أبى أويس عن مالك رحمه الله : أن معناه فى المدينة وأن الإسلام بدأ بها غريباً وسيعود إليها قال القاضى : وظاهر الحديث العموم ، وأن الإسلام بدأ فى آحاد من الناس وقلة ثم انتشر وظهر ثم سيلحقه النقص والإخلال حتى لا يبقى إلا فى آحاد وقلة أيضاً كما بدأ ، وجاء فى الحديث تفسير (**الغرباء**) وهم النزاع من القبائل . قال الهروى : أراد بذلك المهاجرين الذين هجروا أوطانهم إلى الله تعالى . قال القاضى : وقوله ﷺ « **وهو يأرز إلى المدينة** » معناه أن الإيمان أولاً وآخراً بهذه الصفة لأنه فى أول الإسلام كان كل من خلص إيمانه وصح إسلامه أتى المدينة إما مهاجراً مستوطناً وإما متشوقاً إلى رؤية رسول الله ﷺ ومتعلماً منه ومتقرباً ثم بعده هكذا فى زمن الخلفاء كذلك ولأخذ سيرة العدل منهم والاقتداء بجمهور الصحابة رضوان الله عليهم فيها ثم من بعدهم من العلماء الذين كانوا سرج الوقت وأئمة الهدى لأخذ =

فطوبى[1] للغرباء .

صحيح

وأخرجه ابن ماجه (٣٩٨٦) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٤٧) :

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا عبد الله بن نمير وأبو أسامة عن عبيد الله بن عمر ح وحدثنا ابن نمير حدثنا أبى حدثنا عبيد الله عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الإيمان ليأرز[2] إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جُحرها** » .

صحيح

وأخرجه البخارى (١٨٧٦) وابن ماجه (٣١١١) .

= السنن المنتشرة بها عنهم فكان كل ثابت الإيمان منشرح الصدر به يرحل إليها ثم بعد ذلك فى كل وقت إلى زماننا لزيارة قبر النبى ﷺ والتبرك بمشاهده وآثاره وآثار أصحابه الكرام فلا يأتيها إلا مؤمن هذا كلام القاضى والله أعلم بالصواب . قلت : وفى ختام كلامه نظر فلم نقف على أن أحداً من الصحابة شد رحله لزيارة قبر رسول الله ﷺ بأبى هو وأمى (قاله مصطفى) .

(١) قال النووى رحمه الله (**طوبى**) فعلى من الطيب قاله الفراء قال وإنما جاءت الواو لضمة الطاء قال : وفيها لغتان تقول العرب (طوباك) (وطوبى لك) وأما معنى طوبى فاختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى ﴿ **طوبى لهم وحسن مآب** ﴾ فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن معناه : فرح وقرة عين ، وقال عكرمة : نِعم مالهم . وقال الضحاك : غبطة لهم ، وقال قتادة : حسنى لهم ، وعن قتادة أيضاً معناه : أصابوا خيراً وقال إبراهيم : خير لهم وكرامة ، وقال ابن عجلان : دوام الخير ، وقيل : الجنة ، وقيل : شجرة فى الجنة ، وكل هذه الأقوال محتملة فى الحديث والله أعلم .

(٢) يأرز : فى لسان العرب ص٥٩ وأرزت الحية تأرز ثبتت فى جحرها وأرزت أيضاً لاذت بجحرها ورجعت إليه ، وفى الحديث إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها . قال الأصمعى : يأرز أى ينضم إليها ويجتمع بعضه إلى =

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٤٦) :

وحدثنى محمد بن رافع والفضل بن سهل الأعرج قالا : حدثنا شبابة بن سوار حدثنا عاصم وهو ابن محمد العمرى عن أبيه عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال : **« إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية فى جحرها »** .

صحيح

قال الإمام عبد الله بن أحمد رحمه الله (المسند ١/٣٩٨) :

حدثنى أبى ثنا عبد الله بن محمد بن أبى شيبة – وسمعته أنا من ابن أبى شيبة – ثنا حفص بن غياث عن الأعمش عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء** قيل ومن الغرباء قال **النزاع من القبائل** » .

رجاله ثقات

وأخرجه الدارمى (٢/٣١١ – ٣١٢) وأبو يعلى (٨/٣٨٨) .

ذهاب الصالحين

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٤٣٤) :

حدثنى يحيى بن حماد حدثنا أبو عوانة عن بيان عن قيس بن أبى حازم عن مرداس الأسلمى قال : قال النبى ﷺ : « **يذهب الصالحون الأول فالأول ،**

= بعض فيها ، ومنه كلام على عليه السلام حتى يأرز الأمر إلى غيركم . والمأرز : الملجأ .

ويبقى حفالة[1] كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة »[2] قال أبو عبد الله : يقال : حفالة وحثالة .

صحيح[3]

وأخرجه أحمد (١٩٣/٤) والدارمى (٣٠١/٢) .

ردة أقوام آخر الزمان

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧١١٦) :

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال : قال سعيد بن المسيب : أخبرنى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى**

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (٢٥٢/١١) : وقال الخطابى : الحثالة بالفاء وبالمثلثة الردىء من كل شىء وقيل : آخر ما يبقى من الشعير والتمر وأرداه ، وقال ابن التين : الحثالة سقط الناس ، وأصلها ما يتساقط من قشور التمر والشعير وغيرهما ، وقال الداودى : ما يسقط من الشعير عند الغربلة ويبقى من التمر بعد الأكل .

(٢) وقد أخرجه البخارى أيضاً موقوفاً (٤١٥٦) ولا يضر وقف من وقفه فقد رواه الأثبات مرفوعاً .

وقال الحافظ فى الفتح : وقد وجدت لهذا الحديث شاهداً من رواية الفزارية امرأة عمر بلفظ تذهبون الخير فالخير حتى لا يبقى منكم إلا حثالة كحثالة التمر ينزو بعضهم على بعض نزو المعز .

(٣) فى رواية البخارى الموقوفة: لا يعبأ الله بهم شيئاً، وهى كقوله ﷺ فى حديث عياض ابن حمار المجاشعى: « **إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم** » والله أعلم .

وفى هذا الحديث دليل على أن موت الصالحين من أشراط الساعة. وهذا واضح لا يخفى هذا وللحديث طرق أخرى عند الحاكم فى المستدرك (٤٣٤/٤) فراجعها إن شئت .

تضطرب[1] أليات نساء دوس[2] على ذى الخَلَصَة » .

صحيح

وذو الخلصة : طاغية دوس التى كانوا يعبدون فى الجاهلية[3] .

وأخرجه مسلم (٢٩٠٦) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٠٧) :

حدثنا أبو كامل الجحدرى وأبو معن زيد بن يزيد الرقاشى (واللفظ لأبى معن) قالا : حدثنا خالد بن الحارث حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن الأسود بن العلاء عن أبى سلمة عن عائشة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى** » فقلت : يا رسول الله ! إن كنت لأظن حين أنزل الله : هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أن ذلك تاماً قال : « **إنه سيكون من ذلك ما شاء الله**

---

(١) فى قوله تضطرب أليات قولان الأول أن أعجازهن تضطرب حول ذى الخلصة من الطواف حوله أى أنهم يكفرون ويرجعون إلى عبادة الأصنام وتعظيمها .
الثانى : أن النساء يركبن الدواب من البلدان إلى الصنم المذكور فتضطرب ألياتهن .
وفى الحديث أن الشرك سيرجع إلى بعض بلاد العرب مرة ثانية ولا يلزم من رجوعه أن يعم : فقد قال النبى ﷺ : « **لا تزال طائفة من أمتى على الحق يقاتلون** .. » الحديث .
اللهم إلا أن يقال إن يعم وعلى أهله تقوم الساعة لقول النبى ﷺ : « **لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس** » .

(٢) دوس هى قبيلة من قبائل اليمن .

(٣) فى بعض الروايات من الزيادة (**طاغية دوس التى كانوا يعبدون فى الجاهلية بتبالة**) قال النووى : وتبالة موضع باليمن وليست تبالة التى يضرب بها المثل ويقال . أهون على الحجاج من تبالة لأن تلك بالطائف .

ثم يبعث الله ريحاً طيبة فتوفى كلَّ من فى قلبه مثقال حبة خردلٍ من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم » .

صحيح

وحدثناه محمد بن المثنى حدثنا أبو بكر (وهو الحنفى) حدثنا عبد الحميد بن جعفر بهذا الإسناد نحوه .

قال الترمذى رحمه الله (٢٢١٩) :

حدثنا قتيبة حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى أسماء الرحبى عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : **« لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين وحتى يعبدوا الأوثان ، وإنه سيكون فى أمتى ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبى ، وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدى »** .

صحيح

وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

تداعى الأمم على أمة محمد ﷺ

قال الإمام أحمد رحمه الله (المسند ٥/٢٧٨) :

حدثنا أبو النضر ثنا ابن المبارك[١] ثنا مرزوق أبو عبد الله الحمصى أنا أبو أسماء الرحبى عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **« يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها**

---

(١) كذا هى فى المسند (ابن المبارك) والذى يبدو لى أنها تصحفت والصواب مبارك وهو ابن فضاله كما عند أبى نعيم فى الحلية (١/١٨٢) .
هذا وللحديث شاهد عند أبى داود (٤٢٩٧) من طريق أبى عبد السلام عن ثوبان عن رسول الله ﷺ بنحوه . إلا أن أبا عبد السلام مجهول .

قال : قلنا : يا رسول الله أمِن قلة بنا يومئذ ؟ قال **أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل فى قلوبكم الوهن** قال : قلنا : وما الوهن ؟ قال : **حب الحياة وكراهية الموت** » .

حسن

وأخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/١٨٢) .

نقض عرى الإسلام عروة عروة

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/٢٥١) :

حدثنا الوليد بن مسلم حدثنى عبد العزيز بن إسماعيل بن عبيد الله أن سليمان بن حبيب حدثهم عن أبى أمامة الباهلى عن رسول الله ﷺ قال : « **لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتى تليها ، وأوَّلهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة** » .

صحيح

وأخرجه ابن حبان (موارد الظمآن ٢٥٧) والحاكم فى المستدرك (٤/٩٢) وقال : عبد العزيز هذا هو ابن عبيد الله بن حمزة بن صهيب ، وإسماعيل هو ابن عبيد الله بن المهاجر ، والإسناد كله صحيح ، وتعقبه الذهبى بقوله : عبد العزيز ضعيف[١] .

---

(١) قلت : وما جزم به الحاكم وتعقبه بسببه الذهبى من أن عبد العزيز هو ابن عبيد الله بن حمزة بن صهيب خطأ منشؤه التصحيف فقد وقع فى رواية الحاكم : عبد العزيز عن إسماعيل والصواب عبد العزيز بن إسماعيل كما فى رواية أحمد وابن حبان ، ثم إن عبد العزيز بن عبيد الله بن حمزة بن صهيب لم يروعنه إلا إسماعيل بن عياش . فالصواب أنه عبد العزيز بن إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر وترجمته فى تعجيل المنفعة وفيها أنه روى عن سليمان بن حبيب وروى عنه الوليد بن مسلم ، وفيها أيضاً أن ابن حبان وثقه ، وقال ابن أبى حاتم : ليس به بأس .

قلة العلم ورفعه وثبوت الجهل وتفشيه من أشراط الساعة

قال الإمام البخارى رحمه الله (حديث ٨٠) :

حدثنا عمران بن ميسرة قال : حدثنا عبد الوارث عن أبى التياح عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن من أشراط[1] الساعة أن يرفع العلم[2] ويثبت**

---

(١) أشار الحافظ رحمه الله إلى أن من الأشراط ما يكون من قبيل المعتاد ومنها ما يكون خارقاً للعادة . (فتح البارى ١٧٨/١) .

(٢) المراد برفع العلم موت حملته لقول النبى ﷺ : « **إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء** .. » الحديث وسيأتى إن شاء الله .

أما ما ورد من حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه الذى أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩) ، والحاكم فى المستدرك (٤٧٣/٤) ، وقال : صحيح على شرط مسلم وسكت عليه الذهبى وصححه الشيخ ناصر الدين الألبانى فى السلسلة الصحيحة رقم (٨٧) من طريق أبى معاوية عن أبى مالك الأشجعى عن ربعى بن حراش عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : « **يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، وليسرى على كتاب الله عز وجل فى ليلة فلا يبقى فى الأرض منه آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إلٰه إلا الله فنحن نقولها** » فقال له صلة : ما تغنى عنهم لا إلٰه إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة » ، فأعرض عنه حذيفة ثم رددها عليه ثلاثاً كلَّ ذلك يعرض عنه حذيفة ثم أقبل عليه فى الثالثة فقال : يا صلة تنجيهم من النار . ثلاثاً .

فهذا الحديث وإن كان رواته ثقات إلا أن فى إسناده محمد بن خازم أبو معاوية الضرير وهو وإن أخرج له الشيخان إلا أنه كان مرجئاً وقد أطبق العلماء على وصفه =

الجهل[١] ويشرب الخمر[٢] ويظهر الزنا »[٣] .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٦٧١) وعزاه المزى للنسائى .

من أشراط الساعة التماس العلم عند الأصاغر

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله (الزهد ٦١) :

أخبرنا عبد الله بن لهيعة[٤] قال حدثنى بكر بن سوادة عن أبى أمية اللخمى أو قال الجمحى والصواب هو الجمحى - هذا قول ابن صاعد - أن رسول الله ﷺ

= بذلك ، فقال العجلى كوفى ثقة وكان يرى الإرجاء وكان لين القول فيه ، وقال يعقوب بن شيبة : ... وكان يرى الإرجاء ، وقال الآجرى عن أبى داود : كان مرجئاً ، وقال مرة : كان رئيس المرجئة بالكوفة ، وقال ابن حبان : كان حافظاً متقناً ولكنه كان مرجئاً خبيثاً ، وقال ابن سعد : ... وكان مرجئاً وقال أبو زرعة كان يرى الإرجاء قيل له : كان يدعو إليه ، قال : نعم .

قلت : فمثل هذا لا يشك أحد أنه كان مرجئاً ، وهذا الحديث - حديث حذيفة - المروى من طريقه يوافق صميم بدعة الإرجاء فنتوقف عن تصحيح هذا الحديث إذ أنه من المقرر عن الكثيرين من علماء المصطلح أن المبتدع الداعى إلى بدعته إذا روى ما يوافق بدعته يتوقف فى أمره والله أعلم .

(١) أى ينتشر الجهل ويظهر ، وسببه قبض العلماء ، وأيضاً كثرة النساء اللواتى هن ناقصات عقل ودين .

(٢) أى يكثر شرب الخمر .

(٣) قال الحافظ فى الفتح (١١٥/١٢) ويظهر الزنا : أى يشيع ويشتهر بحيث لا يتكاتم به لكثرة من يتعاطاه . وفى رواية لمسلم (ويفشو الزنا) .

(٤) ابن لهيعة مختلط إلا أن الراوى عنه هو ابن المبارك وروايته عنه مقبولة عند كثير من أهل العلم .

قال : « إن من أشراط الساعة ثلاث إحداهن أن يلتمس العلم عند الأصاغر »[1] .

رجاله ثقات[2]

كيف يقبض العلم

قال الإمام البخارى رحمه الله (حديث ١٠٠) :

حدثنا إسماعيل بن أبى أويس قال حدثنى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله لا يقبض العلم[3] انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا** »[4] .

صحيح

---

(١) عند ابن المبارك (فى بعض النسخ) من الزيادة (كما أوردها المعلق على الزهد) قال نعيم : قيل لابن المبارك من الأصاغر ؟ قال : الذين يقولون برأيهم فأما صغير يروى عن كبير فليس بصغير .

(٢) ولم يتيسر لى الوقوف على ما يثبت لأبى أمية الجمحى هذا صحبة وقد أورده الحافظ ابن حجر فى القسم الأول من حرف الألف من الكنى فى الإصابة (١١/٤). وقال : قال أبو عمر : ذكره بعضهم فى الصحابة وفيه نظر روى أن النبى ﷺ سئل عن الساعة فقال : « **إن من أشراطها أن يلتمس العلم عند الأصاغر** » وقال أبو موسى : ذكره أبو مسعود فى الصحابة وقال : روى عنه بكر بن سوادة فذكر هذا الحديث ولم يسق إسناده ، وهو عند الطبرانى من طريق ابن لهيعة عن بكر بمعناه.

(٣) أى لا يمحوه من الصدور .

(٤) فى رواية البخارى (٧٣٠٧) : « **إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه** =

وأخرجه مسلم (٢٦٧٣) والترمذى (٢٦٥٢) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه (٥٢) وعزاه المزى للنسائى .

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/٢٦٦) :

حدثنا أبو المغيرة ثنا معان بن رفاعة حدثنى علىّ بن يزيد حدثنى القاسم مولى بنى يزيد عن أبى أمامة الباهلى قال : لما كان فى حجة الوداع قام رسول الله ﷺ وهو يومئذ مردف الفضل بن عباس على جمل آدم فقال « **يا أيها الناس خذوا من العلم قبل أن يقبض وقبل أن يرفع العلم ، وقد كان أنزل الله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ، وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم ﴾** ، » قال : فكنا نذكرها كثيراً من مسألته واتقينا ذاك حين أنزل الله على نبيه ﷺ قال : فأتينا أعرابياً فرشوناه برداء قال فاعتم به حتى رأيت حاشية البرد خارجة من حاجبه الأيمن قال ثم قلنا له سل النبى ﷺ قال : فقال له : يا نبى الله كيف يرفع العلم منا وبين أظهرنا المصاحف وقد تعلمنا ما فيها وعلمناها نساءنا وذرارينا وخدمنا . قال فرفع النبى ﷺ رأسه وقد علت وجهه حمرة من الغضب قال : فقال : « **أى ثكلتك أمك هذه اليهود والنصارى بين أظهرهم المصاحف لم يصبحوا يتعلقوا بحرف مما جاءتهم به أنبياؤهم ألا وإن من ذهاب العلم أن يذهب حملته ثلاث مرار** » .

صحيح لشواهده[1]

والحديث أخرجه الطبرانى فى الكبير (٧٨٦٧) .

= **انتزاعاً ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلُّون ويضلون »** .

(١) ففى إسناده معان بن رفاعة وعلىّ بن يزيد وهما ضعيفان ، إلا أن للحديث شواهد . =

=

● منها ما أخرجه الطبرانى (٧٩٠٦) فقال : حدثنا علىّ بن عبد العزيز وأبو مسلم الكشى قالا : ثنا حجاج بن المنهال ، وثنا أبو مسلم الكشى ثنا أبو عمر الضرير قالا : ثنا حماد بن سلمة عن الحجاج عن الوليد بن أبى مالك عن القاسم أبى عبد الرحمن عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال : « **خذوا العلم قبل أن ينفد ثلاثاً** » قالوا : يا رسول الله وكيف ينفد وفينا كتاب الله فغضب لا يُغضبه الله ثم قال : « **ثكلتكم أمهاتكم ألم تكن التوارة والإنجيل فى بنى إسرائيل ثم لم يغن عنهم شيئاً ، إن ذهاب العلم ذهاب حملته** » ثلاثاً .

وقد أخرجه الدارمى (٧٧/١) من طريق موسى بن خالد أنا معتمر بن سليمان عن الحجاج عن عوف بن مالك عن القاسم أبى عبد الرحمن مولى عبد الرحمن بن يزيد عن أبى أمامة عن رسول الله ﷺ بنحوه .

● وله شاهد عند الطبرانى فى الكبير (٧٣٩٨) من حديث صفوان بن عسال رضى الله عنه مرفوعاً .

● وله شاهد آخر أخرجه أحمد (٢٦/٦ - ٢٧) والطبرانى فى الكبير (٤٣/١٨) .

من طرق عن إبراهيم بن أبى عبلة عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشى قال : ثنا جبير بن نفير عن عوف بن مالك الأشجعى أن رسول الله ﷺ نظر إلى السماء يوماً فقال : « **هذا أوان يرفع العلم** » فقال له رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد : يا رسول الله يرفع العلم وقد أثبت ووعته القلوب ؟!! فقال رسول الله ﷺ : « **إن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة** » ثم ذكر له ضلالة اليهود والنصارى على ما فى أيديهم من كتاب الله ، فلقيت شداد بن أوس فحدثته بحديث عوف فقال : صدق عوف ، ألا أخبرك بأول ذلك يرفع ؟ قال : الخشوع لا ترى خاشعاً .

قلت : وهذا إسناد صحيح قوى .

● وقد ورد الحديث عند الترمذى (٢٦٥٣) من حديث أبى الدرداء فقال الترمذى : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أخبرنا عبد الله بن صالح حدثنى =

قال ابن ماجه رحمه الله (٤٠٤٩) :

حدثنا علىّ بن محمد ثنا أبو معاوية عن أبى مالك الأشجعى عن ربعى بن حراش عن حُذيفة بن اليمان قال : قال رسولُ الله ﷺ : « **يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب ، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، وليسرى على كتاب الله عز وجل فى ليلةٍ فلا يبقى فى الأرض منه آية ، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إلـٰه إلا الله فنحن نقولها** » فقال له صلة : ما تغنى عنهم لا إلـٰه إلا الله وهم

= معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه جبير بن نفير عن أبى الدرداء قال : كنا مع رسول الله ﷺ فشخص بصره إلى السماء ثم قال : « **هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شىء** »، فقال زياد بن لبيد الأنصارى : كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا فقال « **ثكلتك أمك يا زياد إن كنت لأعدُّك من فقهاء أهل المدينة ، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغنى عنهم ؟** » قال جبير فلقيت عبادة بن الصامت ، قلت ألا تسمع إلى ما يقول أخوك أبو الدرداء ؟ فأخبرته بالذى قال أبو الدرداء ، قال صدق أبو الدرداء إن شئت لأحدثنك بأول علم يرفع من الناس ؟ الخشوع ، يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً .

قال أبو عيسى (الترمذى) : هذا حديث حسن غريب ، ومعاوية بن صالح ثقة عند أهل الحديث ، ولا نعلم أحداً تكلم فيه غير يحيى بن سعيد القطان ، وقد روى عن معاوية بن صالح نحو هذا ، وروى بعضهم هذا الحديث عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك عن النبى ﷺ .

قلت : ولا أشك أن مرد الحديثين إلى حديث واحد والذى يترجح لى منهما هو الحديث الأول (حديث عوف بن مالك) لقوة إسناده وعلى كل فهذا الخلاف لا يضر إذ أنه خلاف فى تسمية صحابى الحديث ، والصحابة كلهم عدول ، فالحديث صحيح بمجموع طرقه والله تعالى أعلم .

لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة ؟ » فأعرض عنه حذيفة . ثم ردها عليه ثلاثاً كل ذلك يعرض عنه حذيفة . ثم أقبل عليه فى الثالثة فقال يا صلة تنجيهم من النار . ثلاثاً .

رجاله ثقات[1]

وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٤٧٣/٤ و ٥٤٥) وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه وسكت عنه الذهبى فى الموضع الأول ، ووافقه فى الموضع الثانى .

---

(١) وقد قوى الحافظ ابن حجر إسناد هذا الحديث فى أكثر من موضع من فتح البارى منها (١٦/١٣) .
وصححه الحاكم كما رأيت ووافقه الذهبى فى موضع وسكت عنه فى آخر .
وفى الزوائد : إسناده صحيح وأيضاً قد صححه الشيخ ناصر الدين الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٨٧) . وعلى كل فالحديث رجاله ثقات إلا أن فيه ما يعله من وجه قد لا يلتفت إليه بعض المصححين ، ألا وهو كون أبى معاوية (أحد رجال إسناده) كان مرجئاً وقد أطبق أهل العلم على وصفه بالإرجاء بل وذكر غير واحد أنه كان داعية إلى الإرجاء بل رأساً من رءوس المرجئة بل رئيسهم .، وهذا الحديث يوافق صميم بدعة الإرجاء ألا وهو تأخير العمل عن القول والاكتفاء بقول لا إلـٰه إلا الله . فلذلك أعللنا هذا الحديث من هذا الجانب (أى لأن فى إسناده مبتدعاً داعية إلى بدعته روى ما يوافق بدعته) وقد فصلنا القول فى هذا فى رسالتنا نظرات فى سلسلة الأحاديث الصحيحة .
وأيضاً ففى قوله على شرط مسلم ما لا يوافق عليه لأنه ليس فى صحيح مسلم سند مشابه لهذا السند ، وقد فصلنا القول فى ذلك أيضاً .
ثم إن مما يشعر بضعفه تفرد ابن ماجه بروايته من بين أصحاب الكتب الستة وأيضاً فقد روى موقوفاً على حذيفة رضى الله عنه كما عند الحاكم فى المستدرك (٥٠٥/٤) .
والعلم عند الله تعالى .

استحلال الخمر وتسميتها بغير اسمها من أشراط الساعة

قال النسائى رحمه الله (٣١٢/٨) :

أخبرنا محمد بن عبد الأعلى عن خالد – وهو ابن الحارث – عن شعبة قال : سمعت أبا بكر بن حفص يقول سمعت بن محيريز يحدث عن رجل من أصحاب النبى ﷺ عن النبى ﷺ قال : « **يشرب ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها** » .

إسناده صحيح[1]

وأخرجه أحمد (٢٣٧/٤) .

---

(١) إلا أنه قد روى عند أحمد (٣١٨/٥) وابن ماجه (٣٣٨٥) من طريق سعد بن أوس الكاتب عن بلال بن يحيى العبسى عن أبى بكر بن حفص عن ابن محيريز عن ثابت بن السمط عن عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ به . أى أن بلال بن يحيى زاد ثابت بن السمط فى السند ، وأيضاً سمى صحابى الحديث عبادة بن الصامت . وثابت بن السمط لم يوثقه معتبر – اللهم إلا ابن حبان وابن حبان معروف بتوثيق المجاهيل – ولم يرو عنه ذاك الجمع الذى يرفعه إلى حد من يصحح حديثه أو يحسن .

ولكن الطريق التى بين أيدينا (طريق النسائى) التى رواها شعبة بدون ذكر ثابت هى الأثبت فشعبة أثبت من بلال بن يحيى ، إلا أن يقال إن مع بلال زيادة فى السند فيصار إلى روايته والله أعلم .

وعلى كل فللحديث شواهد ، وهى وإن كانت ضعيفة إلا أنه يستأنس بها . منها .

● ما أخرجه ابن ماجه (٣٣٨٤) وأبو نعيم فى الحلية (٩٧/٦) من طريق عبد السلام بن عبد القدوس ثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أبى أمامة الباهلى قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تذهب الليالى والأيام حتى تشرب فيها**=

= **طائفة من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها »** .

قلت : وفى إسناده عبد السلام بن عبد القدوس وهو ضعيف .

وأيضاً قال أبو نعيم عقبه : كذا حدثناه عن أبى أمامة ، وروى عن ثور عن خالد عن أبى هريرة رضى الله عنه مثله .

● وما أخرجه أبو داود (٣٦٨٨) وابن ماجه (٤٠٢٠) وأحمد (٣٤٢/٥) وابن حبان (فى موارد الظمآن ١٣٨٤) والبيهقى فى السنن الكبرى (٢٩٥/٨) وغيرهم من طريق حاتم بن حريث عن مالك بن أبى مريم قال دخل علينا عبد الرحمن بن غنم فتذاكرنا الطلاء فقال حدثنى أبو مالك الأشعرى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها »** .

وفى إسناده مالك بن أبى مريم وهو مجهول .

● ومنها ما أخرجه البيهقى (٢٩٤/٨ - ٢٩٥) والحاكم (١٤٧/٢) من طريق سعيد بن أبى هلال عن محمد بن عبد الله بن مسلم أن أبا مسلم الخولانى حج فدخل على عائشة زوج النبى ﷺ فجعلت تسأله عن الشام وعن بردها فجعل يخبرها فقالت كيف يصبرون على بردها قال يا أم المؤمنين إنهم يشربون شراباً لهم يقال له الطلا قالت صدق الله وبلغ حبى ﷺ سمعته يقول : « **إن ناساً من أمتي يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها »** . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه . وتعقبه الذهبى بقوله : (قلت) كذا قال محمد فمحمد مجهول وإن كان ابن أخى الزهرى فالسند منقطع .

● ومنها ما أخرجه الطبرانى (١١٢٢٨) من طريق الحسن بن العباس الرازى ثنا إسماعيل بن توبة القزوينى ثنا عفان بن سيار ثنا أبو عامر الخزاز عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أمتي يشربون الخمر فى آخر الزمان يسمونها بغير اسمها »** .

وفى إسناده أبو عامر الخزاز وهو صالح بن رستم وحاله إلى الضعف أقرب إلا أنه يصلح للاستشهاد به والله أعلم .

وبالجملة فالحديث بهذه الطرق يرتقى إلى الصحة والله تعالى أعلم .

استحلال المعازف ومسخ أقوام قردة وخنازير بين يدى الساعة

قال الإمام البخارى رحمه الله (٥٥٩٠) :

وقال[١] هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثنا عطية بن قيس الكلابى حدثنا عبد الرحمن بن غنم الأشعرى قال حدثنى أبو عامر - أو أبو مالك الأشعرى ، والله ما كذبنى : سمع النبى ﷺ يقول : **« ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر[٢] والحرير والخمر والمعازف[٣] ، ولينزلن أقوام إلى جنب علم[٤] يروح[٥] عليهم بسارحة[٦] لهم يأتيهم -**

---

(١) هذا معلق ، وقد وصله البيهقى فى السنن الكبرى (٢٢١/١٠) ووصله أبو داود ببعضه (٤٠٣٩) وذكر العلامة ابن القيم رحمه الله فى حاشيته على سنن أبى داود (عون المعبود ١٥٣/١٠) : أن الإسماعيلى رحمه الله قد وصله .
هذا وقد تكلم أبو محمد بن حزم رحمه الله على هذا الحديث وطعن فيه لكونه معلقاً ، لكنه قد تُعقب بتعقباتٍ جيدة (انظر ما رد به العلامة بن القيم على ابن حزم فى التعليق على أبى داود وما كتبه الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ٥٢/١٠ - ٥٣) ، وما أورده الشيخ ناصر الألبانى فى السلسلة الصحيحة رقم ٩١ .

(٢) الحر بالحاء المهملة المكسورة والراء الخفيفة وهو الفرج ، والمراد أنهم يستحلون الفرج بغير حله أى يستحلون الزنا .

(٣) المعازف هى آلات اللهو والطرب .

(٤) العلم هو الجبل ، وقيده بعضهم بالجبل العالى ، ومنه قول الله تعالى وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام .

(٥) يروح عليهم أى يروح عليهم الراعى .

(٦) السارحة هى الماشية التى تسرح .

يعنى الفقير – لحاجة فيقولوا : ارجع إلينا غداً فيبيتهم[1] الله ، ويضع العلم[2] ، ويمسخ آخرين قردةً وخنازير إلى يوم القيامة » .

صحيح لغيره

* * *

(١) يبيتهم أى يهلكهم ليلاً .

(٢) أى يدكدك الجبل أو يوقعه عليهم . والله أعلم .

كثرة النساء وظهور الزنا من أشراط الساعة

قال الإمام البخارى رحمه الله (حديث ٨١) :

حدثنا مسدد قال : حدثنا يحيى عن شعبة عن قتادة عن أنس قال : لأحدثنكم حديثاً لا يحدثكم أحد بعدى : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنا وتكثر النساء[1] ويقل الرجال حتى يكون لخمسين[2] امرأةٍ القيم[3] الواحد** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٦٧١) والترمذى (٢٢٠٥) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وابن ماجه (٤٠٤٥) وعزاه المزى للنسائى .

---

(١) ذهب فريق من العلماء إلى أن سبب كثرة النساء منشؤه كثرة الهرج الذى هو القتل ، فيؤدى القتل إلى قلة الرجال لأنهم أهل القتل والقتال فمن ثم تكثر النساء .

وذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أن كثرة النساء أمر مقدر من الله عز وجل فى آخر الزمان فيقل من يولد من الذكور ويكثر من يولد من النساء .

(٢) قال الحافظ فى الفتح (١٧٩/١) : يحتمل أن يراد بهذا العدد حقيقته ويحتمل أن يراد المجاز عن الكثرة .

(٣) القيم أى من يقوم بأمورهن .

● وهذه الأشياء الموجودة فى الحديث قد يقع بعضها فى زمن من الأزمان أو مكان من الأمكنة ولكن من علامات الساعة اجتماعها واستحكامها .

قال الحافظ ابن حجر (فتح البارى ١٧٩/١) : وكأن هذه الأمور الخمسة خصت بالذكر لكونها مشعرة باختلال الأمور التى يحصل بحفظها صلاح =

قال الإمام البخارى رحمه الله (١٤١٤) :

حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن بريد عن أبى بردة عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحداً يأخذها منه ، ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٠١٢) .

كثرة التبرج بين يدى الساعة

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢١٢٨) :

حدثنى زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات**

= المعاش والمعاد وهى الدين لأن رفع العلم يخل به ، والعقل لأن شرب الخمر يخل به ، والنسب لأن الزنا يخل به والنفس والمال لأن كثرة الفتن تخل بهما .

● قال الكرمانى : وإنما كان اختلال هذه الأمور مؤذناً بخراب العالم لأن الخلق لا يتركون هملاً ، ولا نبى بعد نبينا صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين ، فيتعين ذلك .

● وقال القرطبى فى المفهم : فى هذا الحديث علم من أعلام النبوة إذ أخبر عن أمور ستقع فوقعت خصوصاً فى هذه الأزمان ، وقال القرطبى فى التذكرة : يحتمل أن يراد بالقيم من يقوم عليهن سواء كن موطوآت أم لا ، ويحتمل أن يكون ذلك يقع فى الزمان الذى لا يبقى فيه من يقول الله الله فيتزوج الواحد بغير عدد جهلاً بالحكم الشرعى .

رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليتوجد من مسيرة كذا وكذا »[1] .

صحيح

---

(١) قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٥/ ٧١٠) هذا الحديث من معجزات النبوة فقد وقع ما أخبر به النبى ﷺ فأما أصحاب السياط فهم غلمان ولى الشرطة أما الكاسيات ففيه أوجه أحدها معناه كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها ، والثانى كاسيات من الثياب عاريات من فعل الخير والاهتمام لآخرتهن والاعتناء بالطاعات ، والثالث تكشف شيئاً من بدنها إظهاراً لجمالها فهن كاسيات عاريات ، والرابع يلبسن ثياباً رقاقاً تصف ما تحتها ،كاسيات عاريات فى المعنى .
وأما مائلات مميلات : فقيل : زائغات عن طاعة الله تعالى وما يلزمهن من حفظ الفروج وغيرها ومميلات يعلمن غيرهن مثل فعلهن ، وقيل : مائلات متبخترات فى مشيتهن مميلات أكتافهن ، وقيل : مائلات يتمشطن المشطة الميلاء وهى مشطة البغايا معروفة لهن مميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة وقيل : مائلات إلى الرجال مميلات لهم بما يبدين من زينتهن وغيرها .
وأما رءوسهن كأسنمة البخت فمعناه يعظمن رءوسهن بالخمر والعمائم وغيرها مما يلف على الرأس حتى تشبه أسنمة الإبل البخت هذا هو المشهور فى تفسيره قال المازرى : ويجوز أن يكون معناه يطمحن إلى الرجال ولا يغضضن عنهم ولا ينكسن رءوسهن، واختار القاضى : أن المائلات تمشطن المشطة الميلاء، قال: وهى ضفائر الغدائر وشدها إلى فوق وجمعها فى وسط الرأس فتصير كأسنمة البخت . قال : وهذا يدل على أن المراد بالتشبيه بأسنمة البخت إنما هو لارتفاع الغدائر فوق رءوسهن وجمع عقائصها هناك ، وتكثرها بما يضفرنه حتى تميل إلى ناحية من جوانب الرأس كما يميل السنام ، قال ابن دريد : يقال : ناقة ميلاء إذا كان سنامها يميل إلى أحد شقيها والله أعلم .
قوله ﷺ : « **لا يدخلن الجنة** » يتأول التأويلين السابقين فى نظائره أحدهما : أنه محمول على من استحلت حراماً من ذلك مع علمها بتحريمه فتكون كافرة مخلدة فى النار لا تدخل الجنة أبداً ، والثانى : يحمل على أنها لا تدخلها أول الأمر =

تفشى الزنا فى الطرقات بين يدى الساعة

قال ابن حبان رحمه الله (موارد الظمآن ١٨٨٩) :

أخبرنا أحمد بن علّى بن المثنى حدثنا إبراهيم بن حجاج السامى حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عثمان بن حكيم حدثنا أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى يتسافدوا[1] فى الطريق تسافد الحمير. قلت : إن ذلك لكائن؟ قال نعم ليكونن**».

صحيح

وعزاه الحافظ فى الفتح (٨٤/١٣) إلى الحاكم والبزار والطبرانى .

= مع الفائزين ، والله تعالى أعلم .

● وقد ورد فى هذا الباب ما أخرجه أحمد فى مسنده (٢٢٣/٢) وابن حبان (موارد الظمآن ١٤٥٤) والحاكم فى المستدرك (٤٣٦/٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يكون فى آخر أمتى رجال يركبون على سرج كأشباه الرحال ينزلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف العنوهن فإنهن ملعونات لو كان وراءكم أمة من الأمم خدمهن نساؤكم كما خدمكم نساء الأمم قبلكم** » .

وفى إسناده عبد الله بن عياش بن عباس وهو ضعيف ، وقد سقط ذكره من سند أحمد ويلزم أن يكون فى السند لأن عياش بن عباس لا تعرف له رواية عن أبيه ، وتأكد هذا السقط بالنظر إلى الراوى عنه وهو مشترك عند أحمد وابن حبان ألا وهو عبد الله بن يزيد ، فالحاصل أن الإسناد ضعيف والله أعلم .

(١) فى اللسان : السفاد نزو الذكر على الأنثى ، وقد وقع ذلك فى بعض دول الكفر أعاذنا الله من ذلك وحمى الله بلاد المسلمين وشبابهم وبناتهم من كل مكروه وسوء . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

المجاهرة بالفاحشة بين يدى الساعة

قال الحافظ أبو يعلى الموصلى رحمه الله (١١/٤٣) :

حدثنا داود بن رشيد حدثنا خلف بن خليفة حدثنا يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « **والذى نفسى بيده لا تفنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة فيفترشها فى الطريق ، فيكون خيارهم يومئذ من يقول : لو واريتها وراء هذا الحائط** » .

إسناده حسن

* * *

تغير أحوال الناس من أشراط الساعة

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/٣٣٨) :

حدثنا يونس وسريج قالا : ثنا فليح عن سعيد بن عبيد بن السباق عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ : **« قبل الساعة سنوات خداعة يكذب فيها الصادق ، ويصدق فيها الكاذب ، ويخون فيها الأمين ، ويؤتمن فيها الخائن ، وينطق فيها الرويبضة »** .

قال سريج : وينطق فيها الرويبضة .

صحيح لشواهده[1]

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/٣٥٨) :

حدثنا محمد بن عبد الله قال : ثنا كامل عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال :

---

(١) وله طريق أخرى عن أبى هريرة عند أحمد (٢/٢٩١) وابن ماجه (٤٠٣٦) من طريق عبد الملك بن قدامة ثنا إسحاق بن بكر بن أبى الفرات عن سعيد بن أبى سعيد عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : **« إنها ستأتى على الناس سنوات خداعة يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخوَّن فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة** . قيل وما الرويبضة قال **السفيه يتكلم فى أمر العامة »** .

وشاهد آخر عند أحمد (٣/٢٢٠) من طريق محمد بن جعفر أبو جعفر المدائنى ثنا عباد بن العوام ثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن المنكدر عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : **« إن أمام الدجال سنين خداعة يكذب فيها الصادق ، ويصدق فيها الكاذب ، ويخون فيها الأمين ، ويؤتمن فيها الخائن ويتكلم فيها الرويبضة** ، قيل وما الرويبضة ؟ قال **الفويسق يتكلم فى أمر العامة »** .

رسول الله ﷺ : « **لا تذهب الدنيا حتى تكون للكع بن لكع** » .

صحيح لغيره[1]

وقد أخرجه أحمد أيضاً (٣٢٦/٢) .

رفع الأمانة وقلتها من أشراط الساعة

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٨٦) :
حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب حدثنا حذيفة قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر :

---

(١) ففى إسناده كامل أبو العلاء ، متكلم فيه ، لكن للحديث شواهد منها ما أخرجه أحمد (٤٦٦/٣) من طريق الجهم بن أبى الجهم عن ابن نيار (وهو أبو بردة) قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « **لا تذهب الدنيا حتى تكون للكع ابن لكع** » . وأبو الجهم مجهول
وللحديث شاهد آخر أخرجه الترمذى (٢٢٠٩) من طريق عبد الله بن عبد الرحمن الأنصارى الأشهلى عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ :
« **لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع** » .
وفى إسناده الأشهلى وهو مجهول كذلك .
وبالجملة فالحديث يرتقى للصحة بهذه الطرق ، والله أعلم .
وفى رواية أحمد (٣٢٦/٢) تفسير لأحد الرواه (كلمة لكع بن لكع) بأنه متهم ابن متهم .
وأورد صاحب اللسان الحديث (فى مادة لكع) ثم نقل عن أبى عبيد : اللكع عند العرب العبد أو اللئيم وقيل : الوسخُ ، وقيل : الأحمق ، ويقال : رجل لكيع وكيع ، ووكوع لكوع : لئيم ، وعبد ألكع أوْكع ، وأمة لكعاء ووكعاء وهى الحمقاء ، وقال البكرى : هذا شتم للعبد واللئيم .
ونقل عن أبى نهشل : يقال : هو لكع لاكع ، قال : وهو الضيق الصدر القليل الغناء الذى يؤخره الرجال عن أمورهم فلا يكون له موقع ، فذلك اللكع ، وقال ابن شميل يقال للرجل إذا كان خبيث الفعال شحيحاً قليل الخير إنه للكوع .

حدثنا : « **أن الأمانة نزلت فى جذر[١] قلوب الرجال ، ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة ، وحدثنا عن رفعها قال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت[٢] ، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى فيها أثرها مثل أثر المجل[٣] ، كجمرٍ دحرجته على رجلك فنفط[٤] فتراه منتبراً وليس فيه شىء ، ويصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدى الأمانة فيقال إن فى بنى فلان رجلاً أميناً ، ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده ، وما فى قلبه مثقال حبة خردلٍ من إيمان ،** ولقد أتى علىَّ زمان ولا أُبالى أيكم بايعت[٥] لئن كان مسلماً رده علىَّ الإسلام ، وإن كان نصرانياً رده على ساعيه ، وأما اليوم فما كنت أبايع[٦] إلا فلاناً وفلاناً » .

صحيح

---

(١) الجذر الأصل من كل شىء .

(٢) الوكت أثر الشىء اليسير منه .

(٣) المجل أثر العمل فى الكف اذا غلظ ، والمجل بفتح الميم وسكون الجيم .

(٤) نفط أى ورم وامتلأ ماءً .

قال الحافظ فى الفتح (١٣/٣٩) : وحاصل الخبر أنه أنذر برفع الأمانة وأن الموصوف بالأمانة يسلبها حتى يصير خائناً بعد أن كان أميناً ، وهذا إنما يقع على ما هو شاهد لمن خالط أهل الخيانة فإنه يصير خائناً لأن القرين يقتدى بقرينه .

(٥) قال الحافظ فى الفتح (١٣/٣٩) : قوله (ولقد أتى علىَّ زمان) يشير إلى أن حال الأمانة أخذ فى النقص من ذلك الزمان ، وكانت وفاة حذيفة فى أول سنة ستة وثلاثين بعد قتل عثمان بقليل فأدرك بعض الزمن الذى وقع فيه التغير فأشار إليه ، قال ابن التين : الأمانة كل ما يخفى ولا يعلمه إلا الله من المكلف ، وعن ابن عباس هى الفرائض التى أمروا بها ونهوا عنها وقيل هى الطاعة ، وقيل التكاليف وقيل العهد الذى أخذه الله على العباد .

(٦) المراد بقوله (بايعت) من البيع والشراء أى أنه كان فى عهد رسول الله ﷺ =

وأخرجه مسلم (١٤٣) والترمذى (٢١٧٩) وقال هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه فى الفتن (حديث ٤٠٥٣) .

* * *

= وعهد الصحابة يطمئن فى بيعه وشرائه إلى من يبايعهم ويشترى منهم لتوفر الأمانة وتوطنها فى قلوب الناس وحتى إن حدثت خيانة أو خطأ أو نحو ذلك من بعض البائعين والمشترين فالوالى أو القاضى أو الساعى أو الأمير يرد إلَّى مظلمتى وحقى ، أما الآن فقلت الأمانة وقل من يبحثون عن رد الحقوق إلى أهلها والأحد على يد الظالم فدفعنى ذلك إلى أن لا أبيع ولا أشترى إلا مع من أثق به والله أعلم .

ومن أشراط الساعة
إسناد الأمر إلى غير أهله

قال الإمام البخارى رحمه الله (حديث ٥٩) :

حدثنا محمد بن سنان قال : حدثنا فليح . ح

وحدثنى إبراهيم بن المنذر قال : حدثنا محمد بن فليح قال : حدثنى أبى قال : حدثنى هلال بن علىّ عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة قال : بينما النبى ﷺ فى مجلس يحدث القوم جاءه أعرابى فقال متى الساعة ؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث فقال بعض القوم : سمع ما قال فكره ما قال ، وقال بعضهم : بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال : **أين أراه السائل عن الساعة ؟ قال** ها أنا يا رسول الله . قال : « **فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال** كيف إضاعتها ؟ **قال إذا وسد[1] الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة** » .

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (١/١٤٣) : قوله « **إذا وسد** » أى أسند ، وأصله من الوسادة وكان من شأن الأمير عندهم إذا جلس أن تثنى تحته وسادة ، فقوله وسد أى جعل له غير أهله وساداً فتكون إلى بمعنى اللام وأتى بها ليدل على تضمين معنى أسند ولفظ محمد بن سنان فى الرقاق (أسند) . ثم قال رحمه الله : وإسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم ، وذلك من جملة الأشراط .

هذا وفى إسناد هذا الحديث فليح بن سليمان وقد تكلم فيه بعض أهل العلم ، وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (١/١٤٢) : وهو صدوق تكلم بعض الأئمة فى حفظه و لم يخرج البخارى من حديثه فى الأحكام إلا ما توبع عليه ، وأخرج له فى المواعظ والآداب وما شاكلها طائفة من أفراده وهذا منها .

وقال الحافظ أيضاً فى هدى السارى (ص٤٣٥) لم يعتمد عليه البخارى اعتماده على مالك وابن عيينة وأضرابهما وإنما أخرج له أحاديث أكثرها فى المناقب وبعضها فى الرقاق.

اتباع هذه الأمة سنن اليهود والنصارى

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٣١٩) :

حدثنا أحمد بن يونس حدثنا ابن أبى ذئب عن المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتى بأخذ القرون قبلها**[١] **شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراع ، فقيل يا رسول الله كفارس والروم ؟ فقال ومن الناس إلا أولئك ؟** » .

صحيح

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٣٢٠) :

حدثنا محمد بن عبد العزيز حدثنا أبو عمر الصنعانى من اليمن عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « **لتتبعن سنن**[٢] **من كان قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟!!** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٦٦٩) .

قال الإمام الترمذى رحمه الله (٢١٨٠) :

حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى حدثنا سفيان عن الزهرى عن سنان بن

---

(١) أخذ فلان بأخذ فلان أى سار بسيرته .

(٢) قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٥/٥٢٥) : السنن بفتح السين والنون وهو الطريق والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم ، والمراد الموافقة فى المعاصى والمخالفات لا فى الكفر .

أبى سنان[1] عن أبى واقد الليثى أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى خيبر مرَّ بشجرةٍ للمشركين يقال لها ذات أنواطٍ يعلقون عليها أسلحتهم فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواط فقال النبى ﷺ : « **سبحان الله هذا كما قال قوم موسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . والذى نفسى بيده لتركبن سنة من كان قبلكم** » .

صحيح

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

قلت : والحديث أخرجه أحمد (٥/٢١٨) وابن أبى عاصم فى السنة (٧٦) .

من أشراط الساعة السلام للمعرفة

قال الإمام أحمد رحمه الله (١/٤٠٥ - ٤٠٦) :

حدثنا أبو النضر ثنا شريك عن عياش العامرى عن الأسود بن هلال عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن من أشراط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل لا يسلم عليه إلا للمعرفة** » .

صحيح لغيره[2]

---

(١) سنان بن أبى سنان قد أخرج له البخارى ومسلم .

(٢) ففى إسناده شريك وهو النخعى ، وفى حفظه بعض المقال لكن للحديث طرق عن ابن مسعود منها ما أخرجه أحمد (١/٤٠٧) من طريق أبى أحمد الزبيرى ثنا بشير بن سلمان عن سيار عن طارق بن شهاب قال : كنا عند عبد الله جلوساً فجاء رجل فقال قد أقيمت الصلاة فقام وقمنا معه فلما دخلنا المسجد رأينا الناس ركوعاً فى مقدم المسجد فكبر وركع وركعنا ثم مشينا وصنعنا مثل الذى صنع فمر رجل يسرع فقال السلام عليك يا أبا عبد الرحمن فقال =

إبل للشياطين وبيوت للشياطين بين يدى الساعة

قال أبو داود رحمه الله (٢٥٦٨) :

حدثنا محمد بن رافع حدثنا ابن أبى فديك حدثنى عبد الله بن أبى يحيى عن سعيد بن أبى هند قال : قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : **« تكون إبل للشياطين وبيوت للشياطين ، فأما إبل الشياطين فقد رأيتها ، يخرج أحدكم بجنيبات معه قد أسنمها ، فلا يعلوا بعيراً منها ، ويمر بأخيه قد انقطع به فلا يحمله ، وأما بيوت الشياطين فلم أرها »** .

صحيح

كان سعيد يقول « لا أراها إلا هذه الأقفاص التى يستر الناس بالديباج »[٢] .

* * *

= صدق الله ورسوله فلما صلينا ورجعنا دخل على أهله جلسنا فقال بعضنا لبعض : أما سمعتم رده على الرجل صدق الله وبلغت رسله أيكم يسأله فقال طارق : أنا أسأله فسأله حين خرج فذكر عن النبى ﷺ **« إن بين يدى الساعة تسليم الخاصة وفشو التجار حتى تعين المرأة زوجها على التجارة ، وقطع الأرحام ، وشهادة الزور ، وكتمان شهادة الحق وظهور القلم »** .

وإسناده صحيح إلا أن فيه سيار وقد اختلف فيه هل هو سيار أبو حمزة أو سيار أبو الحكم فجزم بعض أهل العلم أنه سيار أبو حمزة (وحديثه لا يرتقى للحسن لكنه يصلح فى الشواهد) ووقع عند أحمد (٤١٩/١) أنه سيار أبو الحكم وهو ثقه .

وعلى كل حال فالحديث يصلح فى الشواهد على أدنى الأحوال والله أعلم .

(٢) وحمل الشيخ ناصر بيوت الشياطين على أنها السيارات .

التطاول فى البنيان من أشراط الساعة

قال الإمام البخارى رحمه الله (٤٧٧٧) :

حدثنى إسحاق عن جرير عن أبى حيان عن أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يوماً بارزاً للناس إذ أتاه رجلٌ يمشى فقال : يا رسول الله ما الإيمان ؟ قال : « **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر** . قال : ما الإسلام ؟ قال : **الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان** . قال : يا رسول الله ما الإحسان ؟ قال : **الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** . قال : يا رسول الله متى الساعة ؟ قال : **ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، ولكن سأحدثك عن أشراطها**[١] : **إذا ولدت المرأة ربتها**[٢]

---

(١) الأشراط هى الأمارات والعلامات .

قال القرطبى (نقلاً عنه من الفتح ١٢١/١) : علامات الساعة على قسمين ، ما يكون من نوع المعتاد أو غيره ، والمذكور هنا الأول ، وأما الغير مثل طلوع الشمس من مغربها فتلك مقاربة لها أو مضايقة .

(٢) فى بعض الروايات الصحيحة (ربها) والمراد به سيدها ومالكها ، ولأهل العلم فى تفسير هذا القدر من الحديث أقوال أشهرها : ما نقله النووى عن أكثر العلماء أن المراد هو الإخبار عن كثرة السرارى (أى الإماء) وأولادهن فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها لأن مال الإنسان صائر إلى ولده وقد يتصرف فيه فى الحال تصرف المالكين إما بتصريح أبيه له بالإذن وإما بما يعلمه بقرينة الحال أو عرف الاستعمال .

وذكره الخطابى فى معالم السنن (٧١/٥) بأسلوب آخر فقال : وقوله وأن تلد الأمة ربتها معناه أن يتسع الإسلام ويكثر السبى ويستولد الناس أمهات الأولاد =

فذاك من أشراطها ، وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس[1] فذاك من

= الأولاد فتكون ابنة الرجل من أمته فى معنى السيدة لأمها إذا كانت مملوكة لأبيها وملك الأب راجع فى التقدير إلى الولد .

لكن قد تعقب الحافظ ابن حجر هذا القول فى فتح البارى (١٢٢/١) فقال بعد أن أورد هذا القول : لكن فى كونه المراد نظر لأن استيلاد الإماء كان موجوداً حين المقالة ، والاستيلاء على بلاد الشرك وسبى ذراريهم واتخاذهم سرارى وقع أكثره فى صدر الإسلام ، وسياق الكلام يقتضى الإشارة إلى وقوع ما لم يقع مما سيقع قرب قيام الساعة .

● والقول الثانى ذكره النووى (١٣٤/١ شرح مسلم) : أن معناه أنه تفسد أحوال الناس فيكثر بيع أمهات الأولاد فى آخر الزمان فيكثر ترددادها فى أيدى المشترين حتى يشتريها ابنها ولا يدرى ، ويحتمل على هذا القول أن لا يختص هذا بأمهات الأولاد فإنه متصور فى غيرهن فإن الأمة تلد ولداً حراً من غير سيدها بشبهة أو ولداً رقيقاً بنكاح أو زناً ثم تباع الأمة فى الصورتين بيعاً صحيحاً وتدور فى الأيدى حتى يشتريها ولدها وهذا أكثر وأعم من تقديره فى أمهات الأولاد .

قلت : وهذا القول الثانى أقوى من غيره والله أعلم .

(١) فى رواية البخارى (٥٠) : وإذا تطاول رعاة الإبل البُهم فى البنيان .

أما معناها فقال ابن حجر فى الفتح (١٢٣/١) : وميم البهم فى رواية البخارى يجوز ضمها على أنها صفة الرعاة ويجوز الكسر على أنها صفة الإبل يعنى الإبل السود ، وقيل إنها شر الألوان عندهم ، وخيرها الحمر التى ضرب بها المثل فقيل « **خير من حمر النعم** » ووصف الرعاة بالبهم إما لأنهم مجهولوا الأنساب ومنه أبهم الأمر فهو مبهم إذا لم تعرف حقيقته ، وقال القرطبى : الأولى أن يحمل على أنه سود الألوان لأن الأدمة غالب ألوانهم ، وقيل معناه أنه لا شئ لهم كقوله ﷺ : « **يحشر الناس حفاة عراة بهما** » قال : وفيه نظر لأنه قد نسب لهم الإبل فكيف يقال لا شئ لهم ، قلت : يحمل على أنها إضافة اختصاص لا ملك ، وهذا هو الغالب أن الراعى يرعى لغيره بالأجرة وأما المالك فقلَّ أن يباشر الرعى بنفسه . =

أشراطها فى خمس لا يعلمهن إلا الله[1] ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام** ﴾ ثم انصرف الرجل فقال **ردوا علىَّ** فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئاً ، فقال **هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٩) وابن ماجه (٦٤) .

= قلت : وفى رواية مسلم : وإذا تطاول رعاء البهم ... قال النووى : وهى الصغار من أولاد الغنم الضأن والمعز جميعاً . ثم قال الحافظ ابن حجر وقوله (وإذا كان الحفاة العراة) : زاد الإسماعيلى فى روايته الصم البكم ، وقيل لهم ذلك مبالغة فى وصفهم بالجهل أى لم يستعملوا أسماعهم ولا أبصارهم فى الشىء من أمر دينهم وإن كانت حواسهم سليمة ، قوله رؤوس الناس أى ملوك الأرض ، وصرح به الإسماعيلى ، وفى رواية أبى فروة مثله ، والمراد بهم أهل البادية كما صرح به فى رواية سليمان التيمى وغيره . قال : ما الحفاة العراة ؟ قال : العريب ، وهو بالعين المهملة على التصغير ، وفى الطبرانى من طريق أبى جمرة عن ابن عباس مرفوعاً « **من انقلاب الدين تفصح النبط واتخاذهم القصور فى الأمصار** »[*] . قال القرطبى : المقصود الإخبار عن تبدل الحال بأن يستولى أهل البادية على الأمر ويتملكوا البلاد بالقهر فتكثر أموالهم وتنصرف هممهم إلى تشييد البنيان والتفاخر به وقد شاهدنا ذلك فى هذه الأزمان ، ومنه الحديث الآخر « **لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع** » ومنه « **إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة** » وكلاهما فى الصحيح .

(١) أى أن علم الساعة داخل فى هذه الخمس التى لا يعلمها إلا الله .

(*) هذا الحديث منكر ، ذكر ذلك ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل (٢٩٥/٦) عن أبيه فقال : سألت أبى عن عمران بن تمام (أحد رجال إسناد هذا الحديث فالحديث عند الطبرانى فى الكبير رقم ١٢٩٤٥) فقال : كان عندى مستوراً إلى أن حدث عن أبى جمرة عن ابن عباس عن النبى ﷺ بحديث منكر أنه قال : « **من أكفاء الدين تفصح النبط واتخاذ القصور فى الأمصار** » قال الحافظ فى لسان الميزان (٤٣/٤) بعد ذكره هذا الكلام : يعنى فافتضح أى أن عمران افتضح أمره لما حدث بهذا الحديث ، وانظر أيضاً ميزان الاعتدال (٢٣٥/٣) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٨) :

حدثنى أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا وكيع عن كهمس عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر ح وحدثنا عبيد الله بن معاذ العنبرى ، وهذا حديثه حدثنا أبى حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من قال فى القدر بالبصرة معبد الجهنى فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء فى القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبى أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبى سيكل الكلام إلَّى . فقلت يا أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم ، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف . قال فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى برىء منهم وأنهم برآء منى ، والذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحدٍ ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال : حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرنى عن الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : « **الإسلام أن تشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسولُ الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً** » . قال : صدقت . قال : فعجبناً له يسأله ويُصدقه . قال : فأخبرنى عن الإيمان . قال : « **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره** » . قال : صدقت . قال : فأخبرنى عن الإحسان . قال : « **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » . قال : فأخبرنى عن الساعة . قال : « **ما المسئول عنها بأعلم من السائل** » قال : فأخبرنى عن أمارتها . قال : « **أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان** » . قال : ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال :

« **يا عمر أتدرى من السائل ؟** » . قلت : الله ورسوله أعلم قال : « **فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم** » .

صحيح

وأخرجه أبو داود (٤٦٩٥) والترمذي (٢٦١٠) وقال هذا حديث حسن صحيح . والنسائى (٨/٩٧ - ٩٨) وابن ماجه (٦٣) .

كثرة المال وعودة جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً بين يدى الساعة

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٥٧) :

وحدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب (وهو ابن عبد الرحمن القارى) عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه ، وحتى تعود أرض العرب مروجاً[١] وأنهاراً** » .

صحيح

قال الإمام البخارى رحمه الله (١٤١٢) :

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب[٢] المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب لى[٣]** » .

صحيح

وأخرجه مسلم من طريقين آخرين عن أبى هريرة مرفوعاً (١٥٧) .

---

(١) المروج هى الأراضى ذات الكلأ التى ترعى فيها الدواب وتكون نباتاتها كثيرة .

(٢) رب المال أى صاحب المال .

(٣) لا أرب لى فيه أى لا حاجة لى فيه .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩١٤) :

حدثنا نصر بن علىّ الجهضمى حدثنا بشر (يعنى ابن المفضل) ح وحدثنا علىّ بن حجر السعدى حدثنا إسماعيل (يعنى ابن علية) كلاهما عن سعيد بن يزيد عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « **من خلفائكم خليفة يحثو المال حثياً لا يعده عدداً** » .

صحيح

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩١٣) :

حدثنا زهير بن حرب وعلىّ بن حجر (واللفظ لزهير) قالا : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن الجريرى عن أبى نضرة قال : كنا عند جابر بن عبد الله فقال : يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم . قلنا : من أين ذاك قال : من قبل العجم يمنعون ذاك . ثم قال : يوشك أهل الشام أن لا يُجبى إليه دينار ولا مدى . قلنا من أين ذاك ؟ قال : من قبل الروم . ثم أسكت هنيةً ثم قال : قال رسول الله ﷺ : « **يكون فى آخر أمتى خليفة يحثى[(١)] المال حثياً لا يعده عدداً** » .

صحيح

قال قلت لأبى نضرة وأبى العلاء : أتريان أنه عمر بن عبد العزيز ؟ فقالا لا .

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٠١٣) :

وحدثنا واصل بن عبد الأعلى وأبو كريب ومحمد بن يزيد الرفاعى (واللفظ لواصل) قالوا حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « **تقىء الأرض أفلاذ[(٢)] كبدها أمثال الأسطوان من**

---

(١) الحثو هو الحفن باليدين ، وإنما يفعل الخليفة ذلك لكثرة الغنائم والفتوحات والأموال مع سخاء نفسه .

(٢) قال النووى : الأفلاذ جمع فلذ ككتف ، والفلذ جمع فلذة وهى قطعة من الكبد مقطوعة طولاً ، وخص الكبد لأنها من أطايب الجزور ، ومعنى الحديث أنها =

الذهب والفضة فيجىء القاتل فيقول : فى هذا[1] قتلتُ ، ويجىء القاطع فيقول : فى هذا قطعت رحمى ، ويجىء السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً » .

صحيح

وأخرجه الترمذى (٢٢٠٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

فشو التجارة من أشراط الساعة

قال الإمام النسائى رحمه الله (٢٤٤/٧) :

أخبرنا عمرو بن علىّ قال : أنبأنا وهب بن جرير قال : حدثنى أبى عن يونس عن الحسن[2] عن عمرو بن تغلب قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن من أشراط**

= تخرج ما فى جوفها من القطع المدفونة فيها .

(١) فى هذا أى من أجل هذا .

(٢) والحسن مدلس وقد عنعن إلا أن للحديث شواهد .

فأخرج أحمد (٤٠٧/١ و ٤١٩ - ٤٢٠) من طريق سيار عن طارق بن شهاب قال : كنا عند عبد الله جلوساً فجاء رجل فقال : قد أقيمت الصلاة فقام وقمنا معه فلما دخلنا المسجد رأينا الناس ركوعاً فى مقدم المسجد فكبر وركع وركعنا ثم مشينا وصنعنا مثل الذى صنع فمر رجل يسرع فقال : عليك السلام يا أبا عبد الرحمن فقال : صدق الله ورسوله فلما صلينا ورجعنا دخل إلى أهله جلسنا فقال . بعضنا لبعض : أما سمعتم رده على الرجل صدق الله وبلغت رسله أيكم يسأله فقال طارق : أنا أسأله فسأله حين خرج فذكر عن النبى ﷺ **إن بين يدى الساعة تسليم الخاصة وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة ، وقطع الأرحام ،وشهادة الزور ،وكتمان شهادة الحق وظهور القلم .**

وهذا الشاهد رجاله ثقات إلا أنه اختلف فى سيار هل هو أبو الحكم أو سيار أبو حمزة ، وقد وقع عند أحمد (٤١٩/١) سيار أبو الحكم إلا أن الخلاف ما زال=

الساعة أن يفشو المال ويكثر وتفشو التجارة ويظهر العلم[1] ويبيع الرجل البيع فيقول لا حتى أستأمر تاجر بنى فلان ويلتمس فى الحى العظيم الكاتب فلا يوجد » .

صحيح

كثرة الكذابين والدَّجالين بين يدى الساعة

قال الإمام مسلم رحمه الله (حديث ١٥٧ ص٢٢٣٩) .

حدثنى زهير بن حرب وإسحاق بن منصور (قال إسحاق : أخبرنا ، وقال زهير حدثنا) عبد الرحمن – وهو ابن مهدى – عن مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال **« لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله »** .

صحيح

وأخرجه البخارى (٣٦٠٩) وأبو داود (٤٣٣٣)[2] .

= قائما وعلى كل فأيًّا كان أيهما فالحديث يصلح شاهداً قوياً لحديث الباب . والله أعلم .

(١) قوله (ويظهر العلم) فى هذا الحديث مشكل علىَّ إلا أن شارح النسائىً فسره على أنه (ويظهر الجهل) قال : بسبب اهتمام الناس بأمر الدنيا . هكذا فى بعض النسخ ، وفى كثير من النسخ العلم فمعنى (يظهر) يزول ويرتفع أى يذهب العلم عن وجه الأرض والله تعالى أعلم .

قلت : ولى وجه آخر وهو أن قوله (يظهر العلم) أى يظهر العلم بعلوم الدنيا ومتعلقاتها كالتجارة وما شابه ذلك والعلم عند الله تعالى .

(٢) وعند أبى داود (٤٣٣٥) من طريق عبيد الله بن الجراح عن جرير عن مغيرة عن إبراهيم قال : قال عبيدة السلمانى : بهذا الخبر قال : فذكر نحوه فقلت له : أترى هذا منهم ؟ يعنى المختار (قلت : وهو ابن أبى عبيد الثقفى) فقال عَبيدة : أما إنه من الرؤوس .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٢٣) :

حدثنا يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبى شيبة (قال يحيى : أخبرنا وقال أبو بكر : حدثنا) أبو الأحوص ح وحدثنا أبو كامل الجحدرى حدثنا أبو عوانة كلاهما عن سماك عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن بين يدى الساعة كذابين** » .

صحيح

وزاد فى حديث أبى الأحوص قال : فقلت له : آنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم .

وحدثنى ابن المثنى وابن بشار قالا : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بهذا الإسناد مثله قال سماك : وسمعت أخى يقول : قال جابر : فاحذروهم .

قال ابن حبان رحمه الله (موارد الظمآن ١٨٩٣) :

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا الحسن بن الصباح البزار حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم أخبرنى إبراهيم بن عقيل بن معقل عن أبيه عن وهب بن منبه عن جابر بن عبد الله قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « **إن بين يدى الساعة كذابين منهم صاحب اليمامة ومنهم صاحب صنعاء العنسى ومنهم صاحب حمير ، ومنهم الدجال وهو أعظمهم فتنة** » . قال : وقال أصحابى : هم قريب من ثلاثين كذاباً .

صحيح

تقارب الأسواق بين يدى الساعة

قال ابن حبان رحمه الله (١٨٨٢) :

أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدى حدثنا إسحاق بن إبراهيم أنبأنا عثمان بن عمر

حدثنا ابن أبى ذئب عن سعيد بن سمعان عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال :
« يوشك أن لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتظهر الفتن ويكثر الكذب ويتقارب الزمان وتتقارب الأسواق » .

صحيح

تقارب الزمان من أشراط الساعة

قال الإمام البخارى رحمه الله (١٠٣٦) :

حدثنا أبو اليمان قال : أخبرنا شعيب قال : أخبرنا أبو الزناد عن عبد الرحمن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال النبى ﷺ : **« لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان[1] وتظهر الفتن ويكثر الهرج - وهو القتل القتل - حتى يكثر فيكم المال فيفيض » .**

صحيح

---

(١) ورد فى تفسير قوله عليه الصلاة والسلام (ويتقارب الزمان) جملة أقوال نذكر منها ما يلى :
١ - نزع البركة من كل شىء حتى من الزمان وذلك من علامات قرب قيام الساعة فيصير الانتفاع باليوم كالانتفاع بالساعة الواحدة .
٢ - المراد بتقارب الزمان استواء الليل والنهار .
٣ - قرب يوم القيامة واستدلوا لذلك بحديث رسول الله ﷺ إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب .
٤ - المراد تقارب أهل ذلك الزمان فى الشر والفساد والجهل .
٥ - تسارع الدول إلى الفناء والانقضاء والزوال فلا تطول مددهم لكثرة الفتن .
٦ - قال الخطابى هو من استلذاذ العيش يريد والله أعلم أنه يقع عند خروج المهدى ووقوع الأمنة فى الأرض وغلبة العدل فيها فيستلذ العيش عند ذلك =

= وتستقصر مدته ، وما زال الناس يستقصرون مدة أيام الرخاء وإن طالت ويستطيلون مدة المكروه وإن قصرت .

وتعقب هذا بقول الكرمانى : إن هذا لا يناسب أخواته من ظهور الفتن وكثرة الهرج وغيرها . نقله عنهما الحافظ فى الفتح (١٦/١٣) .

٧ - المراد قصر الزمان ، ويؤيده الحديث الآتى قريباً .

٨ - ما ذكره الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله فى تعليقه على فتح البارى (٥٢٢/٢) .

أن التقارب المذكور فى الحديث يفسر بما وقع فى هذا العصر من تقارب ما بين المدن والأقاليم وقصر زمن المسافة بينها بسبب اختراع الطائرات والسيارات والإذاعة وما إلى ذلك والله أعلم .

قوله عليه الصلاة والسلام « **ويلقى الشح** » .

أما معنى الشح فقال بعض أهل العلم إنه البخل ، وقال آخرون إنه البخل مع الحرص وقال غيرهم : الشح أشد من البخل ، وهو أبلغ فى المنع من البخل ، وقيل : البخل فى أفراد الأمور وآحادها والشح عام ، وقيل : البخل بالمال ، والشح بالمال والمعروف انظر اللسان ص (٢٢٠٥) .

● قال الحافظ فى الفتح (٤٥٩/١٠) : واختلف فى ضبط (يلقى) فالأكثر على أنه بسكون اللام أى يوضع فى القلوب فيكثر ، وهو على هذا بالرفع ، وقيل : بفتح اللام وتشديد القاف أى يغطى القلوب الشح ، وهو على هذا بالنصب حكاه صاحب (المطالع) وقال الحميدى : لم تضبط الرواة هذا الحرف ويحتمل أن يكون (تلقى) بالتشديد أى يتلقى ويتواصى به ويدعوه إليه من قوله ﴿ **وما يلقاها إلا الصابرون** ﴾ أى ما يعلمها وينبه عليها . قال : ولو قيل : يلقى مخففة لكان بعيداً لأنه لو ألقى لترك وكان مدحاً ، والحديث مساق للذم ، ولو كان بالفاء بمعنى يوجد لم يستقم لأنه لم يزل موجوداً . اهـ

وقال رحمه الله (الفتح ١٧/١٣) : وأما قوله « **ويلقى الشح** » فالمراد القاؤه فى قلوب الناس على اختلاف أحوالهم حتى يبخل العالم بعلمه فيترك التعليم =

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥٣٧/٢) :

حدثنا هاشم ثنا زهير حدثنا سهيل عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالسعفة الخوصة** » . زعم سهيل

حسن[١] .

وأخرجه ابن حبان (موارد الظمآن ١٨٨٧) :

من أشراط الساعة يتباهى الناس فى المساجد

قال الإمام أحمد رحمه الله (١٣٤/٣) :

حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد – يعنى ابن سلمة – عن أيوب عن أبى قلابة

= والفتوى ويبخل الصانع بصناعته حتى يترك تعليم غيره ويبخل الغنى بماله حتى يهلك الفقير وليس المراد وجود (والذى يبدو إلقاء) أصل الشح لأنه لم يزل موجوداً ثم قال رحمه الله : وقال القرطبى فى التذكرة : يجوز أن يكون يلقى بتخفيف اللام والفاء أى يترك لأجل كثرة المال وإفاضته حتى يهم ذو المال من يقبل صدقته فلا يجد ولا يجوز أن يكون بمعنى يوجد لأنه ما زال موجوداً كذا جزم به . قال : وقد تقدم ما يرد عليه . ثم قال رحمه الله : قال ابن أبى جمرة : يحتمل أن يكون إلقاء الشح عاماً فى الأشخاص ، والمحذور من ذلك ما يترتب عليه مفسدة والشحيح شرعاً هو من يمنع ما وجب عليه وإمساك ذلك ممحق للمال مذهب لبركته ويؤيده « **ما نقص مال من صدقة** » فإن أهل المعرفة فهموا منه أن المال الذى يخرج منه الحق الشرعى لا تلحقه آفة ولا عاهة بل يحصل له النماء ، ومن ثم سميت الزكاة لأن المال ينمو بها ويحصل فيه البركة .

(١) وله شاهد من حديث أنس مرفوعاً عند الترمذى (٢٣٣٢) وفى إسناده ضعف .

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس فى المساجد** »[1] .

صحيح

وأخرجه أحمد أيضاً (١٤٥/٣ و ١٥٢ و٢٣٠ و ٢٨٣) وأبو داود (٤٤٩) . والنسائى (٣٢/٢) وابن ماجه (٧٣٩) والدارمى (٣٢٧/١) .

---

(١) قال أبو الطيب شمس الحق العظيم أبادى (عون المعبود ١١٨/٢) : « **حتى يتباهى الناس فى المساجد** » أى يتفاخر فى شأنها أو بنائها يعنى يتفاخر كل أحد بمسجده ويقول مسجدى أرفع أو أزين أو أوسع أو أحسن رياء وسمعة واجتلاباً للمدحة قال ابن رسلان : هذا الحديث فيه معجزة ظاهرة لإخباره ﷺ عما سيقع بعده فإن تزويق المساجد والمباهاة بزخرفتها كثر من الملوك والأمراء فى هذا الزمان بالقاهرة والشام وبيت المقدس بأخذهم أموال الناس ظلماً وعمارتهم بها المدارس على شكل بديع نسأل الله السلامة والعافية انتهى .

وفى هذا الباب أخرج أبو داود (٤٤٨) بسند صحيح إلى ابن عباس : قال قال رسول الله ﷺ : « **ما أمرت بتشييد المساجد** » قال ابن عباس : تزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى .

قال الخطابى : معنى قوله : تزخرفنها : تزيننها . أصل الزخرف الذهب يريد تمويه المساجد بالذهب ونحوه ، ومنه قولهم زخرف الرجل كلامه إذا موهه وزينه بالباطل ، والمعنى أن اليهود والنصارى إنما زخرفوا المساجد عندما حرفوا وبدلوا وتركوا العمل بما فى كتبهم ، يقول فأنتم تصيرون إلى مثل حالهم إذا طلبتم الدنيا بالدين وتركتم الإخلاص فى العمل ، وصار أمركم إلى المراءات بالمساجد والمباهاة فى تشييدها وتزيينها .

وقوله « **كما زخرفت اليهود والنصارى** » قال شمس الحق : قال على القارى : وهذا بدعة لأنه لم يفعله عليه السلام ، وفيه موافقة أهل الكتاب . وفى النهاية الزخرف النقوش والتصاوير بالذهب .

بين يدى الساعة قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام

قال أبو داود رحمه الله (٤٢١٢) .

حدثنا أبو توبة حدثنا عبيد الله عن عبد الكريم (الجزرى) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « **يكون قوم يخضبون[١] فى آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام[٢] لا يريحون رائحة الجنة** »[٣] .

صحيح

وأخرجه النسائى (١٣٨/٨) .

إخبار النبى ﷺ بكثرة إيذاء الشرطة للناس بين يدى الساعة

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٥٧) .

حدثنا ابن نمير حدثنا زيد (يعنى ابن حباب) حدثنا أفلح بن سعيد[٤] حدثنا عبد الله بن رافع مولى أم سلمة قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله

---

(١) يخضبون أى يغيرون الشعر الأبيض من الشيب الواقع فى الرأس واللحية (بالسواد) أى باللون الأسود .

(٢) كحواصل الحمام قال الطيبى معناه كحواصل الحمام فى الغالب لأن حواصل بعض الحمامات ليست بسود .

(٣) هذا إما أن يكون فيه الإخبار عن قوم هذه صفتهم ، أى أنهم يعملون أعمالاً أخرى تصرفهم عن الجنة ثم إنهم أيضاً يخضبون بالسواد ، أو تحمل على المستحل ، أو يحمل على منعهم من دخول بعض الجنان ، أو جنة ما فى وقت من الأوقات والله تعالى أعلم .

هذا وقد ورد اختلاف بين العلماء فى مسألة الخضاب بالسواد فليراجعه من شاء فى رسالة أخينا الشيخ / مقبل بن هادى الوادعى حفظه الله وسلمه .

(٤) قال الذهبى فى ميزان الاعتدال (ترجمة أفلح بن سعيد) : وقال : ابن حبان : =

ﷺ : « **يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قوماً فى أيديهم مثل أذناب البقر يغدون فى غضب الله ، ويروحون فى سخط الله** » .

قال الحاكم رحمه الله (٤٣٦/٤) :

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيبانى ثنا يحيى بن محمد بن يحيى الذهلى ثنا مسدد ثنا بشر بن المفضل ثنا عبد الله بن بجير ثنا سيار بن سلامة عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يخرج فى هذه الأمة فى آخر الزمان رجال معهم سياط كأنها أذناب البقر يغدون فى سخط الله ويروحون فى غضبه** » .

صحيح

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى صحيح .

= يروى (أى أفلح) عن الثقات الموضوعات لا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه بحال . وتعقبه الذهبى بقوله : ابن حبان ربما قصَّب الثقة حتى كأنه لا يدرى ما يخرج من رأسه ثم إنه بين مستنده فساق حديث عيسى بن يونس حدثنا أفلح بن سعيد عن عبد الله بن رافع عن أبى هريرة مرفوعاً « **إن طالت بك مدة فسترى قوماً يغدون فى سخط الله ويروحون فى لعنته يحملون سياط مثل أذناب البقر** » . ثم قال : وهذا بهذا اللفظ باطل ، وقد رواه سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعاً « **اثنان من أمتى لم أرهما رجال بأيديهم سياط مثل أذناب البقر ونساء كاسيات عاريات** » .

قال الذهبى بل حديث أفلح صحيح غريب وهذا شاهد لمعناه .

وأورد الحافظ فى التهذيب كلام الذهبى ثم قال : والحديث فى صحيح مسلم من الوجهين فمستند ابن حبان فى تضعيفه مردود ، وقد غفل مع ذلك (أى ابن حبان) فذكره فى الطبقة الرابعة من الثقات ، وذهل ابن الجوزى فأورد الحديث من الوجهين فى الموضوعات ، وهو من أقبح ما وقع له فيها فإنه قلد فيه ابن حبان من غير تأمل .

مطر شديد بين يدى الساعة

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/٢٦٢) :

حدثنا أبو كامل وعفان قالا : حدثنا حماد عن سهيل قال عفان فى حديثه : أنا سهيل ابن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى يمطر الناس مطراً لا تكن منه بيوت المدر ولا تكن منه إلا بيوت الشعر** » .

إسناده حسن .

تفسير السَّنة

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٠٤) :

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب (يعنى ابن عبد الرحمن) عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **ليست السنة**[1] **بأن لا تمطروا ولكن السنة أن تمطروا وتمطروا ولا تنبت الأرض شيئاً** » .

صحيح

متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟؟؟

قال ابن ماجه رحمه الله (٤٠١٥) :

حدثنا العباس بن الوليد الدمشقى ثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعى ثنا الهيثم بن

---

(١) المراد بالسنة هنا القحط .

حميد ثنا أبو معيد حفص بن غيلان الرعينى عن مكحول عن أنس بن مالك قال : قيل يا رسول الله : متى نترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ قال : « **إذا ظهر فيكم ما ظهر فى الأمم قبلكم** » قلنا يا رسول الله ! وما ظهر فى الأمم قبلنا ؟ قال : « **الملك فى صغاركم ، والفاحشة فى كباركم**[1] **والعلم فى رذالتكم** » .

إسناده صحيح

قال زيد : تفسير معنى قول النبى ﷺ « **والعلم فى رُذالتكم** » إذا كان العلم فى الفساق .

قلت : والحديث أخرجه أحمد (١٨٧/٣) ، وعزاه الحافظ فى الفتح (٣٠١/١٣) إلى ابن أبى خيثمة[2] .

---

(١) أى أن الفاحشة لا تقتصر على الصغار بل تتفشى حتى تصل إلى الكبار وتدب فيهم ، والمراد بالفاحشة الزنا والله أعلم .

(٢) وقال الحافظ فى نفس المصدر : وفى مصنف قاسم بن أصبغ بسند صحيح عن عمر « فساد الدين إذا جاء العلم من قبل الصغير استعصى عليه الكبير ، وصلاح الناس إذا جاء العلم من قبل الكبير تابعه عليه الصغير » وذكر أبو عبيد أن المراد بالصغر فى هذا صغر القدر لا السن والله أعلم .
هذا واللفظ الذى عزاه الحافظ فى الفتح لابن أبى خيثمة هو : « **إذ ظهر فيكم ما ظهر فى بنى إسرائيل ، إذا ظهر الإدهان فى خياركم والفحش فى شراركم والملك فى صغاركم والفقه فى رذالكم** » .
هذا وقد أعل هذا الحديث بعلة غير قادحة فقال ابن أبى حاتم فى العلل (٤١٢/٢ رقم ٢٧٤٥) سألت أبى عن حديث رواه الحكم بن موسى عن الهيثم بن حميد عن حفص عن مكحول عن أنس قال : يا رسول الله متى يُترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . فقال : إذا كان العلم فى رذَّالكم فذكر الحديث . قال أبى : حدثنى العباس بن الوليد بن فريد بعلة هذا الحديث وخلافه فى الإسناد قال أبى : حدثنى العباس بن الوليد قال : حدثنى أبى قال : حدثنا أبو مطيع معاوية بن يحيى عن زيد =

تمنى رؤية النبى ﷺ بين يدى الساعة

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٥٨٧) :

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : .... فذكر الحديث وفيه : « **وليأتين على أحدكم زمان لأن يرانى أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله** » .

صحيح

الحث على المبادرة بالأعمال الصالحة قبل نزول الفتن

قال الإمام مسلم رحمه الله (١١٨) :

حدثنى يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر جميعاً عن إسماعيل بن جعفر قال ابن أيوب : حدثنا إسماعيل قال : أخبرنى العلاء عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسى**

= ابن واقد عن مكحول عن كثير بن مرة عن رجل من أصحاب النبى ﷺ . قيل : يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . قال أبى : فكان هذا أشبه من ذاك .

قلت (والقائل مصطفى) : والعلة فحواها أن مكحولاً اختلف عليه فى الحديث فرواه مرة عن أنس كما فى حديث الباب ، ورواه مرة عن كثير بن مرة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ . قيل يا رسول الله : .... وهذا خلاف لا يضر فالطريق إلى مكحول عن كثير بن مرة عن رجل من أصحاب النبى ﷺ صحيحة أيضاً ، وكثير نفسه ثقة ، وجهالة الصحابى لا تضر فعليه فأى الطريقين كانت راجحة فإسنادها صحيح ، والله تعالى أعلم .

كافراً أو يمسى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا »[1] .

صحيح

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧١٢٠) :

حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة حدثنا معبد سمعت حارثة بن وهب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **تصدقوا فسيأتى على الناس زمان يمشى الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها** »[2] .

صحيح

قال مسدد : حارثة أخو عبيد الله بن عمر لأمه . قاله أبو عبد الله .

وأخرجه مسلم (١٠١١) والنسائى (٥/٧٧) .

---

(١) قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ١/٣٢٠) معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر ، ووصف ﷺ نوعاً من شدائد تلك الفتن وهو أنه يمسى مؤمناً ثم يصبح كافراً أو عكسه – شك الراوى – وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان فى اليوم الواحد هذا الانقلاب والله أعلم .

(٢) فى بعض الروايات فى الصحيحين من الزيادة : « **يقول الرجل لو جئت بها بالأمس لقبلتها فأما اليوم فلا حاجة لى بها** » .

قال الحافظ فى الفتح (٣/٢٨٢) : والظاهر أن ذلك يقع فى زمن كثرة المال وفيضه قرب الساعة كما قال ابن بطال .

وأورد الحافظ احتمالات للزمان الذى يقع فيه هذا (الفتح ١٣/٨٢) فقال رحمه الله : إن ذلك يقع فى الزمان الذى يستغنى فيه الناس عن المال إما لاشتغال كل منهم بنفسه عند طروق الفتنة فلا يلوى على الأهل فضلاً عن المال ، وذلك فى زمن الدجال ، وإما بحصول الأمن المفرط والعدل البالغ بحيث يستغنى كل أحد بما عنده عما فى يد غيره ، وذلك فى زمن المهدى وعيسى ابن مريم ، =

قال ابن حبان رحمه الله (موارد الظمآن ١٨٨٨) :

أخبرنا عمر بن محمد الهمدانى حدثنا عبد الله بن سعد بن إبراهيم حدثنا عمى حدثنا أبى عن صالح بن كيسان عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها** » .

صحيح

كثرة الفتن من أشراط الساعة

قال الإمام البخارى رحمه الله (١٠٣٦) :

حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب قال أخبرنا أبو الزناد عن عبد الرحمن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال النبى ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج - وهو القتل القتل - حتى يكثر فيكم المال فيفيض** » .

صحيح

تقدم تخريجه .

* * *

= وإما عند خروج النار التى تسوقهم إلى المحشر فيعز حينئذ الظهر وتباع الحديقة بالبعير الواحد ولا يلتفت أحد حينئذ إلى ما يثقله من المال بل يقصد نجاة نفسه ومن يقدر عليه من ولده وأهله ، وهذا أظهر الاحتمالات وهو المناسب لصنيع البخارى والعلم عند الله تعالى .

وقال رحمه الله (**قوله يمشى الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها**) يحتمل أن يكون ذلك وقع كما ذكر .

كثرة القتل من أشراط الساعة

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٠٣٧) :

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال : أخبرنى حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **يتقارب الزمان ، وينقص العمل ، ويلقى الشح ويكثر الهرج** . قالوا : وما الهرج[1] ؟ قال **القتل القتل** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٥٧) وأبو داود (٤٢٥٥) .

---

(١) هذه الرواية صريحة فى تفسير الهرج هنا بأنه القتل ، وقد ورد ذلك فى عدد من الروايات المرفوعة إلى رسول الله ﷺ .
وفى اللسان : وأصل الهرج الكثرة فى المشى والاتساع ، وأورد لهُ هناك جملة معانى منها القتل ، ومنها شدة القتل وكثرته ، ومنها الاختلاط ، ومنها الفتنة فى آخر الزمان ومنها كثرة الجماع والنكاح ومنه حديث أبى الدرداء : يتهارجون تهارج البهائم أى يتسافدون ، ومنها كثرة الكذب وكثرة النوم .
هذا وقد ورد فى تفسير الهرج ما أخرجه أحمد (٩٠/٤) والطبرانى فى الكبير (٣٨٤١) من طريق أبى وائل عن عزرة بن قيس قال : قال خالد بن الوليد : كتب إلَىَّ عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضى الله عنه حين ألقى الشام بوانيه بَثْنِيةً وعسلاً ، فأمرنى أن أسير إلى الهند ، (قال : والهند فى أنفسنا يومئذ البصرة) وأنا لذلك كاره قال : فقام رجل فقال : يا أبا سليمان اتق الله عز وجل فإن الفتن قد ظهرت . قال : وابن الخطاب حى ؟! إنما يكون بعده والناس بذى بليان ، وذى بليان بمكان كذا وكذا فينظر الرجل فيتفكر هل يجد مكاناً لم ينزل به مثل الذى نزل بمكانه الذى هو من الفتنة والشر فلا يجده ، قال وأولئك الأيام التى ذكر رسول الله ﷺ : « **بين يدى الساعة أيام الهرج** » =

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٦٢ و ٧٠٦٣) :

حدثنا مسدد حدثنا عبيد الله بن موسى عن الأعمش عن شقيق قال : كنت مع عبد الله وأبى موسى فقالا : قال النبى ﷺ : **« إن بين يدى الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج ، والهرج القتل »** .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٦٧٢) وابن ماجه (٤٠٥٠ و ٤٠٥١) والترمذى من حديث أبى موسى (٢٢٠٠) وقال : وهذا حديث صحيح .

كيف الهرج

قال ابن ماجه رحمه الله (٣٩٥٩) :

حدثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا عوف عن الحسن ثنا أسيد بن المتشمس قال : ثنا أبو موسى حدثنا رسول الله ﷺ **« إن بين يدى الساعة هرجاً »** قال : قلت يا رسول الله : ! ما الهرج ؟ قال **« القتل »** فقال بعض المسلمين يا رسول الله إنا نقتل الآن فى العام الواحد من المشركين كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ : **« ليس بقتل المشركين ، ولكن يقتل بعضكم بعضاً حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قرابته »** فقال بعض القوم :

= فنعوذ بالله أن تدركنا وإياكم تلك الأيام .

وقد حسن الحافظ ابن حجر إسناد هذا الأثر فى الفتح (١٥/١٣) وهذا غريب منه ففى إسناده عزرة بن قيس وهو مجهول ، وقد ترجمه الحافظ فى اللسان (١٦٧/٤) ، وقال الطبرانى فى الكبير (١١٦/٤) لم يخرج عزرة بن قيس عن خالد بن الوليد .

أما مفردات هذا الحديث فقوله بوانيه أى خيره وما فيه من السعة والنعمة وقوله بثنية أى زبداً .

يا رسول الله ! ومعنا عقولنا ذلك اليوم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **لا . تنزع عقول أكثر ذلك الزمان ويخلف هباء من الناس لا عقول لهم** » .

ثم قال الأشعرى : وايم الله ! إنى لأظنها مدركتى وإياكم ، وايم الله ! مالى ولكم منها مخرج ، إن أدركتنا فيما عهد إلينا نبينا ﷺ إلا أن نخرج كما دخلنا فيها .

حسن لغيره[1]

وأخرجه أحمد (٤٠٦/٤) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٠٨) :

وحدثنا ابن أبى عمر المكى حدثنا مروان عن يزيد (وهو ابن كيسان) عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : قال النبى ﷺ : « **والذى نفسى بيده ليأتين على**

---

(١) ففى إسناده أسيد بن المتشمس ، الذى يترجح لنا فى أمره أنه مجهول ، إلا أنه قد توبع ؛ تابعه حطان بن عبد الله الرقاشى عن أبى موسى أن رسول الله ﷺ قال « **إن بين يدى الساعة الهرج** قالوا وما الهرج ؟ قال **القتل** قالوا أكثر مما نقتل ؟ ! إنا لنقتل كل عام أكثر من سبعين ألفاً قال **إنه ليس بقتلكم المشركين ولكن قتل بعضكم بعضاً** ، قالوا ومعنا عقولنا يومئذ ؟ قال **إنه لتنزع عقول أهل ذلك الزمان ويخلف له هباء من الناس يحسب أكثرهم أنهم على شىء وليسوا على شىء** » قال عفان فى حديثه : قال أبو موسى : والذى نفسى بيده ما أجد لى ولكم منها مخرجاً إن أدركتنى وإياكم إلا أن نخرج منها كما دخلنا فيها لم نصب منها دماً ولا مالاً .

أخرجه أحمد (٣٩١/٤ - ٣٩٢ ، ٤١٤) من طريق حماد بن سلمة عن علىّ بن زيد (وهو ابن جدعان) عن حطان .. به ، وعلىّ بن زيد ضعيف إلا أنه يصلح للمتابعات والشواهد فيرتقى الحديث إلى الحسن والله تعالى أعلم .

هذا وقد قال الدارقطنى فى العلل (٢٣٧/٧) بعد أن أورد أوجه الاختلاف فيه : والمحفوظ قول من قال : عن الحسن عن أسيد بن المتشمس ، ومن قال : عن الحسن عن حطان فقوله غير مدفوع يحتمل أن يكون الحسن أخذه عنهما جميعاً .

قلت : فعلى هذا يصبح أحدهما متابعاً للآخر ويصبح الحديث حسناً لغيره على ما قررناه والحمد لله .

الناس زمان لا يدرى القاتل فى أى شىء قتل ولا يدرى المقتول على أى شىء قتل »[1] .

صحيح

كثرة الموت والزلازل بين يدى الساعة

قال الإمام أحمد رحمه الله (٤/١٠٤) :

حدثنا أبو المغيرة ثنا أرطأة يعنى ابن المنذر ثنا ضمرة بن حبيب قال : ثنا سلمة ابن نفيل السكونى قال : كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ قال له قائل : يا رسول الله هل أُتيت بطعام من السماء ؟ « **قال : نعم**. قال : وبماذا ؟ **قال بسخنة** قالوا : فهل كان فيها فضل عنك؟ قال : **نعم**. قال : فما فعل به؟ قال : **رفع وهو يوحى إلىّ أنى مكفوت غير لابث فيكم ولستم لابثين بعدى إلا قليلاً بل تلبثون حتى تقولوا : متى وستأتون أفناداً يفنى بعضكم بعضاً وبين يدى الساعة موتان شديد وبعده سنوات الزلازل** ».

صحيح

وأخرجه أبو يعلى الموصلى فى مسنده (١٢/٢٧١) والدارمى فى سننه (١/٢٩-٣٠).

تمنى الموت من كثرة الفتن آخر الزمان

قال الإمام مسلم رحمه الله (ص ٢٢٣١) :

حدثنا عبد الله بن عمر بن محمد بن أبان بن صالح ومحمد بن يزيد الرفاعى (واللفظ لابن أبان) قالا : حدثنا ابن فضيل عن أبى إسماعيل[2] عن أبى حازم عن

---

(١) فى رواية لمسلم : فقيل كيف ذلك ؟ قال : « **الهرج القاتل والمقتول فى النار** » .

(٢) اختار المزى - كما فى تحفة الأشراف - أن أبا إسماعيل هو بشير بن إسماعيل .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **والذى نفسى بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول يا ليتنى كنت مكان صاحب هذا القبر ، وليس به الدين إلا البلاء** »(1) .

صحيح

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧١١٥) .

حدثنا إسماعيل حدثنى مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتنى مكانه** »(2) .

صحيح

---

(١) أى أن الحامل له على تمنى الموت ليس الخوف على دينه إنما هو كثرة الفتن والمحن وسائر الضراء وفى أبواب المخرج من الفتنة قد فصلنا القول فى هذا الموضوع فراجعه فى هذا الكتاب .

(٢) قال الحافظ فى الفتح (١٣/٧٥) قال ابن بطال : تغبط أهل القبور وتمنى الموت عند ظهور الفتن إنما هو خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله وظهور المعاصى والمنكر انتهى .، وليس هذا عاماً فى حق كل أحد وإنما هو خاص بأهل الخير ، وأما غيرهم فقد يكون لما يقع لأحدهم من المصيبة فى نفسه أو أهله أو دنياه ، وإن لم يكن فى ذلك شىء يتعلق بدينه ويؤيده ما أخرجه فى رواية أبى حازم عن أبى هريرة عند مسلم (وهى التى ستأتى قريباً) وذكر الرجل فيه للغالب وإلا فالمرأة يتصور فيها ذلك ، والسبب فى ذلك ما ذكر فى رواية أبى حازم أنه يقع البلاء والشدة حتى يكون الموت الذى هو أعظم المصائب أهون على المرء فيتمنى أهون المصيبتين فى اعتقاده ، وبهذا جزم القرطبى ، وذكره عياض احتمالاً .

قال ابن عبد البر : ظن بعضهم أن هذا الحديث معارض للنهى عن تمنى الموت ، وليس كذلك ، وإنما فى هذا أن هذا القدر سيكون لشدة تنزل بالناس من فساد =

وأخرجه مسلم (١٥٧) وأحمد (٢/٥٣٠)[1] .

= الحال فى الدين أو ضعفه أو خوف ذهابه لا لضرر ينزل فى الجسم كذا قال ، وكأنه يريد أن النهى عن تمنى الموت هو حيث يتعلق بضرر الجسم ، وأما إذا كان يتعلق بالدين فلا ، وقد ذكره عياض احتمالاً أيضاً ، وقال غيره ليس بين هذا الخبر وحديث النهى عن تمنى الموت معارضة لأن النهى صريح وهذا إنما فيه إخبار عن شدة ستحصل ينشأ عنها هذا التمنى ، وليس فيه تعرض لحكمه ، وإنما سيق للإخبار عما سيقع .

قال الحافظ : قلت : ويمكن أخذ الحكم من الإشارة فى قوله (وليس به الدين إنما هو البلاء) فإنه سيق مساق الذم والإنكار ، وفيه إيماء إلى أنه لو فعل ذلك بسبب الدين لكان محموداً ، ويؤيده ثبوت تمنى الموت عند فساد أمر الدين عن جماعة من السلف قال النووى : لا كراهة فى ذلك بل فعله خلائق من السلف منهم عمر بن الخطاب وعيسى الغفارى وعمر بن عبد العزيز وغيرهم ثم قال القرطبى : كأن فى الحديث إشارة إلى أن الفتن والمشقة البالغة ستقع حتى يخف أمر الدين ، ويقل الاعتناء بأمره ولا يبقى لأحد إلا اعتناء بأمر دنياه ومعاشه نفسه وما يتعلق به ، ومن ثمَّ عظم قدر العبادة أيام الفتنة كما أخرج مسلم من حديث معقل بن يسار رفعه (**العبادة فى الهرج كهجرة إلىّ**) ويؤخذ من قوله (**حتى يمر الرجل بقبر الرجل**) أن التمنى المذكور إنما يحصل عند رؤية القبر . وليس ذلك مراداً بل فيه إشارة إلى قوة هذا التمنى لأن الذى يتمنى الموت بسبب الشدة التى تحصل عنده قد يذهب ذلك التمنى أو يخف عند مشاهدة القبر والمقبور فيتذكر هول المقام فيضعف تمنيه ، فإذا تمادى على ذلك دل على تأكد أمر تلك الشدة عنده حيث لم يصرفه ما شاهده من وحشة القبر وتذكر ما فيه من أهوال عن استمراره على تمنى الموت .

(١) عند أحمد من الزيادة ما به حب لقاء الله عز وجل .

قول النبي ﷺ : « لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم»

قال الإمام أحمد رحمه الله (٤/٢٦٠) :

حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البخترى الطائى قال : أخبرنى من سمعه من النبى ﷺ أنه قال : « **لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم** »[(١)] .

صحيح

وأخرجه أبو داود (٤٣٤٧) .

انحسار الفرات عن كنز من ذهب ووصية رسول الله ﷺ لمن حضر ذلك

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧١١٩) :

حدثنا عبد الله بن سعيد الكندى حدثنا عقبة بن خالد حدثنا عبيد الله عن خبيب بن عبد الرحمن عن جده حفص بن عاصم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **يوشك الفرات أن يحسر[(٢)] عن كنز[(٣)] من ذهبٍ فمن حضره**

---

(١) قال الخطابى : فسره أبو عبيد فى كتابه وحُكى عن أبى عبيد أنه قال : معنى يعذروا .أى تكثر ذنوبهم وعيوبهم ، قال : وفيه لغتان ، يقال : أعذر الرجل إعذاراً إذا صار ذا عيب وفساد ، قال : وكان بعضهم يقول عذر يعذر بمعناه ولم يعرفه الأصمعى ، قال أبو عبيد : يعذروا - بفتح الياء بمعنى يكون لمن يعدهم العذر فى ذلك . والله أعلم .

(٢) يحسر أى ينكشف لذهاب مائه .

(٣) فى بعض الروايات جبل .

فلا يأخذ منه شيئاً » .

صحيح

قال عقبة : وحدثنا عبيد الله حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى ﷺ ... مثله » إلا أنه قال « **يحسر عن جبل من ذهب** » .

وأخرجه مسلم[1] (ص٢٢٢٠) وأبو داود (٤٣١٣) .

والترمذى (٢٥٦٩) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٩٥) :

حدثنا أبو كامل فضيل بن حسين وأبو معن الرقاشى (واللفظ لأبى معن) قالا : حدثنا خالد بن الحارث حدثنا عبد الحميد بن جعفر أخبرنى أبى عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : كنت واقفاً مع أُبى بن كعب **فقال : لا يزال الناس مختلفة أعناقهم[2] فى طلب الدنيا . قلت : أجل قال : إنى**

---

(١) فى رواية لمسلم من طريق سهيل عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلِّى أكون أنا الذى أنجو** » .

وفى رواية لأحمد (٢٦١/٢) وابن ماجه (٤٠٤٦) من طريق محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **يحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتتل الناس عليه فيقتل من كل عشرة تسعة** » . وإسناد هذه الرواية حسن إلا أن الحافظ ابن حجر قال فى فتح البارى (٨١/١٣) : هى رواية شاذه ، قال : والمحفوظ ما تقدم عند مسلم وشاهده من حديث أبى بن كعب (من كل مائة تسعة وتسعون) . ثم استدرك الحافظ وقال : ويمكن الجمع باختلاف الناس إلى قسمين . قلت : والأخير هو الأولى والله أعلم .

(٢) قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٧٤٥/٥) : قال العلماء : المراد بالأعناق هنا الرؤساء والكبراء وقيل الجماعات وقال القاضى : وقد يكون المراد بالأعناق =

سمعت رسول الله ﷺ يقول « **يوشك الفرات أن يحسر عن جبلٍ من ذهب فإذا سمع به الناس ساروا إليه فيقول من عنده لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبن به كله ، قال فيقتتلون عليه فيقتل من كل مائةٍ تسعة وتسعون** » .

قال أبو كامل فى حديثه : قال : وقفت أنا وأبى بن كعب فى ظل أجم حسان

صحيح

ما جاء فى القحطانى

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧١١٧) :

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنى سليمان عن ثور عن أبى الغيث عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه** »[1] .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩١٠) .

= نفسها وعبَّر بها عن أصحابها لا سيما وهى التى بها التطلع والتشوف للأشياء .

(١) قال الحافظ فى الفتح (٧٧/١٣) : قال القرطبى فى التذكرة : قوله « **يسوق الناس بعصاه** » كناية عن غلبته عليهم وانقيادهم له ، و لم يُرد نفس العصا ، لكن فى ذكرها إشارة إلى خشونته وعسفه بهم ، قال : وقد قيل : إنه يسوقهم بعصاه حقيقة كما تساق الإبل والماشية لشدة عنفه وعدوانه . قال : ولعله جهجاه المذكور فى الحديث الآخر ، وأصل الجهجاه الصياح وهى صفة تناسب ذكر العصا . قلت : ويرد هذا الاحتمال إطلاق كونه من قحطان فظاهره أنه من الأحرار ، وتقييده فى جهجاه بأنه من الموالى ما تقدم أنه يكون بعد المهدى وعلى سيرته ، وأنه ليس دونه .

ما جاء فى جهجاه

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩١١) :

حدثنا محمد بن بشار العبدى حدثنا عبد الكبير بن عبد المجيد أبو بكر الحنفى حدثنا عبد الحميد بن جعفر قال : سمعت عمر بن الحكم يحدث عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « **لا تذهب الأيام والليالى حتى يملك رجل يقال له الجهجاه** » .

صحيح

وأخرجه الترمذى (٢٢٢٨)[١] وقال هذا حديث حسن غريب .

فتنة قبيلة مضر للناس

قال الطيالسى رحمه الله (مسند الطيالسى حديث ٤٢٠) :

حدثنا هشام عن قتادة[٢] عن أبى الطفيل عن حذيفة سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن هذا الحى من مضر لا يدع عبداً لله فى الأرض صالحاً إلا فتنه وأهلكه حتى يدركهم الله بعد بجنود من عنده أو من السماء فيذلها حتى لا تمنع ذنب تلعة** » .

صحيح

---

(١) قال المباركفورى (تحفة الأحوذى ٦/٤٨٣) أى لا ينقطع الزمان ولا تأتى القيامة (حتى يملك رجل من الموالى) أى على سبيل التغلب لا بشورى أهل الحل والعقد فهذا الحديث لا يخالف الأحاديث القاضية بأن الخلافة فى قريش ، والموالى جمع مولى أى المماليك والمعنى حتى يصير حاكماً على الناس .

(٢) قتادة مدلس إلا أن الراوى عنه هشام وهو الدستوائى وهو من أروى الناس عنه وأثبتهم فيه .

قول النبي ﷺ : « أسرع قبائل العرب فناءاً قريش »

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/٣٣٦) :

حدثنا عمر بن سعد ثنا يحيى يعني ابن زكريا بن أبي زائدة عن سعد بن طارق عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **أسرع قبائل العرب فناءاً قريش ، ويوشك أن تمر المرأة بالنعل فتقول هذا نعل قرشي** » .

صحيح

قال الإمام أحمد رحمه الله (٦/٨١) :

حدثنا هاشم ثنا إسحاق بن سعيد عن أبيه عن عائشة قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ وهو يقول : « **يا عائشة قومك أسرع أمتي بي لحاقاً** قالت : فلما جلس قلت : يا رسول الله جعلني الله فداءك لقد دخلت عليّ وأنت تقول كلاماً ذعرني ، قال : **وما هو** ؟ قالت : تزعم أن قومي أسرع أمتك بك لحاقاً ، قال : **نعم** ، قالت : ومم ذاك ؟ قال **تستحليهم المنايا وتنفس عليهم أمتهم** قالت فقلت : فكيف الناس بعد ذلك أو عند ذلك قال : **دبى**[1] **يأكل شداده ضعافه حتى تقوم عليهم الساعة** » قال أبو عبد الرحمن فسره رجل هو الجنادب التي لم تنبت أجنحتها .

صحيح

وأخرجه أحمد أيضاً (٦/٩٠) .

---

(١) الدبى هو الجراد قبل أن يطير .

بعض ما جاء فى الشام وأهله

قال أبو داود رحمه الله (٢٤٨٣) :

حدثنا حيوة بن شريح الحضرمى حدثنا بقية حدثنى بحير عن خالد – يعنى ابن معدان عن ابن أبى قتيلة عن ابن حوالة قال : قال رسول الله ﷺ : « **سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجندة جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق** » قال ابن حواله : خر لى يا رسول الله إن أدركت ذلك فقال : « **عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبى إليها خيرته من عباده فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم واسقوا من غُدُركم فإن الله توكل لى بالشام وأهله** » .

صحيح لغيره[1]

وأخرجه أحمد (١١٠/٤) .

---

(١) فله طرق عن ابن حواله فأخرجه أحمد (٢٨٨/٥) من طريق حريز عن سلمان بن سمير عن ابن حوالة بنحوه مرفوعاً ، وقد قال أبو داود مشايخ حريز كلهم ثقات .
وله طريق أخرى عند الحاكم (٥١٠/٤) من طريق مكحول عن أبى إدريس الخولانى عن عبد الله بن حوالة قال : قال رسول الله ﷺ : ... فذكر نحوه .
وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .
وانظر علل ابن أبى حاتم (٤٢١/٢) .
وهذا الحديث محمول على أزمنة مخصوصة وليس على إطلاقه فإذا ظهرت فتن بالشام يخشى المسلم منها على دينه فحينئذ يشرع له الفرار منها .
ولا شك أن اللجوء إلى مكة والمدينة فى زمن الدجال أولى من اللجوء إلى الشام وقد قال ﷺ .... وإنه (أى الإسلام) يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها ، والله تعالى أعلم .
تنبيه : قد ورد نحو هذا الحديث من حديث العرباض بن سارية ، وهذا حديث فيه وهم أى قد وهم الراوى الذى ذكر العرباض بن سارية وإنما هو حديث =

قال أبو داود الطيالسى رحمه الله (المسند رقم ١٠٧٦) :

حدثنا شعبة قال : حدثنا معاوية بن قرة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ :
« إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم لا تزال طائفة من أمتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة » .

صحيح

وأخرجه الترمذى (٢١٩٢) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

قال الترمذى رحمه الله (عقب حديث ٢١٩٢) :

حدثنا أحمد بن منيع حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قلت : يا رسول الله أين تأمرنى؟ قال : **«ها هنا ونحا بيده نحو الشام»**.

حسن

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

قال الإمام أحمد رحمه الله (١٠٤/٤) :

حدثنا الحكم بن نافع قال : ثنا إسماعيل بن عياش عن إبراهيم بن سليمان عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشى عن جبير بن نفير أن سلمة بن نفيل أخبرهم أنه أتى النبى ﷺ فقال : إنى سئمت الخيل وألقيت السلاح ووضعت الحرب أوزارها قلت : لا قتال فقال له النبى ﷺ : **« الآن جاء القتال لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الناس يرفع الله قلوب أقوام فيقاتلونهم ويرزقهم الله منهم حتى يأتى أمر الله عز وجل وهم على ذلك ألا إن عقر دار المؤمنين الشام ، والخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة »** .

حسن

وعزاه المزى للنسائى .

= ابن حوالة وقد دخل على الراوى حديث فى حديث، وانظر العلل لابن أبى حاتم (٤١٩/٢).

بين يدى الساعة تكليم السباع للإنس

قال الإمام أحمد رحمه الله (٨٣/٣ - ٨٤) :

حدثنا يزيد أنا القاسم بن الفضل الحدانى عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال : عدا الذئب على شاةٍ فأخذها فطلبه الراعى فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه قال : ألا تتقى الله تنزع منى رزقاً ساقه الله إلىَّ فقال : يا عجبى ذئب مقع على ذنبه يكلمنى كلام الإنس فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ! محمدٌ ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق ، قال : فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاويةٍ من زواياها ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره ، فأمر رسول الله ﷺ فنودى الصلاة جامعة ثم خرج فقال للراعى أخبرهم فأخبرهم فقال رسول الله ﷺ : « **صدق والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباعُ[1] الإنس ويكلم الرجل عذبة[2] سوطه[3] ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده** » .

إسناده صحيح[4]

---

(١) السباع : هى سباع الوحش كالأسد والنمر ونحو ذلك أو سباع الطير كالبازى ولا منع من الجمع . أشار إلى بعض ذلك المباركفورى (تحفة الأحوذى ٤٠٩/٦) .

(٢) العذبة هى الطرف .

(٣) فى بعض الروايات : « **وشراك نعله** » وهو أحد سيور النعل التى تكون على وجهها .

(٤) قد روى ابن حبان هذا الحديث بإدخال واسطة بين القاسم وأبى نضرة وهو الجريرى والجريرى هو سعيد بن إياس كان قد اختلط إلا أن القاسم بن الفضل من طبقة من روى عنه قبل الاختلاط .

=

والحديث أخرج الترمذى الجزء الأخير منه (٢١٨١) وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل ، والقاسم بن الفضل ثقة مأمون عند أهل الحديث ، وثقه يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدى .
قلت : وأخرجه أيضاً ابن حبان (موارد الظمآن ٢١٠٩)[1] مطولاً .
وأخرجه الحاكم (٤/٤٦٧ - ٤٦٨) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه ووافقه الذهبى .

* * *

= وفى التهذيب (ترجمة القاسم بن الفضل) : وقال العقيلى : سأله شعبة (أى أن شعبة سأل القاسم) عن حديث أبى نضرة يعنى عن أبى سعيد فى قصة كلام الذئب وفيه « **لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجلَ عذبته وشراك نعله بما أحدث أهله** » : فحدثه فقال شعبة لعلك سمعته من شهر بن حوشب قال : لا حدثناه أبو نضرة فما سكت حتى سكت شعبة .

(١) انظر هامش (٤) الصفحة السابقة .

الأشراط الكبرى[1] للساعة

---

(١) وهى عشرة ، وكأنها اجتمعت فى حديث حذيفة بن أسيد الغفارى حيث قال : اطلع علينا النبى ﷺ ونحن نتذاكر الساعة فقال : « **ما تذاكرون ؟** » قالوا : نذكر الساعة قال : « **إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات** » فذكر : « **الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ﷺ ، ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم** » . أخرجه مسلم وسيأتى .

وقال الشنقيطى رحمه الله (أضواء البيان ٣/٣١٤) : وأشراط الساعة الكبرى العشرة وهى : نزول عيسى وخروج الدجال ، ويأجوج ومأجوج والدابة والدخان ورفع القرآن وطلوع الشمس من مغربها وإغلاق باب التوبة والخسف .

قلت : وينبغى أن يدرج مع هذا كله نزول عيسى عليه السلام .

تنبيه : لا يمتنع أن تتخلل الأشراط الصغرى الأشراط الكبرى ، فلا يمتنع مثلاً أيام الدجال أن يكثر الزنا ويحدث ارتداد فى طوائف من المسلمين وتفشوا التجارة مثلاً إلى غير ذلك من الأشراط الصغرى المتقدمة .



ذكر الأشراط الكبرى

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٠١) :

حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم وابن أبى عمر المكى – واللفظ لزهير – (قال إسحاق : أخبرنا وقال الآخران : حدثنا) سفيان بن عيينة[١] عن فرات القزاز عن أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال : اطلع علينا النبى ﷺ ونحن نتذاكر فقال : « **ما تذاكرون ؟** » قالوا : نذكر الساعة . قال : « **إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ﷺ[٢] ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم** »[٣] .

صحيح

---

(١) وقد رواه شعبة أيضاً (كما عند مسلم) عن فرات بنحو حديث سفيان ، ورواه شعبة (عند مسلم أيضاً) عن عبد العزيز بن رفيع عن أبى الطفيل عن حذيفة ابن أسيد موقوفاً وقد استدركه الدارقطنى بقوله : ولم يرفعه غير فرات عن أبى الطفيل من وجه صحيح قال : ورواه عبد العزيز بن رفيع وعبد الملك بن ميسرة موقوفاً .

قلت : ولا يضر مثل هذا فإن فرات ثقة والزيادة منه مقبولة هنا ، ثم إن الحديث مما لا يقال من قبيل الرأى .

(٢) فى رواية لمسلم فى العاشرة : نزول عيسى ابن مريم ﷺ ، وفى أخرى : وريح تلقى الناس فى البحر .

(٣) فى رواية عند مسلم : ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس . =

وأخرجه أبو داود (٤٣١١) والترمذى (٢١٨٣) وقال هذا حديث حسن صحيح وأخرجه ابن ماجه مختصراً (٤٠٤١) وعزاه المزى للنسائىّ .

= قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٧٥٢/٥) : هذا الحديث يؤيد قول من قال : إن الدخان دخان يأخذ بأنفاس الكفار ، ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام وأنه لم يأت بعد ، وإنما يكون قريباً من قيام الساعة ، وقد سبق فى كتاب بدء الخلق قول من قال هذا ، وإنكار ابن مسعود عليه وأنه قال : إنما هو عبارة عما نال قريشاً من القحط حتى كانوا يرون بينهم وبين السماء كهيئة الدخان ، وقد وافق ابن مسعود جماعة ، وقال بالقول الآخر : حذيفة وابن عمر والحسن ، ورواه حذيفة عن النبى ﷺ وأنه يمكث فى الأرض أربعين يوماً ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار .

وأما الدابة المذكورة فى هذا الحديث فهى المذكورة فى قوله تعالى ﴿ **وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض** ﴾ قال المفسرون هى دابة عظيمة تخرج من صدع فى الصفا ، وعن عمرو بن العاص أنها الجساسة المذكورة فى حديث الدجال .

وقوله ﷺ « **وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم** » وفى رواية « **نار تخرج من قعرة عدن** » هكذا هو فى الأصول (قعرة) بالهاء والقاف مضمونة ومعناه من أقصى قعر أرض عدن ، وعدن مدينة معروفة مشهورة باليمن ، قال الماوردى : سميت عدناً من العدوان وهى الإقامة لأن تُبعاً كان يحبس فيها أصحاب الجرائم وهذه النار الخارجة من قعر عدن واليمن هى الحاشرة للناس كما صرح به فى الحديث أما قوله ﷺ فى الحديث الذى بعده : « **لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء أعناق الإبل ببصرى** » فقد جعلها القاضى عياض حاشرة ، قال : ولعلهما ناران يجتمعان لحشر الناس . قال أو يكون ابتداء خروجها من اليمن ويكون ظهورها وكثرة قوتها بالحجاز هذا كلام القاضى وليس فى الحديث أن نار الحجاز متعلقة بالحشر بل هى آية من أشراط الساعة مستقلة ، وقد خرجت فى زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة ، وكانت ناراً عظيمة جداً من جنب المدينة الشرقى =

تتابع أشراط الساعة

قال ابن حبان رحمه الله (موارد الظمآن ١٨٨٣) .

أخبرنا أبو يعلى حدثنا أبو الربيع الزهرانى حدثنا هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **خروج الآيات بعضها على بعض يتتابعن كما تتابع الخرز** » .

صحيح

* * *

= وراء الحرة ، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان وأخبرنى من حضرها من أهل المدينة .



فصل

في الدَجّال

أولاً : ذكر ابن صياد وما جاء فيه وهل هو الدجال أم لا ؟



مواقف الرسول ﷺ مع ابن صياد

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٠٥٥) :

حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا هشام أخبرنا معمر عن الزهرى أخبرنى سالم بن عبد الله عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه أخبره أن عمر انطلق فى رهط من أصحاب النبى ﷺ مع النبى ﷺ قبل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الغلمان عند أُطم بنى مغالة وقد قارب يومئذٍ ابن صياد يحتلم فلم يشعر بشىء حتى ضرب النبى ﷺ ظهره بيده ، ثم قال النبى ﷺ : « **أتشهد أنى رسول الله** ؟ » ﷺ فنظر إليه ابن صيادٍ فقال : أشهد أنك رسول الأميين[1] فقال ابن صياد للنبى ﷺ : أتشهد أنى رسول الله ؟ قال له النبى ﷺ : **آمنت بالله ورسله**[2]. قال النبى ﷺ : **ماذا ترى** ؟ قال : ابن صياد يأتينى

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (٦/١٧٣) : فيه إشعار بأن اليهود الذين كان منهم ابن صياد كانوا معترفين ببعثة رسول الله ﷺ لكن يدعون أنها مخصوصة بالعرب وفساد حجتهم واضح جداً لأنهم إذا أقروا بأنه رسول الله استحال أن يكذب على الله فإذا ادعى أنه رسوله إلى العرب وإلى غيرها تعين صدقه فوجب تصديقه .

(٢) قال الزين بن المنير : إنما عرض النبى ﷺ الإسلام على ابن صياد بناء على أنه ليس الدجال المحذر منه . قلت (القائل هو الحافظ ابن حجر) ، ولا يتعين ذلك بل الذى يظهر أن أمره كان محتملاً فأراد اختباره بذلك فإن أجاب غلب ترجيح أنه ليس هو ، وإن لم يجب تمادى الاحتمال أو أراد باستنطاقه إظهار كذبه المنافى لدعوى النبوة ، ولما كان ذلك هو المراد أجابه بجواب منصف فقال : «**آمنت بالله ورسله**» وقال القرطبى : كان ابن صياد على طريقة الكهنة يخبر بالخبر فيصح تارة ويفسد أخرى فشاع ذلك ولم ينزل فى شأنه وحى فأرد النبى ﷺ سلوك =

صادق وكاذب[1]. قال النبى ﷺ : **خلط عليك[2] الأمر** . قال النبى ﷺ : **إنى قد خبأت لك خبيئاً[3]** قال ابن صياد : هو الدُّخ . قال النبى

= طريقة يختبر حاله بها أى فهو السبب فى انطلاق النبى ﷺ إليه .

(١) أى يأتيه الشيطان بما يسترقه من السمع فيصدق فيه ، ويأتيه مع ذلك بالكذب فيكذب عليه . والله أعلم .

(٢) أى لبس عليك الحق الذى يسترقه الشيطان بالباطل الذى هو كذب إبليس . والله أعلم .

(٣) فى رواية أحمد (١٤٨/٢) بإسناد صحيح : إنى قد خبأت لك خبيئاً وخبأ له يوم تأتى السماء بدخان مبين . ففيها تصريح بأن الذى خُبأ هو سورة الدخان . قال الحافظ فى الفتح ، وأما جواب ابن صياد بالدخ فقيل إنه اندهش فلم يقع من لفظ الدخان إلا على بعضه ، وحكى الخطابى أن الآية حينئذ كانت مكتوبة فى يد النبى ﷺ (قلت : ولم نقف على إسناد صحيح يثبت هذه الدعوى) فلم يهتد ابن صياد منها إلا لهذا القدر الناقص على طريقة الكهنة ؛ ولهذا قال له النبى ﷺ « **لن تعدو قدرك** » أى قدر مثلك من الكهان الذين يحفظون من إلقاء شياطينهم ما يحفظونه مختلطاً صدقه بكذبه .. ثم قال رحمه الله : إلا أن يكون خبأ له اسم الدخان فى ضميره ، وعلى هذا فيقال كيف اطلع ابن صياد أو شيطانه على ما فى الضمير ؟! ويمكن أن يجاب باحتمال أن يكون النبى ﷺ تحدث مع نفسه أو أصحابه بذلك قبل أن يختبره فاسترق الشيطان ذلك أو بعضه .

وقال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٧٧١/٥) :

قوله (هو الدخ) هو بضم الدال وتشديد الخاء ، وهى لغة فى الدخان كما قدمناه وحكى صاحب نهاية الغريب فتح الدال وضمها ، والمشهور فى كتب اللغة والحديث ضمها فقط ، والجمهور على أن المراد بالدخ هنا الدخان ، وأنها لغة فيه ، وخالفهم الخطابى فقال : لا معنى للدخان هنا لأنه ليس ما يخبأ فى كف أو كم كما قال بل الدخ بيت موجود بين النخيل والبساتين قال : إلا أن يكون معنى خبأت أضمرت لك اسم الدخان فيجوز ، والصحيح المشهور أنه ﷺ =

ﷺ : **اخسأ**[1] **فلن تَعْدُوَ قدرك**[2]. قال عمر : يارسول الله ائذن لى فيه أضرب عنقه . قال النبى ﷺ : **إن يكنه فلن تسلط عليه ، وإن لم يكن هو فلا خير لك فى قتله** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٣٠) وأبو داود (٤٣٢٩) والترمذى (٢٢٣٥) بنحوه وقال : هذا حديث حسن صحيح .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦١٧٢) :

حدثنا أبو الوليد حدثنا سلم بن زرير سمعت أبا رجاء سمعت ابن عباس رضى الله عنهما قال : رسول الله ﷺ لابن صائدٍ : « **قد خبأت لك خبيئاً فما**

= أضمر له آية الدخان ، وهى قوله تعالى ﴿ **فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين** ﴾ قال القاضى : قال الداودى وقيل كانت سورة الدخان مكتوبة فى يده ﷺ ، وقيل كتب الآية فى يده ، قال القاضى وأصح الأقوال أنه لم يهتد من الآية التى أضمر النبى ﷺ إلا لهذا اللفظ الناقص على عادة الكهان إذا ألقى الشيطان إليهم بقدر ما يخطف قبل أن يدركه الشهاب ويدل عليه قوله ﷺ : « **اخسأ فلن تعدو قدرك** » ، أى القدر الذى يدرك الكهان من الاهتداء إلى بعض الشىء ، وما لا يبين من تحقيقه ولا يصل به إلى بيان وتحقيق أمور الغيب .

(١) اخسأ : أى اسكت صاغراً مطروداً قاله ابن التين ، وأصل معناها التباعد والطرد (انظر لسان العرب ١١٥٥ - ١١٥٦) ، وقال النووى اخسأ : اقعد .

(٢) قوله « **فلن تعدو قدرك** » قال الحافظ أى لن تجاوز ما قدر الله فيك أو مقدار أمثالك من الكهان قال العلماء استكشف النبى ﷺ أمره ليبين لأصحابه تمويهه لئلا يلتبس حاله على ضعيف لم يتمكن فى الإسلام ، ومحصل ما أجاب به النبى ﷺ أنه قال له على طريق الفرض والتنزل : إن كنت صادقاً فى دعواك الرسالة ولم يختلط عليك الأمر آمنت بك ، وإن كنت كاذباً وخلط عليك الأمر فلا ، وقد ظهر كذبك والتباس الأمر عليك فلا تعدو قدرك .

هو ؟ قال الدُّخ . قال اخسأ » .

صحيح

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٠٣٣) :

قال الليث[1] حدثنى عقيل عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : انطلق رسول الله ﷺ ومعه أُبىٌّ بن كعب قبل ابن صياد - فحدث به فى نخلٍ - فلما دخل عليه رسول الله ﷺ النخل ، طفق يتقى بجذوع النخل وابن صياد فى قطيفةٍ له فيها رمرمة[2] فرأت أمُّ صياد رسول الله ﷺ فقالت : يا صاف هذا محمد فوثب ابن صياد فقال رسول الله ﷺ : « **لو تركته بين** »[3] .

صحيح لغيره

وأخرجه مسلم (٢٩٣١) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٢٤) :

حدثنا عثمان بن أبى شيبة وإسحاق بن إبراهيم - واللفظ لعثمان - (قال : إسحاق أخبرنا وقال : عثمان حدثنا) جرير عن الأعمش عن أبى وائل عن عبد الله قال : كنا مع

---

(١) هذا معلق لكن قد قال الحافظ فى الفتح (١٦٠/٦) : وصله الإسماعيلى من طريق يحيى بن بكير وأبى صالح كلاهما عن الليث .

(٢) الزمزمة بالزاى وفى رواية البخارى رمرمة بالراء قال النووى هى صوت خفى لا يكاد يفهم أولا يفهم .

(٣) قال الحافظ : قوله « **لو تركته بين** » أى أظهر لنا من حاله ما نطلع به على حقيقته والضمير لأم ابن صياد ، أى لو لم تعلمه بمجيئنا لتمادى على ما كان فيه فسمعنا ما يستكشف به أمره . ثم قال الحافظ رحمه الله : وفى قصة ابن صياد اهتمام الإمام بالأمور التى يخشى منها الفساد والتنقيب عليها ، وإظهار كذب المدعى بالباطل وامتحانه بما يكشف حاله والتجسس على أهل الريب .

رسول الله ﷺ فمررنا بصبيان فيهم ابن صياد ففر الصبيان وجلس ابن صياد فكأن رسول الله ﷺ كره ذلك فقال له النبى ﷺ : « **تربت يداك . أتشهد أنى رسول الله ؟** » فقال : لا بل تشهد أنى رسول الله . فقال : عمر بن الخطاب : ذرنى يا رسول الله حتى أقتله فقال رسول الله ﷺ : « **إن يكن الذى[1] ترى فلن تستطيع قتله** » .

صحيح

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٢٨) :

حدثنا نصر بن علىّ الجهضمى حدثنا بشر (يعنى ابن مفضل) عن أبى مسلمة عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ لابن صائد : « **ما تربة الجنة ؟** » قال: درمكة بيضاء مسك يا أبا القاسم قال : « **صدقت** »[2] .

صحيح

الصحابة القائلون بأن ابن صياد هو الدجال

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٣٥٥) :

حدثنا حماد بن حميد حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبى حدثنا شعبة عن سعد ابن إبراهيم عن محمد بن المنكدر قال : رأيتُ جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن

---

(١) أى إن يكن هو الدجال الذى سيخرج بين يدى الساعة فلن تستطيع قتله لأن الله سبحانه وتعالى قدر أنه خارج .

(٢) عقب مسلم رحمه الله هذه الرواية برواية أخرى فيها (من حديث أبى سعيد أيضاً) أن ابن صياد سأل رسول الله ﷺ عن تربة الجنة ؟ فقال « **درمكة بيضاء مسك خالص** ».

قال النووى : قال العلماء : معناه أنها فى البياض درمكة وفى الطيب مسك ، والدرمك هو الدقيق الحوارى الخالص البياض .

صياد : الدجال .

قلت : تحلفُ بالله ؟ قال: إنى سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبى ﷺ فلم ينكره النبى ﷺ[1] .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٢٩) وأبو داود (٤٣٣١) .

قال أبو دادو رحمه الله (٤٣٣٠) :

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب – يعنى ابن عبد الرحمن – عن موسى بن عقبة عن نافع قال : كان ابن عمر يقول : والله ما أشك أن المسيحَ الدجال ابن صياد .

حسن[2]

---

(١) وقد أخرج أحمد فى مسنده (١٤٨/٥) من طريق الحارث بن حصيرة ثنا زيد ابن وهب قال قال أبو ذر : لأن أحلف عشر مرار أن ابن صائد هو الدجال أحب إلَّى من أن أحلف مرة واحدة أنه ليس به ، قال : وكان رسول الله ﷺ بعثنى إلى أمه قال سلها كم حملت به؟ قال فأتيتها فسألتها فقالت حملت به اثنى عشر شهراً قال ثم أرسلنى إليها فقال سلهاً عن صيحته حين وقع قال فرجعت إليها فسألتها فقالت صاح صيحة الصبى ابن شهر ثم قال له رسول الله ﷺ : « **إنى قد خبأت لك خبأ** » قال : خبأت لى خطم شاة عفراء والدخان قال : فأراد أن يقول الدخان فلم يستطع فقال الدخ الدخ فقال له رسول الله ﷺ : « **اخسأ فلن تعدو قدرك** » .

وقد صحح الحافظ ابن حجر رحمه الله إسناد هذا الحديث فى الفتح (٣٢٩/١٣) إلا أن فى إسناده الحارث بن حصيرة وثقه غير واحد من أهل العلم لكنه شيعى محترق ذكر بعض أهل العلم أنه كان يؤمن بالرجعة وقال العقيلى له غير حديث منكر لا يتابع عليه منها حديث أبى ذر فى ابن صياد ، وانظر مزيداً من ترجمته فى التهذيب والميزان .

(٢) وقد صححه النووى رحمه الله (شرح مسلم ٧٧٠/٥) ، والحديث وإن كان =

قال أبو يعلى الموصلى رحمه الله (المسند ٩/١٢٧ - ١٣٢) :

حدثنا أبو خيثمة حدثنا محمد بن خازم حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن أبى الأحوص قال : قال عبد الله بن مسعود : لأن أحلف بالله تسعاً أن ابن صائد هو الدجال أحب إلَّى من أن أحلف واحدة ، ولأن أحلف تسعة أن رسول الله ﷺ قتل قتلاً[1] أحب إلّى من أن أحلف واحدة ، وذلك بأن الله اتخذه نبياً وجعله شهيداً .

صحيح

وأخرجه الطبرانى فى الكبير (١٠١١٩) .

ابن صياد لا يكره أن يكون هو الدجال

قال الإمام مسلم رحمه الله ص (٢٢٤٢) :

حدثنا يحيى بن حبيب ومحمد بن عبد الأعلى قالا : حدثنا معتمر قال : سمعت أبى يحدث

= رجاله ثقات إلا أن موسى بن عقبة يُضعف بعض الشىء فى نافع ، ففى التهذيب : وقال المفضل الغلابى عن ابن معين : ثقة كانوا يقولون فى روايته عن نافع شىء ، قال : وسمعت ابن معين يضعفه بعض شىء ، وقال إبراهيم بن الجنيد عن ابن معين : ليس موسى بن عقبة فى نافع مثل مالك وعبيد الله بن عمر . قلت : يعنى أنه ليس بغاية فى التثبت كمالك عن نافع ، وهذا القول لا ينزل بحديثه عن الحسن والله أعلم ، وقد صحح الحافظ ابن حجر إسناده إلى موسى بن عقبة (الفتح ١٣/٣٢٥) .

(١) أخرج البخارى معلقاً (٤٤٢٨) من حديث عائشة رضى الله عنها كان النبى ﷺ يقول فى مرضه الذى مات فيه : **يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخير ، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السم .**
وقد أشار الحافظ ابن حجر إلى من وصله فى الفتح (٨/١٣١) والله أعلم .

عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال : قال لى ابن صائد : ، وأخذتنى منه ذمامةٌ هذا عذرت الناس مالى ولكم ؟ يا أصحاب محمد ! ألم يقل نبى الله ﷺ : « **إنه يهودى** » وقد أسلمت . قال : « **ولا يولد له** » وقد ولد لى . وقال : « **إن الله قد حرم عليه مكة** » وقد حججت .

قال : فمازال حتى كاد أن يأخذ فىَّ قوله قال فقال له : أما والله إنى لأعلم الآن حيث هو وأعرف أباه وأمه . قال : وقيل له أيسرك أنك ذاك الرجل ؟ قال فقال لو عرض علىَّ ما كرهت .

صحيح

ابن صياد يزعم أنه يعرف مولد الدجال ومكانه

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٢٧) :

حدثنى عبيد الله بن عمر القواريرى ومحمد بن المثنى قالا : حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال : صحبت ابن صائد إلى مكة فقال لى : أما قد لقيت من الناس ، يزعمون أنى الدجال ، ألست سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنه لا يولد له** » قلت : بلى قال : فقد ولد لى .، أو ليس سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا يدخل المدينة ولا مكة** » قلت : بلى فقال : فقد ولدت بالمدينة ، وهذا أنا أريد مكة . قال : ثم قال لى فى آخر قوله : أما والله إنى لأعلم مولده ومكانه وأين هو . قال فلبسنى[1] .

صحيح

---

(١) أى جعلنى ألتبس فى أمره .

ومن دجل ابن صياد

قال الإمام مسلم رحمه الله (ص ٢٢٤٦) :

حدثنا محمد بن المثنى حدثنا حسين (يعنى ابن حسن بن يسار) حدثنا ابن عون عن نافع قال : كان نافع يقول : ابن صياد ، قال : قال ابن عمر : لقيته مرتين قال : فلقيته فقلت لبعضهم هل تحدثون أنه هو ؟ قال : لا . والله ! قال : قلت كذبتنى . والله ! لقد أخبرنى بعضكم أنه لن يموت حتى يكون أكثرهم مالاً وولداً ، فكذلك هو زعموا اليوم . قال : فتحدثنا ثم فارقته قال : فلقيته لقية أخرى وقد نفرت[1] عينه قال : فقلت : متى فعلت عينك ما أرى ؟ قال : لا أدرى قال : قلت لا تدرى وهى فى رأسك ؟ قال : إن شاء الله خلقها فى عصاك هذه . قال : فنخر كأشد نخير حمار سمعت قال : فزعم بعض أصحابى أنى ضربته بعصاً كانت معى حتى تكسرت ، وأما أنا فوالله ما شعرت .

قال : وجاء حتى دخل على أم المؤمنين فحدثها فقالت ما تريد إليه ألم تعلم أنه قد قال : « **إن أول ما يبعثه على الناس غضب يغضبه** ؟ » .

صحيح

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٢٥) :

حدثنا محمد بن المثنى حدثنا سالم بن نوح عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال : لقيه رسول الله ﷺ وأبو بكرٍ وعمر فى بعض طرق المدينة فقال له رسول الله ﷺ : « **أتشهد أنى رسول الله ؟** » فقال هو : أتشهد أنى رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **آمنت بالله وملائكته وكتبه ما ترى ؟** »

---

(١) قوله (نفرت) قال النووى أى ورمت ونتأت .

قال : أرى عرشاً على الماء فقال رسول الله ﷺ « **ترى عرش إبليس على البحر . وما ترى ؟** » قال : أرى صادقين وكاذباً أو كاذبين وصادقاً فقال رسول الله ﷺ : « **لبس عليه . دعوه** » .

صحيح

وأخرجه الترمذى (٢٢٤٦) وقال هذا حديث حسن صحيح .

أخرج عبد الرزاق فى المصنف (٢٠٨٣٢) :

عن معمر عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر قال : لقيت ابن صياد يوماً ومعه رجل من اليهود فإذا عينه قد طفيت ، وكانت عينه خارجة مثل عين الجمل ، فلما رأيتها قلت يا ابن صياد ! أنشدك الله متى طفيت عينك ؟ أو نحو هذا – قال لا أدرى والرحمن . فقلت كذبت . لا تدرى وهى فى رأسك ؟ قال فمسحها قال فنخر ثلاثاً فزعم اليهودى أنى ضربت بيدى على صدره . قال : ولا أعلمنى فعلت ذلك اخس فلن تعدو قدرك . قال أجل لعمرى لا أعدو قدرى ، قال فذكرت ذلك لحفصة فقالت اجتنب هذا الرجل فإنا نتحدث أن الدجال يخرج عند غضبة يغضبها .

صحيح[1]

قال الإمام مسلم رحمه الله (ص ٢٢٤٢) :

حدثنا محمد بن المثنى حدثنا سالم بن نوح أخبرنا الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال : خرجنا حجاجاً أو عماراً ومعنا ابن صائد قال فنزلنا منزلاً فتفرق الناس وبقيت أنا وهو ، فاستوحشت منه وحشةً شديدة مما يقال عليه ، قال وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعى . فقلت إن الحر شديد فلو وضعته تحت تلك الشجرة . قال ففعل . قال فرفعت لنا غنم فانطلق فجاء

---

(١) وقد صحح الحافظ ابن حجر إسناده (فتح البارى ٣٢٥/١٣) .

بعس فقال : اشرب أبا سعيد ! فقلت : إن الحر شديد واللبن حار ، ما بى إلا أنى أكره أن أشرب عن يده - أو قال : آخذ عن يده - فقال : أبا سعيد : لقد هممت أن آخذ حبلاً فأعلقه بشجرةٍ ثم أختنق مما يقول لى الناس ، يا أبا سعيد ! من خفى عليه حديث رسول الله ﷺ ما خفى عليكم معشر الأنصار ! ألست من أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ ، أليس قد قال رسول الله ﷺ : « **هو كافر** » وأنا مسلم ؟ أو ليس قد قال رسول الله ﷺ : « **هو عقيم لا يولد له** » ، وقد تركت ولدى بالمدينة ؟ أو ليس قد قال رسول الله ﷺ : « **لا يدخل المدينة ولا مكة** » وقد أقبلت من المدينة - وأنا أريد مكة ؟ قال أبو سعيد الخدرى : حتى كدت أن أعذره ثم قال : أما والله إنى لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن .

قال : قلت له : تباً لك سائر اليوم .

صحيح

وأخرجه الترمذى (٢٢٤٧) وقال : هذا حديث حسن .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٣٢) :

حدثنا عبد بن حميد حدثنا روح بن عبادة حدثنا هشام عن أيوب عن نافع قال : لقى ابن عمر ابن صائدٍ فى بعض طرق المدينة فقال له قولاً أغضبه فانتفخ حتى ملأ السكة فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها فقالت له : رحمك الله : ما أردت من ابن صائد ؟ أما علمت أن رسول الله ﷺ قال : « **إنما يخرج[1] من غضبة يغضبها** ؟ » .

صحيح

تقدم تخريجه .

---

(١) تعنى الدجال .

متى فُقد ابن صياد

قال أبو داود رحمه الله (٤٣٣٢) :

حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا عبيد الله - يعنى ابن موسى - حدثنا شيبان عن الأعمش عن سالم عن جابرٍ قال : فقدنا ابن صياد يوم الحرة[١] .

صحح إسناده الحافظ ابن حجر[٢]

* * *

---

(١) هو اليوم الذى دخل فيه أهل الشام - فى عهد يزيد بن معاوية - المدينة وسفكوا الدماء فيها واستحلوا حرماتها .

(٢) وذلك فى فتح البارى (٣٢٨/١٣) ، والذى يشوبه فقط عنعنة الأعمش وهو مدلس . إلا أننى لا أرى لها تأثيراً هنا والله أعلم .
وقد صحح هذا الإسناد أيضاً النووى فى شرح مسلم (٧٧٠/٥) .

بعض أقوال أهل العلم فى ابن صياد

● قال الخطابى رحمه الله (معالم السنن مع أبى داود تحقيق الدعاس ٤/٥٠٣) :

وقد اختلف الناس فى ابن صياد اختلافاً شديداً وأشكل أمره حتى قيل فيه كل قول ، وقد يسأل عن هذا فيقال : كيف يقر النبى ﷺ رجلاً . يدعى النبوة كاذباً ، ويتركه بالمدينة يساكنه فى داره ويجاوره فيها وما معنى ذلك ؟ وما وجه امتحانه إياه بما خبأه له من أنه الدخان ؟ وقوله بعد ذلك : « **اخسأ فلن تعدو قدرك** » ؟ .

والذى عندى : أن هذه القصة إنما جرت معه أيام مهادنة رسول الله ﷺ اليهود وحلفائهم ، وذلك أنه بعد مقدمه المدينة كتب بينه وبين اليهود كتاباً صالحهم فيه على أن لا يهاجوا وأن يتركوا على أمرهم وكان ابن صياد منهم أو دخيلاً فى جملتهم ، وكان يبلغ رسول الله ﷺ خبره وما يدعيه من الكهانة ويتعاطاه من الغيب فامتحنه ﷺ بذلك ليزور به أمره ويخبر به شأنه ، فلما كلمه علم أنه مبطل وأنه من جملة السحرة أو الكهنة ، أو ممن يأتيه رئى من الجن أو يتعاهده شيطان فيلقى على لسانه بعض ما يتكلم به ، فلما سمعَ منه قوله الدخ زبره فقال : « **اخسأ فلن تعدو قدرك** » يريد أن ذلك شيء اطلع عليه الشيطان فألقاه إليه ، وأجراه على لسانه وليس ذلك من قبل الوحى السماوى ، إذ لم يكن له قدر الأنبياء الذين أوحى الله إليهم من علم الغيب ، ولا درجة الأولياء الذين يلهمون العلم ، فيصيبون بنور قلوبهم وإنما كانت له تارات يصيب فى بعضها ويخطىء فى بعض ، وذلك معنى قوله :

(يأتينى صادق وكاذب) فقال له عند ذلك : « **قد خلط عليك** » .

والجملة أنه كان فتنة قد امتحن الله به عباده المؤمنين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة ، وقد امتحن قوم موسى عليه السلام فى زمانه بالعجل فافتتن به قوم وهلكوا ، ونجا من هداه الله وعصمه منهم .

وقد اختلفت الروايات فى أمره وما كان من شأنه بعد كبره ، فروى أنه قد تاب عن ذلك القول ثم إنه مات بالمدينة ، وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس ، وقيل لهم : اشهدوا .

(قلت : لم نقف على هذا السياق الأخير فى حديث مسند صحيح) .

ثم قال الخطابى رحمه الله : وروى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : شتمت ابن صياد فقال : ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول : « **لا يدخل الدجال مكة** » وقد حججت معك ، وقال : « **لا يولد له** » وقد ولد لى .

وكان ابن عمر وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم - فيما روى عنهما - يحلفان أن ابن صياد هو الدجال لا يشكان فيه ، فقيل لجابر : إنه أسلم ، فقال : وإن أسلم ، فقيل له : إنه دخل مكة ، وكان بالمدينة قال : وإن دخل .

وقد روى عن جابر أنه قال : فقدنا ابن صياد يوم الحرة . قلت : وهذا خلاف رواية من روى أنه مات بالمدينة والله أعلم (خطابى) .

قال النووى رحمه الله .

باب ذكر ابن صياد

يقال له : ابن صياد وابن صائد وسمى بهما فى هذه الأحاديث ، واسمه صاف .

● قال العلماء : وقصته مشكلة ، وأمره مشتبه فى أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره ، ولا شك فى أنه دجال من الدجاجلة ، قال العلماء : وظاهر الأحاديث أن النبى ﷺ لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره ، وإنما أوحى إليه بصفات الدجال ، وكان فى ابن صياد قرائن محتملة فلذلك كان النبى ﷺ لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره ، ولهذا قال لعمر رضى الله عنه : إن يكن هو فلن تستطيع قتله ، وأما احتجاجه هو (أى ابن صياد) بأنه مسلم والدجال كافر ، وبأنه لا يولد للدجال ، وقد ولد له هو ، وألا يدخل مكة والمدينة وأن ابن صياد دخل المدينة وهو متوجه إلى مكة فلا دلالة له فيه لأن النبى ﷺ إنما أخبر عن صفاته وقت فتنته وخروجه فى الأرض .

● ومن اشتباه قصته وكونه أحد الدجاجلة الكذابين قوله للنبى ﷺ : (أتشهد أنى رسول الله ؟) ، ودعواه أنه يأتيه صادق وكاذب وأنه يرى عرشاً فوق الماء ، وأنه لا يكره أن يكون هو الدجال ، وأنه يعرف موضعه ، وقوله إنى لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن ، وانتفاخه حتى ملأ السكة .

● وأما إظهاره الإسلام وحجه وجهاده وإقلاعه عما كان عليه فليس بصريح فى أنه غير الدجال ... ثم قال النوو رحمه الله :

● قال البيهقى فى كتابه البعث والنشور : اختلف الناس فى أمر ابن صياد اختلافاً كثيراً هل هو الدجال ؟ قال : ومن ذهب إلى أنه غيره احتج بحديث تميم الدارى فى قصة الجساسة ، الذى ذكره مسلم – قال : ويجوز أن توافق صفة ابن صياد صفة الدجال كما ثبت فى الصحيح أن أشبه الناس بالدجال عبد العزى بن قطن ، وليس كما قال ، وكان أمر ابن صياد فتنة ابتلى الله تعالى بها عباده فعصم الله تعالى منها المسلمين ووقاهم شرها .

قال : وليس فى حديث جابر أكثر من سكوت النبى ﷺ لقول عمر فيحتمل أنه ﷺ كان كالمتوقف فى أمره ثم جاءه البيان أنه غيره كما صرح به فى حديث تميم ، هذا كلام البيهقى ، وقد اختار أنه غيره وقد قدمنا أنه صح عن عمر وعن ابن عمر وجابر رضى الله عنهم أنه الدجال والله أعلم .

فإن قيل : كيف لم يقتله النبى ﷺ مع أنه ادعى بحضرته النبوة ؟

فالجواب من وجهين ذكرهما البيهقى وغيره ، أحدهما : أنه كان غير بالغ واختار القاضى عياض هذا الجواب ، والثانى : أنه كان فى أيام مهادنة اليهود وحلفائهم ، وجزم الخطابى فى معالم السنن بهذا الجواب الثانى .، ثم أورد بعض كلام الخطابى الذى قدمنا ذكره .

* * *

حديث الجساسة

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٤٢) :

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث وحجاج بن الشاعر كلاهما عن عبد الصمد (واللفظ لعبد الوارث بن عبد الصمد) حدثنا أبى عن جدى عن الحسين بن ذكوان حدثنا ابن بريدة حدثنى عامر بن شراحيل الشعبى ، شعب همدان : أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس وكانت من المهاجرات الأول . فقال : حدثينى حديثاً سمعتيه من رسول الله ﷺ لا تُسنديه إلى أحدٍ غيره . فقالت : لئن شئت لأفعلن . فقال لها : أجل حدثينى فقالت : نكحت ابن المغيرة ، وهو من خيار شباب قريش يومئذٍ . فأُصيب فى أول الجهاد مع رسول الله ﷺ فلما تأيمت[1] خطبنى عبد الرحمن بن عوف فى نفرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ ، وخطبنى رسول الله ﷺ على مولاه أسامة بن زيد وكنت قد حدثت أن رسول الله ﷺ قال : « **من أحبنى فليحب أسامة** » فلما كلمنى رسول الله ﷺ قلت : أمرى بيدك ، فأنكحنى من شئت فقال : « **انتقلى إلى أم شريك** » وأم شريك امرأة غنية من الأنصار عظيمة النفقة فى سبيل الله ينزل عليها الضيفان . فقلت : سأفعل . فقال : « **لا تفعلى . إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان فإنى أكره أن يسقط عنك خمارك أو ينكشف الثوب عن ساقيك فيرى القوم منك بعض ما تكرهين ، ولكن انتقلى إلى ابن عمك ، عبد الله بن عمرو ابن أم مكتوم** » (وهو رجل من بنى فهرٍ فهر قريش وهو من البطن الذى هى منه) فانتقلت إليه فلما انقضت عدتى سمعت نداء المنادى منادى رسول الله ﷺ ينادى الصلاة جامعةً فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ فكنت فى صف النساء التى تلى ظهور القوم . فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال : « **ليلزم كل إنسانٍ مصلاه** » ثم قال : « **أتدرون**

---

(١) الأيم هى التى لا زوج لها .

لم جمعتكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم قال : « إنى والله ما جمعتكم لرغبةٍ ولا لرهبةٍ ولكن جمعتكم لأن تميماً الدارى كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم وحدثنى حديثاً وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال . حدثنى أنه ركب فى سفينةٍ بحريةٍ مع ثلاثين رجلاً من لخمٍ وجذامٍ فلعب بهم الموج شهراً فى البحر ثم أرفأوا إلى جزيرةٍ فى البحر حتى مغرب الشمس ، فجلسوا فى أقرب[1] السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب[2] كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقالوا : ويلك ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة . قالوا وما الجساسة ؟ قالت أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق قال : لما سمت لنا رجلاً فرقنا[3] منها أن تكون شيطانة قال : فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسانٍ رأيناه قط خلقاً وأشده وثاقاً مجموعة يداه إلى عنقه ، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد قلنا ويلك ! ما أنت قال : قد قدرتم على خبرى فأخبرونى ما أنتم ؟ قالوا : نحن أناس من العرب ركبنا فى سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهراً ، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا فى أقربها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر لا يدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا ويلك ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة . قلنا : وما الجساسة ؟ قالت : اعمدوا إلى هذا الرجل فى الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق فأقبلنا إليك سراعاً وفزعنا منها ولم نأمن

---

(١) قال النووى : أقرب هو بضم الراء وهى - سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة كالجنيبة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم ، الجمع قوارب والواحد قارب بكسر الراء وفتحها وجاء هنا (أقرب) وهو صحيح لكنه خلاف القياس ، وقيل المراد بأقرب السفينة أخرياتها وما قرب منها للنزول .

(٢) أهلب : قال النووى الأهلب غليظ الشعر كثيره .

(٣) فرقنا أى خفنا .

أن تكون شيطانة فقال : أخبرونى عن نخل بيسان قلنا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : أسألكم عن نخلها هل يثمر ؟ قلنا : له نعم قال : أما إنه يوشك أن لا تثمر ، قال : أخبرونى عن بحيرة الطبرية قلنا عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : هل فيها ماء ؟ قالوا : هى كثيرة الماء . قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب قال : أخبرونى عن عين زغر[1] قالوا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : هل فى العين ماء ؟ وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا له : نعم هى كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مائها . قال : أخبرونى عن نبى الأميين ما فعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ونزل يثرب قال : أقاتله العرب ؟ قلنا : نعم . قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه . قال لهم ، قد كان ذلك ؟ قلنا : نعم قال : أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه ، وإنى مخبركم عنى إنى أنا المسيح ، وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما[2] محرمتان علىَّ كلتاهما ، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحد منهما استقبلنى ملك بيده السيف صلتاً[3] يصدنى عنها ، وإن على كل نقبٍ منها ملائكة يحرسونها قالت : قال رسول الله ﷺ : وطعن بمخصرته فى المنبر هذه طيبة هذه طيبة يعنى المدينة ألا هل كنت حدثتكم ذلك فقال الناس نعم فإنه أعجبنى حديث تميم أنه وافق الذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة . ألا إنه فى بحر الشام أو بحر اليمن . لا بل من قبل المشرق ، ما هو[4] من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو ، وأومأ بيده إلى المشرق. قالت فحفظتُ هذا من رسولِ الله ﷺ.

صحيح

---

(١) (عين زغر) قال النووى هى بلدة معروفة فى الجانب القبلى من الشام .

(٢) (طيبة) هى المدينة ويقال لها طابة أيضاً .

(٣) صلتا أى مسلولاً .

(٤) قال النووى : قال القاضى (ما هو) زائدة صلة للكلام ليست بنافية ، والمراد إثبات أنه فى جهات المشرق . =

وأخرجه أبو داود (٤٣٢٦) والترمذى (٢٢٥٣) وقال هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه (٤٠٧٤) وعزاه المزى للنسائى .

= • تمسك بعض أهل العلم بحديث تميم هذا وبناء عليه قالوا إن الدجال غير ابن صياد .

• فقال البيهقى (كما نقل عنه الحافظ فى الفتح ٣٢٦/١٣) : وبه تمسك من جزم بأن الدجال غير ابن صياد وطريقه أصح ، وتكون الصفة التى فى ابن صياد وافقت ما فى الدجال .

وقال البيهقى أيضاً : فيه أن الدجال الذى يخرج فى آخر الزمان غير ابن صياد ، وكان ابن صياد أحد الدجالين الكذابين الذين أخبر النبى ﷺ بخروجهم وقد خرج أكثرهم ، وكأن الذين يجزمون بابن صياد وهو الدجال لم يسمعوا بقصة تميم ، وإلا فالجمع بينهما بعيد جداً إذ كيف يلتئم أن يكون من كان فى أثناء الحياة النبوية شبه المحتلم ويجتمع به النبى ﷺ ويسأله أن يكون فى آخرها شيخاً كبيراً (قال البيهقى : هذا الأخير بناء على رواية عنده فيها أنه (أى فى حديث تميم) شيخ وقال الحافظ سندها صحيح) مسجوناً فى جزيرة من جزائر البحر موثقاً بالحديد يستفهم عن خبر النبى ﷺ هل خرج أو لا ؟ فالأولى أن يحمل على عدم الاطلاع ، وأما عمر فيحتمل أن يكون ذلك منه قبل أن يسمع قصة تميم ، ثم لما سمعها لم يعد إلى الحلف المذكور ، وأما جابر[1] فشهد حلفه عند النبى ﷺ فاستصحب ما كان اطلع عليه من عمر بحضرة النبى ﷺ .

• وقال الحافظ فى الفتح (٣٢٨/١٣) : وأقرب ما يجمع به بين ما تضمنه حديث تميم ، وكون ابن صياد هو الدجال أن الدجال بعينه هو الذى شاهده تميم موثقاً ، وأن ابن صياد شيطان تبدى فى صورة الدجال فى تلك المدة إلى أن توجه إلى أصبهان فاستتر مع قرينه إلى أن تجىء المدة التى قدر الله تعالى خروجه فيها ، ولشدة التباس الأمر فى ذلك سلك البخارى مسلك الترجيح فاقتصر على حديث جابر عن عمر فى ابن صياد ، ولم يخرج حديث فاطمة بنت قيس فى قصة تميم .

---

(١) أورد الحافظ فى الفتح (٣٢٧/١٣) ما يرد به على من زعم أن جابراً لم يعلم بقصة تميم .

قال أبو داود رحمه الله (٤٣٢٨) :

حدثنا واصل بن عبد الأعلى أخبرنا ابن فضيل عن الوليد بن عبد الله بن جميع عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ ذات يوم على المنبر : « **إنه بينما أناس يسيرون فى البحر فنفد طعامهم فرفعت لهم جزيرة فخرجوا يريدون الخبز فلقيتهم الجساسة** ، قلت لأبى سلمة : وما الجساسة ؟ قال : امرأة تجر شعر جلدها ورأسها قالت : فى هذا القصر فذكر الحديث وسأل عن نخل بيسان وعن عين زغر ، قال هو المسيح »[1].

حسن

قال أبو داود رحمه الله (٤٣٢٥) :

حدثنا النفيلى حدثنا عثمان بن عبد الرحمن حدثنا ابن أبى ذئب عن الزهرى عن أبى سلمة عن فاطمة بنت قيس أن رسول الله ﷺ أخر العشاء الآخرة ذات ليلة ثم خرج فقال : « **إنه حبسنى حديث كان يحدثنيه تميم الدارى عن رجل كان فى جزيرة من جزائر البحر فإذا أنا بامرأة تجر شعرها قال : ما أنت ؟ قالت : أنا الجساسة ، اذهب إلى ذلك القصر ، فأتيته فإذا رجل يجر شعره مسلسل فى الأغلال ينزو فيما بين السماء والأرض فقلت : من أنت ؟**

---

(١) فى هذا الحديث دليل على أن جابر بن عبد الله ، وهو الذى كان يقسم أن ابن صياد هو الدجال - كان يعلم حديث الجساسة .

هذا وعند أبى داود زيادة عقب هذا الحديث وهى : فقال لى ابن أبى سلمة إن فى هذا الحديث شيئاً ما حفظته قال : شهد جابر أنه (هو) ابن صياد قلت فإنه قد مات قال وإن مات قلت فإنه أسلم قال وإن أسلم ، قلت فإنه قد دخل المدينة قال : وإن دخل المدينة .

قلت : وقد تركنا إيرادها فى متن الحديث لضعف راويها عمر بن أبى سلمة بن عبد الرحمن .

قال : أنا الدجال ، خرج نبى الأميين بعد ؟ قلت : نعم ، قال : أطاعوه أم عصوه ؟ قلت : بل أطاعوه ، قال : ذاك خير لهم » .

صحيح لشواهده[1]

أصل اشتقاق الدجال

● أصل الدجل هو التغطية ، وقد أورد صاحب لسان العرب ما يفيد ذلك فقال رحمه الله (ص ١٣٢٩) :

دجل الدُّجيل والدجالة : القطران ، والدجل شدة طلى الجرب بالقطران ، ودجل البعير : طلاه به ، وقيل : عم جسمه بالهناء ثم قال رحمه الله : ودجل الرجل وسرج ، وهو دجال كذب ، وهو من ذلك لأن الكذب التغطية ، ثم قال : والداجل المموه الكذاب وبه سمى الدجال ، والدجال هو المسيح الكذاب ، وقال أيضاً الدجال المموه يقال : دجلت السيف موهته وطليته بماء الذهب .

● وقال النووى (فى شرح خطبة مسلم ص ٦٦) : الدجالون جمع دجال قال ثعلب : كل كذاب فهو دجال ، وقيل : الدجال المموه ، يقال : دجل فلان إذا موه ، ودجل الحق بباطله إذا غطاه ، وحكى ابن فارس هذا الثانى عن ثعلب أيضاً .

● وقال الحافظ فى الفتح (٩١/١٣) : الدجال هو فعال بفتح أوله

---

(١) ففى إسناده عثمان بن عبد الرحمن وهو الطرائفى ، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم ووثقه آخرون ، لكن يشهد للحديث ما تقدم من طريق الشعبى عن فاطمة بنت قيس .

والتشديد من الدجل وهو التغطية ، وسمى الكذاب دجالاً لأنه يغطى الحق بباطله ، ويقال : دجل البعير بالقطران إذا غطاه ، والإناء بالذهب إذا طلاه ، وقال ثعلب : الدجال المموه : سيف مدجل إذا طلى ، وقال ابن دريد : سمى دجالاً لأنه يغطى الحق بالكذب ، وقيل : لضربه نواحى الأرض ، يقال دجل مخففاً ومشدداً إذا فعل ذلك ، وقيل : بل قيل ذلك لأنه يغطى الأرض ، فرجع إلى الأول ، وقال القرطبى فى التذكرة : اختلف فى تسميته دجالاً على عشرة أقوال .



الحث على العمل الصالح تحسباً للدجال

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٤٧) :

حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة بن سعيد وابن حجر قالوا : حدثنا إسماعيل (يعنون ابن جعفر) عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **بادروا بالأعمال ستاً طلوع الشمس من مغربها أو[١] الدخان أو الدجال أو الدابة[٢] أو خاصة أحدكم[٣] أو أمر العامة** »[٤] .

صحيح

من أين يخرج الدجال

قال ابن حبان رحمه الله (موارد الظمآن ١٩٠٤) :

أخبرنا أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا يونس بن محمد[٥] حدثنا صالح بن عمر أنبأنا عاصم بن كليب عن أبيه قال : سمعت أبا هريرة يقول : أحدثكم ما سمعت من

---

(١) فى رواية (**أو**) وفى رواية (**و**) بالواو أما قوله : **بادروا بالأعمال ستاً** فمعناه – والله أعلم – أى اجتهدوا فى الأعمال واسبقوا بها قبل أن تأتى عليكم أحد هذه الستة .

(٢) الدابة هى التى تكلم الناس .

(٣) فسر بعض أهل العلم قوله : (**خاصة أحدكم** ، وفى رواية **خويصة أحدكم**) بالموت .

(٤) أمر العامة فسرها بعض أهل العلم بالقيامة والله أعلم .

(٥) يونس بن محمد هو أبو محمد المؤدب وهو غير يونس بن محمد الصّدوق فهذا الأخير وإن كان يلقب بالصدوق فهو كذاب .

رسول الله ﷺ الصادق المصدوق : « **إن الأعور الدجال مسيح الضلالة يخرج من قبل المشرق فى زمان اختلاف من الناس وفرقة فيبلغ ما شاء الله أن يبلغ من الأرض فى أربعين يوماً الله أعلم ما مقدارها الله أعلم ما مقدارها (مرتين) وينزل عيسى ابن مريم فيؤمهم فإذا رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده ، قتل الله الدجال وأظهر المؤمنين** » .

صحيح

* * *

من صفات الدجال

قال أبو داود رحمه الله (٤٣٢٠) :

حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية[١] حدثني بحير عن خالد بن معدان عن عمرو بن الأسود عن جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال : « **إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا إن مسيح الدجال رجل قصير أفحج[٢] جعد أعور مطموس العين ليس بناتئة ولا جحراء[٣] فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور** » .

صحيح

وعزاه المزى للنسائى .

---

(١) بقية صرح بما يفيد السماع من شيخه ، وشيخه بحير شامى ثقة ، وبقية روايته عن الشاميين مستقيمة ، وأما مايخشى من تسويته فالواسطة مذكورة وتطمئن النفس إلى عدم تسويته هنا لكثرة الرجال بينه وبين عبادة بن الصامت رضى الله عنه .

(٢) قال الخطابى : الأفحج الذى إذا مشى باعد بين رجليه ، وفى اللسان : الفحج تباعد ما بين أوساط الساقين فى الإنسان والدابة ، وقيل : تباعد ما بين الفخذين ، وقيل : تباعد ما بين الرجلين والنعت أفحج ، والأنثى فحجاء ، وقد فحج فحجاً وفحجة وفى الحديث أنه بال فلما فحج رجليه أى فرقهما ، والأفحج الذى فى رجليه اعوجاج ، ورجل أفحج بين الفحج ، وهو الذى تتدانى صدور قدميه ، وتتباعد عقباه وتتفحج ساقاه .

(٣) قال الخطابى : والجحراء التى قد انخسفت فبقى مكانها غائراً كالجحر ، يقول : إن عينه سادة لمكانها مطموسة ، أى ممسوحة ليست بناتئة ولا منخسفة .

جملة علامات للدجال وما معه

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/٤٣٤) :

حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن سليمان عن مجاهد عن جنادة بن أبى أمية أنه قال : أتيت رجلاً من أصحاب النبى ﷺ فقلت له : حدثنى حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ فى الدجال ولا تحدثنى عن غيرك وإن كان عندك مصدقاً فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أنذرتكم فتنة الدجال فليس من نبى إلا أنذره قومه أو أمته وإنه آدم جعد أعور عينه اليسرى وأنه يمطر ولا ينبت الشجر وأنه يُسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها ولا يسلط على غيرها وإنه معه جنة ونار ونهر وماء وجبل خبز ، وإن جنته نار وناره جنة وإنه يلبث فيكم أربعين صباحاً يرد فيها كل منهل إلا أربع مساجد مسجد الحرام ومسجد المدينة والطور ومسجد الأقصى ، وإن شكل عليكم أو شبه فإن الله عز وجل ليس بأعور** » .

صحيح

صفة عين الدجال

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٣٤) :

حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير ومحمد بن العلاء ، وإسحاق بن إبراهيم (قال إسحاق : أخبرنا ، وقال الآخران : حدثنا) أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « **الدجال أعور العين اليسرى**[1] ، **جفال**

---

(١) فى حديث ابن عمر المتقدم المتفق عليه أن العور فى العين اليمنى فلذلك رجحه =

الشعر[1] معه جنة ونار فناره جنة ، وجنته نار » .

صحيح

وأخرجه ابن ماجه (٤٠٧١) .

قال الإمام أحمد رحمه الله (٣٨/٥) :

حدثنا يحيى بن سعيد عن عيينة حدثنى أبى عن أبى بكرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **الدجال أعور بعين الشمال بين عينيه مكتوب كافر يقرؤه الأمى والكاتب** » .

صحيح

قال الإمام أحمد رحمه الله (١٢٣/٥ - ١٢٤) :

حدثنا سليمان بن داود ثنا شعبة عن حبيب بن الزبير قال سمعت عبد الله بن أبى الهذيل سمع ابن أبزى سمع عبد الله بن خباب سمع أبياً يحدث أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال فقال : « **إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء ، وتعوذوا بالله تبارك وتعالى من عذاب القبر** » .

صحيح[2]

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٤٣٩) :

حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا أبو ضمرة حدثنا موسى عن نافع عن عبد الله : ذكر النبى ﷺ يوماً بين ظهرى[3] الناس المسيح الدجال فقال : « **إن الله**

= بعض أهل العلم كما أشار الحافظ ابن حجر (فتح البارى ٩٧/١٣) وابن عبد البر وجمع بينهما آخرون كما أوردناه فى الحديث السابق .

(١) جفال الشعر أى كثير الشعر .

(٢) وقد رواه أحمد أيضاً (١٢٤/٥) بإسناد صحيح من طريق ابن أبزى عن أُبى بدون واسطة ، وهذا إذا لم يكن يفيد فإنه لا يضر ، وذلك لأن عبد الرحمن بن أبزى قد روى عن أبى بن كعب أيضاً .

(٣) قال الحافظ : أى جالساً فى وسط الناس ، والمراد أنه جلس بينهم مستظهراً =

ليس بأعورٍ ، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية »[1] .

= لا مستخفياً ، أو معناه أن ظهراً منهم قدامه وظهراً خلفه ، وكأنهم حفوا به من جانبيه فهذا أصله ، ثم كثر حتى استعمل فى الإقامة بين قوم مطلقاً ، ولهذا زعم بعضهم أن لفظة ظهرانى فى هذا الموضع زائدة .

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (فتح البارى ٦/٤٨٥) (.. طافية) أى بارزة وهو من طفا الشىء يطفا بغير همز إذا علا على غيره ، وشبهها بالعنبة التى تقع فى العنقود بارزة عن نظائرها .

وقال النووى رحمه الله (١٠/٤١٠) : وأما قوله ﷺ : « **أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية** » فروى بالهمز وبغير همز (يعنى طافئة وطافية) فمن همز معناه ذهب ضوؤها ، ومن لم يهمز معناه ناتئة بارزة ، ثم إنه جاء هنا أعور العين اليمنى ، وجاء فى رواية أخرى أعور العين اليسرى ، وقد ذكرهما جميعاً مسلم فى آخر الكتاب وكلاهما صحيح .

قال القاضى عياض رحمه الله : روّينا هذا الحرف عن أكثر شيوخنا بغير همز ، وهو الذى صححه أكثرهم ، قال : وهو الذى ذهب إليه الأخفش ، ومعناه ناتئة كنتوء حبة العنب من بين صواحبها ، قال : وضبطه بعض شيوخنا بالهمز ، وأنكره بعضهم ولا وجه لإنكاره ، وقد وصف فى الحديث بأنه ممسوح العين وأنها ليست جحراء ولا ناتئة بل مطموسة ، وهذه صفة حبة العنب إذا سال ماؤها وهذا يصحح رواية الهمز .

وأما ما جاء فى الأحاديث الأخر « **جاحظ العين وكأنها كوكب** » وفى رواية « **لها حدقة جاحظة كأنها نخاعة فى حائط** » فتصحح رواية ترك الهمزة ، ولكن يجمع بين الأحاديث وتصحح الروايات جميعاً بأن تكون المطموسة والممسوحة والتى ليست بجحراء ولا ناتئة هى العوراء الطافئة بالهمز وهى العين اليمنى كما جاء هنا ، وتكون الجاحظة والتى كأنها كوكب وكأنها نخاعة هى الطافية بغير همز وهى العين اليسرى كما جاء فى الرواية الأخرى ، وهذا جمع بين الروايات فى الطافئة بالهمز وبتركه ، وأعور العين اليمنى واليسرى لأن كل واحدة منهما =

= عوراء فإن الأعور من كل شيء المعيب لا سيما ما يختص بالعين ، وكلا عينى الدجال معيبة عوراء إحداهما بذهابها والأخرى بعيبها .
قال النووى : هذا آخر كلام القاضى وهو فى نهاية من الحسن ، والله أعلم . وأورد الحافظ ابن حجر كلام القاضى عياض هذا ثم قال (فتح البارى ٩٧/١٣) : وقال القرطبى فى « المفهم » : حاصل كلام القاضى أن كل واحدة من عينى الدجال عوراء ، إحداهما بما أصابها حتى ذهب إدراكها ، والأخرى بأصل خلقها معيبة ، لكن يبعد هذا التأويل أن كل واحدة من عينيه قد جاء وصفها فى الرواية بمثل ما وصفت به الأخرى من العور فتأمله ، وأجاب صاحب القرطبى فى التذكرة بأن الذى تأوله القاضى صحيح ، فإن المطموسة وهى التى ليست ناتئة ولا جحراء هى التى فقدت الإدراك والأخرى وصفت بأن عليها ظفرة غليظة وهى جلدة تغشى العين وإذا لم تقطع عميت العين وعلى هذا فالعور فيهما لأن الظفرة مع غلظها تمنع الإدراك أيضاً : فيكون الدجال أعمى أو قريباً منه إلا أنه جاء ذكر الظفرة فى العين اليمنى فى حديث سفينة وجاء فى العين الشمال فى حديث سمرة فالله أعلم .
قال الحافظ : قلت : وهذا هو الذى أشار إليه شيخه بقوله إن كل واحدة منهما جاء وصفها بمثل ما وصفت الأخرى ثم قال (فى التذكرة) يحتمل أن تكون كل واحدة منهما عليها ظفرة فإن فى حديث حذيفة أنه ممسوح العين عليها ظفرة غليظة قال : وإذا كانت الممسوحة عليها ظفرة فالتى ليست كذلك أولى ، قال : وقد فسرت الظفرة بأنها لحمة كالعلقة . قلت : وقع فى حديث أبى سعيد عند أحمد « **وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى كأنها نخاعة فى حائط مجصص ، وعينه اليسرى كأنها كوب درى** » فوصف عينيه معاً ، ووقع عند أبى يعلى من هذا الوجه أعور ذو حدقة جاحظة لا تخفى كأنها كوكب درى ، ولعلها أبين لأن المراد بوصفها بالكوكب شدة اتقادها ، وهذا بخلاف وصفها بالطمس ، ووقع فى حديث أبى بن كعب عند أحمد والطبرانى « **إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء** » وهو يوافق وصفها بالكوكب ، ووقع فى حديث سفينة عند أحمد =

« وأرانى الليلة عند الكعبة فى المنام فإذا رجل آدم[1] كأحسن ما يرى من أدم الرجال ، تضرب لمته بين منكبيه ، رجل الشعر[2] يقطر

= والطبرانى « **أعور عينه اليسرى ، بعينه اليمنى ظفرة غليظة** » والذى يتحصل من مجموع الأخبار أن الصواب فى طافية أنه بغير همز فإنها قيدت فى رواية الباب بأنها اليمنى ، وصرح فى حديث عبد الله بن مغفل وسمرة وأبى بكر بأن عينه اليسرى ممسوحة والطافية هى البارزة وهى غير الممسوحة ، والعجب ممن يجوز رواية الهمز فى (طافية) وعدمه مع تضاد المعنى فى حديث واحد فلو كان ذلك فى حديثين لسهل الأمر ، وأما الظفرة فجائز أن تكون فى كلا عينيه لأنه لا يضاد الطمس ولا النتوء وتكون التى ذهب ضوؤها هى المطموسة والمعيبة مع بقاء ضوئها هى البارزة وتشبيهها بالنخاعة فى الحائط المجصص فى غاية البلاغة ، وأما تشبيهها بالزجاجة الخضراء وبالكوكب الدرى فلا ينافى ذلك فإن كثيراً ممن يحدث له فى عينه النتوء يبقى معه الإدراك فيكون الدجال من هذا القبيل والله أعلم .

(١) آدم أى أسمر قاله الحافظ فى الفتح إلا أنه قد ورد فى حديث أبى هريرة عند البخارى (٣٤٣٧) أن النبى ﷺ نعت عيسى فقال : « **ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس** » – يعنى الحمام ، وفى رواية ابن عباس عند البخارى أيضاً (٣٤٣٨) أن النبى ﷺ قال فى عيسى : « **إنه أحمر جعد عريض الصدر** » .
وقد حاول الحافظ الجمع بقوله بأنه أحمر لونه بسبب كالتعب وهو فى الأصل أسمر .

قلت : وهو جمع ضعيف والذى يبدو أن الذى يصار إليه هو ترجيح رواية على أخرى ، واتفاق أبى هريرة وابن عباس على أنه أحمر أولى من رواية ابن عمر وأرجح .
وأيضاً فإن فى تفسير الآدم فى اللسان أقوال أخرى بالاضافة إلى الأسمر ففيه .. وقيل هو البياض الواضح . : قلت فالأبيض من الممكن من إرهاقه وتعبه أن يصير إلى الحمرة ، والله أعلم .

(٢) أى مرجل شعره قد سرحه ودهنه .

رأسه ماءً ، واضعاً يديه على منكبى رجلين يطوف بالبيت ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هذا المسيح ابن مريم . ثم رأيت رجلاً وراءه جعداً قططاً[1] أعور عين اليمنى كأشبه من رأيت بابن قطن ، واضعاً يديه على منكبى رجلٍ يطوف بالبيت[2] ، فقلت من هذا ؟ قالوا المسيح الدجال » .

صحيح

تابعه عبيد الله عن نافع .

وأخرجه مسلم (١٦٩) .

تحذير الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أممهم من الدجال

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧١٣١) :

حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « **ما بعث نبى إلا أنذر أمته الأعور الكذاب ، ألا إنه**

---

(١) القطط : هو شديد جعودة الشعر .

(٢) قال القاضى عياض - كما نقل عنه النووى (٤٠٩/١) .. وعلى هذا يحمل ما ذكر من طواف الدجال بالبيت وأن ذلك رؤيا إذ قد ورد فى الصحيح أنه لا يدخل مكة ولا المدينة مع أنه لم يذكر فى رواية مالك طواف الدجال ، وقد يقال إن تحريم دخول المدينة عليه إنما هو فى زمن فتنته والله أعلم .

● وقال الحافظ ابن حجر (فتح البارى ٣٥٨/١٠) : وغلط من استدل بهذا الحديث على أن الدجال يدخل مكة أو المدينة إذ لا يلزم من كون النبى ﷺ رآه فى المنام بمكة أنه دخلها حقيقة ولو سلم أنه رؤى فى زمانه ﷺ بمكة فلا يلزم أن يدخلها بعد ذلك إذا خرج فى آخر الزمان .

وقد استدل على ابن صياد أنه ما هو الدجال بكونه سكن المدينة ، ومع ذلك فكان عمر وجابر يحلفان على أنه هو الدجال .

وقال (فى الفتح ٤٨٨/٦) : وفيه دلالة على أن قوله ﷺ « **إن الدجال لا يدخل المدينة ولا مكة** » أى فى زمن خروجه ولم يرد بذلك نفى دخوله فى الزمن الماضى . والله أعلم .

أعور وإن ربكم ليس بأعور ، وإن بين عينيه مكتوب كافر » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٣٣)[1] وأبو داود (٤٣١٦) والترمذى (٢٢٤٢) .
وقال هذا حديث صحيح .

الدجال مكتوب بين عينيه كافر[2]

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/٤٣٣) :

حدثنا عبد الرزاق أنا معمر قال : قال الزهرى : وأخبرنى عمر بن ثابت الأنصارى أنه أخبره بعض أصحاب النبى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يومئذ للناس وهو يحذرهم فتنة الدجال « **تعلمون أنه لن يرى أحدٌ منكم ربه عز وجل حتى يموت وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه من كره عمله** » .

صحيح

وأخرجه مسلم ص ٢٢٤٥ والترمذى (٢٢٣٥) وقال هذا حديث حسن صحيح .

كبر خلق الدجال وعظم فتنته

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٤٦) :

حدثنى زهير بن حرب حدثنا أحمد بن إسحاق الحضرمى حدثنا عبد العزيز

---

(١) فى رواية لمسلم مكتوب بين عينيه ك ف ر ، وفى أخرى من طريق شعيب بن الحجاب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « **الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر ثم تهجاها ك ف ر يقرؤه كل مسلم** » .

(٢) وانظر جملة الأحاديث المتقدمة .

(يعنى ابن المختار) حدثنا أيوب عن حميد بن هلال عن رهط منهم أبو الدهماء وأبو قتادة قالوا كنا نمر على هشام بن عامر نأتى عمران بن حصين فقال ذات يوم : إنكم لتجاوزونى إلى رجال ما كانوا بأحضر لرسول الله ﷺ منى ولا أعلم بحديثه منى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال** » .

صحيح

قال الإمام أحمد رحمه الله (٣٨٩/٥) :

حدثنا وهب بن جرير ثنا أبى قال : سمعت الأعمش عن أبى وائل عن حذيفة قال : ذُكر الدجال عند رسول الله ﷺ فقال لنا[١] : « **لفتنة بعضكم أخوف عندى من فتنة الدجال ولن ينجو أحد مما قبلها إلا نجا منها ، وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرة ، ولا كبيرة[٢] إلا لفتنة الدجال** » .

صحيح

عظم فتنة الدجال

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢١٣٧ ص ٢٢٥٠) :

حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا الوليد بن مسلم حدثنى عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثنى يحيى بن جابر الطائى قاضى حمص حدثنى عبد الرحمن بن جبير عن أبيه جبير بن نفير الحضرمى أنه سمع النواس بن سمعان الكلابى ح وحدثنى محمد ابن مهران الرازى (واللفظ له) حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن يحيى بن جابر الطائى عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه جبير بن نفير عن النواس بن سمعان قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداةٍ

---

(١) فى رواية أحمد (**لانا**) والمعنى بها لا يستقيم وما أوردناه هو الصواب والله أعلم .

(٢) (**ولا كبيرة**) فى لفظ أحمد (**ولا كبير**) والصواب ما أثبتناه والله أعلم .

فخفض فيه ورفع[1] حتى ظنناه فى طائفة النخل فلما رحنا عرف ذلك فينا فقال : « **ما شأنكم ؟** » قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداةً فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل فقال : « **غير الدجال أخوفنى عليكم**[2] **إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ**

---

(١) قوله (فخفض فيه ورفع) قال النووى رحمه الله : هو بتشديد الفاء فيهما ، وفى معناه قولان أحدهما : أن خفض بمعنى حقر وقوله (رفع) أى عظمه وفخمه ، فمن تحقيره وهوانه على الله تعالى عوره ، ومنه قوله ﷺ : « **هو أهون على الله من ذلك** » . وأنه لا يقدر على قتل أحد إلا ذلك الرجل ، ثم يعجز عنه ، وأنه يضمحل أمره ويقتل بعد ذلك هو وأتباعه ، ومن تفخيمه وتعظيم فتنته والمحنة به هذه الأمور الخارقة للعادة ، وأنه ما من نبى إلا وقد أنذره قومه » .

والوجه الثانى : أنه خفض من صوته فى حال الكثرة فيما تكلم فيه ، فخفض بعد طول الكلام والتعب ليستريح ثم رفع ليبلغ صوته كل أحد .

(٢) نقل النووى رحمه الله عن شيخه الإمام أبى عبد الله بن مالك قوله : وأما معنى الحديث ففيه أوجه أظهرها : أنه من أفعل التفضيل وتقديره غير الدجال أخوف مخوفاتى عليكم ثم حذف المضاف إلى الياء ، ومنه أخوف ما أخاف على أمتى الأئمة المضلون معناه أن الأشياء التى أخافها على أمتى أحقها بأن تخاف الأئمة المضلون .

والثانى : بأن يكون أخوف من أخاف بمعنى خوف ، ومعناه غير الدجال أشد موجبات خوفى عليكم .

والثالث : أن يكون من باب وصف المعانى بما يوصف به الأعيان على سبيل المبالغة كقولهم فى الشعر الفصيح : شعر شاعر ، وخوف فلان أخوف من خوفك وتقديره خوف غير الدجال أخوف خوفى عليكم ، ثم حذف المضاف الأول ثم الثانى هذا آخر كلام الشيخ رحمه الله .

● وقوله : إنه شاب قطط : أى شديد جعودة الشعر مباعد للجعودة المحبوبة .

حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافئة كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين[1] الشأم والعراق فعاث[2] يميناً وعاث شمالاً يا عباد الله فاثبتوا » قلنا يا رسول الله وما لبثه فى الأرض ؟ قال « **أربعون يوماً يوم كسنةٍ ويوم كشهرٍ ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم** » قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنةٍ أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال « **لا اقدروا له قدره** »[3] قلنا يا رسول الله ! وما إسراعه فى الأرض قال

---

(١) قال النووى هكذا فى نسخ بلادنا (**خلة**) بفتح الخاء المعجمة واللام وتنوين الهاء وقال القاضى المشهور فى (**حلة**) بالحاء المهملة ونصب التاء يعنى غير منونة قيل معناه سمت ذلك وقبالته ، وفى كتاب العين : الحلة موضع حزن وصخور قال ورواه بعضهم (**حله**) بضم اللام وبهاء الضمير : أى نزوله وحلوله . قال وكذا ذكره الحميدى فى الجمع بين الصحيحين ، قال : وذكره الهروى (**خلة**) بالخاء المعجمة وتشديد اللام المفتوحتين وفسره بأنه ما بين البلدين هذا آخر ما ذكره القاضى وهذا الذى ذكره عن الهروى هو الموجود فى نسخ بلادنا ، وفى الجمع بين الصحيحين أيضاً ببلادنا ، وهو الذى رجحه صاحب نهاية الغريب وفسره بالطريق بينهما .

(٢) قال النووى : العيث الفساد أو أشد الفساد والإسراع فيه .

(٣) قال عياض : هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع قالوا : ولولا هذا الحديث ووكلنا إلى اجتهادنا لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة فى غيره من الأيام .

ومعنى اقدروا له قدره : أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر ، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر ، وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب ، وكذا العشاء والصبح ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب ، وهكذا حتى ينقضى ذلك اليوم ، وقد وقع فيه صلوات سنه فرائض كلها مؤداة فى وقتها . =

« كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذُراً وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر[١] ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شىء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها : أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل[٢] ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض[٣] ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرق دمشق بين مهرودتين[٤] واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا

= وأما الثانى الذى كالشهر والثالث الذى كجمعة فقياس اليوم الأول أن يقدر لهما كاليوم الأول على ما ذكرناه والله أعلم .

(١) قوله (**تروح**) معناه (**ترجع**) والسارحة هى الماشية التى تسرح أى تذهب أول النهار إلى المرعى ، وأما (**الذرى**) فبضم الذال المعجمة وهى الأعالى والأسنمة جمع ذروة بضم الذال وكسرها .
وقوله (**وأسبغه**) بالسين المهملة والغين المعجمة أى أطوله ، لكثرة اللبن وكذا (**أمده خواصر**) لكثرة امتلائها من الشبع .

(٢) قوله « **كيعاسيب النحل** » هى ذكور النحل هكذا فسره ابن قتيبة وآخرون قال القاضى : المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة ، لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها لأنه متى طار تبعته جماعته . والله أعلم .

(٣) جزلتين أى قطعتين ، ومعنى (**رمية الغرض**) أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته .

(٤) وأما (**المهرودتان**) فروى بالدال المهملة والذال المعجمة ، والمهملة أكثر والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب وغيرهم وأكثر ما يقع فى النسخ بالمهملة كما هو المشهور ومعناه لابس مهرودتين أى ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران ، وقيل هما شقتان والشقة نصف الملاءة .

رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ[1] فلا يحل لكافرٍ يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى حين ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لدٌ فيقتله ثم يأتى عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه[2] فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إنى قد أخرجت عباداً لى لا يدان[3] لأحدٍ بقتالهم فحرز عبادى إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدبٍ ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرةً ماء[4] ويحصر نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه[5] فيرسل الله عليهم النغف[6] فى رقابهم فيصبحون فرسى[7] كموت نفسٍ واحدةٍ ثم يهبط نبى الله عيسى

---

(١) (**الجمان**) بضم الجيم وتخفيف الميم هى حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ فى صفائه فسمى الماء جماناً لشبهه فى الصفاء .

(٢) أى قد عصمهم الله من الدجال .

(٣) (**اليدان**) تثنية (يد) قال العلماء معناه لا قدرة ولا طاقة يقال مالى بهذا الأمر يد ومالى به يدان لأن المباشرة والدفع إنما يكون باليد وكأن يديه معدومتان لعجزه عن دفعه ، ومعنى حرزهم إلى الطور أى ضمهم واجعله لهم حرزاً .

(٤) فى رواية لمسلم بعد قوله « **ماء .. ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر** » وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من فى الأرض هلم فلنقتل من فى السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء (أى بسهامهم) فيرد الله عليهم نشابهم مخصوبة دماً .
قال النووى فى شرح جبل الخمر قال والخمر هو الشجر الملتف الذى يستر من فيه ، وقد فسره فى الحديث « بأنه جبل بيت المقدس » .

(٥) أى يرغبون إلى الله أى يدعون الله عز وجل .

(٦) هو دود يكون فى أنوف الإبل والغنم .

(٧) فرسى أى قتلى .

وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم[1] فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدرٍ ولا وبرٍ[2] فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة[3] ثم يقال للأرض أنبتى ثمرتك وردى بركتك فيومئذٍ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها[4] ويبارك فى الرسل حتى إن اللقحة[5] من الإبل لتكفى الفئام[6] من الناس واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من[7] الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله

---

(١) الزهم والنتن أى الدسم والرائحة الكريهة .

(٢) أى لا يمنع من نزول المطر بيت المدر وهو الطين الصلب ولا وبر وهو الخيام المصنوعة من وبر الأنعام .

(٣) قال النووى : (الزلفة) بضم الزاى وإسكان اللام وبالفاء وروى (الزلفة) بفتح الزاى واللام وبالفاء وقال القاضى : روى بالفاء والقاف وبفتح اللام وبإسكانها وكلها صحيحة قال فى المشارق : والزاى مفتوحة واختلفوا فى معناه فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون : كالمرآة وحكى صاحب المشارق هذا عن ابن عباس أيضاً شبهها بالمرآة فى صفائها ونظافتها وقيل : كمصانع الماء أى أن الماء يستنقع فيها حتى تصير كالمصنع الذى يجتمع فيه الماء ، وقال أبو عبيد : معناه كالإجانة الخضراء وقيل كالصحفة ، وقيل كالروضة .

(٤) القحفة هى مقعر القشر شبهها بقحف الرأس وهو الذى فوق الدماغ وقيل ما انفلق من جمجمته وانفصل .

(٥) اللقحة : القريبة العهد بالولادة ، واللقوح ذات اللبن وجمعها لقاح .

(٦) الفئام : الجماعة الكثيرة من الناس .

(٧) الفخذ هم الجماعة من الأقارب وهم دون البطن ، والبطن دون القبيلة نقله النووى عن أهل اللغة ونقل عن عياض أنه قال : قال ابن فارس : الفخذ هنا بإسكان الخاء لا غير فلا يقال إلا بإسكانها بخلاف الفخذ التى هى العضو =

ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر[1] فعليهم تقوم الساعة .

صحيح

وأخرجه الترمذى (٢٢٤٠) وقال هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، وأبو داود مختصراً (٤٣٢١) وابن ماجه (٤٠٧٥) ، وعزاه المزى للنسائى .

ومن فتن الدجال

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧١٣٠) :

حدثنا عبدان أخبرنى أبى عن شعبة عن عبد الملك عن ربعى عن حذيفة عن النبى ﷺ قال فى الدجال : « **إن معه ماءً وناراً فناره ماء بارد ، وماؤه نار** » .

قال أبو[2] مسعود : أنا سمعته من رسول الله ﷺ .

صحيح

وأخرجه مسلم (ص٢٢٤٩) وأبو داود (٤٣١٥) .

= فإنها تكسر وتسكن .

(١) « **يتهارجون تهارج الحمر** » أى يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك ، و (الهرج) بإسكان الراء الجماع يقال هرج زوجته أى جامعها يهرجها بفتح الراء وضمها وكسرها .

(٢) فى رواية البخارى (مع الفتح ٩١/١٣) ابن مسعود ، والصواب ما أثبتناه ، وفى صحيح مسلم (٢٩٣٤ و ٢٩٣٥) من طريق ربعى بن حراش عن عقبة ابن عمرو أبى مسعود الأنصارى قال انطلقت معه إلى حذيفة بن اليمان فقال =

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/٢٢١) :

حدثنا أبو النضر ثنا حشرج حدثنى سعيد بن جمهان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « **ألا إنه لم يكن نبى قبلى إلا قد حذر الدجال أمته هو أعور عينه اليسرى ، بعينه اليمنى ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يخرج معه واديان أحدهما جنة والآخر نار ، فناره جنة وجنته نار معه ملكان من الملائكة يشبهان نبيين من الأنبياء لو شئت سميتهما بأسمائهما وأسماء آبائهما واحد منهما عن يمينه والآخر عن شماله ، وذلك فتنة فيقول الدجال ألست بربكم ؟! ألست أحيى وأميت ؟!! فيقول له أحد الملكين كذبت ما يسمعه أحد من الناس إلا صاحبه فيقول له[1] صدقت فيسمعه الناس فيظنون إنما يصدق الدجال وذلك فتنته ثم يسير حتى يأتى المدينة فلا يؤذن له فيها فيقول هذه قرية ذلك الرجل ثم يسير حتى يأتى الشام فيهلكه الله عز وجل عند عقبة أفيق** » .

إسناده حسن[2]

وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير (٦٤٤٥) .

= له عقبة : حدثنى ما سمعت من رسول الله ﷺ فى الدجال ، قال : « **إن الدجال يخرج وإن معه ماءً وناراً فأما الذى يراه الناس ماء فنار تحرق وأما الذى يراه الناس ناراً فماء بارد عذب فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يراه ناراً فإنه ماء عذب طيب** » فقال عقبة : وأنا قد سمعته تصديقاً لحذيفة .

(١) أى يقول للملك الذى كذَّب الدجال : صدقت أى صدقت فى قولك إن الدجال كاذب .

(٢) وفى إسناده سعيد بن جمهان وثقه بعض أهل العلم ، وقال البخارى فى حديثه عجائب ، ولعل هذا هو الذى حدا بالحافظ ابن كثير رحمه الله إلى أن يقول : إسناده لا بأس به ولكن فى متنه نكارة وغرابة والله أعلم .

وماذا مع الدجال

قال الإمام مسلم رحمه الله (ص ٢٢٤٩) :

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا يزيد بن هارون عن أبى مالك الأشجعى عن ربعى بن حراش عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « **لأنا أعلم بما مع الدجال منه ، معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء أبيض والآخر رأى العين نار تأجج فإما أدركن أحد فليأت النهر الذى يراه ناراً وليغمص ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد ، وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتبٍ** » .

صحيح

وتقدم تخريجه .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٣٣٨) :

حدثنا أبو نعيم حدثنا شيبان عن يحيى عن أبى سلمة سمعت أبا هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال ، ما حدث به نبى قومه : إنه أعور وإنه يجيء معه بمثال الجنة والنار فالتى يقول إنها الجنة هى النار ، وإنى أنذركم كما أنذر به نوح قومه** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٣٦) .

* * *

هوان الدجال على الله

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧١٢٢) :

حدثنا مسدد حدثنا يحيى حدثنا إسماعيل حدثنى قيس قال : قال لى المغيرة ابن شعبة ما سأل أحد النبى ﷺ عن الدجال ما سألته ، وإنه قال لى : « **ما يضرك منه** ، قلت : لأنهم يقولون إن معه جبُل خبزٍ ونهر ماءٍ ، قال **بل هو أهون على الله من ذلك** »[١] .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٣٩) وابن ماجه (٤٠٧٣) .

الدجال لا يدخل المدينة

قال الإمام البخارى رحمه الله (١٨٨١) :

حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا الوليد حدثنا أبو عمرو حدثنا إسحاق حدثنى أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **ليس من بلدٍ إلا سيطؤه الدجال**[٢] **إلا مكة والمدينة ، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة**

---

(١) قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٧٩٥/٥) : قال القاضى : معناه هو أهون على الله من أن يجعل ما خلقه الله تعالى على يده مضلاً للمؤمنين ، ومشككاً لقلوبهم ، بل إنما جعله له ليزداد الذين آمنوا إيماناً ، ويثبت الحجة على الكافرين والمنافقين ونحوهم ، وليس معناه أنه ليس معه شئ من ذلك .

(٢) قال الحافظ فى الفتح (٩٦/٤) : قوله « **ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال** » هو على ظاهره وعمومه عند الجمهور ، وشذ ابن حزم فقال المراد إلا يدخله بعثه =

صافين يحرسونها ، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفاتٍ[1] فيخرج الله كل كافرٍ ومنافق » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٤٣) وعزاه المزى للنسائى .

قال الإمام البخارى رحمه الله (١٨٨٠) :

حدثنا إسماعيل قال حدثنى مالك عن نعيم بن عبد الله المجمر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **على أنقاب[2] المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٣٧٩)[3] وعزاه المزى للنسائى .

= وجنوده ، وكأنه استبعد إمكان دخول الدجال جميع البلاد لقصر مدته ، وغفل عما ثبت فى صحيح مسلم أن بعض أيامه يكون قدر السنة .

(١) قال الحافظ : أى يحصل لها زلزلة بعد أخرى ثم ثالثة حتى يخرج منها من ليس مخلصاً فى إيمانه ويبقى بها المؤمن الخالص فلا يسلط عليه الدجال ، ولا يعارض هذا ما فى حديث أبى بكرة أنه لا يدخل المدينة رعب الدجال ، لأن المراد بالرعب ما يحدث من الفزع من ذكره والخوف من عتوه لا الرجفة التى تقع بالزلزلة لإخراج من ليس بمخلص ، وحمل بعض العلماء الحديث الذى فيه أنها تنفى الخبث على هذه الحالة دون غيرها ، وقد تقدم أن الصحيح فى معناه أنه خاص بناس وبزمان ، فلا مانع أن يكون هذا الزمان هو المراد ، ولا يلزم من كونه مراداً نفى غيره . والله أعلم .

(٢) المراد بالأنقاب هنا المداخل ، وفى اللسان النَّقب والنُّقب : الطريق ، وقيل الطريق الضيق فى الجبل .

(٣) فى رواية لمسلم (١٣٨٠) من طريق العلاء عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **يأتى المسيح من قِبَل المشرق همته المدينة حتى ينزل دبر** =

قال الإمام البخارى رحمه الله (١٨٧٩) :

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال : حدثنى إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده عن أبى بكرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال ، لها يؤمئذٍ سبعة أبوابٍ على كل بابٍ ملكان** » .

صحيح

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/٤١) :

حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى عن طلحة بن عبد الله بن عوف[1] عن أبى بكرة قال : أكثر الناس فى مسيلمة قبل أن يقول رسول الله ﷺ فيه شيئاً فقام رسول الله ﷺ خطيباً فقال : « **أما بعد ففى شأن هذا الرجل الذى قد أكثرتم فيه وإنه كذاب من ثلاثين كذاباً يخرجون بين يدى الساعة وإنه ليس من بلدة إلا يبلغها رعب المسيح إلا المدينة على كل نقب من نقابها ملكان يذبان عنها رعب المسيح** » .

إسناده صحيح

موقف للدجال عند أبواب المدينة

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧١٣٢) :

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود أن أبا سعيد قال : حدثنا رسول الله ﷺ يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال فكان فيما يحدثنا به أنه قال : « **يأتى الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة - فينزل بعض السباخ التى تلى المدينة فيخرج إليه يومئذ**

= **أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك** » .

(١) وقد أخرجه أحمد (٥/٤٦) من طريق طلحة بن عبد الله بن عوف أن عياض ابن مسافع أخبره عن أبى بكرة .. ، وعياض بن مسافع مجهول فالله أعلم .

رجل هو خير الناس - أو من خيار الناس - فيقول أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله ﷺ حديثه فيقول الدجال : أرأيم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون فى الأمر ؟ فيقولان لا ، فيقتله ثم يحييه فيقول : والله ما كنت فيك أشد بصيرة منى اليوم فيريد الدجال أن يقتله فلا يُسلط عليه » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٣٨)[1] وعزاه المزى للنسائى .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ص ٢٢٥٦) :

حدثنى محمد بن عبد الله بن قهزاذ من أهل مرو حدثنا عبد الله بن عثمان عن أبى حمزة عن قيس بن وهب عن أبى الوداك عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : **« يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح مسالح الدجال فيقولون له : أين تعمد ؟ فيقول : أعمد إلى هذا الذى خرج قال : فيقولون له : أو ما تؤمن بربنا ؟ فيقول ما ربنا خفاء**

---

(١) عقب هذه الرواية فى صحيح مسلم (قال أبو إسحاق : يقال : إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام) قال النووى (أبو إسحاق هذا هو إبراهيم بن سفيان راوى الكتاب عن مسلم ، وكذا قال معمر فى جامعه فى إثر هذا الحديث كما ذكره ابن سفيان ، وهذا تصريح منه بحياة الخضر عليه السلام وهو الصحيح . كذا قال النووى رحمه الله ، وما صححه فيه نظر قوى .
فقد استدل غيره بجملة أدلة ترد هذا القول الذى قاله معمر وابن سفيان منها حديث رسول الله ﷺ **« ما من نفس منفوسة يأتى عليها من اليوم مائة عام وهى على ظهر الأرض »** . ومنها ما قاله بعض أهل العلم من أنه : لو كان الخضر حياً لشهد مع الرسول ﷺ مغازيه وأقوى من هذا أن يقال : إنه لم يرد نص صحيح يفيد أن الخضر حياً ، وما قاله معمر هنا معضل مقطوع كما هو واضح . والله أعلم .

فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعضٍ : أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه قال : فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال : يا أيها الناس هذا الدجال الذى ذكر رسول الله ﷺ . قال : فيأمر الدجال به فيشبح[1] فيقول خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضرباً قال : فيقول : أوماتؤمن بى ؟ قال : فيقول : أنت المسيح الكذاب قال : فيؤمر به فيؤشر بالمئشار[2] من مفرقه حتى يفرق بين رجليه قال : ثم يمشى الدجال بين القطعتين ثم يقول له : قم فيستوى قائماً قال : ثم يقول له : أتؤمن بى ؟ فيقول : ما ازددت فيك إلا بصيرة قال : ثم يقول : يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدى بأحدٍ من الناس قال : فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته[3] نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً . قال : فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار ، وإنما ألقى فى الجنة » . فقال رسول الله ﷺ : « هذا أعظم الناس شهادةً عند رب العالمين » .

صحيح

* * *

---

(١) فيشبح : قال النووى أى مدوه على بطنه ، أما الشج فهو الجرح فى الرأس والوجه .

(٢) فيؤشر : قال النووى رحمه الله : والمئشار بهمزة بعد الميم وهو الأفصح ، ويجوز المنشار .

(٣) الترقوة : هى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق .

يوم الخلاص

قال الإمام أحمد رحمه الله (٣٣٨/٤) :

حدثنا يونس ثنا حماد يعنى ابن سلمة عن سعيد الجريرى عن عبد الله بن شقيق[(١)] عن محجن بن الأدرع أن رسول الله ﷺ خطب الناس فقال : « **يوم الخلاص وما يوم الخلاص يوم الخلاص وما يوم الخلاص يوم الخلاص وما يوم الخلاص** ثلاثاً فقيل له : وما يوم الخلاص قال : **يجىء الدجال فيصعد أحداً فينظر المدينة فيقول لأصحابه : أترون هذا القصر الأبيض ؟ هذا مسجد أحمد ثم يأتى المدينة فيجد بكل نقب منها ملكاً مصلتاً فيأتى سبخة الحرف فيضرب رواقه ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه فذلك يوم الخلاص** » .

صحيح لشواهده

وأخرجه الحاكم (٥٤٣/٤) وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى .

---

(١) وقد اختلف على عبد الله بن شقيق فى هذا الحديث على أوجه :

(١) منها أنه روى عنه عن محجن رضى الله عنه كما هنا وكما عند الحاكم (٥٤٣/٤) .

(٢) ومنها أنه روى عنه عن رجاء بن أبى رجاء الباهلى كما عند أحمد (٣٣٨/٤) ورجاء هذا الصواب فيه أنه مجهول .

(٣) ومنها أنه روى عنه عن عبد الله بن سراقة عن أبى عبيدة مختصراً كما عند الحاكم (٥٤٢/٤) .

وعلى كل فللحديث شواهد صحيحة أوردناها فى هذا الكتاب .

بنو تميم أشد الناس على الدجال

قال الإمام البخارى رحمه الله (٤٣٦٦) :

حدثنى زهير بن حرب حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لا أزال أحب بنى تميم بعد ثلاث سمعتهن من رسول الله ﷺ يقولها فيهم : « **هم أشد أمتى على الدجال** »[1] وكانت فيه سبية عند عائشة فقال : « **أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل** » ، وجاءت صدقاتهم فقال : « **هذه صدقات قوم أو قومى** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٥٢٥) .

أكثر أتباع الدجال من النساء

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/٦٧) :

حدثنا أحمد بن عبد الملك ثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد ابن طلحة عن سالم عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « **ينزل الدجال فى هذه السبخة بمر قناة فيكون أكثر من يخرج إليه النساء حتى إن الرجل ليرجع إلى حميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطاً مخافة أن تخرج**

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (٥/١٧٢) فى رواية الشعبى عن أبى هريرة عند مسلم « **هم أشد الناس قتالاً فى الملاحم** » وهى أعم من رواية أبى زرعة ، ويمكن أن يحمل العام فى ذلك على الخاص فيكون المراد بالملاحم أكبرها وهو قتال الدجال أو ذكر الدجال ليدخل غيره بطريق الأولى .

إليه ثم يسلط الله المسلمين عليه فيقتلونه ويقتلون شيعته حتى إن اليهودى ليختبىء تحت الشجرة أو الحجر فيقول الحجر أو الشجرة للمسلم هذا يهودى تحتى فاقتله » .

صحيح لغيره[1]

اليهود أتباع الدجال

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٤٤) :

حدثنا منصور بن أبى مزاحم حدثنا يحيى بن حمزة عن الأوزاعى عن إسحاق ابن عبد الله عن عمه أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ : قال « **يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة** »[2] .

صحيح

فرار الناس من الدجال

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٤٥) :

حدثنى هارون بن عبد الله حدثنا حجاج بن محمد قال : قال ابن جريج حدثنى : أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : أخبرتنى أم شريك أنها سمعت النبى ﷺ يقول : « **ليفرن الناس من الدجال فى الجبال** » قالت أم شريك :

---

(١) وله شاهد عند أحمد (١٦/٥) من حديث سمرة بن جندب رضى الله عنه مرفوعاً ، وآخر عند ابن ماجه (٤٠٧٧) من حديث أبى أمامة رضى الله عنه مرفوعاً .

(٢) الطيالسة نوع من أنواع الثياب .

يا رسول الله فأين العرب يومئذٍ ؟ قال « **هم قليلٌ** » .

صحيح

وأخرجه الترمذى (٣٩٣٠) وقال هذا حديث حسن غريب .

لبث الدجال فى الأرض

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/٤٣٤ - ٤٣٥) :

حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن سليمان عن مجاهد عن جنادة بن أبى أمية أنه قال أتيت رجلاً من أصحاب النبى ﷺ فقلت له : حدثنى حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ فى الدجال ولا تحدثنى عن غيرك ، وإن كان عندك مصدقاً فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أنذرتكم فتنة الدجال فليس من نبى إلا أنذره قومه أو أمته وإنه آدم جعد أعور عينه اليسرى وإنه يمطر ولا ينبت الشجرة وإنه يسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها ولا يسلط على غيرها وإنه معه جنة ونار ونهر وماء وجبل خبز ، وإن جنته نار وناره جنة وإنه يلبث فيكم أربعينَ صباحاً يرد فيها كل منهل إلا أربع مساجد مسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد الطور والأقصى وإن شكل عليكم أو شبه فإن الله عز وجل ليس بأعور** » .

صحيح

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٤٠) :

حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبرى حدثنا أبى حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم قال : سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفى يقول : سمعت عبد الله ابن عمرو ، وجاءه رجل فقال : ما هذا الحديث الذى تحدث به ؟ تقول : إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا ، فقال : سبحان الله ! أو لا إلـه إلا الله أو كلمةً نحوها ، لقد هممت

ألا أحدث أحداً شيئاً أبداً إنما قلت : إنكم سترون بعد قليل أمراً عظيماً يحرق البيت ويكون ويكون ثم قال : قال رسول الله ﷺ : « **يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين** (لا أدرى أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً) **فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشأم فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرةٍ من خيرٍ أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد**[1] **جبلٍ لدخلته عليه حتى تقبضه** » قال : سمعتها من رسول الله ﷺ ، قال : « **فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع**[2] **لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون ؟ فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم فى ذلك دار**[3] **رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً**[4] **ورفع ليتًا قال : وأول من يسمعه رجل يلوط**[5] **حوض إبله قال : فيصعق ويصعق الناس ثم**

---

(١) كبد جبل أى وسط جبل .

(٢) قال النووى رحمه الله (٥/٧٩٧) : قوله ﷺ : « **فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع** » .

قال العلماء : معناه يكونون فى سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير ، وفى العدوان وظلم بعضهم بعضاً فى أخلاق السباع العادية .

(٣) أى أن الله يدر عليهم الرزق بوفرة .

(٤) قال النووى رحمه الله : قوله ﷺ « **أصغى ليتاً ورفع ليتاً** » الليت بكسر اللام وآخره مثناة فوق وهى صفحة العنق ، وهى جانبه ، وأصغى : أمال .

(٥) قال النووى : أى يطينه ويصلحه ،. وقال الحافظ فى الفتح (٣٥٧/١١) : ألاط حوضه إذا مدره أى جمع حجارة فصيرها كالحوض ثم سد ما بينها من الفرج بالمدر ونحوه لينحبس الماء ، وقد يكون للحوض خروق فيسدها بالمدر قبل أن يملأه .

يرسل الله أو قال ينزل الله مطراً كأنه الطل[1] أو الظل (نعمان الشاك) **فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال : يا أيها الناس هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسئولون ، قال ثم يقال : أخرجوا بعث النار فيقال : من كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعةً وتسعين قال : فذاك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم يكشف عن ساقٍ ».**

صحيح

وعزاه المزى للنسائى .

الحث على الفرار من الدجال والبعد عنه

قال أبو داود رحمه الله (٤٣١٩) :

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا جرير حدثنا حميد بن هلال عن أبى الدهماء قال : سمعت عمران بن حصين يحدث قال : قال رسول الله ﷺ : « من **سمع بالدجال فلينأ عنه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو لما يبعث به من الشبهات** » هكذا قال .

إسناده صحيح

وأخرجه أحمد (٤٣١/٤) والحاكم فى المستدرك (٥٣١/٤) وقال هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وسكت عليه الذهبى .

حرز من الدجال

قال الإمام مسلم رحمه الله (٨٠٩) :

وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن سالم

---

(١) قال النووى قال العلماء : الأصح الطل بالمهملة ، وهو الموافق للحديث الآخر (أنه كمنى الرجال) .

ابن أبى الجعد الغطفانى عن معدان بن أبى طلحة اليعمرى عن أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال : « **من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال** » .

إسناده صحيح[1]

وحدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة ح وحدثنى زهير بن حرب حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا همام جميعاً عن قتادة بهذا الإسناد قال شعبة : من آخر الكهف ، وقال همام : من أول الكهف كما قال هشام .

والحديث أخرجه أبو داود (٤٣٢٣) وأشار أيضاً إلى الخلاف هل هو من أول سورة الكهف أو من آخرها .

وأخرجه الترمذى (٢٨٨٦) من طريق شعبة عن قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن معدان بن أبى طلحة عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال : « **من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال** » ، وقال هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه النسائى فى عمل اليوم والليلة (٩٤٩ و ٩٥٠ و ٩٥١) .

حرز آخر من الدجَّال

قال الإمام أحمد رحمه الله (٣٧٢/٥) :

حدثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبى قلابة قال : رأيت رجلاً بالمدينة وقد طاف الناس به وهو يقول : قال رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ فإذا رجل من أصحاب النبى ﷺ قال : فسمعته وهو يقول : « **إن من بعدكم الكذاب المضل وإن رأسه من بعده حبك حبك**

---

(١) وقد صح الإسناد إلى أبى الدرداء أيضاً مرفوعا « **من قرأ عشر آيات من سورة الكهف عصم من الدجال** » .

حبك[1] ثلاث مرات **وإنه سيقول : أنا ربكم ، فمن قال : لست ربنا لكن ربنا الله عليه توكلنا وإليه أنبنا نعوذ بالله من شرك . لم يكن عليه سلطان »**[2] .

صحيح

وأخرجه أحمد أيضاً (٥/٤١٠) .

الاستعاذة من الدجال

قال الإمام البخارى رحمه الله (٨٣٢) :

حدثنا أبو اليمان قال : أخبرنا شعيب عن الزهرى قال : أخبرنا عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبى ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يدعو فى الصلاة : **« اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات . اللهم إنى أعوذ من المأثم والمغرم** فقال له قائل : ما أكثر ما تستعيذ من المغرم ؟ فقال : **إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف »** .

صحيح

وأخرجه مسلم (٥٨٩) وأبو داود (٨٨٠) والنسائى (٣/٥٦) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٥٨٨) :

وحدثنى زهير بن حرب حدثنا الوليد بن مسلم حدثنى الأوزاعى حدثنا حسان

---

(١) فى اللسان ... وفى الحديث فى صفة الدجال رأسه حبك أى شعر رأسه متكسر من الجعودة مثل الماء الساكن أو الرمل إذا هبت عليهما الريح فيتجعدان ويصيران طرائق ، وفى رواية أخرى محبك الشعر بمعناه .

(٢) فى رواية أحمد (٥/٤١٠) ... ونعوذ بالله منك قال : فلا سبيل له عليه .

ابن عطية حدثنى محمد بن أبى عائشة أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ :
« إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر المسيح الدجال » .

صحيح

وحدثنيه الحكم بن موسى حدثنا هقل بن زياد ح قال : وحدثنا علىّ بن خشرم أخبرنا عيسى (يعنى ابن يونس) جميعاً عن الأوزاعى بهذا الإسناد ، وقال : **« إذا فرغ أحدكم من التشهد »** ولم يذكر الآخر .

وأخرجه أبو داود (٩٨٣) والنسائى (٥٨/٣) وابن ماجه (٩٠٩) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٥٩٠) :

وحدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس (فيما قرئ عليه) عن أبى الزبير عن طاوس عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول : **« قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات »** .

صحيح

قال مسلم بن الحجاج[1] : بلغنى أن طاوساً قال لابنه : أدعوت بها فى صلاتك فقال : لا قال : أعد صلاتك لأن طاوساً رواه عن ثلاثة أو أربعة أو كما قال .

وأخرجه[2] أبو داود (١٥٤٢) والترمذى (٣٤٩٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

والنسائى (١٠٤/٤) .

---

(١) لا يخفى أن هذا السند ضعيف أى القدر الأخير وهو قوله بلغنى وذلك لأنه معضل .

(٢) أعنى بقولى (وأخرجه) أصل الحديث ليس قوله قال مسلم .. وهذا لا يخفى .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٤٧٠٧) :

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا هارون بن موسى أبو عبد الله الأعور عن شعيب عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يدعو[١] : « **أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال ، وفتنة المحيا والممات** » .

صحيح

وأخرجه مسلم ص ٢٠٨٠ .

* * *

(١) فى بعض روايات الصحيح « **اللهم إنى أعوذ** ... » .

مصرع الدجال

قال الحاكم رحمه الله (المستدرك ٥٢٩/٤) :

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ رحمه الله تعالى ثنا يحيى بن محمد ابن يحيى ثنا مسدد ثنا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن أبى الطفيل . قال : كنت بالكوفة . فقيل : خرج الدجال . قال : فأتينا على حذيفة بن أسيد وهو يحدث . فقلت : هذا الدجال قد خرج . فقال : اجلس فجلست فأتى على العريف . فقال : هذا الدجال قد خرج وأهل الكوفة يطاعنونه . قال : اجلس فجلس فنودى إنها كذبة صباغ . قال : فقلنا : يا أبا سريحة ما أجلستنا إلا لأمر فحدثنا . قال : إن الدجال لو خرج فى زمانكم لرمته الصبيان بالخذف ولكن الدجال يخرج فى بغض من الناس وخفة من الدين وسوء ذات بين فيرد كل منهل فتطوى له الأرض طى فروة الكبش حتى يأتى المدينة فيغلب على خارجها ويمنع داخلها ثم جبل إيلياء فيحاصر عصابة من المسلمين فيقول لهم الذين عليهم : ما تنتظرون بهذه الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله أو يفتح لكم فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا فيصبحون ومعهم عيسى ابن مريم فيقتل الدجال ويهزم أصحابه حتى إن الشجر والحجر والمدر يقول : يا مؤمن هذا يهودى عندى فاقتله . قال : وفيه ثلاث علامات هو أعور وربكم ليس بأعور ومكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن أُمى وكاتب ولا يسخر له من المطايا إلا الحمار فهو رجس على رجس . ثم قال : أنا لغير الدجال أخوف علىَّ وعليكم . قال : فقلنا : ما هو يا أبا سريحة . قال : فتن كأنها قطع الليل المظلم . قال : فقلنا : أى الناس فيها شر . قال : كل خطيب مصقع وكل راكب موضع . قال : فقلنا : أى الناس فيها خير . قال : كل غنى خفى . قال : فقلت : ما أنا بالغنى

ولا بالخفى . قال : فكن كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب .

موقوف[1]

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

قال ابن حبان رحمه الله (١٩٠٥) :

أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا الحسن بن موسى الأشيب حدثنا شيبان عن يحيى بن أبى كثير عن الحضرمى بن لاحق عن أبى صالح عن عائشة قالت : دخل علىَّ رسول الله ﷺ وأنا أبكى فقال : « **ما يبكيك ؟** » . فقلت : يا رسول الله ذكرت الدجال . قال : « **فلا تبكين فإن يخرج وأنا حى أكفيكموه وإن مت فإن ربكم ليس بأعور ، وإنه يخرج معه اليهود فيسير حتى ينزل بناحية المدينة وهى يومئذ لها سبعة أبواب على كل باب ملكان فيخرج الله شرار أهلها فينطلق يأتى لدّاً فينزل عيسى بن مريم فيقتله ثم يلبث عيسى فى الأرض أربعين سنة إماماً عدلاً وحكماً مقسطاً** » .

صحيح[2]

* * *

---

(١) وفى بعض رجاله كلام يسير ، ففى إسناده معاذ بن هشام فيه كلام ينزل بحديثه إلى درجة الحسن وفيه قتادة مدلس وقد عنعن إلا أن الراوى عنه هو هشام بن أبى عبد الله الدستوائى ، وهو من أروى الناس عنه ومن أثبت الناس فيه .

(٢) وكل ما يشوبه عنعنة يحيى بن أبى كثير ولكن مظنة تدليسه هنا بعيدة لدى ، وأيضاً فلأغلب الحديث شواهد .

نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٤٤٨) :

حدثنا إسحاق أخبرنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبى عن صالح عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيب سمع أبا هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **والذى نفسى بيده ليوشكن[١] أن ينزل فيكم[٢] ابن مريم حكماً[٣] عدلاً فيكسر الصليب[٤] ويقتل الخنزير[٥] ويضع** ....

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (٤٩١/٦) قوله « **ليوشكن** » أى ليقربن أى لابد له من ذلك سريعاً .

(٢) قوله : « **أن ينزل فيكم** » أى فى هذه الأمة ، فإنه خطاب لبعض الأمة ممن لا يدرك نزوله .

(٣) حكماً أى حاكماً ، وفى بعض الروايات : « **إماماً مقسطاً** » والمقسط العادل بخلاف القاسط فهو الجائر . وفى رواية لمسلم من طريق عطاء بن ميناء عن أبى هريرة مرفوعاً بنحوه وفيه من الزيادة « **ولتتركن القلاص** (وهى من الإبل كالفتاة من النساء والحدث من الرجال) **فلا يسعى عليها ، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد** » .

(٤) قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٣٧٠/١) : وقوله ﷺ : « **فيكسر الصليب** » معناه يكسره حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه .

(٥) قال النووى : فيه دليل على تغيير المنكرات وآلات الباطل ، وقتل الخنزير من هذا القبيل وفيه دليل للمختار من مذهبنا ومذهب الجمهور أنا إذا وجدنا الخنزير فى دار الكفر أو غيرها وتمكنا من قتله قتلناه ، وإبطال لقول من شذ من أصحابنا وغيرهم فقال : يترك إذا لم يكن فيه ضرواة .

وقال الحافظ فى الفتح (٤٩١/٦) : يستفاد منه تحريم اقتناء الخنزير وتحريم أكله وأنه نجس لأن الشىء المنتفع به لا يشرع إتلافه . =

الحرب(۱) ويفيض المال حتى لا يقبله ....

= وقال رحمه الله (الفتح ٥/١٢١) : وفيه إشارة إلى أن من قتل خنزيراً أو كسر صليباً لا يضمن لأنه فعل مأموراً به ، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام بأن عيسى عليه السلام سيفعله ، وهو إذا نزل كان مقرراً لشرع نبينا ﷺ .
ولا يخفى أن محل جواز كسر الصليب إذا كان مع المحاربين ، أو الذمى إذا جاوز به الحد الذى عوهد عليه فإذا لم يتجاوز وكسره مسلم كان متعدياً لأنهم على تقريرهم على ذلك يؤدون الجزية ، وهذا هو السر فى تعميم عيسى عليه السلام كسر كل صليب لأنه لا يقبل الجزية ، وليس ذلك منه نسخاً لشرع نبينا محمد ﷺ بل الناسخ هو شرعنا على لسان نبينا لإخباره بذلك وتقريره .

(١) فى بعض روايات الصحيحين : (**ويضع الجزية**) قال النووى رحمه الله : الصواب فى معناه أنه لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام ومن بذل منهم الجزية لم يكف عنه بها بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل ، هكذا قاله الإمام أبو سليمان الخطابى وغيره من العلماء رحمهم الله تعالى .
وحكى القاضى عياض رحمه الله عن بعض العلماء معنى هذا ثم قال : وقد يكون فيض المال هنا من وضع الجزية وهو ضربها على جميع الكفرة فإنه لا يقاتله أحد فتضع الحرب أوزارها ، وانقياد جميع الناس له إما بالإسلام ، وإما بإلقاء يد فيضع عليه الجزية ويضربها ، وهذا كلام القاضى وليس بمقبول ، والصواب ما قدمناه وهو أنه لا يقبل منه إلا الإسلام .
فعلى هذا قد يقال : هذا خلاف حكم الشرع اليوم فإن الكتابى إذا بذل الجزية وجب قبولها و لم يجز قتله ولا إكراهه على الإسلام ، وجوابه أن هذا الحكم ليس بمستمر إلى يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل عيسى عليه السلام ، وقد أخبرنا النبى ﷺ فى هذه الأحاديث الصحيحة بنسخه ، وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ بل نبينا ﷺ هو المبين للنسخ ، فإن عيسى يحكم بشرعنا فدل على أن الامتناع من قبول الجزية فى ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد ﷺ .
● هذا وقد نقل الحافظ ابن حجر فى الفتح (٦/٤٩٢) عن ابن بطال قوله : وإنما قبلناها (أى الجزية) قبل نزول عيسى للحاجة إلى المال بخلاف زمن =

أحد[1] **، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»**[2] **ثم** يقول أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً** ﴾ .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٥٥) .

* * *

= عيسى فإنه لا يحتاج فيه إلى المال فإن المال فى زمنه يكثر حتى لا يقبله أحد ، ويحتمل أن يقال إن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما فى أيديهم من شبهة الكتاب وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة بحصول معاينته فيصيرون كعبدة الأوثان فى انقطاع حجتهم وانكشاف أمرهم فناسب أن يعاملوا معاملتهم فى عدم قبول الجزية منهم ، هكذا ذكره بعض مشايخنا احتمالاً والله أعلم .

(١) قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٣٧١/١) معناه أن المال يكثر وتنزل البركات وتكثر الخيرات بسبب العدل وعدم التظالم وتقىء الأرض أفلاذ أكبادها كما جاء فى الحديث الآخر ، وتقل أيضاً الرغبات لقصر الآمال وعلمهم بقرب الساعة فإن عيسى ﷺ علم من أعلام الساعة والله أعلم .

(٢) قال النووى رحمه الله : وأما قوله : « **حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها** » فمعناه والله أعلم : أن الناس تكثر رغبتهم فى الصلاة وسائر الطاعات لقصر آمالهم وعلمهم بقرب القيامة وقلة رغبتهم فى الدنيا لعدم الحاجة إليها ، وهذا هو الظاهر من معنى الحديث ، وقال القاضى عياض رحمه الله : معناه أن أجرها خير لمصليها من صدقته بالدنيا وما فيها لفيض المال حينئذ وهوانه وقلة الشح وقلة الحاجة إليه للنفقة فى الجهاد قال : والسجدة هى السجدة بعينها أو تكون عبارة عن الصلاة والله أعلم .

إمامة المهدى لعيسى عليه السلام

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٤٤٩) :

حدثنا ابن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن نافع مولى أبى قتادة الأنصارى أن أبا هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم** »[1] .

صحيح

وأخرجه مسلم (ص ١٣٦ - ١٣٧ ترتيب محمد فؤاد) .

---

(١) اختلف على الزهرى بعض الاختلاف فى متن هذا الحديث وهاك بيانه :
١ - رواه يونس عن الزهرى .... به كما هنا وإمامكم منكم .
٢ - رواه ابن أخى ابن شهاب عنه ... بلفظ « **كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وأمكم** » .
٣ - رواه ابن أبى ذئب عن ابن شهاب ... به بلفظ « **فأمكم منكم** » ، فقال الوليد بن مسلم (راوى هذا الحديث عن ابن أبى ذئب) : فقلت لابن أبى ذئب : إن الأوزاعى حدثنا عن الزهرى عن نافع عن أبى هريرة « **وإمامكم منكم** » ، قال ابن أبى ذئب : تدرى ما « **أمكم منكم** » ؟ . قلت : تخبرنى . قال : فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ .
قلت : ولهذا الاختلاف على الزهرى يُصار إلى حديث جابر عند مسلم وهو سالم من الإشكالات ولفظه ... « **فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم : تعال صل لنا فيقول : لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة** » .
ولهذه اللفظة الأخيرة شاهد عند أحمد (٣٦٨/٣) من حديث جابر ، وآخر من حديث عثمان بن أبى العاص عند أحمد (٢١٧/٤) .
وشاهد ثالث عند ابن ماجه (٤٠٧٧) من حديث أبى أمامة رضى الله عنه =

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٥٦) :

حدثنا الوليد بن شجاع وهارون بن عبد الله ، وحجاج بن الشاعر قالوا : حدثنا حجاج (وهو ابن محمد) عن ابن جريج قال : أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : سمعت النبى ﷺ يقول : « **لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة . قال : فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم : تعال صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة** » .

صحيح

إهلال عيسى عليه السلام بالحج والعمرة

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٢٥٢) :

وحدثنا سعيد بن منصور وعمرو الناقد وزهير بن حرب جميعاً عن ابن عيينة قال سعيد : حدثنا سفيان بن عيينة حدثنى الزهرى عن حنظلة الأسلمى قال : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يحدث عن النبى ﷺ قال : « **والذى نفسى بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ليثنينهما** »[1] .

صحيح

وأخرجه أحمد (٢/٢٤٠) .

= مرفوعاً ، وفيه « .. **وإمامهم رجل صالح فبينما إمامهم قد تقدم يصلى بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح فرجع ذلك الإمام ينكص يمشى القهقرى ليتقدم عيسى يصلى بالناس فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له : تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلى بهم إمامهم** ... » الحديث .
فدل ذلك على أن إمام هذه الأمة منها .

(١) ليثنينهما أى ليقرن بينهما. قال النووى: وهذا يكون بعد نزول عيسى عليه السلام =

صفة عيسى عليه السلام وما معه من الأمان

قال الإمام أحمد رحمه الله (٤٠٦/٢) :

حدثنا عفان قال : ثنا همام قال : أنا قتادة[١] عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة أن النبى ﷺ قال : « **الأنبياء إخوة لعلات[٢] أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بينى وبينه نبى وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجلاً مربوعاً إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران[٣]**

= من السماء فى آخر الزمان ، وأما (**فج الروحاء**) فبفتح الفاء وتشديد الجيم قال الحافظ أبو بكر الحارثى : هو بين مكة والمدينة ، قال : وكان طريق رسول الله ﷺ إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام حجة الوداع .

(١) وإن كان فى إسناده قتادة مدلس وقد عنعن إلا أن الراوى عنه همام وهو من أروى الناس عنه ومن أثبت الناس فيه ، وقد رواه عنه أيضاً سعيد وهو من أثبت الناس فيه .

(٢) فى رواية « **والأنبياء أولاد علات** » : قال الحافظ فى الفتح : والعلات بفتح المهملة : الضرائر ، وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه علَّ منها ، والعلل : الشرب بعد الشرب ، وأولاد العلات الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى ، وقد بينه فى رواية عبد الرحمن فقال : « **أمهاتهم شتى ودينهم واحد** » وهو من باب التفسير كقوله تعالى ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً** ﴾ ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع ، وقيل المراد أن أزمنتهم مختلفة .

(٣) قال الخطابى : قال الشيخ : الممصر من الثياب الملون بالصفرة وليست صفرته بالمشبعة وفى اللسان – نقلاً عن أبى عبيد قال : الثياب الممصرة التى فيها شيء من صفرة ليست بالكثيرة ، وقال شمر الممصر من الثياب ما كان مصبوغاً فغسل وقال أبو سعيد : التمصير فى الصبغ أن يخرج المصبوغ مبقعاً لم يستحكم =

كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام فيهلك الله فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الله فى زمانه المسيح الدجال وتقع الأمنة[1] على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنّمار مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون » .

إسناده حسن[2]

وأخرجه أبو داود (٢٣٢٤) مختصراً ، وابن جرير الطبرى فى التفسير رقم (١٠٨٣٠) .

وصية من رسول الله لمن لقى عيسى عليه السلام

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/٢٩٨) :

حدثنا محمد بن جعفر[3] ثنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « **إنى لأرجو إن طال بى عمر أن ألقى عيسى ابن مريم عليه السلام فإن عجل بى موت فمن لقيه منكم فليقرئه منى السلام** » .

صحيح

= صبغه ، والتمصير فى الثياب أن تتمشق تخرقاً من غير بلى ، وفى حديث عيسى عليه السلام : ينزل بين ممصرتين الممصرة من الثياب التى فيها صفرة خفيفة ، ومنه الحديث أتى علىٌّ طلحة رضى الله عنهما وعليه ثوبان ممصران .

(١) أى الأمن .

(٢) وقد صحح الحافظ ابن حجر إسناده (فتح البارى ٦/٤٩٣) .

(٣) وقد رواه يزيد بن هارون عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبى هريرة .. موقوفاً أخرجه أحمد (٢/٢٩٨ ، ٢٩٩) ، ومحمد بن جعفر أثبت فى شعبة من غيره .

قول الله عز وجل ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾

اختلف أهل التأويل فى تفسير هذه الآية على وجوه :

أولها وأقواها : أن الضمير فى قوله تعالى ﴿ **ليؤمنن به** ﴾ أى بعيسى ﷺ والضمير فى قوله تعالى ﴿ **قبل موته** ﴾ أى قبل موت عيسى ﷺ .

● ومن القائلين بهذا القول ابن عباس رضى الله عنهما فقد صح عنه (كما عند ابن جرير الطبرى ١٠٧٩٤ و ١٠٧٩٥) أنه قال فى قوله تعالى ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ قال قبل موت عيسى ابن مريم .

● ومنهم أيضاً أبو هريرة رضى الله عنه ففى حديث أبى هريرة المذكور فى هذا الباب والذى فيه « **والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم ...** » وفى آخره واقرءوا إن شئتم ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً** ﴾ ما يشعر بأن أبا هريرة رضى الله عنه يرى ما يراه ابن عباس رضى الله عنهما ، ويتأيد ذلك بما عزاه الحافظ ابن كثير إلى ابن مردويه من طريق محمد بن أبى حفصة عن الزهرى عن سعيد عن أبى هريرة مرفوعاً ... فذكر الحديث وفى آخره موت عيسى ابن مريم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات .

● ومن القائلين بهذا الرأى أيضاً أبو مالك فقد صح عنه عند ابن جرير الطبرى (١٠٧٩٦) فى قوله تعالى ﴿ **إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ قال ذلك عند نزول عيسى ابن مريم ، لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به .

● ومنهم أيضاً الحسن البصرى فعند ابن جرير بإسناد صحيح إلى الحسن أنه قال : قبل موت عيسى ، والله إنه الآن لحى عند الله ، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون ، وصح نحو ذلك أيضاً عن قتادة .

● وصح عن ابن زيد أنه قال : إذا نزل عيسى ابن مريم فقتل الدجال لم يبق

يهودى فى الأرض إلا آمن به ، قال : فذلك حين لا ينفعهم الإيمان .

● وهذا القول (أى أن المراد أن الضمير فى قوله تعالى ﴿ **ليؤمنن به** ﴾ وفى قوله تعالى ﴿ **قبل موته** ﴾ المراد به عيسى فى الموضعين) هو الذى اختاره ابن جرير الطبرى وابن كثير وغيرهما من أهل العلم كما سنذكر ذلك بعد قليل إن شاء الله .

● **القول الثانى** : أن الضمير فى قوله تعالى ﴿**ليؤمنن به**﴾ أى بعيسى والضمير فى قوله تعالى ﴿ **قبل موته** ﴾ أى موت الكتابى نفسه ، وذلك لأن من نزل به الموت من أهل الكتاب لا يموت حتى يتجلى له ما كان جاهلاً فيؤمن عند ذلك بعيسى ﷺ روى معنى ذلك من وجهين ضعيفين عن ابن عباس قد يرتقيان بمجموعهما إلى الصحة حاصلهما أنه لا يموت يهودى حتى يؤمن بعيسى ﷺ .

ولكن القول الأول عن ابن عباس رضى الله عنهما أصح .

وأورد ابن جرير رحمه الله جملة آثار فى كل منها مقال توضح أن المعنى لا يموت صاحب كتاب حتى يؤمن بعيسى ﷺ .

وقال النووى رحمه الله (شرح مسلم ١/٣٧٢) :

وأما قوله : ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ ففيه دلالة ظاهرة على أن مذهب أبى هريرة فى الآية أن الضمير فى موته يعود على عيسى عليه السلام ، ومعناها : وما من أهل الكتاب يكون فى زمن عيسى عليه السلام إلا من آمن به وعلم أنه عبد الله وابن أمته ، وهذا مذهب جماعة من المفسرين . وذهب كثيرون أو الأكثرون إلى أن الضمير يعود على الكتابى ومعناها : وما من أهل الكتاب أحد يحضره الموت إلا آمن عند الموت قبل خروج روحه بعيسى ﷺ وأنه عبد الله وابن أمته ، ولكن لا ينفعه هذا الإيمان لأنه فى حضرة الموت وحالة النزع ، وتلك الحالة لا حكم لما يفعل أو يقال فيها فلا يصح فيها إسلام ولا كفر ولا وصية ولا بيع ولا عتق ولا غير ذلك من الأقوال لقول الله تعالى ﴿ **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن** ﴾ وهذا المذهب أظهر ، فإن الأول يخص الكتابى وظاهر القرآن عمومه لكل كتابى فى زمن عيسى وقبل نزوله ، ويؤيد هذا قراءة من قرأ ﴿ **قبل موتهم** ﴾ .

● **القول الثالث** : أن الضمير فى قوله تعالى ﴿ **ليؤمنن به** ﴾ أى بمحمد ﷺ .

قال ابن جرير الطبرى رحمه الله : وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال : تأويل ذلك : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب من غيره من الأقوال لأن الله جل ثناؤه حكم لكل مؤمن بمحمد ﷺ بحكم أهل الإيمان فى الموارثة والصلاة عليه وإلحاق صغار أولاده بحكمه فى الملة . فلو كان كل كتابى يؤمن بعيسى قبل موته لوجب أن لا يرث الكتابى إذا مات على ملته إلا أولاده الصغار أو البالغون منهم من أهل الإسلام إن كان له ولد صغير أو بالغ مسلم ، وإن لم يكن له ولد صغير ولا بالغ مسلم كان ميراثه مصروفاً حيث يصرف مال المسلم يموت ولا وارث له وأن يكون حكمه حكم المسلمين فى الصلاة عليه وغسله وتقبيره لأن من مات مؤمناً بعيسى فقد مات مؤمناً بمحمد وبجميع الرسل ، وذلك أن عيسى صلوات الله عليه جاء بتصديق محمد وجميع المرسلين صلوات الله عليهم فالمصدق بعيسى والمؤمن به مصدق بمحمد وبجميع أنبياء الله ورسله كما أن المؤمن بمحمد مؤمن بعيسى وبجميع أنبياء الله ورسله فغير جائز أن يكون مؤمناً بعيسى من كان بمحمد مكذباً .

وأقر ابن كثير رحمه الله ما قاله ابن جرير ووافقه عليه ، لكنه رد ما احتج به ابن جرير لدفع القول الآخر فقال رحمه الله :

ولا شك أن هذا الذى قاله ابن جرير هو الصحيح لأن المقصود من سياق الآى فى تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ثم إنه رفعه إليه وإنه باق حى وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التى سنوردها إن شاء الله قريباً فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية يعنى لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ولهذا قال ﴿**وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته**﴾

أى قبل موت عيسى عليه السلام الذى زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب ﴿ **ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً** ﴾ أى بأعمالهم التى شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض ، فأما من فسر هذه الآية بأن المعنى أن كل كتابى لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما الصلاة والسلام فهذا هو الواقع ، وذلك أن كل أحد عند احتضاره ينجلى له ما كان جاهلاً به فيؤمن به ولكن لا يكون ذلك إيماناً نافعاً له إذا كان قد شاهد الملك كما قال تعالى فى أول هذه السورة ﴿ **فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده** ﴾ الآيتين ، **وهذا يدل على ضعف ما احتج به ابن جرير فى رد هذا القول** حيث قال : ولو كان المراد بهذه الآية هذا لكان كل من آمن بمحمد ﷺ أو بالمسيح ممن كفر بهما يكون على دينهما وحينئذ لا يرثه أقرباؤه من أهل دينه لأنه قد أخبر الصادق أنه يؤمن به قبل موته فهذا ليس بجيد إذ لا يلزم من إيمانه فى حالة لا ينفعه إيمانه أن يصير بذلك مسلماً ألا ترى قول ابن عباس : ولو تردى من شاهق أو ضرب سيفاً أو افترسه سبع فإنه لابد أن يؤمن بعيسى فالإيمان به فى هذه الحال ليس بنافع ولا ينقل صاحبه عن كفره لما قدمناه والله أعلم .

ومن تأمل هذا جيداً وأمعن النظر اتضح له أنه هو الواقع لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا المراد بها ما ذكرناه من تقرير وجود عيسى عليه السلام وبقاء حياته فى السماء وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارى الذين تباينت أقوالهم فيه وتصادمت وتعاكست وتناقضت وخلت عن الحق ففرط هؤلاء اليهود وأفرط هؤلاء النصارى تنقصه اليهود بما رموه به وأمّه من العظائم ، وأطراه النصارى بحيث ادعوا فيه ما ليس فيه فرفعوه فى مقابلة أولئك عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية تعالى الله عما يقول هؤلاء وهؤلاء علواً كبيراً وتنزه وتقدس لا إلـه إلا هو .

* * *

عيسى عليه السلام يقتل الدجال

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٩٧) :

حدثني زهير بن حرب حدثنا معلى بن منصور حدثنا سليمان بن بلال حدثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق[١] فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله ! لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ويفتتح الثلث لا يفتنون أبداً فيفتتحون قسطنطينية[٢] فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل ، فإذا جاءوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فأمهم ، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك ، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته** » .

صحيح

* * *

---

(١) الأعماق ودابق : موضعان بالشام بقرب حلب .

(٢) هي مدينة مشهورة من أعظم مدائن الروم .

قول الله عز وجل ﴿وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها﴾[1]

الزخرف ٦١

أقوال أهل العلم فى الآية الكريمة .

● **أورد ابن جرير الطبرى رحمه الله** (تفسير الطبرى ٥٤/٢٥) جملة آثار عن ابن عباس والحسن وقتادة وأبى مالك وغيرهم (وهذه الآثار صحيحة إليهم وإن كان فى بعضها إلى ابن عباس نظر لكن هناك منها أسانيد صحيحة إلى ابن عباس أيضاً) تدور هذه الآثار على أن المراد من قوله تعالى ﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ هو نزول عيسى ابن مريم ، وأن نزوله آخر الزمان إلى الأرض علم (أى دليل) على قرب قيام الساعة .

وقال ابن جرير مقدماً لهذا القول : اختلف أهل التأويل فى الهاء التى فى قوله تعالى (**وإنه**) وما المعنى بها ؟ فقال بعضهم هى من ذكر عيسى عليه السلام وهى عائدة عليه ، وقالوا معنى الكلام : وأن عيسى ظهوره علم يعلم به مجئ الساعة لأن ظهوره من أشراطها ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا وإقبال الآخرة .

وأورد ابن جرير قولاً آخر وهو أن المراد من الهاء فى قوله تعالى ﴿ **وإنه** ﴾ القرآن ، وقال القائلون بهذا الرأى : معنى الكلام وأن هذا القرآن لعلم للساعة يعلمكم بقيامها ويخبركم عنها وعن أهوالها .

قلت (القائل مصطفى) : وهذا القول الأخير قول ضعيف ، والقول الأول (وهو أن الهاء فى قوله تعالى ﴿ **وإنه** ﴾ ترجع إلى عيسى) هو الصحيح ، وهوالذى سار عليه

---

(١) الآيات التى قبلها تشعر بمعناها إلى حدٍ ما وهى ﴿ **ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ، وقالوا ءآلهتنا خيرٌ أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ، إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل ، ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون ، وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم** ﴾ الزخرف (٥٧ – ٦١) .

جمهور المفسرين كما تقدم عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره وهو الذى اختاره الحافظ ابن كثير فى تفسيره ، وانتصر له الشنقيطى أشد الانتصار .

● **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله** (١٣٢/٤) الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام فإن السياق فى ذكره ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ أى قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ **ثم يوم القيامة يكون عليهم شهيداً** ﴾ ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى ﴿ **وإنه لَعَلَمٌ للساعة** ﴾ أى أمارة ودليل على وقوعها . قال مجاهد[١] ﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ أى آية للساعة خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة ، وهكذا روى عن أبى هريرة وابن عباس وأبى العالية وأبى مالك وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم .

وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً .

● **وقال الشنقيطى رحمه الله** (أضواء البيان ٢٦٣/٧) التحقيق أن الضمير فى قوله تعالى ﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ راجع إلى عيسى لا إلى القرآن ولا إلى النبى ﷺ ومعنى قوله ﴿ **لعلم للساعة** ﴾ على القول الحق الصحيح الذى يشهد له القرآن العظيم والسنة المتواترة هو أن نزول عيسى فى آخر الزمان حياً علم للساعة أى علامة لقرب مجيئها لأنه من أشراطها الدالة على قربها .

وإطلاق علم للساعة على نفس عيسى جار على أمرين كلاهما أسلوب عربى معروف .

أحدهما : أن نزول عيسى المذكور لما كان علامة لقربها كانت تلك العلامة سبباً

---

(١) هذا الأثر عن مجاهد أخرجه ابن جرير الطبرى رحمه الله (التفسير ٥٤/٢٥) من طريق ابن أبى نجيح عن مجاهد ، وقد تكلم بعض أهل العلم فى رواية ابن أبى نجيح عن مجاهد فى التفسير بما يضعفها هذا والآثار الواردة عن غير مجاهد – والتى قدمنا ذكر القائلين بها – تشهد لقول مجاهد رحمه الله .

لعلم قربها فأطلق فى الآية المسبب وأريد السبب .

وإطلاق المسبب وإرادة السبب أسلوب عربى معروف فى القرآن وفى كلام العرب ومن أمثلته فى القرآن قوله تعالى ﴿ **وينزل لكم من السماء رزقاً** ﴾ فالرزق مسبب عن المطر والمطر سببه فأطلق المسبب الذى هو الرزق وأريد سببه الذى هو المطر للملابسة القوية التى بين السبب والمسبب ، ومعلوم أن البلاغيين ومن وافقهم يزعمون أن مثل ذلك من نوع ما يسمونه المجاز المرسل ، وأن الملابسة بين السبب والمسبب من علاقات المجاز المرسل عندهم .

والثانى من الأمرين : أن غاية ما فى ذلك أن الكلام على حذف مضاف والتقدير وإنه لذو علم للساعة أى وإنه لصاحب إعلام الناس بقرب مجيئها لكونه علامة لذلك . وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كثير فى القرآن ، وفى كلام العرب ، وإليه أشار فى الخلاصة بقوله :

وما يلى المضاف يأتى خلفاً   عنه فى الإعراب إذا ما حذفا

وهذا الأخير أحد الوجهين اللذين وجه بهما علماء العربية النعت بالمصدر كقولك زيد كرم وعمرو عدل أى وكرم وذو عدل كما قال تعالى ﴿ **وأشهدوا ذوى عدل منكم** ﴾ وقد أشار إلى ذلك فى الخلاصة بقوله :

ونعتوا بمصدر كثيرا   فالتزموا الإفراد والتذكيرا

أما دلالة القرآن على هذا القول الصحيح ففى قوله تعالى فى سورة النساء ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ أى ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك صريح فى أن عيسى حى وقت نزول آية النساء هذه ، وأنه لا يموت حتى يؤمن به أهل[1] الكتاب .

ومعلوم أنهم لا يؤمنون به إلا بعد نزوله إلى الأرض .

فإن قيل : قد ذهبت جماعة من المفسرين من الصحابة فمن بعدهم إلى أن الضمير فى قوله : قبل موته راجع إلى الكتابى أى إلا ليؤمنن به الكتابى قبل موت الكتابى فالجواب

---

(١) الصواب أن يقال بعض أهل الكتاب لقوله تعالى ﴿ **وإن من أهل الكتاب** ﴾ .

أن يكون الضمير راجعاً إلى عيسى يجب المصير إليه دون القول الآخر لأنه أرجح منه من وجوه أربعة :

الأول : أنه ظاهر القرآن المتبادر منه وعليه تنسجم الضمائر بعضها مع بعض والقول الآخر بخلاف ذلك .

وإيضاح هذا أن الله تعالى قال ﴿ **وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله** ﴾ ثم قال تعالى ﴿ **وما قتلوه** ﴾ أى عيسى ، ﴿ **وما صلبوه** ﴾ أى عيسى ﴿ **ولكن شبه لهم** ﴾ أى عيسى ﴿ **وإن الذين اختلفوا فيه** ﴾ أى عيسى ﴿ **لفى شك منه** ﴾ أى عيسى ﴿ **ما لهم به من علم** ﴾ أى عيسى ، ﴿ **وما قتلوه يقيناً** ﴾ أى عيسى ﴿ **بل رفعه الله** ﴾ أى عيسى ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به** ﴾ أى عيسى ﴿ **قبل موته** ﴾ أى عيسى ﴿ **ويوم القيامة يكون عليهم شيهداً** ﴾ أى يكون هو أى عيسى عليهم شهيداً . فهذا السياق القرآنى الذى ترى ظاهراً ظهوراً لا ينبغى العدول عنه فى أن الضمير فى قوله قبل موته راجع إلى عيسى .

الوجه الثانى : من مرجحات هذا القول أنه على هذا القول صحيح فمفسر الضمير ملفوظ مصرح به فى قوله تعالى ﴿ **وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله** ﴾ وأما على القول الآخر فمفسر الضمير ليس مذكوراً فى الآية أصلاً بل هو مقدر تقديره : ما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به قبل موته أى موت أحد أهل الكتاب المقدر .

ومما لا شك فيه أن ما لا يحتاج إلى تقدير أرجح وأولى مما يحتاج إلى تقدير .

الوجه الثالث : من مرجحات هذا القول الصحيح أنه تشهد له السنة النبوية المتواترة لأن النبى ﷺ قد تواترت عنه الأحاديث بأن عيسى حىٌّ الآن ، وأنه سينزل فى آخر الزمان حكماً مقسطاً ولا ينكر تواتر السنة بذلك إلا مكابر .

وأورد الشنقيطى كلام ابن كثير الذى قدمنا ذكره ثم قال الشنقيطى .

وهو (أى ابن كثير) صادق فى تواتر الأحاديث بذلك .

وأما القول بأن الضمير فى قوله قبل موته راجع إلى الكتاب فهو خلاف ظاهر

القرآن ولم يقم عليه دليل من كتاب ولا سنة .

الوجه الرابع : هو أن القول الأول الصحيح واضح لا إشكال فيه ولا يحتاج إلى تأويل ولا تخصيص بخلاف القول الآخر فهو مشكل لا يكاد يصدق إلا مع تخصيص والتأويلات التى يروونها فيه عن ابن عباس وغيره ظاهرة البعد والسقوط لأنه على القول بأن الضمير فى قوله قبل موته راجع إلى عيسى فلا إشكال ولا خفاء ولا حاجة إلى تأويل ولا إلى تخصيص .

وأما على القول بأنه راجع إلى الكتابى فإنه مشكل جداً بالنسبة لكل من فاجأه الموت من أهل الكتاب كالذى يسقط من عال إلى أسفل والذى يقطع رأسه بالسيف وهو غافل والذى يموت فى نومه ونحو ذلك ، فلا يصدق هذا العموم المذكور فى الآية على هذا النوع من أهل الكتاب إلّا إذا ادعى إخراجهم منه بمخصص ، ولا سبيل إلى تخصيص عمومات القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه من المخصصات المتصلة أو المنفصلة وما يذكر عن ابن عباس من أنه سئل عن الذى يقطع رأسه من أهل الكتاب فقال إن رأسه يتكلم بالإيمان بعيسى ، وأن الذى يهوى من عال إلى أسفل يؤمن به وهو يهوى لا يخفى بعده وسقوطه وأنه لا دليل عليه البته[1] كما ترى .

وبهذا كله تعلم أن الضمير فى قوله ﴿ **قبل موته** ﴾ راجع إلى عيسى وأن تلك الآية من سورة النساء تبين قوله تعالى هنا ﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ كما ذكرنا . فإن قيل إن كثيراً ممن لا تحقيق عندهم يزعمون أن عيسى قد توفى ويعتقدون مثل ما يعتقده ضلال اليهود والنصارى ويستدلون على ذلك بقوله تعالى ﴿ **إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ** ﴾ وقوله ﴿ **فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم** ﴾ فالجواب أنه لا دلالة فى إحدى الآيتين البتة على أن عيسى قد توفى فعلاً أما قوله ﴿ **إنى متوفيك** ﴾ فإن دلالته المزعومة على ذلك منفية من أربعة وجوه :

الأول : أن قوله ﴿ **متوفيك** ﴾ حقيقة لغوية فى أخذ الشىء كاملاً غير ناقص والعرب تقول : توفى فلان دينه يتوفاه فهو متوف له إذا قبضه وحازه إليه كاملاً من

---

(١) ينبغى إثبات هذا القول إلى ابن عباس أولاً ولا أراه يثبت عنه رضى الله عنه .

غير نقص ، فمعنى ﴿ **إنى متوفيك** ﴾ فى الوضع اللغوى أى حائزك إلَىَّ كاملاً بروحك وجسمك .

ولكن الحقيقة العرفية خصصت التوفى المذكور بقبض الروح دون الجسم ونحو هذا مما دار بين الحقيقة اللغوية والحقيقة العرفية فيه لعلماء الأصول ثلاثة مذاهب .

الأول : هو تقديم الحقيقة العرفية ، وتخصيص عموم الحقيقة اللغوية بها وهذا هو المقرر فى أصول الشافعى وأحمد وهو المقرر فى أصول مالك إلا أنهم فى الفروع ربما لم يعتمدوه فى بعض المسائل وإلى تقديم الحقيقة العرفية على الحقيقة اللغوية أشار فى مراقى السعود بقوله .

واللفظ محمول على الشرعى   إن لم يكن فمطلق العرفى
فاللغوى على الجلى ولم يجب   بحث عن المجاز فى الذى انتخب

المذهب الثانى : هو تقديم الحقيقة اللغوية على العرفية بناء على أن العرفية وإن ترجحت بعرف الاستعمال فإن اللغوية مترجحة بأصل الوضع . وهذا القول مذهب أبى حنيفة رحمه الله .

المذهب الثالث : أنه لا تقدم العرفية على اللغوية ولا اللغوية على العرفية بل يحكم باستوائهما ومعادلة الاحتمالين فيهما ، فيحكم على اللفظ بأنه مجمل لاحتمال هذه واحتمال تلك ، وهذا اختيار ابن السبكى ومن وافقه ، وإلى هذين المذهبين الأخيرين أشار فى مراقى السعود بقوله :

ومذهب النعمان[1] عكس ما مضى   والقول بالإجمال فيه مرتضى

وإذا علمت هذا فاعلم أنه على المذهب الأول الذى هو تقديم الحقيقة اللغوية على العرفية فإن قوله تعالى ﴿ **إنى متوفيك** ﴾ لا يدل إلا على أنه قبضه إليه بروحه وجسمه ولا يدل على الموت أصلاً كما أن توفى الغريم لدينه لا يدل على موت دينه وأما على المذهب الثانى : وهو تقديم الحقيقة العرفية على اللغوية فإن لفظ التوفى حينئذ يدل فى الجملة على الموت .

---

(١) يعنى أبا حنيفة .

ولكن سترى إن شاء الله أنه وإن دل على ذلك فى الجملة لا يدل على أن عيسى قد توفى فعلاً ، وقد ذكرنا فى كتابنا دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب فى سورة آل عمران وجه عدم دلالة الآية على موت عيسى فعلاً أعنى قوله تعالى ﴿ **إنى متوفيك** ﴾ فقلنا ما نصه :

والجواب على هذا من ثلاثة أوجه :

الأول : أن قوله تعالى ﴿ **متوفيك** ﴾ لا يدل على تعيين الوقت ، ولا يدل على كونه قد مضى ، وهو متوفيه قطعاً يوماً ما ولكن لا دليل على أن ذلك اليوم قد مضى وأما عطفه ﴿ **ورافعك إلىَّ** ﴾ على قوله ﴿ **متوفيك** ﴾ فلا دليل فيه لإطباق جمهور أهل اللسان العربى على أن الواو لا تقتضى الترتيب ولا الجمع إنما تقتضى مطلق التشريك . وقد ادعى السيرافى والسهيلى إجماع النحاة على ذلك وعزاه لأكثر المحققين وهو الحق خلافاً لما قاله قطرب والفراء وثعلب وأبو عمرو الزاهد وهشام والشافعى من أنها تفيد الترتيب لكثرة استعمالها فيه وقد أنكر السيرافى ثبوت هذا القول عن الفراء وقال : لم أجده فى كتابه .

وقال ولى الدين : أنكر أصحابنا نسبة هذا القول إلى الشافعى . (حكاه عنه صاحب الضياء اللامع) .

وقوله ﷺ : « **أبدأ بما بدأ الله به** » يعنى الصفا لا دليل فيه على اقتضائها الترتيب ، وبيان ذلك هو ما قاله الفهرى كما ذكره عنه صاحب الضياء اللامع ، وهو : أنها كما أنها لا تقتضى الترتيب ولا المعية فكذلك لا تقتضى المنع منهما فقد يكون العطف بها مع قصد الاهتمام بالأول كقوله ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** ﴾ الآية بدليل الحديث المتقدم[1] .

وقد يكون المعطوف بها مرتباً كقول حسان :

---

(١) يعنى حديث « **أبدأ بما بدأ الله به** » وفيه أن الرسول ﷺ إنما بدأ بالصفا قبل المروة .

هجوتَ محمداً وأجبتُ عنه

على رواية الواو[1] .

وقد يراد بها المعية كقوله ﴿ **فأنجيناه وأصحاب السفينة** ﴾ وقوله ﴿ **وجمع الشمس والقمر** ﴾ ولكن لا تحمل على الترتيب ولا على المعية إلا بدليل منفصل .

الوجه الثانى : أن معنى ﴿ **متوفيك** ﴾ أى منيمك ورافعك إلىَّ أى فى تلك النومة وقد جاء فى القرآن إطلاق الوفاة على النوم فى قوله تعالى ﴿ **وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار** ﴾ وقوله ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها** ﴾ وعزى ابن كثير هذا القول للأكثرين واستدل بالآيتين المذكورتين .

الوجه الثالث : أن متوفيك اسم فاعل توفاه إذا قبضه وحازه إليه ومنه قولهم : توفى فلان دينه إذا قبضه إليه فيكون معنى متوفيك على هذا قابضك منهم إلىَّ حياً ، وهذا القول هو اختيار ابن جرير .

وأما الجمع بأنه توفاه ساعات أو أياماً ثم أحياه فلا معول عليه إذ لا دليل عليه اهـ . من دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب .

وقد قدمنا فى هذا البحث أن دلالة قوله تعالى ﴿ **متوفيك** ﴾ على موت عيسى فعلاً منفية من أربعة وجوه ، وقد ذكرنا منها ثلاثة من غير تنظيم :

أولها أن ﴿ **متوفيك** ﴾ حقيقة لغوية فى أخذه بروحه وجسمه .

الثانى أن ﴿ **متوفيك** ﴾ وصف محتمل للحال والاستقبال والماضى ولا دليل فى الآية على أن ذلك التوفى قد وقع ومضى بل السنة المتواترة والقرآن دالان على خلاف ذلك كما أوضحنا فى هذا المبحث .

الثالث : أنه توفى نوم وقد ذكرنا الآيات الدالة على أن النوم يطلق عليه الوفاة فكل من النوم والموت يصدق عليه اسم التوفى وهما مشتركان فى الاستعمال العرفى .

فهذه الأوجه الثلاثة ذكرناها كلها فى الكلام الذى نقلنا من كتابنا دفع إيهام الاضطراب ، وذكرنا الأول منها بانفراده لنبين مذاهب الأصوليين فيه . وأما قوله تعالى

---

(١) فهناك رواية هجوت محمداً فأجبت عنه (بالفاء) ورواية بالواو .

﴿ **فلما توفيتنى** ﴾ الآية فدلالته على أن عيسى مات منفية من وجهين :

الأول منها : أن عيسى يقول ذلك يوم القيامة ولا شك أن يموت قبل يوم القيامة ، فإخباره يوم القيامة بموته لا يدل على أنه الآن قد مات كما لا يخفى والثانى منهما أن ظاهر الآية أنه توفى رفع وقبض للروح والجسد لا توفى موت وإيضاح ذلك أن مقابلته لذلك التوفى بالديمومة فيهم فى قوله ﴿ **وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتنى** ﴾ الآية تدل على ذلك لأنه لو كان توفى موت لقال ﴿ **ما دمت حياً فلما توفيتنى** ﴾ لأن الذى يقابل بالموت هو الحياة كما فى قوله ﴿ **وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً** ﴾ .

أما التوفى المقابل بالديمومة فيهم فالظاهر أنه توفى انتقال عنهم إلى موضع آخر وغاية ما فى ذلك هو حمل اللفظ على حقيقته اللغوية مع قرينة صارفة عن قصد العرفية ، وهذا لا إشكال فيه .

وأما الوجه الرابع من الأوجه المذكورة سابقاً أن الذين زعموا أن عيسى قد مات قالوا : إنه لا سبب لذلك الموت إلا أن اليهود قتلوه وصلبوه فإذا تحقق نفى هذا السبب وقطعهم أنه لم يمت بسبب غيره تحققنا أنه لم يمت أصلاً وذلك السببُ الذى زعموه منفى يقيناً بلا شك لأن الله جل وعلا قال ﴿ **وما قتلوه وما صلبوه** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه** ﴾ وضمير رفعه ظاهر فى رفع الجسم والروح معاً كما لا يخفى .

وقد بين الله جل وعلا مستند اليهود فى اعتقادهم أنهم قتلوه بأن الله ألقى شبهه على إنسان آخر فصار من يراه يعتقد اعتقاداً جازماً أنه عيسى فرآه اليهود لما أجمعوا على قتل عيسى فاعتقدوا لأجل ذلك الشبه الذى ألقى عليه اعتقاداً جازماً أنه عيسى فقتلوه .

فهم يعتقدون صدقهم فى أنهم قتلوه وصلبوه ، ولكن العليم اللطيف الخبير أوحى إلى نبيه فى الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أنهم لم يقتلوه و لم يصلبوه .

فمحمد ﷺ والذين اتبعوه عندهم علم من الله بأمر عيسى لم يكن عند اليهود

ولا النصارى كما أوضحه تعالى بقوله ﴿ **وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه** ﴾ .

والحاصل أن القرآن العظيم على التفسير الصحيح والسنة المتواترة عن النبى ﷺ كلاهما دال على أن عيسى حى وأنه سينزل فى آخر الزمان ، وأن نزوله من علامات الساعة وأن معتمد الذين زعموا أنهم قتلوه ومن تبعهم هو إلقاء شبهه على غيره واعتقادهم الكاذب أن ذلك المقتول الذى شبه بعيسى هو عيسى وقد عرفت دلالة الوحى على بطلان ذلك ، وأن قوله ﴿ **متوفيك** ﴾ لا يدل على موته فعلاً ، وقد رأيت توجيه ذلك من أربعة وجوه ، وأنه على المقرر فى الأصول فى المذاهب الثلاثة التى ذكرنا عنهم ، ولا إشكال فى أنه لم يمت فعلاً .

أما على القول بتقديم الحقيقة اللغوية فالأمر واضح لأن الآية على ذلك لا تدل على الموت .

وأما على القول بالإجمال فالمقرر فى الأصول أن المجمل لا يحمل على واحدٍ من معنييه ، ولا معانيه بل يطلب المراد منه بدليل منفصل ، وقد دل الكتاب هنا والسنة المتواترة على أنه لم يمت وأنه حى ، وأما على القول بتقديم الحقيقة العرفية على الحقيقة اللغوية فإنه يجاب عنه من أوجه .

الأول : أن التوفى محمول على النوم ، وحمله عليه يدخل فى اسم الحقيقة العرفية .

الثانى : أنّا وإن سلمنا أنه توفى موت فالصيغة لا تدل على أنه قد وقع فعلاً .

الثالث : أن القول المذكور بتقديم العرفية محله فيما إذا لم يوجد دليل صارف عن إرادة العرفية[1] اللغوية فإن دل على ذلك دليل وجب تقديم اللغوية قولاً واحداً .

وقد قدمنا مراراً دلالة الكتاب والسنة المتواترة على إرادة اللغوية هنا دون العرفية واعلم بأن القول بتقديم اللغوية على العرفية محله فيما إذا لم تتناس اللغوية بالكلية ، فإن أميتت الحقيقة اللغوية بالكلية وجب المصير إلى العرفية إجماعاً وإليه أشار فى مراقى السعود بقوله .

---

(١) كذا هى موجودة والذى يبدو أن الصواب العرفية إلى اللغوية .

أجمع إن حقيقة تمات على التقدم له الإثبات

فمن حلف ليأكلن من هذه النخلة فمقتضى الحقيقة اللغوية أنه لا يبر يمينه حتى يأكل من نفس النخلة لا من ثمرتها ، ومقتضى الحقيقة العرفية أنه يأكل من ثمرتها لا من نفس جذعها ، والمصير إلى العرفية هنا واجب إجماعاً لأن اللغوية فى مثل هذا أميتت بالكلية ، فلا يقصد عاقلٌ البتة الأكل من جذع النخلة أما الحقيقة اللغوية فى قوله تعالى ﴿ **إنى متوفيك** ﴾ فإنها ليست من الحقيقة المماتة كما لا يخفى ، ومن المعلوم فى الأصول أن العرفية تسمى حقيقة عرفية ومجازاً لغوياً ، وأن اللغوية تسمى عندهم حقيقة لغوية ومجازاً عرفياً وقد قدمنا مراراً أنا أوضحنا أن القرآن الكريم لا مجاز فيه على التحقيق فى رسالتنا المسماة « منع جواز المجاز فى المنزل للتعبد والإعجاز » .

فاتضح مما ذكرنا كله أن آية الزخرف هذه تبينها آية النساء المذكورة وأن عيسى لم يمت وأنه ينزل فى آخر الزمان وإنما قلنا : إن قوله تعالى هنا ﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ أى علامة ودليل على قرب مجيئها لأن وقت مجيئها بالفعل لا يعلمه إلا الله ، وقد قدمنا الآيات الدالة على ذلك مراراً وقوله تعالى فى هذه الآية الكريمة ﴿ **فلا تمترن بها** ﴾ أى لا تشكن فى قيام الساعة فإنه لا شك فيه .

وقد قدمنا الآيات الموضحة له مراراً كقوله تعالى ﴿ **وأن الساعة آتية لا ريب فيها** ﴾ وقوله ﴿ **وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير** ﴾ وقوله ﴿ **ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه** ﴾ وقوله ﴿ **فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

* * *

ذكر يأجوج ومأجوج[1]

قال الله تعالى ﴿ **قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض** ﴾ الكهف (٩٤) .

وقال سبحانه ﴿ **حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين** ﴾ الأنبياء (٩٦ - ٩٧) .

* * *

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (٣٨٦/٦) : ويأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح ثم قال رحمه الله : وقد أشار النووى وغيره إلى حكاية من زعم أن آدم نام فاحتلم فاختلط منيه بتراب فتولد منه ولد يأجوج ومأجوج من نسله وهو قول منكر جداً لا أصل له إلا عن بعض أهل الكتاب .
وذكر ابن هشام فى التيجان أن أمة منهم آمنوا بالله فتركهم ذو القرنين لما بنى السد بأرمينية فسموا الترك لذلك .
● وقال ابن كثير رحمه الله (١٠٤/٣) وقد حكى النووى فى شرح مسلم عن بعض الناس أن يأجوج ومأجوج خلقوا من منى خرج من آدم فاختلط بالتراب فخلقوا من ذلك فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء وهذا قول غريب جداً لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل ولا يجوز الاعتماد هاهنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة والله أعلم .
وفى قوله أخرج بعث النار من ذريتك دليل على أنهم من ذرية آدم . والله أعلم .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٥٣٠) :

حدثنى يوسف بن موسى حدثنا جرير عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « **يقول الله : يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك قال : يقول : أخرج بعث النار ، قال : وما بعث النار ؟ قال من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حملٍ حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد** » ، فاشتد ذلك عليهم فقالوا : يارسول الله أينا ذلك الرجل ؟ قال : « **أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجل** ، ثم قال : **والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة** . قال فحمدنا الله وكبرنا . ثم قال : **والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة . إن مثلكم فى الأمم كمثل الشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود ، أو كالرقمة فى ذراع الحمار** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٢٢) وعزاه المزى للنسائى .

أخرج مسلم (٢١٣٧ ص ٢٢٥٠) حديث النواس بن سمعان الكلابى عن رسول الله ﷺ ... فذكر الحديث وفيه « **فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إنى قد أخرجت عباداً لى لا يدان**[1] **لأحدٍ بقتالهم فحرز عبادى إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدبٍ ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء**[2] ، **ويحصر نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور**

---

(١) فى رواية لمسلم : « **فإنى قد أنزلت عباداً لى لا يدى لأحد بقتالهم** » .

(٢) فى رواية لمسلم : « **ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر ، وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من فى الأرض هلم فلنقتل من فى السماء فيرمون بنشابهم إلى** =

لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدرٍ ولا وبرٍ فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة » ... الحديث .

صحيح

تقدم تخريجه .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧١٣٦) :

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب حدثنا ابن طاوس عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « **يفتح الردم - ردم يأجوج ومأجوج - مثل هذه ، وعقد وهيب تسعين** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٨٨١) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧١٣٥) :

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى ح وحدثنا إسماعيل حدثنى أخى عن سليمان عن محمد بن أبى عتيق عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن زينب ابنة أبى سلمة حدثته عن أم حبيبة بنت أبى سفيان عن زينب ابنة جحش أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً يقول « **لا إلـٰه إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلق بإصبعيه الإبهام والتى تليها** » . قالت زينت إبنة جحش فقلت يا رسول الله : أفنهلك وفينا الصالحون ؟ قال « **نعم إذا كثر الخبث** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٨٨٠) والترمذى (٢١٨٧) وقال : هذا حديث حسن صحيح

= **السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبةً دماً** » .

وابن ماجه (٣٩٥٣) ببعض الخلاف فى السند .

وعزاه المزى للنسائى .

قال الإمام أحمد رحمه الله (٧٧/٣) :

حدثنا يعقوب ثنا أبى عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى ثم الظفرى عن محمود بن لبيد أحد بنى عبد الأشهل عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يفتح يأجوج ومأجوج يخرجون على الناس كما قال الله عز وجل ﴿ من كل حدب ينسلون ﴾ فيغشون الأرض وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم ويشربون مياه الأرض حتى إن بعضهم يمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبساً حتى إن من بعدهم يمر بذلك النهر فيقول قد كان هاهنا ماء مرةً حتى إذا لم يبق من الناس إلا أحد فى حصنٍ أو مدينة قال قائلهم هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقى أهل السماء قال ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمى بها إلى السماء فترجع مختضبة دماً للبلاء والفتنة فبيناهم على ذلك إذ بعث الله دوداً فى أعناقهم كنغف الجراد الذى يخرج فى أعناقهم فيصبحون موتى لا يسمع لهم حساً فيقول المسلمون ألا رجل يشرى نفسه فينظر ما فعل هذا العدو قال فيتجرد رجل منهم لذلك محتسباً لنفسه قد أظنها على أنه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادى يا معشر المسلمين ألا أبشروا فإن الله قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لها راعى إلا لحومهم فتشكر عنه كأحسن ما تشكر عن شىء من النبات أصابته قط** » .

حسن

وأخرجه ابن ماجه (٤٠٧٩) والحاكم فى المستدرك (٢٤٥/٢) و (٤٨٩/٤) وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى ، وابن حبان فى صحيحه (موارد الظمآن ١٩٠٩) .

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥١٠/٢) :

حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة ثنا أبو رافع عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « **إن يأجوج ومأجوج ليحفرن السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً فيعودون إليه كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله عز وجل أن يبعثهم إلى الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمن قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله ويستثنى فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس منهم فى حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع وعليها كهيئة الدم فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفاً فى أقفائهم فيقتلهم بها فقال رسول الله ﷺ والذى نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن شكراً من لحومهم ودماءهم** » .

إسناده صحيح[1]

وأخرجه ابن ماجه (٤٠٨٠) والترمذى (٣١٥٣) وقال هذا حديث حسن غريب إنما نعرفُه من هذا الوجه مثل هذا ، وأخرجه الحاكم (٤٨٨/٤) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

---

(١) وقال الحافظ ابن كثير (التفسير ١٠٥/٣) : وإسناده جيد قوى ولكن متنه فى رفعه نكارة لأن ظاهر الآية يقتضى أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه لإحكام بنائه وصلابته وشدته ولكن هذا قد روى عن كعب الأحبار أنهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل فيقولون غداً نفتحه فيأتون من الغد وقد عاد كما كان فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل فيقولون كذلك فيصبحون وهو كما كان فيلحسونه ويقولون غداً نفتحه ويلهمون أن يقولوا إن شاء الله فيصبحون وهو كما فارقوه فيفتحونه . وهذا متجه ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب الأحبار فإنه كان كثيراً ما يجالسه ويحدثه فحدث به =

= أبو هريرة فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه ، والله أعلم .
هذا وقد تكلم ابن كثير بكلام أوسع من هذا فى البداية والنهاية باب ذكر أمتى يأجوج ومأجوج (١٠٢/٢ طبعة دار الكتب العلمية) فقال : فإن قيل فما الجمع بين قوله تعالى ﴿ **فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوه له نقباً** ﴾ وبين الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله عنها قالت استيقظ رسول الله ﷺ من نوم محمراً وجهه وهو يقول «**لا إلـٰه إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه** » (وحلق تسعين) قلت يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال « **نعم إذا كثر الخبث** » ، وأخرجاه فى الصحيحين من حديث وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وعقد تسعين** » فالجواب إما على قول من ذهب إلى أن هذا إشارة إلى فتح أبواب الشر والفتن وأن هذا استعارة محضة وضرب مثل فلا إشكال ، وأما على قول من جعل ذلك إخباراً عن أمر محسوس كما هو الظاهر المتبادر فلا إشكال لأن قوله ﴿ **فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً** ﴾ أى فى ذلك الزمان لأن هذه صيغة خبر ماض فلا ينفى وقوعه فيما يستقبل بإذن الله لهم فى ذلك قدراً وتسليطهم عليه بالتدريج قليلاً قليلاً حتى يتم الأجل وينقضى الأمر المقدور فيخرجون كما قال تعالى ﴿ **وهم من كل حدب ينسلون** ﴾ ولكن الحديث الآخر أشكل من هذا وهو ما رواه الإمام أحمد فى مسنده قائلاً حدثنا روح .. (فذكر حديث الباب الذى قدمناه عند أحمد ٥١٠/٢) ثم قال رحمه الله : فقد أخبر فى هذا الحديث أنهم كل يوم يلحسونه حتى يكادوا ينذرون شعاع الشمس من ورائه لرقته فإن لم يكن رفع هذا الحديث محفوظاً وإنما هو مأخوذ عن كعب الأحبار كما قاله بعضهم فقد استرحنا من المؤنة ، وإن كان محفوظاً فيكون محمولاً على أن صنيعهم هذا يكون فى آخر الزمان عند اقتراب خروجهم كما هو المروى عن كعب الأحبار أو يكون المراد بقوله ﴿ **وما استطاعوا له نقباً** ﴾ أى نافذاً منه فلا ينفى أن يلحسوه ولا ينفذوه والله أعلم ، =

قال ابن ماجه رحمه الله (٤٠٧٦) :

حدثنا هشام بن عمار ثنا يحيى بن حمزة ثنا ابن جابر عن يحيى بن جابر الطائى حدثنى عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه أنه سمع النواس بن سمعان يقول : قال رسول الله ﷺ : « **سيوقد المسلمون من قسى[1] يأجوج ومأجوج ونشابهم[2]** ....

= وعلى هذا فيمكن الجمع بين هذا وبين ما فى الصحيحين عن أبى هريرة « **فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه** » وعقد تسعين أى فتح فتحاً نافذاً فيه الله أعلم.

● قال ابن العربى رحمه الله : (كما نقل عنه الحافظ فى الفتح ١٣/١٠٩) فى هذا الحديث ثلاث آيات .

الأولى : أن الله منعهم أن يوالوا الحفر ليلاً ونهاراً .

الثانية : منعهم أن يحاولوا الرق على السد بسلم أو آلة فلم يلهمهم ذلك ولا علمهم إياه ، ويحتمل أن تكون أرضهم لا خشب فيها ولا آلات تصلح لذلك وتعقب الحافظ هذه بقوله : وهو مردود فإن فى خبرهم عند وهب فى المبتدأ أن لهم أشجاراً وزروعاً وغير ذلك من الآيات فالأول أولى .

وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه من طريق ابن عمرو بن أوس عن جده رفعه : إن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ما شاءوا أو شجر يلقحون ما شاءوا ... الحديث .

الثالثة : أنه صدهم عن أن يقولوا إن شاء الله حتى يجئ الوقت المحدود .

قال الحافظ قلت : وفيه أنهم أهل صناعة وأهل ولاية وسلاطة ورعية تطيع من فوقها ، وأن فيهم من يعرف الله ويقر بقدرته ومشيئته ، ويحتمل أن تكون تلك الكلمة تجرى على لسان ذلك الوالى من غير أن يعرف معناها فيحصل المقصود ببركتها .

(١) القسى جمع قوس .

(٢) النشاب هى السهام .

وأترستهم[١] سبع سنين » .

صحيح[٢]

* * *

---

(١) أترستهم أى تروسهم .

(٢) وقد ذكره الترمذى فى حديث النواس بن سمعان الطويل فى ذكر الدجال (حديث رقم ٢٢٤٠) من طريق علىّ بن حجر أخبرنا الوليد بن مسلم وعبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر دخل حديث أحدهما فى حديث الآخر ،عن عبد الرحمن بن جبير بن يزيد بن جابر عن يحيى بن جابر الطائى عن عبد الرحمن بن نفير عن أبيه جبير بن نفير عن النواس بن سمعان الكلابى فذكر الحديث مرفوعاً وفيه نحو هذا القدر .

سائر الأشراط الكبرى للساعة



أول الآيات خروجاً
طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٤١) :

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا محمد بن بشر عن أبى حيان عن أبى زرعة[١] عن عبد الله بن عمرو قال : حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً** »[٢] .

صحيح

وأخرجه أبو داود (٤٣١٠) وابن ماجه (٤٠٦٩) .

* * *

---

(١) وقد روى هذا الحديث من طريق حماد بن سلمة عن أبى حيان عن الشعبى عن عبد الله بن عمرو ، ووهم فيه أبو حاتم حماد بن سلمة وصوَّب رواية أبى حيان عن أبى زرعة عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً .

(٢) فى رواية لمسلم .. جلس إلى مروان بن الحكم بالمدينة ثلاثة نفر من المسلمين فسمعوه وهو يحدث عن الآيات أن أولها خروجاً الدجال فقال عبد الله بن عمرو لم يقل مروان شيئاً قد حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد ، سمعت رسول الله ﷺ يقول ... فذكر بمثله .

أما أول الآيات خروجاً فهاك بيانها :

فى حديث عبد الله بن عمرو المتقدم أن رسول الله ﷺ قال « **إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً** » . فهذا الحديث يفيد أن أول الآيات خروجاً إما طلوع الشمس من مغربها أو خروج الدابة على الناس ضحى . وهذا معناه أن كلا من هاتين الآيتين (طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة) قبل خروج الدجال ولكن يعكر على هذا أن الشمس إذا طلعت من مغربها لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً كما قال النبى ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً** » .

إلا أنه قد ورد أن عيسى بعد الدجال ، وفى زمن عيسى لا يقبل من أحد إلا الإيمان وتوضع الجزية ويصير الدين واحداً فدل هذا على أن هناك من يؤمن فى زمن عيسى ومن ثم يكون فيه إشعار أن نزول عيسى وخروج الدجال قبل طلوع الشمس من مغربها ، وهذا مما يعارض حديث عبد الله ابن عمرو الذى فيه إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها . فكيف حل أهل العلم هذا الإشكال ؟!

● ذهب فريق من أهل العلم إلى أن عدم الانتفاع بالإيمان يكون عند ظهور الآية فقط (أى طلوع الشمس من مغربها) أو بعدها بقليل ، ولكن إذا طال الأمد بعد ظهور الآية ، وآمن ناس بعد ذلك نفعهم هذا الإيمان .

ذكر من قال ذلك :

قال القرطبى رحمه الله (فى التذكرة كما نقل عنه فى الفتح

٣٥٤/١١) ... فلو امتدت أيام الدنيا بعد ذلك (أى بعد الآية) إلى أن ينسى هذا الأمر أو ينقطع تواتره ويصير الخبر عنه آحاداً فمن أسلم حينئذ أو تاب قبل منه .

وقال البيهقى فى كتاب البعث والنشور (نقلاً عن الفتح ٣٥٤/١١) : إن كان فى علم الله أن طلوع الشمس سابق احتمل أن يكون المراد نفى النفع عن أنفس القرن الذين شاهدوا ذلك ، فإذا انقرضوا وتطاول الزمان وعاد بعضهم إلى الكفر عاد تكليفه الإيمان بالغيب ، وكذا فى قصة الدجال لا ينفع إيمان من آمن بعيسى عند مشاهدة الدجال وينفعه بعد انقراضه ، وإن كان فى علم الله طلوع الشمس بعد نزول عيسى احتمل أن يكون المراد بالآيات فى حديث عبد الله بن عمرو آيات أخرى غير الدجال ونزول عيسى إذ ليس فى الخبر نص على أنه يتقدم عيسى .

قلت : نص حديث ابن عمرو على أن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها ولكن قد تعقب الحافظ ابن حجر هذا الوجه من الجمع فقال (٣٥٤/١١) هذا هو المعتمد (أى قول البيهقى) والأخبار الصحيحة تخالفه ، ثم أورد جملة آثار تدل على أن الشمس إذا طلعت من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك وأن ذلك لا يختص بيوم الطلوع بل يمتد إلى يوم القيامة . قال ويؤخذ منه أن طلوع الشمس من مغربها أو الإنذار بقيام الساعة .

● هذا وقد جمع بعض أهل العلم بنوع آخر من الجمع فقال الطيبى (كما نقل عنه فى الفتح ٣٥٢/١١) : الآيات أمارات للساعة إما على قربها وإما على حصولها ، فمن الأول : الدجال ونزول عيسى ويأجوج ومأجوج والخسف ومن الثانى : الدخان وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة والنار التى تحشر الناس .

قلت: فعلى هذا يكون طلوع الشمس من مغربها أول الآيات باعتبار معين .

وإلى هذا جنح الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٣٥٣/١١) فقال : فالذى يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أو الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة فى معظم الأرض وينتهى ذلك بموت عيسى ابن مريم وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوى ، وينتهى ذلك بقيام الساعة ، ولعل خروج الدابة يقع فى ذلك اليوم الذى تطلع فيه الشمس من المغرب . والله أعلم .

ذكر الدابة[٢]

وقول الله عز وجل ﴿ **وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون** ﴾ النمل ٨٢ .

● تقدم فى حديث حذيفة بن أسيد رضى الله عنه أنه قال اطلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الساعة فقال « **ما تذاكرون ؟** » قالوا نذكر الساعة قال « **إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات** » فذكر الدخان والدجال والدابة و ...

أخرجه مسلم

● وتقدم فى حديث عبد الله بن عمرو قال : حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعدُ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما ما كانت**

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٣٧٤/٣) هذه الدابة تخرج فى آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق يخرج الله لهم دابة من الأرض قيل من مكة وقيل من غيرها .

قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً » .

أخرجه مسلم

● وتقدم فى حديث أبى هريرة (باب الحث على العمل الصالح تحسباً للدجال) أن رسول الله ﷺ قال : « **بادروا بالأعمال ستاً طلوع الشمس من مغربها .. أو الدابة ...** » .

أخرجه مسلم

هذا وقد ورد فى هذا الباب جملة أحاديث ضعيفة منها :

● ما أخرجه الطيالسى فى مسنده (رقم ١٠٦٩) عن طلحة بن عمرو وجرير بن حازم فأما طلحة فقال أخبرنى عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى أن أبا الطفيل حدثه عن حذيفة بن أسيد الغفارى أبو سريحة ، وأما جرير فقال : عن عبد الله بن عمير عن رجل من آل عبد الله بن مسعود وحديث طلحة أتمهما وأحسن ، قال : ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال : « **لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج فى أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم تكمن زماناً طويلاً ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك فيعلو ذكرها أهل البادية ويدخل ذكرها القرية يعنى مكة ، قال رسول الله ﷺ ثم بينما الناس فى أعظم المساجد على الله حرمة خيرها وأكرمها المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهى ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس معها شتى ومعاً وثبت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى تجعلها كأنها الكوكب الدرى وولت فى الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان يا فلان الآن تصلى فيقبل عليها فتسمه فى وجهه ثم ينطلق ويشترك الناس فى الأموال ويصطحبون فى الأمصار يعرف المؤمن من الكافر حتى إن المؤمن يقول يا كافر اقضنى حقى وحتى إن الكافر يقول يا مؤمن اقضنى حقى** » .

قلت : وهذا إسناد ضعيف جداً فيه ثلاث علل :

العلة الأولى : طلحة بن عمرو وهو ابن عثمان الحضرمى المكى وقد أطبق أهل العلم على تضعيفه .

العلة الثانية : كون جرير (وهو أثبت بلا شك من طلحة) روى الحديث عن عبد الله بن عبيد عن رجل من آل عبد الله بن مسعود ، وهذا الرجل مبهم .

العلة الثالثة : كون الحديث روى موقوفاً ببعضه عند ابن جرير الطبرى فى التفسير (١١/١٠) .

● حديث آخر ضعيف

قال ابن جرير الطبرى (١١/٢٠) حدثنا عصام بن رواد بن الجراح قال ثنا أبى قال ثنا سفيان بن سعيد الثورى قال ثنا منصور بن المعتمر عن ربعى بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله ﷺ وذكر الدابة فقال حذيفة قلت : يا رسول الله من أين تخرج ؟ قال : **« من أعظم المساجد حرمة على الله بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلى المسعى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو رأسها ملمعة ذات وبر وريش لم يدركها طالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مؤمن وكافر أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب درى وتكتب بين عينيه مؤمن ، وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء كافر »** .

قلت : وآفة هذا الحديث عصام بن رواد ضعيف .

وأيضاً فأبوه رواد بن الجراح قد روى هذا الحديث عن سفيان الثورى ، وفى روايته عن سفيان الثورى ضعف .

وقد روى بنحو هذا الإسناد استعجبه أهل العلم واستنكروه ، ولأنه فى باب الفتن فنورده – مع التنبيه على أنه ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ .

● قال ابن جرير الطبرى رحمه الله (التفسير ٢٢/٧٢ – ٧٣) آخر تفسير سورة سبأ : حدثنا عصام بن رواد بن الجراح قال : ثنا أبى قال : ثنا سفيان بن سعيد قال :

ثنى منصور بن المعتمر عن ربعى بن حراش قال : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله ﷺ : « **وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب – قال فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفيانى من الوادى اليابس فى فوره ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل فى المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بنى العباس ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها ثم يخرجون متوجهين إلى الشام فتخرج راية هذا من الكوفة فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما فى أيديهم من السبى والغنائم ويخلى جيشه التالى بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام ولياليها ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل فيقول يا جبرائيل اذهب فأبدهم فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم فذلك قوله فى سورة سبأ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت الآية ، ولا ينفلت منهم إلا رجلان أحدهما بشير والآخر نذير وهما من جهينة فلذلك جاء القول وعند جهينة الخبر اليقين** » .

حدثنا محمد بن خلف العسقلانى قال سألت روّاد بن الجراح عن هذا الحديث الذى حدث به عنه عن سفيان الثورى عن منصور عن ربعى عن حذيفة عن النبى ﷺ عن قصة ذكرها فى الفتن قال : فقلت له : أخبرنى عن هذا الحديث ، سمعته من سفيان الثورى قال : لا ، قلت فقرأته عليه قال : لا ، قلت : فقرئ عليه وأنت حاضر ؟ قال : لا ، قلت : فما قصته ؟ فما خبره ؟ قال : جاءنى قوم فقالوا : معنا حديث عجيبٌ أو كلام هذا معناه ، نقرؤه وتسمعه ؟ قلت لهم : هاتوه فقرءوه علىَّ ثم ذهبوا فحدثوا به عنى أو كلام هذا معناه قلت : (القائل مصطفى) فهذا مما يؤيد ضعف رواية رواد عن سفيان والله أعلم .

● وأخرج ابن جرير الطبرى أيضاً من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله

ﷺ : « **تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم أنف الكافر بالخاتم حتى إن أهل البيت ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر** » .

قلت : وإسناده ضعيف أيضاً ففيه علىّ بن زيد وهو ابن جدعان وهو ضعيف .

● وأخرج ابن ماجه (٤٠٦٧) من حديث بريدة رضى الله عنه قال : ذهب بى رسول الله ﷺ إلى موضع بالبادية قريب من مكة فإذا أرض يابسة حولها رمل فقال رسول الله ﷺ : « **تخرج الدابة من هذا الموضع فإذا فتر فى شبر** » .

قلت : وإسناده ضعيف جداً ففى إسناده خالد بن عبيد أبو تميله وهو ضعيف جداً .

● وأخرج أحمد (٢٦٨/٥) من طريق حجين بن المثنى ثنا عبد العزيز يعنى ابن أبى سلمة الماجشون عن عمر بن عبد الرحمن بن عطية بن دلاف المزنى لا أعلمه إلا حدثه عن أبى أمامة يرفعه إلى النبى ﷺ قال : « **تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يغمرون فيكم حتى يشترى الرجل البعير فيقول ممن اشتريته فيقول اشتريته من أحد المخطمين** » .

قلت : وفى إسناده عمر بن عبد الرحمن بن عطية بن دلاف لم يوثقه معتبر أما قول من قال : إن مالكاً روى عنه ورواية مالك عنه توثيق له فهذا القول مما لا يلاق عندنا قبولاً سريعاً ، فنحن الآن على جهالة الرجل . والحديث ضعيف .

هذا وقد أورد ابن جرير الطبرى رحمه الله ، وكذلك الحافظ ابن كثير جملة آثار فى هذا الباب توضح من أين تخرج الدابة وصفتها وما معها وما تعمل إلى غير ذلك ، وفى أغلب الأسانيد التى ذكروها نظر ، ولم نقف على شىء مرفوع يُعول عليه فى هذا الباب والله أعلم .

قول الله عز وجل

﴿ ... أو يأتى بعض آيات ربك يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً ﴾ الأنعام (١٥٨)

● أكثر أقوال أهل التفسير على أن المراد بقوله تعالى ﴿ .. **أو يأتى بعض آيات ربك** .. ﴾ هو طلوع الشمس من مغربها . فبعد أن أورد ابن جرير الطبرى كماً هائلاً من الآثار فى ذلك قال رحمه الله (٧٦/٨) : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال ذلك حين تطلع الشمس من مغربها ، وقال رحمه الله : وأما قوله : (أو كسبت فى إيمانها خيراً) فإنه يعنى أو عملت فى تصديقها بالله خيراً من عمل صالح تصدق قبله وتحققه من قبل طلوع الشمس من مغربها لا ينفع كافراً لم يكن آمن بالله قبل طلوعها كذلك إيمانه بالله أن آمن وصدق بالله ورسله لأنها حالة لا تمتنع نفس من الإقرار بالله لعظيم الهول الوارد عليهم من أمر الله فحكم إيمانهم كحكم إيمانهم عند قيام الساعة ، وتلك حال لا يمتنع الخلق من الإقرار بواحدانية الله لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ما ترتفع معه حاجتهم إلى الفكر والاستدلال والبحث والاعتبار ولا ينفع من كان بالله ورسله مصدقاً ولفرائض الله مضيعاً غير مكتسب بجوارحه لله طاعة إذا هى طلعت من مغربها أعماله إن عمل وكسبه إن اكتسب لتفريطه الذى سلف قبل طلوعها فى ذلك .

● ونقل الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٣٥٣/١١) عن الجمهور أنهم يفسرون المراد بالبعض فى قوله تعالى ﴿ **يوم يأتى بعض آيات ربك** ﴾ بأنه طلوع الشمس من المغرب .

وها نحن نورد بعض الأحاديث والآثار فى ذلك :

قال ابن جرير الطبرى رحمه الله (٨/٧٥) :

حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمان عن أبى الضحى عن مسروق قال : قال عبد الله : يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها قال طلوع الشمس من مغربها مع القمر كأنهما بعيران مقرونان .

موقوف صحيح

* * *

طلوع الشمس من مغربها

قال الإمام البخارى رحمه الله (٤٦٣٥) :

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا عمارة حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل** » .

صحيح

وأخرجه مسلم (ص ١٣٧) وأبو داود (٤٣١٢) وابن ماجه (٤٠٦٨) .

وعزاه المزى للنسائى .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٥٠٦) :

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون ، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً ، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يُليط حوضه فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلى فيه فلا يطعمها** » .

صحيح

وانظر صحيح مسلم (١٥٧) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٥٨) :

وحدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب قالا حدثنا وكيع ح وحدثنيه زهير بن حرب حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق جميعاً عن فضيل بن غزوان ح وحدثنا أبو كريب محمد بن العلاء (واللفظ له) حدثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً طلوع الشمس من مغربها والدجال[1] ودابة الأرض** » .

صحيح

وأخرجه الترمذى (٣٠٧٢) وقال هذا حديث حسن صحيح .

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣١٩٩) :

حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ لأبى ذر حين غربت الشمس : « **أين تذهب** ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، **قال** : **فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن**

---

(١) قد يرد هنا إشكال مضمونه أن الدجال يأتى قبل عيسى عليه السلام ، وفى زمن عيسى لا يقبل إلا الإيمان فلا تقبل جزية من أحد ، ويصير الدين واحداً فكيف يلتئم هذا مع القول بأن الدجال إذا خرج لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً ، والجواب عن هذا الإشكال من وجهين :
الأول : أن مدة الدجال مرتبطة بنزول عيسى فالمراد بقوله الدجال أى بعد ظهور الدجال وعيسى عليه السلام فبعد عيسى عليه السلام لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً .
الثانى : أن بخروج الدجال لا يستفيد أحدٌ ممن لم يكن آمن قبل خروجه فالدجال لا يزيد الناس إلا فتنة ، ويكون ذلك مقيد بوقت خروج الدجال ، وبعده من آمن بعيسى ينفعه إيمانه ، والله أعلم .

فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى : ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾[1] » .

صحيح

وأخرجه مسلم (ص ١٣٩) وأبو داود (٤٠٠٢) والترمذى (٢١٨٦) . وقال هذا حديث حسن صحيح ، وعزاه المزى للنسائى .

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٥٩) :

حدثنا يحيى بن أيوب وإسحاق بن إبراهيم جميعاً عن ابن علية قال ابن أيوب : حدثنا ابن علية حدثنا يونس عن إبراهيم بن يزيد التيمى (سمعه فيما أعلم)[2] عن أبيه عن أبى ذر أن النبى ﷺ قال يوماً « **أتدرون أين تذهب هذه الشمس ؟** قالوا الله ورسوله أعلم . قال : **إن هذه تجرى حتى تنتهى إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدةً فلا تزال كذلك حتى يُقال لها ارتفعى ارجعى من حيث جئت فترجع فتصبح طالعةً من مطلعها ثم تجرى حتى تنتهى إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدةً ، ولا تزال كذلك حتى يُقال لها : ارتفعى ارجعى من حيث جئت فترجع فتصبح طالعةً من مطلعها ثم تجرى لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهى إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها ارتفعى أصبحى طالعةً من مغربك فتصبح طالعة من مغربها** » فقال رسول الله ﷺ : « **أتدرون متى ذاكم ؟ ذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً** » .

صحيح

وانظر تخريج الحديث المتقدم .

---

(١) وانظر الحديث الذى يليه فهو أصرح فى المقصود .

(٢) وهذا التردد لا يضر فأصل الحديث مجزوماً به كما فى الرواية السابقة .

متى تنقطع التوبة[1]

قال الإمام أحمد رحمه الله (١/١٩٢) :

حدثنا الحكم بن نافع ثنا إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح ابن عبيد يرده إلى مالك بن يخامر عن ابن السعدى أن النبى ﷺ قال : « **لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل** » . فقال معاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص : إن النبى ﷺ قال : « **إن الهجرة خصلتان إحداهما أن تهجر السيئات والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة ، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب فإذا طلعت طبع على كل قلبٍ بما فيه وكفى الناس العمل** » .

حسن[2]

وأخرجه ابن جرير الطبرى (٨/٧٢) :

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٧٠٣) .

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا أبو خالد (يعنى سليمان بن حيان) ح وحدثنا ابن نمير حدثنا أبو معاوية ح وحدثنى أبو سعيد الأشج حدثنا حفص (يعنى ابن غياث) كلهم عن هشام ح وحدثنى أبو خيثمة زهير بن حرب (واللفظ له) حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه** » .

صحيح

---

(١) أى التوبة من البشر كلهم ، أما التوبة المتعلقة بالأشخاص فتقبل توبة كل عبد ما لم يغرغر ، أو إذا كان فى حكم من يغرغر كما هو مبسوط فى مظانه .

(٢) وقد حسن إسناده أيضاً الحافظ ابن كثير فى التفسير (٢/١٩٥) .

قال الترمذى رحمه الله (٣٦٠٢) :

حدثنا أحمد بن عبدة الضبى أخبرنا حماد بن زيد عن عاصم[١] عن زر بن حبيش قال : أتيت صفوان بن عسال المرادى فقال لى : ما جاء بك ؟ قلت ابتغاء العلم ، قال : بلغنى أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يفعل . قال قلت له : إنه حاك أو حك فى نفسى شئ من المسح على الخفين فهل حفظت من رسول الله ﷺ فيه شيئاً ؟ قال : نعم ، كنا إذا كنا سفراً أو مسافرين أمرنا أن لا نخلع خفافنا ثلاثاً إلا من جنابة ، ولكن من غائط وبول ونوم ، قال : فقلت : هل حفظت من رسول الله ﷺ فى الهوى[٢] شيئا ؟ قال : نعم ، كنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره فناداه رجل كان فى آخر القوم بصوت جهورى[٣] أعرابى جلف جاف فقال : يا محمد يا محمد ، فقال له القوم : مه إنك قد نهيت عن هذا ، فأجابه رسول الله ﷺ على نحو من صوته هاؤم[٤] فقال : الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : « **المرء مع من أحب** » . قال زر فما برح يحدثنى حتى حدثنى أن الله عز وجل « **جعل بالمغرب باباً عرضه مسيرة سبعين عاماً للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله** » وذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها** ﴾ الآية .

حسن

وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه ابن جرير الطبرى فى التفسير (٧٢/٨) وابن ماجه مختصراً (٤٠٧٠) وعزاه المزى للنسائى .

---

(١) وقد توبع عاصم تابعه زبيد عن زر عند ابن جرير الطبرى عقب هذا الحديث ولفظه « **للتوبة باب بالمغرب مسيرة سبعين عاماً أو أربعين عاماً فلا يزال كذلك حتى يأتى بعض آيات ربك** » .

(٢) الهوى : هو الحب .

(٣) جهورى : أى عال .

(٤) هاؤم : أى تعال .

أول أشراط الساعة
النار التى تخرج وتحشر الناس من المشرق إلى المغرب

قال الإمام البخارى رحمه الله (٣٣٢٩) :

حدثنا محمد بن سلام أخبرنا الفزارى عن حميد عن أنس رضى الله عنه قال : بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبى ﷺ المدينة فأتاه فقال : إنى سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمهن إلا نبى . قال : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعامٍ يأكله أهل الجنة ؟ ومن أى شىء ينزع الولد إلى أبيه ؟ ومن أى شىء ينزع إلى أخواله ؟ فقال رسول الله ﷺ : **« خبرنى بهن آنفاً جبريل »** ، قال : فقال عبد الله : ذاك عدو اليهود من الملائكة . فقال رسول الله ﷺ : **« أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق[1] إلى المغرب ، و أما أول طعامٍ يأكله أهل الجنة**

---

(١) واضح هنا أن النار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وقد ورد فى حديث حذيفة بن أسيد الغفارى – وهو هنا فى هذا الكتاب – أن النار تخرج من اليمن ، وفى رواية أنها تخرج من قعرة عدن فكيف الجمع بين هذه وتلك ؟

قال الحافظ فى الفتح (١١/٣٧٨) : وقد أشكل الجمع بين هذه الأخبار ، وظهر لى فى وجه الجمع أن كونها تخرج من قعر عدن لا ينافى حشرها الناس من المشرق إلى المغرب ، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن فإذا خرجت انتشرت فى الأرض كلها ، والمراد بقوله **« تحشر الناس من المشرق إلى المغرب »** إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق ، ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائماً من المشرق وأما جعل الغاية إلى المغرب فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب .

قال : ويحتمل أن تكون النار فى حديث أنس كناية عن الفتن المنتشرة التى =

فزيادة كبد حوت ، وأما الشبه فى الولد فإن الرجل إذا غشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له ، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها » . قال : أشهد أنك رسول الله . ثم قال يا رسول الله : إن اليهود قوم بهت إن علموا بإسلامى قبل أن تسألهم بهتونى عندك ، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت ، فقال رسول الله ﷺ : « **أى رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟** قالوا أعلمنا وابن أعلمنا وأخبرنا وابن أخبرنا » . فقال رسول الله ﷺ : « **أفرأيتم إن أسلم عبد الله ؟** قالوا : أعاذه الله من ذلك ؛ فخرج عبد الله إليهم فقال : أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . فقالوا : شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه » .

صحيح

= أثارت الشر العظيم والتهبت كما تلتهب النار ، وكان ابتداؤها من قبل المشرق حتى خرب معظمه وانحشر الناس من جهة المشرق إلى الشام ومصر وهما من جهة المغرب كما شوهد ذلك مراراً من المغل فى عهد جنكزخان ومن بعده .
والنار التى فى الحديث الآخر على حقيقتها والله أعلم .
تنبيه : ورد فى حديث أنس هذا أن أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وفى حديث عبد الله بن عمرو (باب أول الآيات خروجاً من هذا الكتاب) أن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى فكيف الجمع بين الحديثين ؟ وجه الجمع – والله أعلم – تنزيل كل حديث على أحوال خاصة بمعنى أن أول التغييرات فى العالم العلوى طلوع الشمس من المغرب ، وأول آيات العالم السفلى نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، أو باعتبار آخر ، كما نقله الحافظ فى الفتح (٣٥٣/١١) حيث قال : قال الحاكم أبو عبد الله : الذى يظهر أن طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة ، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التى تحشر الناس . والله أعلم .

قال الطيالسى رحمه الله (المسند ص ٢٧٣ حديث ٢٠٥٠) :

حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن النبى قال « **أول شىء يحشر الناس نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب** » .

صحيح

قال الإمام البخارى رحمه الله (٦٥٢٢) :

حدثنا معلى بن أسد حدثنا وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **يحشر[١] الناس على ثلاث طرائق**

---

(١) قال القرطبى رحمه الله (كما نقل عنه الحافظ فى الفتح ٣٧٨/١١) : الحشر الجمع وهو أربعة : حشران فى الدنيا ، وحشران فى الآخرة ، فالذى فى الدنيا .

● أحدهما المذكور فى سورة الحشر فى قوله تعالى ﴿ **هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر** ﴾ .

● والثانى الحشر المذكور فى أشراط الساعة الذى أخرجه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد رفعه « **إن الساعة لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات** » ..

ثم قال رحمه الله :

● والحشر الثالث حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعا إلى الموقف قال الله عز وجل ﴿ **وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً** ﴾ .

● والرابع حشرهم إلى الجنة أو النار .   انتهى ملخصاً .

قلت : والحشر الذى فى هذا الحديث اختلف فيه فذهب الخطابى وعياض والطيبى وغيرهم إلى أن المراد بالحشر فى هذا الحديث هو الحشر الذى يكون قبل قيام الساعة ، تحشر الناس أحياء إلى الشام .

وذهب آخرون إلى أن المراد بالحشر فى هذا الحديث إنما هو الحشر من القبور وانتصر كل فريق لرأيه من عدة وجوه .

وعلى كل فسواء كان المراد بالحشر هنا أنه بين يدى الساعة أو الحشر من القبور فقد صح من طرق لا يتطرق إليها الاحتمال أن قبل الساعة نارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب والله أعلم .

راغبين وراهبين ، واثنان على بعيرٍ وثلاثة على بعيرٍ وأربعة على بعير وعشرة على بعير ، ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا » .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٨٦١) والنسائى (١١٥/٤ - ١١٦) .

قال الحاكم رحمه الله (المستدرك ٤٥٨/٤) :

حدثنا علىّ بن حمشاذ العدل ثنا هشام بن علىّ السيرافى ثنا عبد الله بن رجاء العراقى[1] ثنا همام عن قتادة عن المهلب بن أبى صفرة عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : تبعث نار تسوق الناس من مشارق الأرض إلى مغاربها كما يساق الجمل الكسير لها ما تتخلف منهم إذا قالوا[2] قالت ، وإذا باتوا باتت .

موقوف حسن[3]

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى .

قال الإمام أحمد رحمه الله (١٦٤/٥) :

حدثنا يزيد أنا الوليد بن جميع القرشى ثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة ابن أسيد قال : قام أبو ذر فقال : يا بنى غفار قولوا ولا تختلفوا فإن الصادق المصدوق حدثنى « **أن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج فوج راكبين طاعمين كاسين وفوج يمشون ويسعون وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم إلى النار** » فقال قائل منهم : هذان قد عرفناهما فما بال الذين يمشون ويسعون قال « **يلقى الله الآفة على الظهر**[4] **حتى لا يبقى ظهر**

---

(١) فى التقريب الغدانى .

(٢) قالوا من القيلولة .

(٣) وقد روى هذا مرفوعاً عند الحاكم (٥٤٨/٤) وقال الحاكم هناك هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى صحيح .

(٤) أى ظهر الدواب (الجمل أو الفرس) .

حتى إن الرجل ليكون له الحديقة المعجبة فيعطيها بالشارف[1] ذات القتب فلا يقدر عليها » .

صحيح

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٨/١٣) :

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى عن سعيد بن المسيب أخبرنى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : **« لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء أعناق الإبل ببصرى »[2] .**

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٠٢) .

---

(١) الشارف من الإبل .
هذا وقد استدل بعض أهل العلم بهذا القدر من الحديث على أن هذا الحشر يكون فى الدنيا فقال الحافظ : وقد تبين من حديث أبى ذر ما دل على أنه فى الدنيا لا بعد البعث فى الحشر إلى الموقف إذ لا حديقة هناك ولا آفة تلقى على الظهر حتى يعز ويقل .

(٢) بُصرى هى بلدٌ بالشام .
قال الحافظ فى الفتح (٧٨/١٣) : قال القرطبى فى التذكره : قد خرجت نار بالحجاز بالمدينة ، وكان بدؤها زلزلة عظيمة فى ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة واستمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت ، وظهرت النار بقريظة بطرف الحرة ترى فى صورة البلد العظيم عليها سور محيط عليه شراريف وأبراج ومآذن ، وترى رجالاً يقودونها لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته ، ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمر وأزرق له دوى كدوى الرعد يأخذ الصخور بين يديه وينتهى إلى محط الركب العراق ، واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم فانتهت النار إلى قرب المدينة ، ومع ذلك فكان يأتى المدينة نسيم بارد ، وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر ، =

....

= وقال لى بعض أصحابنا : رأيتها صاعدة فى الهواء من نحو خمسة أيام وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى ، وقال النووى : تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام ، وقال أبو شامه فى (ذيل الروضتين) وردت فى أوائل شعبان سنة أربع وخمسين كتب من المدينة الشريفة فيها شرح أمر عظيم حدث بها فيه تصديق لما فى الصحيحين فذكر هذا الحديث قال فأخبرنى بعض من أثق به ممن شاهدها أنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوئها الكتب فمن الكتب ... فذكر نحو ما تقدم . ومن ذلك أن فى بعض الكتب : ظهر فى أول جمعة من جمادى الآخرة فى شرق المدينة نار عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم انفجرت من الأرض وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد ، وفى كتاب آخر انبجست الأرض من الحرة بنار عظيمة يكون قدرها مثل مسجد المدينة وهى برأى العيد من المدينة ، وسال منها واد يكون مقداره أربع فراسخ وعرضه أربع أميال يجرى على وجه الأرض ويخرج منه مهاد وجبال صغار وفى كتاب آخر : ظهر ضوؤها إلى أن رأوها من مكة قال ولا أقدر أصف عظمها ولها دوى . قال أبو شامة ونظم الناس فى هذا أشعاراً ودام أمرها ثم خمدت .

والذى ظهر لى أن النار المذكورة فى حديث الباب هى التى ظهرت بنواحى المدينة كما فهمه القرطبى وغيره .، وأما النار التى تحشر الناس فنار أخرى ، وقد وقع فى بعض بلاد الحجاز فى الجاهلية نحو هذه النار التى ظهرت بنواحى المدينة فى زمن خالد بن سنان العبسى ، فقام فى أمرها حتى أخمدها ومات بعد ذلك فى قصة له ذكرها أبو عبيدة معمر بن المثنى فى (كتاب الجماجم) وأوردها الحاكم فى المستدرك من طريق يعلى بن مهدى عن أبى عوانة عن أبى يونس عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً من بنى عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه إنى أطفىء عنكم نار الحدثان فذكر القصة وفيها فانطلق وهى تخرج من شق جبل من حرة يقال لها حرة أشجع فذكر القصة فى دخوله الشق والنار كأنها جبل سقر فضربها بعصاه حتى أدخلها وخرج .

قلت : (والقائل مصطفى) : وليس فى هذه الأخبار ما يعول عليه وذلك لعدم وجود مستند صحيح إلى من رآها . والله أعلم .

إلى أين المسير عند خروج النار ؟

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/٨) :

حدثنا الوليد ثنا الأوزاعى أن يحيى بن أبى كثير حدثه أن أبا قلابة حدثه عن سالم بن عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **تخرج نار من حضرموت أو بحضرموت فتسوق الناس قلنا يا رسول الله ما تأمرنا قال عليكم بالشام** » .

صحيح

وأخرجه أحمد أيضاً (٢/٥٣ و ٩٩ و ١١٩) وأبو يعلى (٩/٤٠٥) .

والترمذى (٢٢١٧) وقال هذا حديث حسن غريب صحيح .

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/٥) :

حدثنا يحيى عن بهز حدثنى أبى عن جدى قال : قلت : يا رسول الله أين تأمرنى ؟ خر لى فقال : « **بيده نحو الشام**[١] ، **وقال إنكم محشورون رجالاً وركباناً وتجرون على وجوهكم** » .

حسن[٢]

وأخرجه الترمذى (٣١٤٤) .

---

(١) فى رواية لأحمد (٥/٣) : قال تحشرون ها هنا وأومأ بيده إلى نحو الشام مشاة وركبانا وعلى وجوهكم تعرضون على الله تعالى وعلى أفواهكم الفدام ، وأول ما يعرب عن أحدكم فخذه ...

(٢) وقال الحافظ فى الفتح (١١/٣٨٠) : وإسناده قوى .

الحث على العمل وإن قربت الساعة

قال الإمام أحمد رحمه الله (٣/١٩١) :

حدثنا بهز ثنا حماد ثنا هشام بن زيد قال : سمعت أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل** » .

صحيح

وأخرجه أحمد أيضاً (٦/١٨٣ - ١٨٤) والطيالسى فى مسنده (٢٠٦٨) .
والبخارى فى الأدب المفرد (٤٧٩) .

* * *

الريح اللينة قبل الساعة

قال الإمام مسلم رحمه الله (١١٧) :

حدثنا أحمد بن عبدة الضبى حدثنا عبد العزيز بن محمد وأبو علقمة الفروى قالا حدثنا صفوان بن سليم عن عبد الله بن سلمان عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحداً فى قلبه** (قال أبو علقمة مثقال حبة ، وقال عبد العزيز مثقال ذرة) **من إيمان إلا قبضته** »[١] .

صحيح لغيره[٢]

---

(١) قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ص ١/٣٢٠): وأما معنى الحديث فقد جاءت فى هذا النوع أحاديث منها « **لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله** » ومنها « **لا تقوم على أحد يقول الله الله** » ومنها « **لا تقوم إلا على شرار الخلق** » وهذه كلها وما فى معناها على ظاهرها .
وأما الحديث الآخر «**لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة**» فليس مخالفاً لهذه الأحاديث لأن معنى هذا أنهم لا يزالون على الحق حتى تقبضهم هذه الريح اللينة قرب القيامة وعند تظاهر أشراطها فأُطلق فى هذا الحديث بقاءهم إلى قيام الساعة على أشراطها ودنوها المتناهى فى القرب والله أعلم .
ثم قال رحمه الله : وأما قوله ﷺ « **ريحاً ألين من الحرير** » ففيه – والله أعلم – إشارة إلى الرفق بهم والاكرام لهم والله أعلم .
وجاء فى هذا الحديث « **يبعث الله ريحاً من اليمن** » وفى حديث آخر ذكره مسلم فى آخر الكتاب عقب أحاديث الدجال « **ريحاً من قبل الشام** » ويجاب عن هذا بوجهين أحدهما : يحتمل أنهما ريحان شامية ويمانية ، ويحتمل أن مبدأها من أحد الإقليمين ثم تصل الآخر وتنتشر عنده والله أعلم .

(٢) ففيه عبد الله بن سلمان وكأن حديثه لا يرتقى إلى الصحة استقلالاً ، لكن له =

قيام الساعة على شرار الخلق

قال الإمام البخارى رحمه الله (٧٠٦٦) :

حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن واصل عن أبى وائل عن عبد الله – وأحسبه رفعه – قال « **بين يدى الساعة أيام الهرج يزول فيها العلم ويظهر فيها الجهل** » .

صحيح

قال أبو موسى والهرجُ القتل بلسان الحبشة .

وقال أبو عوانة عن عاصم عن أبى وائل عن الأشعرى أنه قال لعبد الله : تعلم الأيام التى ذكر النبى ﷺ أيام الهرج .

وقال ابن مسعود(١) : سمعت النبى ﷺ يقول : « **من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء** » .

= شاهد من حديث عبد الله بن عمرو وقد تقدم .

(١) قال الحافظ : هو بالسند المذكور (فتح البارى ١٣/١٩) .

قال ابن بطال : هذا وإن كان لفظه لفظ العموم فالمراد به الخصوص ، ومعناه أن الساعة تقوم فى الأكثر والأغلب على شرار الناس بدليل قوله « **لا تزال طائفة من أمتى على الحق حتى تقوم الساعة** » فدل هذا الخبر أن الساعة تقوم أيضاً على قوم فضلاء .

قال الحافظ (قلت : ولا يتعين ما قال فقد جاء ما يؤيد العموم المذكور كقوله فى حديث ابن مسعود أيضاً رفعه « **لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس** » أخرجه مسلم ، ولمسلم أيضاً من حديث أبى هريرة رفعه « **إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحداً فى قلبه مثقال ذرة من إيمان** =

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٤٩) :

حدثنا زهير بن حرب حدثنا عبد الرحمن (يعنى ابن مهدى) حدثنا شعبة عن علىّ بن الأقمر عن أبى الأحوص عن عبد الله : عن النبى ﷺ قال « **لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس** » .

صحيح

قال الإمام أحمد رحمه الله (٦/٤٩٩) :

حدثنا علىّ بن ثابت قال حدثنى عبد الحميد بن جعفر الأنصارى عن أبيه عن علباء السلمى قال : إن رسول الله ﷺ يقول : « **لا تقوم الساعة إلا على حثالة الناس** » .

حسن

وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٤/٤٩٥ - ٤٩٦) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى صحيح .

قال الإمام أحمد رحمه الله (١/٤٠٥) :

حدثنا معاوية حدثنا زائدة عن عاصم بن أبى النجود عن شقيق عن عبد الله قال :

= **إلا قبضته** » وله فى آخر حديث النواس بن سمعان الطويل فى قصة الدجال وعيسى ويأجوج ومأجوج « **إذ بعث الله ريحاً طيبة فتقبض روح كل مؤمن ومسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة** » وقد اختلفوا فى المراد بقوله « **يتهارجون** » فقيل يتسافدون وقيل يتشاورون والذى يظهر أنه هنا بمعنى يتقاتلون أو لأعم من ذلك ، ويؤيد حمله على التقاتل حديث الباب ، ولمسلم أيضاً « **لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله** » وهو عند أحمد بلفظ « **على أحد يقول لا إلـه إلا الله** » والجمع بينه وبين حديث « **لا تزال طائفة** » حمل الغاية فى حديث « **لا تزال طائفة** » على وقت هبوب الريح الطيبة التى تقبض روح كل مؤمن ومسلم فلا يبقى إلا الشرار فتهجم الساعة عليهم بغتة .

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء ، ومن يتخذ القبور مساجد** » .

صحيح لغيره[1]

وأخرجه أحمد أيضاً (٤٣٥/١) وابن حبان (موارد الظمآن ٣٤٠) .

لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٤٨) :

حدثنى زهير بن حرب حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله** »[2] .

صحيح

آخر من يُحشر من الناس

قال الإمام البخارى رحمه الله (١٨٧٤) :

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **تتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العواف**[3] **- يريد عوافى السباع**

---

(١) فله شاهد عند أحمد (٤٥٤/١) من حديث ابن مسعود أيضاً .

(٢) قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٣٦٠/١) : أما معنى الحديث فهو أن القيامة تقوم على شرار الخلق كما جاء فى الرواية الأخرى « **وتأتى الريح من قبل اليمن فتقبض أرواح المؤمنين** » عند قرب الساعة .

(٣) قال النووى : العواف قد فسرها فى الحديث الآخر بالسباع والطير .

والطير - وآخر من يُحشر راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشاً حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما »[1] .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٣٨٩ ص ١٠١٠) .

---

(١) قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٥٣٤/٣) : وأما معنى الحديث فالظاهر المختار أن هذا الترك للمدينة يكون فى آخر الزمان عند قيام الساعة وتوضحه قصة الراعيين من مزينة فإنهما يخران على وجوههما حين تدركهما الساعة وهما آخر من يحشر كما ثبت فى صحيح البخارى فهذا هو الظاهر المختار .، وقال القاضى عياض هذا فيما جرى فى العصر الأول وانقضى ، قال : وهذا من معجزاته ﷺ فقد تركت المدينة على أحسن ما كانت حين انتقلت الخلافة عنها إلى الشام والعراق وذلك الوقت أحسن ما كانت للدين والدنيا أما الدين فلكثرة العلماء وكمالهم وأما الدنيا فلعمارتها وغرسها واتساع حال أهلها .
قال وذكر الأخباريون في بعض الفتن التى جرت بالمدينة وخاف أهلها أنه رحل عنها أكثر الناس وبقيت ثمارها أو أكثرها للعوافى وخلت مدة ثم تراجع الناس إليها قال وحالها اليوم قريب من هذا ، وقد خربت أطرافها هذا كلام القاضى والله أعلم .
ومعنى ينعقان بغنمهما : يصيحان .
قال النووى : وقوله ﷺ : « **فيجدانها وحشاً** » وفى رواية البخارى « **وحوشاً** » قيل معناه - يجدانها خلاء أى خالية ليس بها أحد . قال إبراهيم الحربى : الوحش من الأرض هو الخلاء والصحيح أن معناه تجدانها ذات وحوش كما فى رواية البخارى وكما قال ﷺ : « **لا يغشاها إلا العوافى** » ويكون وحشاً بمعنى وحوشاً وأصل الوحش : كل شيء توحش من الحيوان وجمعه وحوش ، وقد يُعبر بواحده عن جمعه كما فى غيره ، وحكى القاضى عن ابن المرابط أن معناه أن غنمهما تصير وحوشاً إما أن تنقلب ذاتها فتصير وحوشاً وإما أن تتوحش فتنفر من أصواتها ، وأنكر القاضى هذا واختار أن الضمير فى « **يجدانها** » عائد إلى المدينة لا إلى الغنم وهذا هو الصواب وقول ابن المرابط غلط والله أعلم . =

قيام الساعة بغتة

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٥٤) :

حدثنى زهير بن حرب حدثنا سفيان بن عيينه عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة يبلغ به النبى ﷺ قال : « **تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم ، والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم ، والرجل يلط فى حوضه فما يصدر حتى تقوم** » .

صحيح

= أما القرطبى رحمه الله فكأنه جنح إلى أن الضمير فى « **يجدانها** » يعود على الغنم فقال الحافظ فى الفتح (٤/٩١) : وقال القرطبى : القدرة صالحة لذلك انتهى .
ثم قال الحافظ : ويؤيده أن فى بقية الحديث أنهما يخران على وجوههما إذا وصلاً إلى ثنية الوداع وذلك قبل دخولهما المدينة بلا شك فيدل على أنهما وجدا التوحش المذكور قبل دخول المدينة فيقوى أن الضمير يعود على غنمهما وكأن ذلك من علامات قيام الساعة ، ويوضح هذا رواية عمر بن شبة فى (أخبار المدينة) من طريق عطاء بن السائب عن رجل من أشجع[(١)] عن أبى هريرة موقوفاً قال : آخر من يحشر رجلان رجل من مزينة وآخر من جهينة فيقولان أين الناس ؟ فيأتيان المدينة فلا يريان إلا الثعالب فينزل إليهما ملكان فيسحبانهما على وجوههما حتى يلحقاهما بالناس .
وقوله : « **خرا على وجوههما** » أى سقطا ميتين .

* * *

---

(١) هذا الرجل مبهم فالأثر ضعيف .

الخاتمة

بحمد الله انتهى كتابنا الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة فنسأل الله العظيم بعزته أن يعيذنا والمسلمين من الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يصرف عن المسلمين وديارهم وأوطانهم كلَّ مكروه وسوء ، وأن يوحد كلمتهم ويجمعهم على الحق إن ربنا لسميع الدعاء وإنه لغفور رحيم .

هذا وجزى الله خيراً من وجد استدراكاً فوافانا به ناصحاً لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . وإذا كان ثمَّ نقص فيستدرك فى طبعات لاحقة إن شاء الله .

ونسأل الله العظيم أن ينفع بهذا السِّفر الجليل الإسلام والمسلمين وأن يجعله فى ميزان حسناتنا يوم نلقاه .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد ألا إلـٰه إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه

أبو عبد الله / **مصطفى بن العدوى**

مصر – الدقهلية – منية سمنود

الفهرس

تم بحمد الله وتوفيقه

كتبه أبو عبد الله مصطفى العدوى

كتب للمؤلف

الكتاب	الناشر
١ - الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة	مكتبة دار الأرقم بالكويت
	مكتبة التوعية الإسلامية بالقاهرة
	مكتبة ابن عفان بالخبر (السعودية)
٢ - الصحيح المسند من الأحاديث القدسية	مكتبة الصحابة بطنطا (مصر)
٣ - الصحيح المسند من فضائل الصحابة	مكتبة القدس (صنعاء اليمن) وتوزيع
●● جامع أحكام النساء ويشمل :	مكتبة الكوثر (الرياض السعودية)
٤ - الصحيح المسند من أحكام النكاح	مكتبة ابن تيمية بالقاهرة
٥ - أحكام الطلاق فى الشريعة الإسلامية	مكتبة ابن تيمية (القاهرة)
٦ - الحجاب (أدلة الموجبين وشبه المخالفين)	مكتبة ابن تيمية بالقاهرة
	مكتبة الطرفين (الطائف السعودية)
	مكتبة دار الحجاز (بلقاس) مصر
٧ - المؤنق فى إباحة تحلى النساء بالذهب المحلق	مكتبة الحرمين بالقاهرة
	مكتبة الطرفين بالطائف
	مكتبة العلم بالكويت
٨ - جامع أحكام النساء (الأدب واللباس)	مكتبة التوعية الإسلامية بالقاهرة
	توزيـــع
	ابن الجوزى بالدمام (السعودية)
٩ - فقه تعدد الزوجات	مكتبة ابن تيمية بالقاهرة

١٠ - جامع أحكام النساء (قسم الطهارة وملحقاتها) مكتبة ابن حجر بمكة المكرمة

١١ - جامع أحكام النساء (الصلاة والجنائز) مكتبة ابن حجر بمكة المكرمة

١٢ - كشف المبهم عن حكم سفر المرأة بدون زوج أو محرم . مكتبة ابن حجر بمكة المكرمة

ولجامع أحكام النساء جملة أجزاء أخرى تحت الطبع بإذن الله

١٣ - أسئلة وأجوبة فى مصطلح الحديث مكتبة ابن القيم بالدمام
مكتبة ابن تيمية بالجزائر (البليدة)
مكتبة الضياء (بجده) السعودية
مكتبة الحرمين القاهرة

١٤ - ذم البخل مكتبة الطرفين بالطائف السعودية

١٥ - نظرات فى السلسلة الصحيحة (بالاشتراك مع أبى لؤى خالد المؤذن) مكتبة الطرفين بالطائف

●● بعض المختصرات

١٦ - روضة المحبين فى فضائل صحابة سيد المرسلين مكتبة دار الحجاز ببلقاس مصر
مكتبة الطرفين بالطائف

١٧ - تحفة الأحباب من الأذكار الصحيحة والدعاء المستجاب مكتبة التوعية الإسلامية بالقاهرة

●● كتب حققها المؤلف

١٨ - المنتخب لعبد بن حميد الجزء الأول مكتبة دار الأرقم بالكويت - الجزء الثانى والثالث مكتبة ابن حجر بمكة المكرمة

١٩ - تفسير المعوذتين لابن القيم — مكتبة الصديق بالطائف

٢٠ - الوابل الصيب - لابن القيم — مكتبة الصحابة بطنطا - مصر

٢١ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية — مكتبة ابن تيمية بالقاهرة

وثمَّ جملة كتب أخرى تحت الطبع بإذن الله

* * *